جامعة الجزائر -01-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

البعد الوجداني للعقيدة عند علماء الإباضية بالمغرب من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين من خلال كتب السير

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص عقيدة

إعداد الطالب: عيسى زكرياء

إشراف الدكتور: ونتن مصطفى

الموسم الجامعي: **2015 - 2016**

الإهداء...

إلى منبع العاطفة والوجدان في حياتي .... أمي وأبي...

إلى مصدر التوازن في الحياة بين الوجدان والعقل... أساتذتي في كل مراحل التكوين...

إلى كل مُرَبٍّ ينشد بناء الشخصية المتوازنة في أجيال المستقبل...

إلى كل هؤلاء... أهدي هذا العمل.

المقدمة:

يعتبر الجانب الوجداني من الدين بمثابة الروح من الجسد، فلا معنى لجسد وأعضاء من دون روح، كما لا أهمية لشعائر وأوامر ونواهي من دون وجدان، وكما يقول أحد المفكرين المعاصرين أنه إذا كان للفكر موضعه وللواقع تطبيقاته في سبيل نهضة الأمة، أيضا للوجدان الإنساني مكانته التي ينبغي أن تولى الاهتمام والعناية؛ وقد اهتم الفكر الإسلامي بهذا الجانب أيما اهتمام وصنفت فيه مؤلفات عدة، من ذلك ما تميز به المذهب الإباضي. في هذا الإطار يحاول بحثُ: **البعد الوجداني للعقيد عند علماء الإباضية من خلال كتب السير ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين** التنقيب عن مكانة الجانب الوجداني للعقيدة في مواقف العلماء ومناقبهم ومآثرهم.

تتمثل أهمية البحث في أنه يحاول النظر في المجال الوجداني للشريعة الإسلامية من زاوية نظر إباضية، وهو الأمر الذي تقلّ فيه الدراسات، فلو سألنا ما وجه التشابه بين المدرسة الإباضية والصوفية باعتبارها المهتم الأكبر بالجانب الوجداني لصعب الفصل في الجواب، وهذا ما يدفع إلى البحث في المدرسة الإباضية للتعرف على مكانة الجانب الوجداني فيه، وموقف أهله في الموضوع.

ويهدف البحث إلى إبراز موقف الإباضية من الجانب الوجداني، وإبراز إجاباتهم عن أهم الإشكالات المطروحة، مثل: ثنائية العقل والقلب، وثنائية الدين والدنيا، وثنائية الفرد والجماعة، إلى غير ذلك من الثنائيات التي تكشف عن الخلفية المنهجية للمدرسة في نظرها للحياة.

ومن الدراسات التي لها علاقة مباشرة بالجانب الوجداني للمذهب الإباضي الدراسات التي أجريت حول نظام حلقة العزابة، ومنها: دراسة للدكتور فرحات الجعبيري بعنوان: نظام حلقة العزابة في جربة، حيث قدم فيها سردا تاريخيا لنظام العزابة في جزيرة جربة، وتعتبر دراسة مهمة بسبب المصادر التي وظّفها الباحث، و قربه من مكان نشأة نظام الحلقة زادها أهمية.

ومنها دراسة للمستشرق الإيطالي داتشيوروبيناتشي بعنوان:" العزابة" حيث عقد مقارنة بين تنظيمات حلقة العزابة وتنظيمات بعض الحركات الصوفية مدافعا على فكرة تأثير بعض التقاليد الدينية المسيحية في التصوف الإسلامي.

ومن الدراسات أيضا بحث جامعي للأستاذ صالح بن عمر اسماوي حول نظام حلقة العزابة، حيث قدم فيه التنظيمات العامة لنظام حلقة، وتطرق فيه إلى الجانب العملي والروحي لها.

ويظهر بشكل واضح ثراء هذه الدراسات — على الرغم من قلتها–بالمعلومات والبيانات اللازمة حول نظام العزابة، لكنها لم تقف على الجانب الوجداني للنظام بشكل خاص ما عدا الدراسة الأخيرة، و قد تميزت بسرد التنظيمات والتعليمات التي يحتويها النظام في معظمها.

يحاول البحث الكشف عن أسباب استمرار أتباع المذهب الإباضي بالمغرب بالرغم من أسباب الزوال الكثيرة التي مرت بهم، إلى جانب ذلك أنهم لم يسعوا إلى تشكيل سلطة قوية تحمي وجودهم، لذا من المؤكد أنهم يملكون سببا آخر كان السبب في الحفاظ على وجودهم، ليقف بعد ذلك على ميزات هذه القوة البعيدة عن القوة السياسية والقوة المادية ويكتشف ملامحها وأصولها، واختار لذلك فترة ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين، باعتبارها تحتوي على بداية نشأة نظام حلقة العزابة، كما تحتوي على مرحلة مهمة في الانتاج العلمي والفكري الإباضي وهو القرن السادس الهجري.

يفترض البحث أن القوة البديلة تتمثل في المنظومة الأخلاقية والتماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي والتي من ورائها دافع وجداني عقدي قوي يجعل الالتزام بالأوامر والنواهي والتنظيمات أمرا يسيرا.

ليقترب البحث من إثبات هذه الفرضية أو نفيها اختار منهج استقصاء أخبار العلماء ووصفها وتصنيفها من كتب السير الآتية: كتاب السيرة وأخبار الأئمة للشيخ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، وكتاب طبقات المشائخ بالمغرب للشيخ أبي العباس أحمد الدرجيني وكتاب السير للشيخ أبي العباس أحمد الشماخي، والسبب في اختيار هذه الكتب دون غيرها هو أن الأول يعتبر الأسبق زمنيا ما يجعله يحوي قيمة تاريخية مهمة، أما الثاني لأنه تنقيح وتعليق للأول وتركيز أكثر على نظام حلقة العزابة، أما الثالث لتميزه باشتماله على مختصر كتب السير الأخرى واطلاعه على المدارس الأخرى، واختار أيضا منهج التحليل لاكتشاف الجذور العقدية للمواقف الوجدانية والآثار الواقعية لها.

يحتوي البحث على ثلاث فصول في كل فصل ثلاث مباحث، الفصل الأول حول المفاهيم الأساسية التي يتمحور عليها البحث، ويحتوي على سرد تاريخي للوجود الإباضي في المناطق المختلفة في المغرب العربي خلال مرحلة الدراسة.

أما الفصل الثاني فيحتوي على تصنيف للمواقف والأخبار الوجدانية لكل عالم وفي كل كتاب من كتب السير الثلاث المذكورة سابقا، كل على حدة في مبحث مستقل، مع تقديم لمحة عامة عن حياته الوجدانية، وأهم ملامحها في كل موقف من مواقفه، ليختتم كل مبحث بجدول إحصائي لكل المواقف الوجدانية ونوعها وعددها.

أما الفصل الأخير فيحتوي على تحليل مواقف مختارة مصنفة حسب طبيعتها، حيث يضمّ المبحث الأول نماذج لمواقف لها أثر تربوي، مثل التربية الإيمانية والتزكية، وتربية الأبناء على الصلاح؛ ويضم المبحث الثاني نماذج لها أثر اجتماعي مثل تنظيمات حلقة العزابة في صيغته الاجتماعية، وأخبار الإصلاح الاجتماعي؛ ويضم المبحث الأخير نماذج لها أثر سياسي مثل آداب التعامل مع الساسة والحكام بما يحفظ للدين وجوده و مكانته.

واجهتني بعض الصعوبات خلال البحث تتمثل في كثرة الأخبار وصعوبة انتقاء ما يدل منها على الجانب الوجداني، الأمر الذي يدفع إلى تحرير وتحليل كل المواقف للوصول إلى المواقف التي تقدم فكرة أو فائدة تخدم إشكالية البحث، ومن الصعوبات أيضا ندرة الدراسات الإباضية التي تعتني بالجانب الوجداني بشكل مباشر إلا ما تعلق بنظام حلقة العزابة.

وفي ختام هذه المقدمة لا يحسن أن أغفل عمن مد يد العون في هذه الرحلة التكوينية المرهقة نوعا ما، بداية من أستاذي المشرف حفظه الله، وقد كان نعم المثال على ما أطَّلِع عليه في كتب السير من أخبار العزابة مع تلاميذهم (وهو ضمن حلقة العزابة)، كما لا أنسى أن أشكر الأساتذة الذي لم يبخلوا علي بتوجيهاتهم السديدة والقيمة، والله نسأل أن يتقبل من الجميع وأن يكلّل المساعي بالنجاح ويسدد الخطى ويصلح البلاد والعباد ويهدينا سواء السبيل.

الفصل الأول: مفاهيم ومعالم.

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات.

يعتبر ضبط المفاهيم والتصورات من الأهمية بمكان، لا سيما لموضوع يقع في الطرف المقابل لكل ما هو محسوس وملموس. لهذا الغرض كانت البداية بالتعاريف الأساسية للكلمات التي وردت في العنوان أو لما لها علاقة بها، بداية بلمحة مختصرة عن المدرسة الإباضية، ثم لفظة الوجدان وما قاربها من معاني، وأخيرا مدلول فنّ السّير عند الإباضية.

أولا: لمحة عن الإباضية ومنهجهم:

المذهب الإباضي:

النشأة والتسمية:

يعتبر المذهب الإباضي من أقدم المذاهب نشأة، والإباضيّة نسبة إلى عبد الله بن إباض، لم يكن هو إمامهم الأول، وإنما كان الناطق باسم الإباضية مع الأمويين.

ارتبط وجود الإباضية باسم مؤسس المذهب الإمام جابر بن زيد في القرن الأول الهجري، وسموا بالإباضية من طرف مخالفيهم، ولم تظهر التسمية في المؤلفات الإباضية إلا مع نهايات ق 03 هـ/ 9م وذلك في كتاب الدينونة الصافية لعمروس بن فتح النفوسي، وفي كتاب الموازنة لابن بركة ق 04هـ/ 10م[1]. ومن ألقابهم أيضا "الوهبية" نسبة إلى عبد الوهاب بن أفلح بن عبد الرحمن بن رستم، وهذه التسمية تقابل تسمية "النكارية"، الذين ينكرون إمامة عبد الوهاب[2].

الأئمة الأوائل للمذهب:

إمام المذهب هو جابر بن زيد الأزدي، ينتمي إلى مدينة نزوى، عاش ما بين (18هـ - 93هـ)، هو المؤسس لأصول المذهب والواضع لقواعده، وقد أخذ العلم عن سبعين بدريا، منهم عبد الله بن

---

1) مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ج01، ص04.

2) الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص 39.

عباس بن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أخذ عن أمنا عائشة بنت الصديق رضي الله عنهم[1].

وكان من أكبر تلامذته الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وقد أخذ العلم عنه وعن صحار العبدي وجعفر بن السماك من التابعين، أما من الصحابة فقد أدرك جل الصحابة الذين أخذ عنهم شيخه جابر.

يتمثل دور الإمام أبو عبيدة في تاريخ المذهب في أمر مهم جدا يتمثل في إرسال البعثات العلمية إلى المشرق والمغرب، بعد أن اشتدت المطاردة على الإباضية في البصرة، أما إلى المشرق فقد أرسل إلى اليمن وإلى عمان وإلى خرسان، وكان منها انتشار الإباضية ووصولهم إلى بلاد الهند وماليزيا، ثم إلى الصين وكينيا وتانزانيا، ومدغشقر وزنجبار[2].

أما إلى المغرب عن طريق ما يعرف بحملة العلم إلى المغرب بداية من ليبيا إلى تونس والجزائر، ثم من هذه المناطق إلى مصر والأندلس وبلاد السودان كالسينيغال ومالي والنيجر وتشاد وغانا[3]، وهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من اليمن، وعبد الرحمن بن رستم من القيروان بتونس، واسماعيل بن درار الغدامسي من ليبيا، وأبو داود القبلي النفزاوي من بلاد الجريد بتونس، عاصم السدراتي من ورجلان، والملاحظ أنهم من مناطق مختلفة لتواجد الإباضية بالمغرب.

أهم المحطات التاريخية: (من النشأة إلى بداية نظام حلقة العزابة)

مرّ الإباضية بمراحل تاريخية يمكن أن نحصرها فيما يلي:

أولا: مرحلة التأسيس (ق 01- ق02 هـ) في البصرة على يد الإمام جابر، وانتشار حملة العلم إلى المغرب والمشرق على يد الإمام أبي عبيدة[4].

---

1) نفس المرجع، ص 29.

2) مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ج01، ص 04.

3) نفس الموضع.

4) نفس الموضع.

ثانيا: مرحلة إقامة الإمامات (ق02هـ) بعد أن انتشرت بعثات العلم التي أرسلها الإمام أبو عبيدة بدأت ثمارها تظهر في تأسيس الإمامات كلما سنحت الظروف وتوفرت العدّة لذلك، حرصا منهم على تطبيق الشعائر، مثال ذلك إمامة طالب الحق باليمن، والإمامة الأولى بعمان والتي انقضت وتلتها الإمامة الثانية واستمرت إلى القرن الرابع عشر، هذا بالمشرق أما بالمغرب فإمامة الرستميين في القرنين الثاني والثالث الهجريين[1].

ثالثا: مرحلة الأزمات والمواجهات (ق03هـ) التي كانت بالمغرب مع الفاطميين وكان ذلك سبب سقوط الدولة الرستمية، وبالمشرق مع العباسيين والبويهيين، حيث لم يكن لهم نفس المصير مع المغاربة، لكن كانت سببا في ازدواجية الحكم، فظهر الحكم الملكي الوراثي إلى جانب الحكم بالإمامة[2].

رابعا: مرحلة التجمعات بالمغرب، حيث إن بعد سقوط الدولة الرستمية وفشل مقاومة أبي خزر ضد العبيديين صار أتباع المذهب الإباضي بالمغرب بدون سلطة حاكمة ترد عنهم الهجومات، خاصة وأن المغرب أصبح مسرحا لعدة توجهات دينية وسياسية فالتجأ الإباضية إلى ما يخدمهم وينظم شؤونهم الداخلية ويحميهم من الزوال، فظهر ما يسمى بنظام العزابة الذي يشرف عليه المشائخ ويسير شؤون المجتمع المختلفة على يد الشيخ أبي عبد الله بقرنين من الزمن.

مفهوم العقيدة عند الإباضية:

بما أن موضوعنا يتعلق بالبعد الوجداني للعقيدة عند الإباضية فمن الضروري الوقوف على مصطلح العقيدة من منظور الإباضية وما يتميزون به في تعريفهم.

ورد في معجم مصطلحات الإباضية أن العقيدة هي: (مجموعة المبادئ الثابتة في القلب ثبوتا راسخا لا يخالطها الشك. والعقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله والتسليم والخضوع لأمره، والتصديق الجازم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به أنه حق من عند الله، والطاعة التامة لأوامر الله ورسوله، واجتناب النواهي في السر والعلن، وذلك كله في إطار منهج دقيق محكم يوجه نشاط

---

1) نفس الموضع.

2) نفس الموضع.

الإنسان كله في جميع صوره ــ الصغير منها والكبير، والجليل والحقيرــ وجهة تنتهي في غاياتها إلى الإسلام الكامل لله، والإذعان التام له، فالعقيدة تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان)[1]

نلاحظ في هذا التعريف ضرورة اقتران ما في القلب مع ما يقوله اللسان وما تتصرف وفقه الأعضاء. وهذا التعريف هو نفسه تعريف الإيمان، مع وجود اختلاف بينه وبين ما ذكره القطب اطفيش حيث عرف الإيمان (هو التصديق بالقلب، مع اعتبار أن الإقرار باللسان والعمل بالجوارح مما يتم به الإيمان ويكتمل، فهما شرطان، فالإقرار باللسان شرط لأن تجري الأحكام على المقرّ في الدنيا، كحق الدماء والأموال (....) وأما العمل فهو شرط للنجاة من العذاب ومظنّة استحقاق الثواب، والإيمان القولي لا يكفي خاليا من الشرطين)[2]، وقال القطب: (وقد يستعمل الإيمان في التصديق والانقياد معا)[3]، خاصة حين قال إن الإيمان هو العلم ووصفه بأنه (نور يقذفه الله في قلب الإنسان فينشرح له، وعلامته الابتعاد عن الدنيا والاستعداد للأخرى)[4]. ويشير الشيخ القطب إلى أن الإيمان يزداد وينقص، حيث إن الزيادة مرتبطة (بقوة النظر الاعتباري والفكر والأعمال الصالحة، وينقص بالغفلة عن ذلك والأعمال المحرمة)[5].

يتبين لنا من خلال التعاريف السابقة أهمية البعد العملي والسلوكي للعقيدة عند الإباضية، فمنهم من يعتبره شرطا أساسيا لوجود الإيمان، ومنهم من يعتبره شرطا أساسيا لكمال الإيمان، ولا فرق بينهما إذا كان يترتب عن القول سريان أحكام في الدنيا، وعن العمل أحكام الآخرة، وفي كليهما بعد عملي. إذا كان المعتقد عند الإباضية يوجب العمل حتى يكون صحيحا، والعمل في حاجة إلى دافع داخلي حتى يتحقق وهو الجانب الوجداني من المسلم، فما معنى الوجدان؟

1) مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ج02، ص720.
2) المرجع السابق، ج01، ص67.
3) اطفيش محمد: شامل الأصل والفرع، ج01، ص 23.
4) المصدر السابق، ص 23، 24.
5) نفس الموضع.

ثانيا: الوجدان:

أ‌- لغة:

ورد في القاموس المحيط: عليه يَجِدُ ويَجُدُ وَجْداً وجِدَةً ومَوْجِدَةً: غضب. به وَجدًا: في الحب فقط، وكذا في الحزن، لكن يكسر ماضيه [أي وجِد]. توجّد السهر وغيره: شكاه[1]

وفي لسان العرب: ووَجَد عليه في الغَضب يَجُدُ ويَجِدُ وَجْداً وجِدَةً وموجَدةً ووِجْداناً: غضب. وفي حديث الإيمان إني سائلك فلا تجِدْ علي أي لا تغضب من سؤالي. ووَجد به وَجْدا في الحب لا غير، وإنه ليجد بسُعاد وَجْدا شديدا إذا كان يهواها ويحبها حبا شديدا.

وقالت شاعرة من العرب وكان قد تزوجها رجل من غير بلدها فَعُنِّنَ عنها:

مَنْ يُهْدِ لي مِن ماء بَقْعاءَ شَرْبةً فإنَّ له مِنْ ماءِ لِينة أَرْبَعَا
لقد زادَني وَجْداً بِبَقْعاءَ أَنَّني وَجَدْتُ مَطايانا بِلِينةَ ظُلَّعا
فَمَنْ مُبْلِغٌ تِرْبَيَّ بالرَّمْلِ أَنني بَكَيْتُ، فلم أَترُكْ لِعَيْنَيَّ مَدْمَعا؟

أي بالرغم من مراراة ماء بقعاء التي هي بلدة أهلها ومسقط رأسها، وعذوبة ماء لينة التي هي بلدة زوجها، فإن من يقدّم لها شربة من بقعاء خير من أربع شربات من لينة، إشارة إلى سوء ما لا قته من زوجها وكرهها له ولمدينته، حيث زادها وجدا وحبا لمدينتها فرارا من زوجها.

أيضا: ووجَد الرجلُ في الحزْن وَجْداً، بالفتح، ووَجِد؛ كلاهما عن اللحياني: حَزِنَ.

وقد وَجَدْتُ فلاناً فأَنا أَجِدُ وَجْداً، وذلك في الحزن. وتَوَجَّدْتُ لفلان أَي حَزِنْتُ له. قال أَبو سعيد: تَوَجَّد فلان أَمره كذا إذا شكاه، وهم لا يَتَوَجَّدُون سهر ليلهم[أي] لا يَشْكون ما مسهم من مشقته[2].

الملاحظ في هذه التعريفات أن كلها تشترك في معاني عن أحوال قلبية مشاعرية تحدث داخل نفس الإنسان، قد يكون غضبا، إذا سُبق بـ: عليه، وقد يكون حبا إذا حل في القلب وصار به، وقد

---

1) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 324.

2) بن منظور: لسان العرب، مج 03، ص 546.

يكون حزنا إذا وقع بعد الفاعل مباشرة، مثل قول: وجد فلان أي حزن، وقد يكون شكوى إذا كان على وزن تفعّل فلان، مثل قول: توجّد فلان من كذا.

و كل المعاني اللغوية السابقة تشترك في كونها من العالم الداخلي للإنسان ومشاعره، والذي يقابل العالم الخارجي، أي ما يظهر للآخرين، وقد يقول قائل إن الشكوى كذلك تظهر، والحب كذلك يظهر، إلى غير ذلك مما ينسب إلى الأحوال الداخلية للإنسان، فيكون الجواب أن ما يظهر للآخرين ليس هو الشعور نفسه بل آثاره.

مثلا: الإنسان عندما يعشق فيظهر عشقه في تقرّبه وتودّده إلى معشوقه، فالذي ظهر ليس هو الحب ذاته وإنما أثره، وقس على ذلك بالنسبة للشكوى والحزن والغضب، هذا ونجد أيضا أن المعاني اللغوية اشتملت على أهم العواطف الداخلية للإنسان وهي: العواطف الدافعة والعواطف الرادعة والعواطف الممجدة[1]، وذلك أن الحب يُعتبر من العواطف الدافعة والممجدة أي دافعا لفعل ما يحبه المحبوب وممجدا له، والشكوى والحزن من العواطف الرادعة، أي رادعة لصاحبها من تكرار الفعل الذي كان سببها.

اصطلاحا:

الوجدان في الفلسفة:

من المجالات التي يمكن أن تقدم صورة توضيحية للمصطلح: المجال الفلسفي باعتباره مجالا خصبا لكشف حقائق النفس الإنسانية، ومجال علم النفس، باعتبار أن من بين اهتمامات علم النفس: النفس البشرية والاقتراب قد المستطاع إلى ضبط ماهيتها وخصائصها.

نجد اختلافا واضحا بين التعاريف في المجال الفلسفي عموما للتعريف الاصطلاحي للوجدان، منهم من يطلقها على (الظواهر الداخلية التي يشعر بها الإنسان كاللذة والألم والانفعال)[2]، وهو (ما يقابل الجانب الفكري [أي العقلي] والنزوعي [أي الإرادي] من النفس) [3] في تعريف آخر،

1) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، ص 82.
2) المعجم الفلسفي، ص210، مصطلح رقم: 1094.
3) المرجع السابق، ص211، مصطلح رقم: 1094.

والملاحظ أن التعريفين لم يفصلا بين ما هو أثر لمؤثر حسّي مثل أكل شيء لذيذ فتنتج عنه لذة، وبين ما هو معنوي مثل المدح الذي يُحدث شعورا باللذة في نفس الممدوح، كذلك بالنسبة للانفعال قد يكون بسبب مادي وقد يكون بسبب معنوي، وهو ما يخدم الموضوع، خاصة وأن للفرد استعدادا لمعاناة المشاعر والانفعالات كما ورد في تعريف آخر[1].

قد يكون المعتقد مؤثرا مهما جدا في النفس يحدث فيه كل هذه الظواهر الداخلية، خاصة إذا ما تشبع الإنسان بالمبدأ العقدي واقتنع به، وتفاعل مع محيطه انطلاقا منه، فسيجد في نفسه لذة وارتياحا في كل ما يتوافق مع معتقده، كما يجد ألما في كل ما يتعارض معه، كما يمكن أن يحدث فيه انفعالا نتيجة ذلك التعارض أو التوافق، باعتبار أن الانفعال هو (عاطفة قوية تتحكم في النفس كالحب والكراهية والحزن والفرح)[2]، وكلما قوي سببه واشتد كلما كان عميقا وقويا في نفس الإنسان ومؤثرا في سلوكه، حيث ورد في إحدى التعريفات للوجدان أنه (قد يقصر على الانفعالات الشديدة التي يصحبها توقف وحركة، كالخوف والحب)[3]

خلاصة القول أن الفلسفة حاولت أن تبين مصطلح الوجدان من حيث طبيعته في النفس ودرجاته، ولا شك أن ذلك له علاقة علم النفس باعتبار أن هذا الأخير فرع للأول، فما هي المعاني التي يمكن استفادتها من علم النفس؟

الوجدان في علم النفس:

انطلاقا من أن علم النفس هو العلم الذي يشتغل بالنفس ويستكشف حقائقها وقوانينها التي تحكمها، كان من الضروري البحث عن لفظة" وجدان" لنقف على معانيها فيه، حيث نجد أن العلماء في علم النفس ابتداء يؤكّدون على وجود عالم الوجدان عند الإنسان، وأنه لا يمكن النظر إلى الإنسان من الزاوية المادية المحسوسة فحسب، خاصة عندما يخوضون في البحث عن العمليات التي تحدث داخله. فيقسمونه إلى عالمين عالم مادي وعالم روحي، (والروحي هو كل ما يتعلق

1) من التعاريف الفلسفية: (استعداد الفرد معاناة المشاعر والانفعالات) ، أنظر: المصدر السابق.

2) المعجم الفلسفي ص 26 رقم 157

3) نفس الموضع.

بالروح ويقابل المادي والجسمي، ومنه المجاهدات الروحية عند الصوفية)[1]، بل هناك من يذهب أبعد من ذلك فيضعه موضع السيادة من الجانب المادي[2].

والوجدان ينتمي بطبيعته إلى العالم الروحي أو المعنوي، فيعتبرون أن التأثر الوجداني هو (شعور يصاحب الفكر من وجدان أو انفعال أو مزاج)[3]، بمعنى أنه عندما تنتاب الإنسان مشاعر خوف أو حب مثلا، فإن ذلك الشعور يكون مصاحبا لفكرة في ذهنه عن الشيء الذي يخاف منه أو يحبه، أو بمعنى آخر كل فكرة تترتب عنها مشاعر تسمى وجدانا، باعتبار أن الوجدان (وعاء الشعور بما ينشأ عن إدراك معنى من المعاني السارة أو المؤلمة وعن التأثر بأحاسيس سارة أو مؤلمة)[4].

اتضح من خلال ما سبق أن الانفعال والوجدان (ظاهرتان مختلفتان عن الإدراك وعن النزوع)[5] وأن (الوجدان هو قوة من قوى الإنسان لا تختص برغبة معينة دون أخرى بل هو وعاء للشعور الذاتي من حيث هو)[6]، بمعنى أن الفكرة تترتب عن الإدراك، فتترك نوعا من الشعور في الوجدان حسب نوع الفكرة، ويترتب عن الشعور الإرادة وعن الإرادة النزوع والسلوك.

فالفكرة التي تترتب عن الإدراك هي الفكرة العقدية، والشعور الذي ينتج عن المعتقد يختلف باختلاف طبيعته، إما أن يكون المعتقد ذا طبيعة دافعة مثل الإيمان بالجنة، وإما ذا طبيعة رادعة مثل الإيمان بالنار، وإما ذا طبيعة ممجدة مثل الإيمان بعظمة الله وبديع صنعه، وينتج عن الشعور إرادة و نزوع إلى فعل معين يختلف باختلاف نوع الفكر صحّة ووخطأ، وباختلاف نوع الشعور احجاما عن فعل أو إقداما إليه.

الوجدان في التراث الإسلامي:

1) المعجم الفلسفي، ص 176 رقم 916.
2) نفس الموضع.
3) مجمع اللغة العربية: معجم علم النفس والتربية، ج01، ص10.
4) هاشم حسن فرغل: الأسس المنهجية في بناء العقيدة الإسلامية، ص 397.
5) نفس الموضع.
6) نفس الموضع.

إن لفظة الوجدان في التراث الإسلامي متوفرة جدا بسبب الثراء الموجود فيه عن العالم الداخلي للإنسان، وإن كانت تتسم بالتقريب والعموم أحيانا نظرا لطبيعة الموضوع المعقّدة كما مر سابقا، أو يكون التعريف مرتبطا بمجال معرفي معين في أحيان أخرى، لكنها لا تخلو من فائدة في ما نحن فيه.

فالجرجاني مثلا يعتبر أن الوجدان هو كل ما يدرك بالحواس الباطنة[1]، من دون أن يفصل في معنى الحواس الباطنة، لكنه قدم تبسيطا في موضع آخر عن معنى طبيعة المدرك فقال إنه (يصادف القلب ويرِد عليه بلا تكلّف وتصنّع وقيل هي بروق تلمع ثم تخمد سريعا)[2] الملاحظ في هذه الإضافة أنه لا مجال لتحكّم الإنسان في وجود شعور بداخله تجاه أمر ما، لأنه يصادفه مصادفة ومن دون تكلّف، وبشكل عابر، وقد صور عدم هذا التحكّم وعبر عنه بالبروق اللامعة.

أما التهانوي فإنه يورد تعريفات مرتبطة بمجال التصوف، والظاهر أنها تتسم بالعمق في المشاعر[3]، مع بعض الغموض أحيانا، إذ لا يدركها إلا صاحبها كما يقال" من ذاق عرف" فيقول إن الوجد هو (مصادفة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزنا أو سرورا أو يغيره عن هيئته ويغيبه عن أوصافه بشهود)[4] حيث إن التهانوي قد وصف الوجد بأنه وارد مصدره من الله يؤدي إما: إلى الحزن وإما إلى السرور وإما إلى تغيير الهيئة وإما إلى حالة شهود وغيبة.

حين نتأمل هذه المواجد فسنجد أنها مرتبطة بحالة إيمانية شروطها معينة، من مجاهدة ورياضة روحية حتى يدرك الإنسان مثل هذه المعاني والأوراد من الله تعالى، إذ ليس من اليسير على أحد لم يعشها أن يدركها، لكن هذا لا يعني أن الوجد عند الصوفي لا يشبه المشاعر التي يجدها غير الصوفي، بل يوجد اتفاق واضح في ذلك مع مشاعر أي متدين، مثل الحزن والسرور الذي يجده أي مسلم حين يقرأ شيئا من القرآن يتحدث عن مشكلة نفسية يعاني منها، فيجد في نفسه نوعا

---

1) الجرجاني: التعريفات، ص 262، رقم: 1897

2) نفس الموضع.

3) باعتبار أن المشاعر تختلف في العمق من حيث شدة الانفعال وخفته (أنظر: المعجم الفلسفي ص 26 رقم 157)

4) التهانوي: الكشاف، ص 1757

من الغبطة والسرور، لأنه وجد ما يشابه حالته ويتفق معها ويتسلى بها، وقد قال أحدهم أن الوجد عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر[1].

خلاصة القول في التعاريف الصوفية التي أوردها التهانوي هي أن عمق الوجدان يختلف في مستوى عمقه حسب مسافة الطريق التي قطعها المريد إلى الله، وأن المشاعر الوجدانية يتعرض لها الإنسان وترد له حسب استعداده ومجاهداته في سبيل الحق.

إذا حوالنا جمع التعاريف السابقة التي تنظر إلى الوجدان من نواحي مختلفة فإننا سنصل إلى نتيجة أن الفلسفة قدمت لنا توضيحا عن ماهية الوجدان ودرجاته، أما علم النفس عن موقع الوجدان بين الفكر والنزوع إلى السلوك، والتصوف عن مصدره واختلافه حسب الاستعداد الشخصي للتلقي إضافة إلى التوفيق الرباني.

عملية ضبط المفاهيم لا تحدُّها إلا وضوح الفكرة، ووضوح الفكرة بشكل نهائي في مجال النفس والعالم الداخلي للإنسان أمر صعب إن لم يكن مستحيلا أحيانا، لذلك يجب علينا البحث عما يزيد الفكرة وضوحا في بعض ما له علاقة بمصطلح الوجدان، فما هي يا ترى الإضافة التي تفيدنا بها هذه المصطلحات ذات الصلة؟

مصطلحات ذات صلة:

تم اختيار أربعة مصطلحات أخرى ذات صلة وطيدة بالجانب الداخلي للإنسان حتى تزيد له وضوحا أكثر وفهما أوسع، وهي: القلب والنفس والعقل والروح، سبب اختيار المصطلحات الأربع سببان: أولهما العلاقة بين المصطلحات الأربع ومصطلح الوجدان، وهي أن الوجدان يمثل العالم الداخلي النفسي للإنسان كما مر سابقا، كما أن المصطلحات الأربع تعتبر عناصر مكونة للعالم الداخلي للإنسان. أما السبب الآخر يتمثل في كون البحث يتناول المذهب الإباضي، الأمر الذي يفرض أن أقف على موقفهم التقريبي النظري من مسألة الوجدان مع مقارنة بسيطة بين تعاريفهم

1) ومن التعاريف المتداولة في المجال الصوفي، والتي حاولت ترتيبها حسب عمقها، لا لأني عشت شيئا منها في القلب -وأنى لي ذلك-، بل من حيث ما أعرفه في العقل فحسب، منها ما يلي: الوجد هو خشوع الروح عند مطالعة سر الحق، وقيل الوجد اضطراب الفؤاد من خوف الفراق. وقيل: الوجد رفع الحجاب عن القلب ثم مشاهدة الحق وملاحظة الغيب. أنظر: التهانوي، المرجع السابق.

وتعاريف غيرهم، لأني لم أعثر على مادة في مصطلح الوجدان يخصهم، لذا فقد تم اختيار نماذج من علماء الإباضية يمثلهم الشيخان: أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي (ت:504هـ) في كتابه تبيين أفعال العباد، والشيخ أبي طاهر اسماعيل الجيطالي (ت: 750هـ) في كتابه قناطر الخيرات، وهما من العلماء البارزين في مرحلة البحث كما سيأتي الحديث عنهما لاحقا، ومن العلماء المتأخرين الشيخ عبد العزيز الثميني في كتابه النيل وشفاء العليل، مع بعض التوضيحات في شرح القطب اطفيش في كتابه شرح النيل وشفاء العليل، أما من غير الإباضية تم اختيار الشيخ أبي حامد الغزالي الفيلسوف والمتكلم والصوفي الكبير في كتابه إحياء علوم الدين (505هـ).

1) القلب:

- عند أبي العباس[1]:

(الأفعال على وجهين: منها ما يكون من القلب ولا يكون من الجوارح أصلا، ومنها ما يكون من الجوارح ولا يكون من القلب أصلا، ومنها ما يكون منهما جميعا، ولكن لا يكون من الجوارح إلا[ما كان] بسبب من القلب، وما لم يقم سببه من القلب فلا يكون طاعة ولا معصية)، ومثّل للأفعال التي تصدر من القلب بالعلم والجهل والحب البغض، إلى غير ذلك من أفعال القلوب، وللأفعال التي تصدر من الجوارح وإن كان مقصدها من القلب بالصوت والنظر والركوع والسجود، وأشار إلى أن الفعل لا يكون طاعة أو معصية إلا إذا قصد القلب ونوى، وللأفعال التي تصدر منهما مثل التوحيد والشكر والتوبة. وذكر في موضع آخر أن أصعب الذنوب التي يقع فيها العباد هي ذنوب القلب لتعسّر التعرف عليها والتخلص منها، ولا يكون ذلك إلا بعد جهد عظيم وتوفيق رباني، كما قال: (وأفضل ما يعتمد الإنسان فيها أن يلتجئ إلى ربه ويسأله العصمة منها، مع التمادي على الندم ما علم منها وما لم يعلم)[2].

- عند الجيطالي[3]:

وصف القلب بخزانة كل شيء نفيس ومهم، وأن أول ذلك هو العقل، وأعظم ما يحمله العقل هو معرفة الله عز وجل، ويضيف حول أهميته أنه (أعظم الأعضاء خطرا وأدقها أمرا وأشقها

1) أبو العباس، أحمد، تبيين أفعال العباد، ج01، ص46.

2)المصدر السابق، ص48.

3) الجيطالي: قناطر الخيرات، ج 03، ص17.

إصلاحا)[1]، ويمثل لدوره في الجسد بالنسبة لبقية الأعضاء مثال الملك مع الرعية[2]. وقد وصفه في موضع آخر بأن له خمسة أحوال، فذكر أنه محل الإلهام من الملك ومحل الوسوسة من الشيطان، وأنه محل حرب بين جنود الهوى وجنود العقل، ومحل العوارض والخواطر، وأنه سريع التقلب والتحول[3].

- عند الغزالي:

وصف القلب بأنه: (لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب)[4]، استعمل الغزالي لفظة اللطيفة للقلب إشارة إلى غموض حقيقته، وأنسب إليه ثلاث وظائف وهي: الإدراك والعلم والتعرف، وهذا وصف يعبر عن تداخل وظيفة العقل مع وظيفة القلب وأنهما أمر واحد، وهذا ما يبرر جعله هو المسؤول المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، إذ لو كانا أمرين متمايزين لذكر نوع المسؤولية المتعلقة بكل طرف.

و سبب كونه هو المسؤول يتضح أكثر في تبيينه في موضع آخر أن وظيفته الإرادة بعد العلم، لأن العلم (يبين عاقبة الأمر وطريق الصلاح)[5]، (وهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية)، أما الإرادة فهي (شوق إلى ذات المصلحة)[6]، أي أن دور العلم في القلب يتمثل في تبيين المصلحة، أما دور الإرادة في الدفع نحو المصلحة.

ليبين الغزالي أهمية القلب إلى جانب العلم، وعدم جدوى العلم المنفصل عن دور القلب قال: (ولو خلق الله العقل المعرِّف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق)[7]

1) المصدر السابق، ص 16.
2) المصدر السابق، ص 17.
3) المصدر السابق، ص18.
4) الغزالي: المرجع السابق، ص03.
5) المصدر السابق، ص07.
6) نفس الموضع.
7) نفس الموضع.

وقد تحدث عن علاقته بالقلب الجسماني فقال باستحالة إدراك العلاقة وذلك أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، وذكر أن المقصود من القلب عنده ليس حقيقته، وإنما أوصافه وأحواله التي يفتقر إليها علم المعاملة.[2]

- عند الثميني والقطب اطفيش:

ما سبق كان عن علماء الإباضية القدامى، أما عن المحدثين فنجد الثميني يجمع بين ما ذهب إليه أبو العباس والجيطالي معا، فيقول إن الفعل يصدر (إما من قلب كعلم وحب ورضى ورجاء وأمن وفرح وأضدادها وكإرادة وعزم وهم ورحمة وغفلة وندم ورغبة وغضب وحسد وحقد وكبر وعجب وحمية ونحوها أو من جارحة، وإن تسبب عن قلب كنظر وسماع وشم وذوق ولمس وركوع وسجود وقيام وقعود ونحوها، فلا تتصف بطاعة ولا معصية إن لم تتحرك بقصد قلبي، أو منهما كتوحيد وتوبة وشكر)[3] وقد شرح القطب اطفيش ذلك من خلال تحديد دور الحواس المتمثل في نقل المعلومات إلى القلب مفرقة، وأن لكل حاسة دورها من سمع وشم ونظر إلى غير ذلك من الحواس الأخرى، وأما دور القلب في ذلك هو العلم من جهة اختلافها وتضادها[4]، أما الأفعال المتبقية فكلها قلبية إما مصدرا، مثل الخوف والأمن...، وإما سببا مثل أفعال التعبد من السجود والركوع فضلا عن أفعال الحواس من اللمس والشم....، مؤكدا مثل من سبق على أهمية القصد القلبي في كل ما يصدر عن الإنسان، ثم أشار إلى أفعال قد تصدر من القلب وبسببه في آن واحد مثل التوحيد والتوبة والشكر، أي يكون محلها القلب وفي آن واحد سببا في أفعال معينة من أفعال الجوارح.

- **خلاصة التعريفات:**

ما نلاحظه في التعريفات السابقة شيء من التكرار بين القدامى والمحدثين مع بعض التوضيح من خلال تقديم أمثلة أخرى أو تشبيهات، فنجد أن أبا العباس قد قدم تصنيفا للأفعال الصادرة عن الإنسان، حيث بين أنها تختلف باختلاف مصدرها، فإما أن يكون قلبيا محضا أو من الجوارح مع كون مصدرها قلبي، أو أن يكون قلبيا مع الجوارح في آن واحد، والتأكيد واضح هنا على **محورية**

1) الغزالي: المرجع السابق، ص03.
2) نفس الموضع.
3) الثميني، عبد العزيز: النيل وشفاء العليل، ج03، ص1017.
4) اطفيش: شرح النيل، ج16، ص 11.

القلب في حياة المؤمن، فقد يكون مصدرا وقد يكون أساسا لما مصدره الجوارح، لكن الملاحظ أن الشيخ ذكر ما يصدر عن القلب من دون أن يذكر ماهيته، وإن كان الفرق واضحا بين أفعال القلب وأفعال الجوارح.

أما عند الجيطالي نلحظ نوعا من التفصيل المهم في أعمال القلب، إذ إنه اعتبر **القلب أشمل من العقل، لكنه لم يفرق بينهما في الوظيفة**، كما أشار إلى **دقته وصعوبة التحكم فيه، مما تجعل الإنسان دائم الصراع والمواجهة في سبيل الحياة الروحية السوية.**

أما عند الغزالي فالقلب في ذاته أمر غامض، والأهم هو **الجانب العملي** منه وهو كل ما يتعلق بصفاته وأحواله، **لأنه المسؤول على كل شيء يصدر من الإنسان**، وأن دور القلب يكمن في أنه مركز لشيئين أساسيين **في تمييز الإنسان عن الحيوان هما العلم والإرادة**، وأنه **لا معنى للعلم من دون إرادة أو لعقل دون قلب لأن الإرادة في القلب هي التي تدفع الإنسان إلى العمل بمقتضى العلم في العقل.**

2) النفس:

- عند أبي العباس والجيطالي:

لم يتحدث أبو العباس عن النفس في كتابه وإنما اكتفى بالقلب وما يصدر عنه من أعمال، أما الجيطالي فقد وصف النفس بالعداوة الشديدة والبلاء الكبير على الإنسان، وأن موقف الإنسان العاقل منها هو **الاتهام الدائم لها والاشتغال بمعالجتها**[1]، ثم حدد ثلاثة حلول للتحكم فيها وهي: **منعها من شهواتها بالصوم، وحمل أثقال العبادة عليها، والاستعانة بالله تعالى عليها**[2]، ولم يقدم الشيخ أية علاقة بينها وبين المكونات الأخرى للعالم الداخلي للإنسان.

- عند الثميني والقطب اطفيش:

قال الثميني عن النفس: (فإن لم تطعك الأمارة بالسوء فجاهدها وجوبا) [3]، وشرح القطب القول حيث بيّن المراحل الداخلية التي يمر بها سلوك الإنسان قبل أن يكون فعلا، إذ البداية تكون

---

1) الجيطالي: قناطر الخيرات، ج03، ص02.

2) المصدر السابق، ص04

3) الثميني، المرجع السابق، ص1078

(هاجسا وهو ما يُلقى في النفس، ثم الخاطر وهو ما يجول فيها بعد إلقائه، ثم حديث النفس وهو ترددها بين فعل الخاطر وتركه، ثم الهم أي قصد الفعل، ثم العزم على الفعل جازما)[1]، وأشار أن **الإنسان مسؤول عن العزم على الفعل جازما دون البقية.**

- عند الغزالي:

قدم الغزالي معنيين للنفس، المعنى الأول هو نفس المعنى الذي ورد ذكره عند الجيطالي، وقال بأنها جامعة للصفات المذمومة، ولا بد من مجاهدتها، ومعنى أخر هي النفس اللطيفة التي ذكرها في تعريفه للقلب، والتي تمثل حقيقة الإنسان، وأنها تختلف باختلاف أحوالها، فإذا سكنت وتخلصت من الشهوات وزال عنها الاضطراب سميت **بالمطمئنة**، وإذا كانت تحت وطأة ذلك الاضطراب سميت **بالأمارة**، وإذا دافعت ذلك الاضطراب سميت **باللوامة**.

- من خلال الايضاحات السابقة للنفس تبين لنا أمران:

أولهما: أنهم اتفقوا في ذكر صفاتها وأحوالها بدلا من تعريفها بذاتها، وهذا دليل على **طبيعتها الغامضة**.

ثانيهما: أنهم اتفقوا على وصفها الوصف السلبي، الذي **يفرض على الإنسان حرصا في توجيهها وضبطها، وأن أحسن معين على ذلك معرفة أحوالها وكيفية انحرافها**.

3) العقل:

لم يفرق العلماء الثلاث بين العقل والقلب، أما الغزالي فقد أشار إلى أنه قد يقصد به صفة العلم والذي محله القلب، وقد يقصد به المدرك للعلوم وهو القلب، أو كما وصفها باللطيفة[2]، أما الجيطالي فقد اعتبر العقل أهم ما في القلب[3]، ونسب الثميني إلى القلب ما يشترك فيه مع العقل وهو العلم[4]، إذ شرح القطب أنه يدرك مجموع ما يوصل إليه الحواس، كما يدرك اختلافها وتضادها.

---

1) اطفيش: شرح النيل، ج17، ص720.

2) الغزالي: المرجع السابق، ص04.

3) أنظر إلى تعريف الجيطالي للقلب في الصفحات السابقة إذ: (وصف القلب بخزانة كل شيء نفيس ومهم، وأن أول ذلك هو العقل، وأعظم ما يحمله العقل هو معرفة الله عز وجل)

(4أنظر إلى شرح القطب لكلام الثميني عن القلب في الصفحات السابقة.

4) الروح:

لم أعثر على تعريف للروح عند الجيطالي والثميني، أما الغزالي فقد أشار معنيين: الأول هي الحرارة التي تسري في جسد الإنسان، وأنها اهتمام أطباء الأبدان، أما المعنى الثاني فهو نفس معنى القلب، وهو أنه لطيفة ربانية تمثل حقيقة الإنسان[1].

بعد عرض أهم المصطلحات ذات الصلة بمصطلح الوجدان، اتضح حول العالم الداخلي للإنسان عند علماء الإباضية والغزالي ما يلي:

- ركّزت التعاريف على أوصاف القلب وأحواله، لما لذلك من بعد عملي، ولم تغرق في الحديث عن ماهيته وفيما لا طائل من ورائه ولا دليل على وجوده.
- اتفقت التعاريف السابقة على محورية القلب في حياة الإنسان، حيث إن أبا العباس والثميني يعتبران أن القلب وراء كل فعل – سواء كان دينيا أو دنيويا– يقوم به الإنسان، إما محلا وإما سببا له وإما محلا وسببا، وعند الغزالي القلب محل أهم شيء يدفع الإنسان إلى الفعل على الإطلاق وهو الإرادة والشوق.
- أما ما يتعلق بالنفس فقد اتفقوا على النظرة السلبية لها وضرورة اتهامها والحرص على توجيهها، كما أن القطب فصل في المراحل الداخلية التي تسبق الفعل وهي: الهاجس ثم الخاطر ثم حديث النفس ثم الهم ثم العزم على الفعل، أما الغزالي فقد بين أحوالها الثلاثة التي تعتريها مع الطاعة والمعصية، إما أمارة وإما لوامة وإما مطمئنة.
- أما ما يتعلق بالعقل فقد اتفقوا جميعا أن محله القلب، وأضاف الغزالي أنه إما محلا للعلم، أو آلة له.
- أما الروح فأمره غامض، حيث عرفه الغزالي كما عرف القلب.
- وأخيرا، إشارة عامة يمكن استخلاصها وهي ضعف الإنسان في التحكم في عالمه الداخلي وأنه في حاجة إلى المدد الإلهي، حيث أن كلا من الجيطالي والثميني ذكرا أن الناس

(1الغزالي، المصدر السابق، ص 878.

يتفاوتون في طريق المجاهدة القلبية باختلاف جهدهم وتوفيق الله لهم[1]، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالالتجاء إلى الله تعالى[2].

كل ما مرّ يدل على أهمية الوجدان في الإسلام، والذي يمكن تعريفه كما يلي: هو العواطف والمشاعر الداخلية التي ترتبط بالأفكار التي يحملها الإنسان، وهي (أي العواطف) تعتبر سببا مباشرا للسلوك ودافعا له، وقد تكون حبا، أو خوفا، أو تمجيدا، كما أن الوجدان عالم يتميز بشيء من الغموض، يفرض على الإنسان دوام المراقبة والاجتهاد والاستعانة بالله للتحكم فيما يصدر منه.

بعد وجداني أم روحي؟:

يعتبر مصطلح التربية الروحية من المصطلحات التي وردت على الفكر الإسلامي من أطر خارجية[3]، حيث يحمل الراحة النفسية الحالمة المتعالية على ضغوطات الواقع، لكن ما نعنيه من البعد الوجداني غير ذلك، إنما نقصد به الدافع القلبي لأمر صادق عليه العقل وارتضاه، فهو بذلك يضمن التوازن والرؤية الشمولية لأمور الحياة. فيكون بذلك الفارق الأساسي بين البعد الوجداني والبعد الروحي هو ملابسة الواقع والنظرة الشمولية لأمور الحياة، وليس التعالي عنها بتوفير جو من الأحلام الروحية التي تخدر أحاسيس الإنسان حتى لا يشعر بوطأة الواقع. يقول البوطي في نظرة الإسلام المتكاملة التي يكون فيها الجانب الوجداني هو المحرك أن الوجدان (عقيدة وعبادة وضوابط سلوكية واجتماعية، وهو بفروعه الثلاثة هذه إنما يبني مجتمعا ويكوّن أمة ويؤسّس حضارة ويضع قانونا ويربي نفوسا)[4].

---

1) الجيطالي: المرجع السابق، ص 19.

2) الثميني: عبد العزيز، المرجع السابق، ص1017.

3) المصطلح وليد الواقع الأوروبي الذي فقد ثقته بالمرجعية الدينية ثم وقع في تيه وجفاء وخواء للذات فأراد أن يعيد لنفسه بعض الهدوء من دون أن يعترف بالحقيقة الدينية التي تضبط حياته، باعتباره أن الراحة النفسية منفعة ضرورية للإنسان فلا يهم أساسها النظري أكان صحيحا أم فاسدا. أنظر: البوطي: محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، ص 115 وما بعدها.

4) المرجع السابق، ص 121.

إذا كان ما سبق هو تعريف العلماء الإباضية للجانب الوجداني للإنسان، فهل لهذا التعريف محل في تفاصيل حياتهم اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية أم لا؟ كتب السير تعتبر أهم مصدر لأخبار المشائخ والمجتمعات الإباضية، فما هي كتب السير؟

ثالثا: كتب السير عند الإباضية:

أ- مفهوم السير:

لغة:

السِّيرَة في اللغة السُّنَّة، والطريقة، ويقال: سارَ بهم سِيرَةً حَسَنَة، ومن معانيها الهَيْئَة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**﴾[1]، ويقال: سَيَّرَ سِيرَةً أي: حَدَّثَ أَحاديث الأَوائل. وسارَ الكلامُ والمَثَلُ في الناس: شاع. ويقال: هذا مَثَلٌ سائرٌ؛ وقد سَيرَ فلانٌ أَمثالاً سائرة في الناس[2].

اتضح من خلال ما سبق أن لكلمة سير ثلاث معان أساسية، بعضها موضّح لبعض، إذ قد تكون بمعنى المنهج في الحياة وطريقة العيش، أو بمعنى الهيئة أي: الشكل والمظهر، أو بمعنى الأمثال، والتي غالبا ما تكون نتيجة منهج حياة وخبرة فيها.

نلاحظ أن المعنى الأول والمعنى الأخير متقاربان، لأنهما أمران معنويان، الأول يتعلق بالحياة وطريقة السّير فيها، والأخير يتعلق بقواعدها وأسرارها التي تنتج عنها، أما المعنى اللغوي الثاني يشترك مع الآخريْن في دلالة الثبات، حيث إن طريقة الحياة والمثَل يتسمان بالثبات مثلما تتسم هيئة الأشياء ومظاهرها الخارجية عموما، ودليل ذلك أنها ذكرت في معرض الحديث عن عصى سيدنا موسى التي تحولت عن عادتها الثابتة وهي كونها عصا إلى حية تسعى، فوصف الله ذلك الثبات بالسيرة الأولى.

---

1) سورة طه، الآية: 21.

2) بن منظور: لسان العرب، مج04، ص 450-451.

لا شك أن للمعاني اللغوية الثلاثة لكلمة سيرة صلة وطيدة بالمعنى الذي نعنيه في البحث، لأن مادة دراسته أساسا عبارة عن منهج حياة لأناس وسرد لطريقة عيشهم، وهذا لا يخلو من الحكم والأمثال والعبر في ثناياه، إذا كان هذا هو المعنى اللغوي للسير، ماذا عن المعنى الاصطلاحي؟

مصطلح السير عند الإباضية:

من المهم البداية بتعريف أصحاب كتب السير لكتبهم، لأن أحسن من يصف كتب السير هم أصحاب السير أنفسهم. ورد في مقدمة كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني[1] أن الغرض من الكتاب: (ايضاح ما انتهى إلينا من سير أوائلنا وأسلافنا، من أدركنا منهم، وما بلغنا عمن لن ندركه من المناقب الكريمة والمراتب الشريفة، المنتخب من الفعل والمنتحل من القول، رحمة الله عليهم إذ النجاة في اتباعهم والسلوك على مناهجهم كما قيل عن بعض من مضى من النكار أنه قال: " إنما غلبنا أصحاب الربيع بالآثار". وحكي عن رجل من خيار نفوسة أنه قال:"نحن أصحاب آثار لو سلك بنا الطريق على جدار لسلكناه، بل لو سلك بنا طيات السيوف وسبت السنون لسلكناه، مرضاة لله وقواما لدينه وإظهارا له ولو كره الكافرون")

و ذكر الدرجيني في سيره أن من معاني السير: (الأخلاق الحسنة والرقائق التي وردت عن السابقين)[2]، وذكر الشماخي أيضا في معرض الحديث عن مناقب العلماء وآثارهم أنها (تراجم لا تخلو من المواعظ والعبر، وهو ما عناه مفهوم السير، بكونها تسجل التسلسل في طبقات العلماء وتاريخهم ومآثرهم ومناقبهم)[3]. الملاحظ في التعريفات أنها اتفقت على أن **المواعظ والأخلاق والعبر كسمة أساسية في كتب السير، وأن أهميتها تتمثل في اتباعها والثبات عليها.**

1) مصطلح السير عند المشارقة:

يختلف مدلول مصطلح السير عند إباضية المشرق عن مدلوله عند إباضية المغرب، إذ يقصد به عند المشارقة (**رسائل ذات طابع سياسي وعقدي وفقهي، تحمل وجهة نظر مؤلفها في مسألة**

1) كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ج02، ص 282، تح: عبد الرحمن أيوب.
2) الدرجيني، أبي العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص218.
3) الشماخي، كتاب السير، ج01، ص19.

من مسائل عصره، أو السابقة لعصره، وبخاصة [ولاية الحاكم وبراءته[1]])[2]، وأنها غالبا ما تنسب إلى مؤلفها، مثل: سيرة أبي سفيان محبوب بن الرحيل، وسيرة أبي الحسن البسيوي إلى غير ذلك من السير، وقد يعني عندهم **التاريخ** مثل: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، وهي تعتبر من أبرز مصادر التاريخ العماني[3].

2) مصطلح السير عند المغاربة:

أما عند إباضية المغرب يدل المصطلح على ثلاث معان، المعنى الأول هي **مجموعة أخبار تاريخية ممزوجة بمآثر أشخاص وحسن سيرتهم** كما سبق، وغالبا ما يسمى هذا النوع من الكتب باسم مؤلفيهم، مثل: سير أبي زكريا الوارجلاني.

أما المعنى الثاني فيكون على شكل **مواعظ وحكم تربوية وأحكام فقهية خالصة**، مثل: سير أبي الربيع المزاتي[4]، وسير محبوب ابن الرحيل إلى أهل المغرب. كما قد يعني مصطلح السيرة **القانون والنظام** مثل: سير الحلقة أو سير أبي عمار الوارجلاني[5].

ويُعتبر إباضية المغرب أكثر اهتماما وتأليفا في مجال السير من إباضية المشرق[6]، ويعود سبب ذلك الاهتمام – حسبما ما ذكر أحد الباحثين– إلى الأحداث التاريخية الأليمة التي مروا بها خاصة بعد سقوط دولتهم إذ جعلتهم يمجدون أسلافهم ويذكرون مناقبهم ومآسيهم التي مروا بها من جهة،

---

1) إضافة مضافين لمضاف إليه واحد أمر غير صحيح في اللغة، وقد ورد في المعجم: (ولاية وبراءة الحاكم)

2) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج01، ص520.

3) المرجع السابق، ص521.

4) المرجع السابق، ص520، 521.

5) كروم أحمد وبازين عمر: بحث حول كتب السير الإباضية ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية، نوفمبر 2014، ص 47.

6) السيابي أحمد بن سعود: الأبعاد الحضارية لسير حلقة العزابة في ق 05، ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتب السير الإباضية، نوفمبر 2014، ص 33، 34.

ويعود من جهة أخرى إلى الحس الأمازيغي الذي يميل إلى تمجيد الأشخاص، على خلاف المشارقة العرب الذين لا يحفلون بالأشخاص كثيرا[1].

خلاصةً نلاحظ اهتمام المغاربة بفن السير أكثر من المشارقة، ويظهر ذلك في التعريف المختلف بينهما، وما يهمنا في البحث هي تعاريف أهل المغرب، باعتبار مجال البحث في سير أهل المغرب، كما أن تعاريفهم تحتوي على الجانب الوجداني الروحي من التاريخ لا مجرد الأحداث التاريخية، خاصة وأنها تماهت إلى حد ما مع فترات التوتر والأزمات بالنسبة إلى كل الفرق والمذاهب مثل كتاب الطبقات لأبي العرب (333هـ) مع هيمنة الفاطميين على إفريقيا، وكتاب رياض النفوس المالكي الذي كان عقب أزمة القيروان (أواسط ق05هـ)، ونفس الأمر حدث لكتب السير الإباضية التي تزامنت مع تحديات عديدة كانت تحيط بها وهو (ما مثل نوعا من المثاقفة الدفاعية لهذه الأقليات إزاء الضغوط الخارجية والداخلية)، وهذا الدافع في التأليف سيكون أثره واضحا بين سطور الكتاب يتجلى في المشاعر والأحاسيس التي يقدم بها المادة التاريخية حتى يشعر قارئيها بالخطورة التي تحيط بهم وبضرورة التمسك بالمبادئ والأخلاق التي يدعو إليها المذهب حتى يستمر.

بناء على كل ما سبق فإن كتب السير عند إباضية المغرب هي كتب تتناول:

أحداث تاريخية ومآثر علماء ومناقبهم وسيرتهم الحسنة، تتخلله نصائح ووصايا تربوية ومواعظ.

ب- أهم كتب السير عند الإباضية:

تنقسم كتب السير عند إباضية المشرق إلى ثلاثة أنواع: كتب سياسية تؤرخ للأحداث السياسية الأولى من خلال الفتاوى والأحكام الفقهية، وكتب تاريخية محضة، وكتب تراجم الأعلام بذكر

---

1) السيابي أحمد بن سعود: السير الإباضية بين المشارقة والمغاربة، بحث ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتب السير الإباضية، نوفمبر 2014، ص 33، 34.أميل إلى موافقة الباحث بالرغم من عدم استناده إلى كثير من الأدلة، لكن ما ذكره يعتبر نقطة بداية لتحقيق أطول لا يتسع المقام لمثله.

بلدانهم وتاريخ مولدهم ووفاتهم فحسب[1].

أما عند إباضية المغرب:

فيما يلي أهم كتب السير التي ألفت من طرف كتاب إباضيين مغاربة، مرتبة ترتيبا زمنيا مع بعض المعلومات الموجزة عن كل كتاب، ومن الكتب ما تم الوقوف عليها ومعاينتها، ومنها ما لم يتسنى ذلك.

01. اتفقت مصادر إباضية أن أول كتاب في السير بالمغرب يعود تاريخه إلى القرن الثالث الهجري لواب بن سلام بن عمرو التلاتي (ت:بعد سنة 273هـ) بعنوان: (كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين)[2]، إذ يشتمل على موضوعات عقدية وفقهية وفكرية وتاريخية، وأسماء لعدد من العلماء غير مذكورة في الكتب اللاحقة ووصفا دقيقا لمكان إقامتهم، كما أنه يحوي على قيمة علمية بالغة خاصة ما يتعلق بالدولة الرستمية لأنه كان معاصرا لها[3]، وقد حققه الألماني فيريز شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، والكتاب المحقق ليس كاملا، وإنما هو مجموع الروايات التي أوردها الشماخي وهي وافرة[4]، ويشير الباحثون[5] إلى وجود

---

1) المرجع السابق، ص35، وفيما يلي أمثلة من كتب السير لكل نوع كما أوردها الباحث: كتب سير تؤرخ للأحداث السياسية الأولى من خلال الفتاوى والأحكام الفقهية مثل: خطاب الإمام عبد الله بن إباض التميمي إلى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان86هـ، و رسالة سالم بن ذكوان الهلالي أواخر القرن الأول الهجري، و سيرة خلف بن زياد البحراني، و سيرة شبيب بن عطية ق 02 هـ، سيرة أبي أيوب الحضرمي ق 02هـ، سيرة المنير بن المنير الريامي نهاية ق 02 هـ كتبها إلى الإمام غسان بن عبد الله ليقتفي أثر سلفه، و سيرة محبوب بن الرحيل القرشي أوائل ق03 هـ، و سيرة الإمام المهنا بن جيفر (216هـ- 237 هـ) ، و سيرة الإمام الصلت بن مالك (237 هـ -273هـ) وغيرها من السير. كتب سير على شكل مؤلفات تاريخية محضة مثل: كتاب التاريخيات لأبي سعيد الكدمي (ق04هـ) ، وكتاب الأنساب للعوتبي، و كتاب سلك الجمان في سيرة أهل عمان. كتب سير على شكل تراجم أعلام، حيث يكتفي بذكر بلدانهم وتاريخ ميلادهم و وفاتهم فقط، مثل: سيرة عبد الله بن مداد.

2) تم الوقوف عليه، وهو على شكل بحث منسوخ، طبع سنة: 1986.

3) الوسياني، أبو الربيع سليمان، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص183

4) تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار وريما جرار، ص150

5) الوسياني، أبو الربيع سليمان، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص183. أنظر أيضا: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص203.

اضطراب في وحدة النص، مما يستدعي البحث عن نسخ أخرى حتى يسند الكلام إلى أهله ويزول الإشكال.

02. كتاب (سير أبي الربيع بن يخلف المزاتي)[1] (ت 471هـ)، وهو من تلاميذ أبي عبد الله صاحب نظام حلقة العزابة[2]، ومن أساتذة أبي زكريا صاحب كتاب سير الأئمة الذي سنعتمد عليه، حمل كتابه تسمية السير لكنه مؤلف في النصائح والمواعظ والحكم القيمة أكثر منه في التراجم والمناقب أو في الأحداث التاريخية، لا يوجد تاريخ محدد لزمن تأليفه، يرجح ليفيتسكي[3] أنه بعد سنة 450هـ وقد ورد أنه امتنع عن الكتابة بعد إلحاح تلامذته، فأخذوا على عاتقهم تدوين ما كان يمليه في الألواح وتنظيمه[4]، (وتجمعت لهم مئتان وثماني عشرة رواية نسبت جلها إلى أصحابها باستثناء ست وأربعين منها، وتفرعت إلى ثلاثة فصول: الأول أهمية العلم وتحصيله، الثاني فساد الأوضاع في آخر الزمان والثالث الآداب والقيم المساعدة على خدمة العلم)[5].

03. كتاب تلميذه أبي زكرياء يحي بن أبي بكر (توفي بعد474هـ) عنوانه (السيرة وأخبار الأئمة) المعروف بـ: (سير أبي زكرياء)، وهو من الكتب المعتمدة في البحث، وسيأتي التعريف به وبكتابه في المبحث الثاني.

04. كتاب (سير الوسياني) لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني (حي في 557هـ)، وقد ذكر الدرجيني أنه من كبار حفاظ السيرة، روى عنه الكثير من الأخبار باسم أبي الربيع[6]، حيث ورد ذكره في خمسة وثلاثين موضعا كلها في

---

1) تم الوقوف عليه و هو على شكل كتيب صغير، طبع سنة 1991، قام بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ: حاج سعيد مسعود أستاذ الفلسفة بمعهد عمي سعيد بغرداية.

2) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص 192.

3) تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص112.

4) أبو الربيع: سليمان المزاتي، السير، ص14.

5) الشماخي: كتاب سير، المرجع السابق، ص19.

6) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص 335.

الجزء الثاني من كتاب الطبقات[1]، وهو كتاب مهتم أكثر بأعلام الجريد والوادي[2]، قام بتحقيقه الدكتور سليماني بوعصبانة عمر لقمان.

05. سير (أبي سهل) (أوائل ق 06هـ) وهو مفقود[3].

06. سير (أبي نوح صالح بن ابراهيم) (حي في 557هـ)، والتي لا أملك معلومات عنها إلا ما ذكره الباحث عمر ناصر أنها على شكل رسائل مليئة بالنصيحة والحماس والعاطفة الدينية.[4]

07. سير (أبي عمار عبد الكافي التناوتي السدراتي الوارجلاني) (ت:570هـ) وهو ليس من تأليف الشيخ بل من تلامذته، ومعظم الكتاب يتحدث عن حلقة العزابة وخطورة المهمة وأهم آدابها وضرورة الالتزام بها[5].

08. سير (أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي) (ق06هـ)، والذي قد اعتمد فيه على روايات شيخيه أبي الربيع سليمان بن يخلف وأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر[6]، وهو مصدر مهم لكل من الدرجيني والشماخي.

09. كتاب (مشائخ نفوسة) لمقرين بن محمد البغطوري (ق07هـ) وللكتاب عدة عناوين: كتاب سير، كتاب سير أشياخ نفوسة، سير مشائخ نفوسة، كتاب السير، كتاب السير لمشائخ نفوسة، كتاب سير الجبل...إلخ[7]، ألفه في شهر ربيع الثاني من سنة 599هـ تحديدا[8]، (وقد ترجم فيه لأكثر من تسعين علما من جبل نفوسة عاشوا ما بين (ق02هـ.

---

1) المصدر السابق، ص 366.

2) الشماخي: المصدر السابق، ص20.

3) عمر ناصر الجزائري، بحث في كتب السير. (هو بحث موجود بالمكتبة الإباضية الشاملة، وهو غير مطبوع، وقد حاولت الاتصال بصاحبه لكنها محاولة باءت بالفشل)

4) نفس الموضع.

5) أبي عمار عبد الكافي، سير أبي عمار، ص 09.

6) تادايوس، ليفيتسكي، المرجع السابق، ص71.

7) تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص156.

8) نفس الموضع.

06هـ)، وقد خص موطنه بنصيب الأسد من هذه الروايات التي اكتنفتها فقرات مكتوبة باللغة البربرية)[1].

10. كتاب (طبقات المشائخ بالمغرب) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت حوالي 670 هـ)، وهو من الكتب المعتمدة في البحث، سيأتي في المبحث الثاني التعريف به وبكتابه. يذكر الباحث السيابي أن القرن السابع يعتبر مرحلة تطور في كتابة السير[2]، إذ ظهرت كتب تصنف الأعلام تصنيفا زمنيا، وأول هذه الكتب في هذا التطور كتاب الطبقات.

11. كتاب (الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات) (خلال ق 08هـ) لأبي القاسم البرادي، والذي يقول فيه المؤلف أنه ألفه تكميلا لنقص في كتاب الطبقات فيما يتعلق بالقرن الأول الهجري أي طبقة الصحابة[3]، خاصة ما يتعلق بالفتن من مقتل الخليفة عثمان، ووقعة الجمل، وصفين والنهروان[4].

12. كتاب (سير أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني) (ت750هـ) المعروف بـ: (المغرب في تاريخ المغرب) والذي لا يزال مخطوطا[5].

13. كتاب (السير لأبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي) (ت 928هـ)، وهو من الكتب المعتمدة في هذا البحث، وسيأتي التفصيل عنه وعن كتابه في المبحث الثاني.

14. كتاب سير سليمان الباروني بعنوان (الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية) (ت 1359هـ).

15. كتاب (ملحق السير) لأبي اليقظان إبراهيم بن عيسى (ت1393هـ).

---

1) الشماخي: المرجع السابق، ص20. (لم أطلع على الكتاب)

2) السيابي أحمد بن سعود، المرجع السابق، ص36.

3) البرادي، أبو القاسم الجواهر المنتقاة، ص06.

4) بن ادريسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص207.

5) عمر ناصر الجزائري، المرجع السابق.

16. ثم كان تتويج كل هذه الجهود الكبيرة، بمشروع (معجم أعلام الإباضية)، الذي أشرفت عليه جمعية التراث ضمن جماعة علمية تضمّ أساتذة أكاديميين من مختلف التخصصات سنة 1421 هـ الموافق لسنة 2000م.

بعد الوقوف على مفهوم السير لغة، تبين أنه قد يفيد دلالة السنة والطريقة، ودلالة المثل السائر عند الناس، كما يفيد الهيئة، وكلها معاني متداخلة تشترك مع بعضها البعض في معاني منها الثبات والقدوة والنموذج، عند الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي نلاحظ تقاربا بينهما في الدلالة، حيث إن معاني السير في الاصطلاح عند إباضية المغرب تفيد دلالات متنوعة، وهي إما **أخبار تاريخية ممزوجة بمآثر المشائخ ومناقبهم**، وإما **مواعظ وحكم تربوية بليغة**، هنا نجد الصلة الوطيدة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، إذ أن **المناقب والمآثر والمواعظ والحكم كلها تمثل في نهاية المطاف طريقة وسيرة لأناس عاشوا حياة مليئة بالعبر والأمثال والحكم** وهي المعاني اللغوية التي تم التفصيل فيها سابقا.

وهذه المعاني تعتبر أسبابا رئيسية في اختيار كتب السير كمصدر للوقوف على الجانب الوجداني من العقيدة الإباضية، حيث نجد أن النفس الوجداني أمر مشترك بين كل المعاني المذكورة لكتب السير، فالمآثر والمناقب تركز كثيرا على إثارة مشاعر الإعجاب بسلوكات المشائخ النبيلة، مما يبعث في النفس الرغبة إلى الاقتداء.

أما معنى المواعظ والحكم فإنه لا يخفى ما فيها من إثارة المشاعر والتذكير بالقيم الإيمانية النبيلة التي تثير أشجان القلب وتوقظه من غفلته، وعموما كما مر أن الهدف من كتب السير ليس مجرد سرد الأحداث بل ذكر **مناقب الصالحين وفضائلهم، والتأسي بأخلاقهم وسيرتهم**، من أجل إعطاء القدوة لإنسان الحاضر فيزداد تمسكا بما تركه الأولون من أخلاق كريمة وزهد وورع.

المبحث الثاني: المذهب الإباضي وأصوله.

المطلب الأول: أوضاع الإباضية بالمغرب ما بين (ق 05 هـ – ق08هـ)

تمهيد: ما قبل القرن الخامس الهجري:

1. الدول التي تعاقبت على المغرب قبل القرن الخامس الهجري:

ليس من اليسير أن يقف أحد على دراسة جانب من جوانب حياة إنسان أو من جوانب حياة مجتمع إذا لم يتوفر لديه قدر كاف من المعطيات التي تساعده على الفهم والتفسير، لأن حياة الإنسان لا ترتكز على زاوية نظر واحدة، وكلما تعددت الزوايا، وتوفرت المعطيات كانت النتائج أقرب إلى الدقة والشمول.

ترى إلى أي مدى كانت الأوضاع ما بين سقوط الدولة الرستمية وبداية القرن الخامس مؤثرة في الحالة الدينية للتجمعات الإباضية بالمغرب؟

من الأهمية تقديم تمهيد تاريخي عن الأوضاع بالمغرب العربي قبل فترة الدراسة إجمالا ودون تفصيل، بداية بالدول التي قامت في المغرب، مركزين على المغرب الأوسط باعتباره ساحة شهدت العديدة من التغيرات السياسية على مرّ التاريخ، ثم نمر إلى الدول الإباضية التي قامت في المغرب العربي، ومن ثم إلى أهم المجالات التي يقطنها الإباضية بالمغرب وملامحها العامة.

يُجمع المؤرخون أن أول دولة مسلمة مستقلة قامت بالجزائر هي الدولة الرستمية سنة 163هـ، وفي أثناء فترة الدولة الرستمية تأسست الدولة الأغلبية ودامت 129 سنة (184هـ -303هـ)، وكانت عاصمتها القيروان. دخل بعد ذلك الحكم الفاطمي المغرب وكانت آنذاك الدولة الرستمية والأغلبية في مرحلة الضعف، فلم يكن من الصعب على الفاطميين إسقاطهما، ولأول مرة في تاريخ المغرب يحكمها حكم واحد وهو الحكم الفاطمي و لمدة 66 سنة (296هـ - 362هـ).

إلى أن رحل المعز إلى مصر سنة 361هـ واستخلف بلكين على إفريقيا والمغرب، فأسّس هذا الأخير دولة صنهاجة، وتوالى الحكم في أسرته، وفي عهد باديس بن منصور (أحد الأحفاد) أسّس

عمّه حماد مدينة القلعة، والتي تعرف بقلعة بني حماد (398هـ)، وأعلنوا انفصالهم عن الفاطميين، ودامت الدولة الحمادية 271 عاما (276هـ - 547هـ)[1].

ومن المهم الإشارة إلى قضية الصراع الذي كان هو الأصل في قيام حكم وزوال آخر، إلا في أحيان يعزّ أن تجدها في التاريخ، يقول عبد العزيز المجدوب: (ولئن رأت إفريقية فترة وجيزة من الهدوء على عهد الوالي من قبل الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فإن الاضطرابات قد عاودتها (...) حتى استفحل الأمر وانخرم النظام)[2]. ومن العناصر الأساسية للأوضاع السياسية بالمغرب الإمامات الإباضية.

2. الإمامات الإباضية التي تأسست على أرض المغرب:

أ- إمامة أبي الخطاب:

لما قدم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من البصرة مع من معه من حملة العلم إلى المغرب على يد أبي عبيدة، وكان قد أشار الشيخ للتلميذ بالإمامة إذا سنحت الظروف، وحين جاء طرابلس وجد الجور والفساد قد اشتد، وتوفرت مع ذلك شروط القوة والظهور فأعلنوه إماما واشترط عليهم الطاعة فقبلوا، وذلك سنة 140هـ، دامت إمامته أربع سنوات وكانت نهايتها على يد محمد بن العباس الأشعث الشيعي سنة (144هـ)

ب- إمامة أبي حاتم الملزوزي:

لما أنس من بقي من أتباع أبي الخطاب من أنفسهم القوة بايعوا أبا حاتم إماما للدفاع بطرابلس سنة 154هـ، فسار سيرة حسنة في الأمر والنهي وإقامة الحدود ومحاربة البدع، إلى أن توفي وانقرضت الإمامة من طرابلس سنة 160 هـ.

ت- إمامة عبد الرحمن بن رستم:

كان عبد الرحمن بن رستم خلال إمامة أبي حاتم واليا على القيروان، فلما سمع ما حل بطرابلس، وثار من ثار من أهل القيروان عليه، شدّ الرحال إلى تيهرت ليبنيها في أسرع وقت، فبايعوه بعد

---

1) بن خلدون، العبر، ج06، ص205 وما بعدها. أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، 76- 78.

2) المجدوب، عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقيا، ص 241.

ذلك إماما سنة 162هـ، وتداول بنوه الإمامة من بعده، وتولى أمرها ستة من الأئمة بعد الأب عبد الرحمن بن رستم وآخرهم اليقظان، ومن أشهرهم أبو اليقظان (261هـ - 281هـ) وأبوه أفلح (208هـ - 258هـ) اللذان بلغت الدولة في أيامهما أوج عزها ومنتهى سؤددها[1]، إلى أن انقرضت في عهد اليقظان سنة 296 هـ، على يد العبيديين، ودامت الإمامة 135 سنة.

يقول بن الصغير[2] في إمامة أفلح التي تعتبر النموذج من حيث المدة والأحداث:" وكان أفلح قد عمر إمارته ما لم يعمر أحد ممن كان قبله، فأقام خمسين عاما أميرا...وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار..." والدولة الرستمية تعتبر الفرصة الأولى والأخيرة التي تسنى لإباضية المغرب أن يظهروا فيها نموذجهم، ويعيشوا به في حرية من أي خوف أو تهديد، لذا ضل الحلم الذي يراود الإباضية بعد ذلك أن يعيدوا ذلك النموذج، لكن لم تسنح لهم الظروف بالرغم من المحاولات المتكررة كلما أنسوا من أنفسهم شيئا من القوة، حتى يئسوا من ذلك فعاشوا حياة أخرى لا تتفاوت صعوبتها كثيرا بين التجمعات الإباضية بالمغرب تحت نظام الكتمان.

3. التجمعات الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية:

أ- إباضية ليبيا:

بعد سقوط الدولة الرستمية انقطعت الصلة السياسية بين ليبيا وتيهرت معقل الدولة الرستمية، وصار جبل نفوسة هو معقل الإباضية في ليبيا، ولم يخضع الجبل لأي حكم، بداية من عهد بن طولون إلى عهد الأغالبة، ثم الدولة الفاطمية، إلى غير ذلك من الدول التي تعاقبت على المغرب الإسلامي، وكان ينظم شؤونه رجال أكفاء علما وعملا، يقومون بكل مهام الإمام وإن لم يتسموا به[3].

1) بن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص 88. أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص25.

2) المصدر السابق، ص 61.

3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93. أنظر أيضا: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، الإباضية في ليبيا، ج 01، ص145.

ب- إباضية تونس:

منذ دخول الإسلام إلى تونس وتخليصه سكانه من الاحتلال الروماني لم يرتدوا عنه، وانضم الإباضية في أواخر القرن الثاني إلى حماية الدولة الرستمية، ولم يتغير الكثير سوى أن الأعمال تقام باسم الدولة والإمام، وقبل ذلك لم تنضم إلى فرقة من الفرق المحاربة، وقد حرصت على رعاية شؤونها لوحدها تحت رعاية أهل العلم، وعاشت فترة استقرار وهدوء وسلام[1].

وفي أواخر القرن الثالث وبعد سقوط الدولة الرستمية وما صحبها من اضطراب عادت أحوال جربة إلى وضعها السابق من استقرار وابتعاد عن الاضطرابات السياسية، وعن جميع أنواع المشاركة فيها، حتى بسط الحكم الفاطمي نفوذه في المغرب وأجبرها على الخضوع لها، وذاقت بذلك ألوان الظلم والطغيان، وثار أبو يزيد مخلد بن كيداد على عامل الفاطميين وطرده وأخذ مكانه، فذاقت جربة مرة أخرى مرارة الظلم والعدوان الذي لا يقل حدّة عن سابقه، إلى أن قتل من طرف الفاطميين.

وعادت جربة مرة أخرى إلى الفاطميين، لكنها لم تستكن للظلم والعداون بل ثارت عليهم بعد أن أعدوا العدّة لذلك وطردوا عامل المهدية، وعادوا بعد ذلك إلى حياة السلام والاستقرار، إلى أن احتل المعز بن باديس الصنهاجي جربة وأجبرها على التبعية الكاملة سنة 431هـ[2].

خلاصة الأحداث في تونس من سقوط الدولة الرستمية (296هـ) إلى سنة (431هـ) أنها تعرضت للويلات كما تعرضت باقي الأقطار الإباضية، وازدادوا بذلك حرصا على الاستقلال والابتعاد عن الحكم، من أجل الحفاظ على مصالحهم خاصة الدينية منها، وأصبحوا يعلنون سخطهم من الولاة والظلم ومخالفة شريعة الله، وهذا يعتبر تحوّلا في موقفهم الذي كان يتميز بالمسالمة والميل إلى الاستقرار والهدوء، وتعتبر هذه الفترة فترة (قلق واضطراب وتخوف من المستقبل وإعداد له)[3]

1) علي يحي معمر، المصدر السابق، ص214.

2) المصدر السابق، ص218.

3) المصدر السابق، ص219.

ت– إباضية الجزائر:

بعد سقوط الدولة الرستمية وتحكم العبيديين في المغرب، بدأت الملاحقات والاضطهادات لكل من له علاقة بالمذهب الإباضي، وانحسرت بسبب ذلك معظم التجمعات الإباضية بالجزائر إلى المناطق النائية، وهي كالتالي: وادي سوف، ووادي أريغ، ووادي مزاب، وباغاي، وجبل أوراس، والزاب ووارجلان حيث كانوا معظم سكان هذه المدن وأحيانا جزء منها، ولم يرغبوا في تأسيس نظام سياسي بل كانوا تحت نظام اجتماعي عرفي ينظم شؤونهم الداخلية[1]، ويلجؤون إلى تنصيب إمام حين يشعرون بعدو يهددهم، ويسمى بإمام الدفاع، وتنتهي إمارته بنهاية المهمة[2].

فنأخذ على سبيل المثال لا الحصر مدينة ورجلان وواحات بني مصعب وهي مجالات للإباضية لا تزال إلى اليوم شاهدة عليهم، مع ذكر أهم المناطق الأخرى، فقد كانت وارجلان عامرة بالإباضية منذ سنة (101هـ)، أمورهم بأيديهم، لكل عائلة رئيسها، والرئاسة العليا بيد حلقة العزابة، وكانوا لا يؤدون ضريبة لدولة إلا الزكوات أو التنظيمات العرفية الداخلية مثل نظام الصدقات لتحقيق التكامل والتعاون بين أفراد المجتمع[3].

أما وادي مزاب أو ما كانوا يسمون ببني مصاب فقد كانوا واصلية على مذهب الاعتزال، ولا يزال الغموض يكتنف كيفية التحول إلى المذهب الإباضي وأسبابه، ومن الاجتهادات في البحث عن الحل ما تشير إلى أن من الأسباب أن المعتزلة انضموا إلى الإباضية هو تفكيرهم في مصيرهم لأنهم كانوا آخر المعتزلة بالمغرب فوجدوا أن المذهب الإباضي لا يختلف معهم كثيرا في العقائد.

ومن الأسباب أيضا القرب الجغرافي بين موقع المعتزلة ببادية بني مصاب والإباضية التي تتواجد على طريق الحج مما يجعل بينم احتكاكا وتعارفا بينهم، كما أن قدرة المعتزلة العلمية ومستواهم العقلي جعلهم يفهمون جيد النظام العلمي الذي أتي به إليهم أبو عبد الله ويتقبلونه بيسر، خاصة وأنه نظام خال من السياسة والقهر الذي كان يمارس على أتباع المذاهب المستضعفة، (فالميزابيون المعتزلة كان اختيارهم لهذا المذهب الإباضي عن اقتناع، ينم عن عقل وإدراك، فبقدر ما تشرف بنو

1) علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج02، ص280.

2) المصدر السابق، ص347.

3) أعزام، ابراهيم بابا حمو، غصن البان في تاريخ ورجلان، ص 104.

مصعب بانضوائهم تحت المذهب الإباضي، كذلك تشرفت الإباضية بانضمام هؤلاء المعتزلة إليهم)[1].

ومن المجالات الأخرى التي كان بها الإباضية:

- أريغ: تنسب إلى بني ريغة الذين يتصل نسبهم ببني مغراوة، ويتصل نسبهم بزاكيا من قبيلة بني يفرن وبني واسين[2].
- بلدة اعمر: تتداخل مع تين باماطوس وأجلو الغربي وأجلو الشرقي. واشتهرت بلدة اعمر بسبب إيوائها للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي حين أرادها منطلقا لنظامه التربوي[3]، وهي تابعة لبلدية توقرت الحالية[4].
- تاجديدت: كلمة بربرية تعني "الجديدة"، وتوجد قرب مدينة جامعة الحالية، ويرجّح أن أصل التسمية هي مقابلة بمدينة تاقدمت التي تعني بالبربرية "القديمة" وهي تاهرت القديمة وذلك تيمنا بها وبالعهد الذهبي فيها.[5]
- وغلانة: مدينة قريبة من مدينة جامعة ولا تزال إلى الآن فيها آثار قرب وغلانة الحالية[6].

تمثل مرحلة ما بين سقوط الدولة الرستمية والقرن (05هـ) فترة انتقالية لإباضية المغرب، وهي فترة مليئة بالتحديات التي تهدد وجودهم وتدفعهم إلى التفكير العميق في الحل الذي يحفظ وجودهم، إضافة إلى الظروف البيئية القاسية التي مالوا إليها هروبا من الظلم والعدوان.

ومما يمكن ملاحظته أن جبل نفوسة كان أقل ضررا، حيث استطاع أن يمنع نفسه عن أي وصاية خارجية، على خلاف تونس التي كانت وسط زوبعة من الأحداث السياسية الدامية التي

1) بحاز، ابراهيم: الميزابيون المعتزلة (قراءة جديدة لنصوص قديمة)، دورية الحياة، ع01، جانفي 1998، ص 124.

2) بن عميرة، محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص19. أنظر أيضا: الوسياني، أبو الربيع، كتاب السير، قسم التحقيق، ص 70.

3) سيأتي الحديث عن النظام وتفاصيله في المباحث اللاحقة. أنظر: الفصل الأخير، مبحث النماذج التربوية.

4) الوسياني، المصدر السابق، ص 71.

5) الوسياني، المصدر السابق، ص 74.

6) نفس الموضع.

استطاعت أن تغير من سلوك الميل إلى الهدوء والاستقرار إلى الثورة والانتقام وأخذ الثأر، إلى أن عادت القيادة للعلم والعلماء فاستطاعوا بذلك أن يحدثوا التحول الآخر للمجتمع والعودة إلى السلوك الأول.

أما في الجزائر فإنها تميزت بالهجرات المتوالية لأسباب سياسية وطبيعية، كما أنها أسفرت بظهور مجال جديد للإباضية وهو وادي مزاب، ومن الممكن تقرير أن أهم قناعة وصل إليها الإباضية في هذه المرحلة هي العزوف عن الصراع السياسي، والسعي بدلا من ذلك إلى البحث عن الأماكن التي يعيشون فيها من دون ضغط سلطة، أو وصاية حاكم.

ترى هل تحقق للإباضية ما يسعون إليه؟ وما مميزات حياتهم في المرحلة الجديدة التي بدأت بقرار الابتعاد عن الحكم والسياسة، والبحث عن الاستقرار والاستقلال؟

أولا: الحياة الدينية والفكرية:

تمهيد: حول أهم الأصول العقدية عند الإباضية واختلافاتهم مع بعض المذاهب الأخرى:

يعتبر مبدأ التنزيه المطلق لله تعالى هو الأصل العام عند الإباضية، وهو الدافع إلى تأويل كل ما يوهم التشبيه من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، وفيما يلي بقية المبادئ العقدية مختصرة، بداية بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمد عبده رسوله، وأن ما جاء به حق، وإنكار أي قسم من أقسامها الثلاثة شرك، ومن المبادئ أن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل، وأن صفات الله تعالى ذاتية، وأن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، ومن المسائل المشهورة التي يختلف فيها الإباضية عن غيرهم من المذاهب العقدية أن الخلود في النار للعاصي المصر على عدم التوبة أبدي، وأن إنكار أي معلوم من الدين بالضرورة شرك، وأن القرآن كلام الله تعالى منقول إلينا بالتواتر وإنكار شيء منه شرك، وأن الميزان ليس حسيا وإنما هو الفصل الحق في أعمال البشر، كما أن الصراط في المشهور عندهم ليس حسيا فوق جهنم وإنما هو طريق الإسلام ودين الله تعالى والرحلة الصعبة في الالتزام به، وأن الإنسان حر في اختياره مكتسب لعمله ليس مجبرا عليه ولا خالقا لفعله، وأن الاستطاعة مع الفعل ليست قبله ولا بعده.

ومن المبادئ العقدية في العلاقات أن ولاية المطيع والبراءة من العاصي واجبتان، وفي التوبة أنه لا تغفر الكبيرة من دون توبة، وأما الصغائر فتغفر باجتناب الكبائر وبفعل الحسنات، وفي أن الناس قسمان مؤمن وكافر ولا منزلة بينهما في أحكام الآخرة، وأن النفاق وهو نفاق العمل والجارحة وهو كفر النعمة منزلة بين منزلة الشرك والإيمان، حيث إن المنافق مع المؤمنين في أحكام الدنيا ومع المشركين في أحكام الآخرة، وأن الكفر إذا أطلق على موحد فلا يقصد به كفر الشرك وإنما كفر النعمة، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، وأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة، وهي قسمان: الشفاعة الكبرى يوم القيامة لبدء الحساب ولدخول المسلمين الجنة، والشفاعة الصغرى التي يختص بها المؤمن الموفي بزيادة الدرجات، وأن حجة الله لا تقوم إلا بالكتب والرسل، وأن الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع[1].

هذه هي مجمل المبادئ التي عاش بها الإباضية ومن أجلها فاصطبغت بها حياتهم وتشكلت بها علاقاتهم مع غيرهم، وفيما يلي الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت نتيجة لها في بيئة ساخنة بأحداثها السياسية وتطوراتها الاجتماعية.

1. في المغرب عامة:

كان من المفترض أن يحدث تشتت في ذهن الفرد المغربي بسبب الاضطرابات السياسية المتعاقبة، ويضيع جهده في سبيل توفير الأمن وتحقيق ضروريات الحياة، فلا يهتم بالعلم والانتاج الفكري، لكن ما يرويه التاريخ عكس ذلك، فقد شهد المغرب العربي عموما يقظة فكرية وعلمية في مختلف الدول التي تعاقبت عليه ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين.

مثلا في أيام الفاطميين بلغ فيها العلم درجة كبيرة تكاد تنافس فيها الأندلس، واشتهر علماء أفذاذ في مختلف العلوم منها التاريخ والنبات وحتى علم الحجارة[2]، ومثل ذلك يقال عن دولة بني حماد التي ورثت ما أبقته العصور السالفة من رستميين وأغالبة وفاطميين، وقد نالت بذلك رقيا ماديا محسوسا وأدبيا واضحا، يظهر في المدارس العديدة ومجالس المناظرة التي يؤمها العلماء

---

1) معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص 57- 60 (مقتبسة مع إعادة ترتيب المبادئ وتلخيص للصياغة أحيانا)

2) المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 78.

والشعراء من كل مكان[1]، كما أنه في عصر دولة الموحدين عمرت المساجد بالمشائخ، والحارات بالكتاتيب، وانتشر التعليم المجاني[2].

كما أن للتنوع المذهبي بإفريقيا الأثر الكبير في ذلك، ولا ننسى دور السياسة في تأجيج الصراع بين المذاهب، إذ يعود سبب ظهور المذهب الإباضي بالمغرب العربي ابتداء هو التعسف السياسي الذي مورس في حقهم، فوجدوا المغرب العربي – وبسبب الفساد السياسي مرة أخرى – مجالا فسيحا للانتشار والتأييد، كما أن الدولة الأغلبية كانت تشجع تنوع المذاهب، فساهمت بذلك في ظهور الاعتزال، لكن الفاطميين كان لهم عكس الدور، إذ فرضوا مذهبهم في بداية الأمر على حساب المذاهب الأخرى، لكن لم يستطيعوا ذلك على المذهب المالكي الذي استطاع أن ينال تأييد الأغلبية بعد مدة، ولا يخفى ما لهذا التدافع المذهبي من أثر على ثراء ساحة المغرب العربي علميا وفكريا، بسبب سعي كل مذهب إلى التحصيل العلمي وإتقان فنون الجدل والمناظرة، حتى تفوق بعض العلماء مغربا بل حتى مشرقا[3].

ومن الجدير بالذكر أنه في القرن الثامن ظهرت الفروع الأساسية للتصوف في المغرب وهي الطريقة القادرية والشاذلية والنقشبندية ومنها تفرعت باقي الفروع[4]، ولا يخفى ما لهذا الحدث من أثر على الحياة الدينية بالمغرب عموما، إذ كان لها فضل كبير في المحافظة على القيم الإسلامية والمجتمع المغربي من التغيرات السياسية الداخلية والإرساليات التبشيرية، وعلى الإباضية على وجه الخصوص إذ إنهم يتفقون في نفس المنطلق الواقعي وهو العزوف عن الأحداث السياسية والاشتغال بالداخل، مع ما يوجد من فرق بين العزوفين كما سيتضح لاحقا.

هذا عموما وباختصار ما يتعلق بالأوضاع العلمية في بعض حواضر المغرب العربي، حيث كانت التجمعات الإباضية هي الأخرى لها سهمها في ذلك النشاط، والذي برز وبالخصوص مع أبي

---

1) المصدر السابق، 78، 79.

2) المصدر السابق، ص81.

3) عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقيا، ص 240. أيضا: علم العقيدة والكلام بسبب نشاط الأشاعرة مما كان له أثر في إذكاء الجدل والمناظرة بين الإباضية والأشاعرة. أنظر: الجعبيري، فرحات: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج01، ص 118.

4) الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج03، ص 249- 250.

عمار عبد الكافي، وأبو يعقوب الورجلانيين (ق06هـ) حيث يقول المدني: "و ممن نبغ في هذا العهد بالجنوب الجزائري العلامة الجليل المتكلم الضليع الشيخ أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني... ومن نبغاء الشمال الإفريقي على الإطلاق وعلمائه الأفذاذ في هذا العهد البحر الزاخر العلامة أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني"[1].

و لا شك أن لهذه الأوضاع أثر على الحركة العلمية والنشاط الديني للإباضية بسبب هجرة العلماء الإباضية إلى الحواضر الكبرى للتعلم، أو بسبب المناظرات التي تعقدها مجالس الملوك من حين لآخر تدفع بالحركة العلمية إلى النمو والتطور السريع، وقد ظهر الأثر كما يشير فرحات الجعبيري[2] في دخول الإباضية بقوة أكبر في تصانيف علم الكلام وكان ذلك في القرن السادس الهجري، أو في التحول من مذهب لآخر مثلما حدث في غريان من تحول عن الإباضية إلى المذهب المالكي والفكر الأشعري، وذلك بسبب تراجع قوة المذهب الإباضي خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين إلى جانب ما شهده المذهب المالكي من انتشار وتأييد في العهد الحفصي[3].

ولهذا التدافع أثره الواضح على الحالة الإيمانية والوجدانية، خاصة وأن الجانب الوجداني من أهم الوسائل التي يستعملها علماء المذاهب حتى يواجهوا زحف المذاهب الأخرى على حسابها، خاصة إذا اعتقدوا أن ما لديهم صواب وما عند الآخرين خطأ في الدين، ومما زاد الوضع حدة وغموضا دور السياسة في نشر مذهب وإبادة آخر، لا سعيا في نشر العلم وإنما تثبيتا لمصالحها وأغراضها فحسب.

ترى إذا كان هذا هو وضع الحياة الفكرية والدينية في المغرب العربي عامة، فكيف بالتجمعات الإباضية، وكيف كان تفاعلها الداخلي وموقفها الخارجي مع كل ما ذكر؟

2. في جبل نفوسة بليبيا:

يحتل جبل نفوسة مكانة مرموقة في الحركة العلمية والتربية الدينية، وتعود تلك المكانة إلى أسباب تاريخية تتمثل في اتخاذ حملة العلم الجبل مقرا لجهادهم الاجتماعي والعلمي، كما أن لتشجيع

1) المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 82.

2) الجعبيري، فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج01 ص 118.

3) الشماخي، كتاب السير، ج 3، ص 786. أنظر أيضا: المرجع السابق، قسم التحقيق، ج01، ص 67، 52.

الأئمة الرستميين للحركة العلمية بالمغرب أثرها على الجبل، لأنه كان يعتبر من أهم معاقل الدولة الرستمية.

وتعود تلك المكانة أيضا إلى الموقع الجغرافي لجبل نفوسة وقربه من بلاد المشرق وكونه مركز عبور، إضافة إلى ذلك الأمن والاستقرار الذي حضي به الجبل من القرن الثاني إلى مطلع القرن العاشر الهجريين، فاستغل هذا الاستقلال في إنشاء المؤسسات العلمية من مدارس ومكتبات في كافة ربوع الجبل، كما استطاع أن يوجه ثرواته الاقتصادية لخدمة العلم وأهله. وبعد أن تأسس نظام حلقة العزابة في القرن الرابع أصبح هو الذي يتولى مهمة الإشراف على هذه الأمور، وهي أهم وظيفة قام بها واعتنى بها في المجتمع النفوسي[1].

والمدرسة في جبل نفوسة يقصد بها (الدُّور التي أنشئت لتعليم الناشئة وتربيتهم وتتدرج بهم من المبادئ الأولية لأنواع العلوم المعروفة في تلك الأزمنة)[2] حتى تنتهي بهم أو ببعضهم إلى درجة العالم، وغالبا ما تكون وفق نظام معين ومراحل محددة، وقد تكون بمعنى حلقات الوعظ والإرشاد التي يستفيد منها من لم يستطع مزاولة الدراسة من العامة، وهي تساهم في توجيه الأمة دينيا واجتماعيا، وقد يقصد بها ما هو قريب إلى معنى التوجه الفكري، أو المدرسة الأدبية[3].

وقد كان إلى جانب التعليم حركتين[4] تربويتين متمثلتين في اتخاذ أصحاب المدارس أسلوبا شبيها بالأقسام الداخلية التي تؤوي الطلبة خاصة الذين يفدون من أماكن بعيدة، يجدون فيها الإشراف التربوي السليم والتعليم. والنفقات تجمعها الإدارة من التبرعات، أما الأغنياء من الطلبة فيمونون أنفسهم[5].

---

1) بابا واعمر، خضير، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، ص 50، 55. أنظر أيضا: معمر، علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 02 الإباضية في ليبيا ج02، ص59 وما بعدها.

2) معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص60.

3) معمر، علي يحي، المرجع السابق، ص60.

4) لا أعرف ما مقصود المؤلف من "الحركة"، قد يعني بها ما يعرف الآن في علوم التربية بالأسلوب التربوي الذي يغلب عليه الأنشطة اللاصفية، أي خارج قاعة الدرس.

5) معمر، علي يحي، المرجع السابق، ص 59-62.

أما الحركة الثانية تتمثل في القيام برحلات تربوية استطلاعية، وذلك من خلال زيارة الطلبة بيئات غير بيئاتهم والالتقاء بطلبة آخرين، يقول علي يحي معمر: (فأعدوا لهذه الرحلات ونظموها ويسروا لها الأسباب وكان يقود هذه الرحلات مربون عرفوا بمقدرتهم وكفاءتهم، فكانوا يتولون تعليم الطلاب واستثارة ملاحظتهم وتفتيق أذهانهم لإدراك الفوارق الاجتماعية والمقارنة بينها ونقدها) وتظهر أهمية هذا الأسلوب في العمق التربوي الذي يتلقاه المتربي من خلال مراقبة أخلاقه وفهم نفسيته أكثر[1].

مما تتميز به هذه المدارس أن أعمارها تحسب بالقرون وليس بالسنوات، فنجد على سبيل المثال مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس الذي تتلمذ على يد الشيخ اسماعيل ابن درار الغدامسي (حي في 211هـ) وأجازه على التدريس ففتح مدرسته التي امتد وجودها إلى القرن الحادي عشر الهجري. ومدرسة أبي عثمان سعد بن أبي يونس الطمزيني الذي تعلم على يد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت: 208هـ) وامتد وجودها إلى القرن الثامن الهجري[2].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى الإضافة التي أضيفت إلى وظيفة المدارس، بعد أن كانت مقتصرة على ماسبق من دور تربوي تعليمي للفرد والجماعة، أضافت مدرسة أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي (ق07هـ) وظيفة الاعتناء بالتأليف، فخلفت ثروة تشريعية علمية قيمة، فكان من طلابها مثلا: الشيخ اسماعيل الجيطالي والشيخ أبو ساكن عامر الشماخي[3].

إذن لقد كان جبل نفوسة مليئا بالعلم والعلماء ومعاقل العلم التي تتقاسم الأدوار بينها، وقد بلغ عدد علماء نفوسة الذين ترجم لهم الشماخي مائتين وثمانية وثلاثين عالما من جملة ست مائة وأربعة وعشرين عالما، وهو ما يعادل نصف عدد العلماء المغاربة وهو خمسمائة وخمسين عالما من الذين وردت تراجمهم في كتابه.

---

1) المرجع السابق، ص 63.

2) المرجع السابق، ص 65.

3) المرجع السابق، ص 68-69.

أما القرى التي نشط فيها العلماء ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين عموما هي إجناون وتملوشايت ماعدا القرن السابع الهجري[1]، وأدوارهم تختلف من مرب للفرد من خلال المدارس، إلى مرب للمجتمع من خلال دروس الوعظ والإرشاد، إلى مهتم بالتأليف والإنتاج الفكري، وقد يغلب من حين لآخر نشاط من النشاطات الثلاثة السابقة في مدرسة دون أخرى، فيتركز نشاط أحدها مثلا على التأليف، والأخرى على التعليم ونشر الثقافة، والأخرى على الإصلاح الاجتماعي والأمر بالمعروف النهي عن المنكر[2]، وذلك فيما يبدو حسب المواهب البشرية التي ترتادها من طلبة نجباء ومشائخ أكفاء.

ومن نتائج هذه الحيوية العلمية أنها مكنت المذهب من الاستمرار والحفاظ على وجوده رغم كل أسباب الزوال والاندثار، والتوسع إلى مجال جديد وهو وادي مزاب[3]، كما أسفرت عن قائمة طويلة لعلماء كبار، يختلف عددهم من منطقة لأخرى من مناطق الجبل، حيث إن عددهم بلغ الذروة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ثم بدأ خط التراجع من القرن الخامس الهجري، وانحدر إلى أقصاه خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، ومن النتائج أيضا ما شهدته بعض القرى من استقرار في النشاط العلمي مثل إيجناون، بينما يبرز في فترة ويخفت في أخرى عند بقية المناطق، أما ما يتعلق بفترة ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين فقد بلغ عدد العلماء بجبل نفوسة في القرن الخامس تسعة وعشرين عالما، وفي القرن السادس اثنا عشر عالما، وفي القرن السابع سبعة علماء، وفي القرن الثامن ثمانية عشر عالما[4].

3. في جزيرة جربة بتونس:

من المدارس التي كان لها دور كبير بجربة في نشر الوعي الديني المدرسة المسورية وهي مدرسة الجامع الكبير، وأيضا مدرسة جامع وادي الزبيب اللتين نشطتا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وقد تخرج من الأخيرة البرادي وولديه عبد الله ومحمد الذين تميزوا بعطائهم الفكري وحرصهم في الدفاع ضد هجومات النصارى، وهاتان المدرستان مسجلتان ضمن المراكز الدفاعية

---

1) الشماخي، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 51.

2) معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص 70-71.

3) الجعبيري، فرحات، نفحات من السير، ص 27.

4) الشماخي، كتاب السير، ج 3، ص 786. أنظر أيضا: نفس المرجع، قسم التحقيق، ج01، ص 50-51.

الأساسية في الجزيرة، (ولم يكن الشماخي ليغفل عن هذا الجهاد المقدس إذ نجده يؤرخ لانتهائه من بعض كتبه بانتصارات على الغزاة، مثل تأريخه لكتاب شرح عقيدة التوحيد لابن جميع (ق08) بخروج النصارى من جربة سنة 904هـ)[1]

و من مظاهر النشاط الفكري تأليف ديوان الأشياخ أو ديوان غار أمجماج الذي اجتمع عليه سبعة علماء في غار أمجماج بجزيرة جربة، وهو مصنف في الفقه يحوي على اثني عشر جزءا، اشترك في تأليفه أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري، وأبو عمرو النميلي الزواغي، وأبو يحي زكريا بن جرنان النفوسي، وجابر بن سدرمام، وكباب بن مصلح المزاتي، وأبو مجبر توزين المزاتي وأبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمري الذي ساهم بالكتابة لجودة خطه[2].

4. في الجزائر:

شهدت أرض الجزائر أو كما كانت تسمى بالمغرب الأوسط حدثا مهما في تاريخ الإباضية وهو قيام الدولة الرستمية وزوالها، وكان لذلك أثرا بالغا فيما يأتي من القرون على الحياة العلمية والدينية للإباضية، حيث إنهم تحولوا من نظام الظهور إلى نظام الكتمان، وهو من أهم العوامل[3]التي وفرت للإباضية جهدا ووقتا لترتيب البيت من الداخل بالاشتغال بالتربية الدينية والعلمية، وذلك حتى يضمنوا لأنفسهم بقاء أطول وصمودا في وجه عوامل الزوال، لذا تميزت التآليف الإباضية بالاهتمام بالفقه غالبا، ويرجع ذلك إلى خوفهم من زوال المذهب[4]، فركزوا جهودهم على الفتاوى، ونصحوا تلاميذهم على تداولها وحفظها، ومن المحتمل أن هذا كان في القرن الخامس، لكن مع دخول القرن السادس وقد توفرت أعداد هائلة من العلماء والتلامذة، فاهتم بعض العلماء بعلم العقيدة وأصول الدين عموما، خاصة الذين تلقوا بعض التكوين العلمي خارج البيئة الإباضية مثل أبي عمار التناوتي وأبي يعقوب الوارجلاني.

1) الجعبيري، فرحات، المرجع السابق، ص30.
2) الدرجيني، أبو العباس، الطبقات، ج02، ص230.
3) مزهودي، مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، ص 248.
4) المرجع السابق، ص 250.

و كان نظام التعليم الغالب على الفترة خصوصا القرن الخامس والسادس وبداية السابع هو نظام العزابة، ومراكز العلم متوزعة ظاهرة للعيان، وكان المجتمع يعتبر المنشغل عن الحلق دنيويا والعائد إليها من التائبين الراجعين إلى العزم[1] أي إلى طلب العلم[2].

ومن مظاهر ازدهار العلم كثرة الزيارات بين العلماء وتداول المسائل بينهم، فبلغت بذلك بعض المناطق قوة علمية مستقطبة للأنظار، يقول المدني:" كانت بلاد الجنوب تضرب فيها بسهم صائب، فلقد غصت فيه بلاد سوف وأريغ ووارجلان برجال العلم والأدب حتى أصبحت كعبة القصاد لرجال الإباضية"[3]، كما أن من مظاهر النشاط الفكري والعلمي اقتناء الكتب ونسخها وانفاق المال على ذلك، ويشير المؤرخون أن لغة التدوين خلال القرن 04هـ و05 هـ كانت العربية وإن كانت في أحيان أخرى بالبربرية لصعوبة العربية عليهم أو لخشيتهم من أن تقع في يدي ولاة الأمور، كما أن البربرية كانت تستعمل حتى في المجالس العلمية[4].

و من المظاهر أيضا التواصل بين أهل المشرق والمغرب، مثال ذلك ما كان من الشيخ أبي العباس حين زار مكتبة "قصر وَلَّمْ" فوجد فيها 33 ألف كتاب جاءت من المشرق فقرأها، وكان لا ينام إلا بين أذان السحر وأذان الفجر[5]، هذه على وجه العموم الملامح العامة للحركة العلمية والفكرية في المغرب الأوسط، وفيما يلي أمثلة عن بعض الحواضر التي كانت مزدهرة بالعلم خلال القرن الخامس إلى القرن الثامن، وقد نلاحظ أنها متفقة في معظم التنظيمات والأعراف، لكن من الأحسن أن نفرد الحديث لكل موطن حتى نقف على أكبر عدد ممكن من التفاصيل، والتي ستخدم الموضوع وتكشف عن العديد من المواقف والسلوكات الاجتماعية والفردية.

---

1) من الكلمات التي لا تزال مستعملة إلى الآن في اللسان الأمازيغي العامي كلمة" أعزام" ويقصد بها مزاولة الدراسة.

2) الوسياني، أبو الربيع، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص71، 72.

3) المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ص 80.

4) مزهودي مسعود، المرجع السابق، 250-252.

5) الوسياني، المصدر السابق، ص82.

أ- ورجلان وما جاورها:

اشتهرت ورجلان وسدراتة بالتمسك الشديد بالدين وشغف الناس بالبحث عن الحلال والحرام، ففتحت من أجل ذلك حلقات العلم ونظمت لها قوانينها، ويشرف على هذه المجالس العزابة، وعادة ما تكون في المساجد، ولهم مكان معين يجتمعون فيه لتداول المسائل يسمى منبر ورجلان.

ومن الأدوار العلمية للعزابة أيضا الرد على الشبه الكلامية، خاصة إذا علمنا أن من العلوم التي كانت أكثر تداولا في القرن الخامس والسادس علم الكلام[1]، خصوصا بعد قبول دراسة الفلسفة، حيث كانت البيئة المغربية شبه مجمعة على مطاردة علوم الفلسفة، حتى جاء الموحدون ففتحوا الباب على مصراعيه لحرية الفكر والنظر الفلسفي، ولم يكن الاهتمام في ورجلان في مجال النظر بغير المسائل الكلامية، إلى أن جاء أبو عمار وأبو يعقوب ومن خلال الرد على أصحاب الفرق والنحل دخلوا أبواب الفلسفة بإسهاب[2].

أما علم الفقه فكان الاهتمام به من خلال تعليمه وترسيخه لدى الطلبة، مع النهي عن الاطلاع على مؤلفات المذاهب الأخرى قبل أن يدركوا ما لديهم من فقه، ويدركوا ما تستند إليه آراء الآخرين. ونشطت عملية التأليف وأصبح بتلك الجهود للمغاربة مصادرهم الفقهية بعدما كانوا يعتمدون غالبا على المشارقة، ومما نشط واستفز عملية التأليف ما أتلفته نيران الصراعات من كتب بداية بالمعصومة إلى مكتبات الجنوب التونسي[3] والرغبة في تعويض النقص.

ومن المهم الوقوف على بعض ثمار هذه الهبّة العلمية، بالإشارة إلى أهم المؤلفين الذين عاشوا ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين وإنجازاتهم وأبرز مؤلفاتهم، منهم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (471هـ) الذي ذكر البرادي أنه ألف مجلدين في الكلام رأى الثاني منهما[4]، وله كتاب أيضا بعنوان (التحف المخزونة في الأصول)، وله كتاب (السير) كتبه بعد سنة 450هـ، وقد نقل عنه أبو زكريا يحي في كتاب (سير الأئمة الكثير من الأخبار)[5].

---

1) قد مر فيما مضى الحديث عن الأسباب. أنظر: الحياة الدينية و الفكرية. 1- في المغرب عامة.

2) باجو، مصطفى، الوارجلاني أصوليا، ص94.

3) المرجع السابق، ص90.

4) البرادي، أبو القاسم، الجواهر المنتقاة، ص 237.

5) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، معالم الحضارة بوارجلان، ص137.

ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت:504هـ) له كتاب (أبي مسألة) وسبب تأليفه أن أبا عبد الله النفوسي (ق06هـ) كتب إليه من أبديلان بليبيا يرغب إليه في مختصر مشتمل على مسائل الفروع، فرأى أبو العباس في منامه قائلا يقول له اذكر أبا مسألة فجعله في جزئين، وسماه العزابة (أبا مسألة)، ويسمى أيضا بـ (الجامع)[1]، وله كتاب في مسائل التوحيد وما لا يسع الناس جهله وغير ذلك من مسائل الكلام، وكتاب (تبيين أفعال العباد) الذي يتألف من ثلاثة أجزاء[2]، وكتاب (القسمة وأصول الأرضين)، كتاب القسمة يتألف من جزأين، وأصول الأرضين من ستة أجزاء، يتحدث الأخير عن الحريم في البناءات والطرق وعن دفع الضرر عن الجار، وعن الحريم فيما يغرس من النخيل والأشجار وغير ذلك[3]، وكتاب (الألواح) وهو كتاب تركه الشيخ قبل وفاته في ألواح فعرضه ابنه على المشائخ بإيفران بوارجلان وهم: اسماعيل، وحمو بن المعز، أيوب بن اسماعيل، داود بن وسلان، أبو سليمان الزواغي[4]، وكتاب (مسائل الأموات) الذي كان مفقودا، وقد وجده الباحث سليمان بوعصبانة عمر لقمان في مكتبة مغمورة لآل الفقيه بوارجلان، ترجع إلى سنة 974 هـ، وكتاب (السيرة في الدماء) وهو محقق[5].

ومنهم أيضا أبو عمار عبد الكافي الذي هاجر إلى تونس رغبة في صقل لسانه باللغة العربية والابتعاد عن الأهل والشواغل الصارفة عن التعلم، وكانت ترد إليه رسائل مع مال يستعين به، فكان جزء من المال ينفقه على نفسه، وجزء يقدمه لشيخه يصرفه حيث يشاء، أما الرسائل يضعها جانبا حتى لا تشوش تركيزه، ولما هم بالرجوع وجد من الأخبار ما يسره وما يحزنه وما يصرفه عن مواصلة دراسته لو اطلع عليها حين ورودها إليه، فاستطاع بهمته هذه أن يثري المكتبة الإسلامية بكتب منها: كتاب الموجز في الرد على كل من خالف الحق في علم الكلام، وقد حققه الدكتور عمار طالبي، وكتاب في اختصار المواريث والفرائض، وكتاب الاستطاعة، وكتاب سير

---

1) الدرجيني، أبو العباس، الطبقات، ج02، ص268.

2) تم تحقيقه من طرف طالبين ينتسبان إلى معهد الحياة بالقرارة- ولاية غرداية.

3) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص 141-142.

4) نفس المرجع.

5) نفس المرجع.

الحلقة وقد حققه مسعود مزهودي، إضافة إلى رسائل أخرى يجيب فيها عن مسائل كلامية وأخرى فقهية[1].

ومنهم تلميذه أبو يعقوب الذي يذكر عنه أنه انتقل إلى قرطبة ونال حظا وافرا من العلم وحتى بعضا من الإسبانية واللاتينية، وأثناء رحلته إلى الحج اغتنم الفرصة ليزداد علما من العواصم الكبرى[2]. وبلغ به ارتحاله إلى حدود خط الاستواء كما يقول عن نفسه "وقد وصلت أنا بنفسي إلى قريب من خط الاستواء، وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر، وكاد أن يستوي اليل والنهار فيه أبدا، وإنما وصلنا إلى قريب منه"[3]. وهكذا فقد قضى الشيخ شبابه في الرحلات وتحمل المشاق والصعاب في سبيل التعلم والاكتشاف، إلى أن استقر به المقام في موطنه وتفرغ بعد ذلك لتدوين ما جمع لمن بعده، وقد ورد في الدرجيني أنه (أقام سبعة أعوام ملازما داره لا ينصرف، فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إما ينسخ وإما يدرس وإما يقابل وإما يبري الأقلام وإما يطبخ الحبر، وإما يسفر كتابا لا يعدل عن هذا الفن إلى ما سواه إلا إن قام لأداء فريضة)[4]، فكان نتاج ذلك علم غزير جليل، من ذلك تفسير القرآن الكريم يقول البرادي[5] أنه عثر على سفر ضخم منه، وذكر من المحتمل أنه في ثمان أسفار ضخمة ثرية بالمعارف المتنوعة، وكتاب (الدليل والبرهان) في علم الأصول، وكتاب (فتوح المغرب) الذي ذكر الباحث عمر لقمان أنه وجد إشارة لوجوده في مكتبة برلين بألمانيا، لكنه وجد خرما في فهارس مخطوطات افريقية حيث توجد معلومات عن الكتاب، وقال إنه من المحتمل أن يكون في برلين الشرقية[6]، وكتاب (العدل والإنصاف) في أصول الفقه في ثلاثة أجزاء، و (ترتيب مسند الربيع بن حبيب) في الحديث، وقصيدته (الحجازية) حين قصد بيت الله الحرام، وقصيدته (البائية)في رثاء شيخه أبي سليمان أيوب بن اسماعيل، وكتاب (مرج البحرين)، وأخرى أغلبها ضائع منها رسالة في رجال كتاب المسند، وترجمة رجال الإباضية،

1) رسالتين، الأولى من وادي مزاب للشيخ عبد الرحمن الكرثي، والثانية من غانة للفقيه عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن نمير الأنصاري، أدركته المنية فلم يجب عليها وأجاب عنها الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني. أنظر: سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص 144.

2) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص147.

3) الوارجلاني، أبو يعقوب، الدليل والبرهان، ج02، ص 282.

4) الدرجيني، أبي العباس، الطبقات، ج02، ص313.

5) البرادي، أبو القاسم، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، ص 238.

6) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص148.

وأجوبة كثيرة لو جمعت لكونت مجلدا ضخما[1].قائمة العلماء في فترة الدراسة طويلة، وسنتعرض لها خلال تقديم مواقفهم في الفصل الموالي وما بعده، أما الآن فنكتفي بهذا القدر، والغرض هو معرفة مدى النشاط العلمي الفائق الذي كانت تزخر به وارجلان.

وأهم ما نلاحظه هو التنوع والثراء في التأليف، فلم تقتصر المؤلفات على الجانب الفقهي العملي فحسب، أو الطرح العقلي والجدل والكلام للعقيدة فحسب، بل لمسنا تنوعا في كل فنون الشريعة، إن دل على شيء فإنما يدل عل البيئة العلمية والفكرية والروحية الثرية التي انبثق منها هذا الثراء.

ومن الحواضر المجاورة لوارجلان وسدراتة مدينة أريغ التي كانت تزخر بالعلم والعلماء، وقد تميزوا بطريقة في التأليف بديعة، تتمثل في التأليف الجماعي على منوال جماعة غار أمجماج بجربة، حيث إنهم استطاعوا أن يؤلفوا موسوعة فقهية تسمى بـ: (ديوان العزابة)، وقد ألفه ثمانية من العلماء، وهم: عبد السلام بن أبي السلام الرمولي، وجابر بن حمو الزنزفي، وإبراهيم بن أبي إبراهيم الدجمي، وعرضت هذه الأجزاء على أبي العباس (ت405هـ) وأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ)و أبي محمد ماكسن بن الخير (ت 491هـ)[2].

ب- وادي مزاب:

من مظاهر التأثر والتأثير الديني بين الإباضية والمذاهب الأخرى ما كان من أبي عبد الله مع المعتزلة في وادي مزاب، إذ يذكر المؤرخون أنه انعقد مؤتمر للمشائخ بأريغ حوالي سنة 420 هـ في قضايا تهم الجماعات الإباضية، من بينها فلول بني رستم الذين غصت بهم أريغ، فاتفقوا على أن يبحث لهم أبو عبد الله في صحراء جنوب المغرب الأوسط على مكان يمكن لهم التوسع إليه، فخرج الشيخ هو وابنه فوقع اختيارهم على وادي مزاب، وكان آنذاك معتزلة، ووصل الإمام أبو عبد الله هو وابنه لأول مرة سنة 422هـ إلى بلدة تاجنينت أو العطف حاليا، فاستطاع أن يحول بعض أهلها إلى الإباضية[3].

---

1) معمر، علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 04 الإباضية في الجزائر، ج01، ص 232.

2) أما من نفوسة: أمسنان يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح، ومن قنطرار: يوسف بن موسى، ومن تاجديت: يوسف بن عمران بن أبي عمران المزاتي. أنظر: الدرجيني، أبي العباس، الطبقات، ج02، ص280.

3) حاج سعيد، يوسف، تاريخ بني مزاب، ص 24-25.

كان يسيّر المجتمع نظام العزابة، وهو تحول في أصله من نظام تربوي تعليمي إلى نظام اجتماعي، وقد ذكر علي يحي معمر أنه طرأت عليه تحولات عبر الزمن من دون ذكر للتفاصيل[1]، وذكر عوض خليفات أنه:" لم يستعمل المسجد لهذا الغرض إلا في النصف الأول من القرن السادس وأن أول من اتخذ المسجد مقرا للحلقة هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى الذي نظم الحلقة في توقرت[2]، وقد ورد أيضا أن أبا عمار عبد الكافي قد ساهم مساهمة كبيرة في الإعداد النهائي لسير الحلقة التي تصدرت مزاب بالمفهوم الشائع الآن من خلال كتابه سير الحلقة[3].

وردت في كتب التاريخ أسماء لعلماء عمروا البلاد ونفعوا العباد بعلمهم وورعهم، ومن هؤلاء الشيخ أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي (ت 563هـ)، أصله من نفوسة، يسكن غرداية، وقد كان معلما في "أغرم نواداي" قرب مليكة العليا الحالية، كما ورد أنه درّس في "تاجنينت" (العطف حاليا) عامين، ثم فُقد في غرق سفينة وهي ذاهبة إلى الحج في جزر مالطة، ثم رجع بعد عشر سنوات.

ومنهم الشيخ باعبد الرحمن الكرثي الزناتي (500هـ، 550هـ))، ومنهم عبد الله بن يحي (ق07هـ) الذي قاوم الجهل بعزيمة قوية وتخرج عنه علماء كثيرون، كان زاهدا عاملا متنقلا بين التجمعات الإباضية يعلم الناس الخير، وقد ذكر أن أهل تاجنينت وهبوا له أرضا قريبة من المدينة فتصدق بها للمسلمين يتخذونها مقبرة مخافة أن تشغله عن العلم والتعليم، ومنهم أيضا الشيخ بلحاج بن سعيد (ت798هـ) الذي قدم من جربة وقيل من المدية، وهو الذي نظّم أوقاف آت يزجن (بني يزقن حاليا) ومقابرها، وخطّط تقسيم مياه شعبة "مومو"[4].

ومن المفترض أن تكون التعبئة الروحية والحركة العلمية في هذا الربع النائي أقوى حتى يثبت أهله على المذهب، وما ذكر من الجهود العلمية في كتب التاريخ لم تكن كافية لتقدم لنا الصورة الواضحة في الموضوع، خاصة وأن بدايتهم كانت مواجهة مع المعتزلة الأمر الذي يجعل وتيرة مجالس

---

1) معمر، علي يحي، المرجع السابق، ص286.

2) خليفات، عوض محمد، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، ص 32.

3) حاج سعيد، يوسف، المرجع السابق، ص 29. ملاحظة: ستعرض تفاصيل نظام العزابة عند أبي عمار من خلال سيره عند تحليل النماذج التربوية والاجتماعية.

4) حاج سعيد يوسف، المرجع السابق، ص 33-34. يقصد بتقسيم المياه تنظيم هندسي الغرض منه أن يصل ماء الوادي عندما يسيل بالعدل إلى جميع سكان القرية.

المناظرة مرتفعة، وعدد المؤلفات والردود عالية، لذا فالموضوع لا يزال في حاجة إلى بحث وتنقيب، خاصة مايتعلق بدراسات المستشرقين، لأنهم استطاعوا أن يحوزوا على مخطوطات ثمينة وقديمة من المنطقة في عهد الاستعمار، لا شك أنها توضح الصورة وتجليها أكثر.

يتضح مما سبق أن الإباضية تأثروا بالوسط الثقافي والفكري والديني الذي كان بالمغرب خاصة من خلال الهجرة للتعلم أو المجالس التي يعقدها الأمراء للمناظرة، ومما يميز الحياة الثقافية والفكرية الاهتمام الواضح بالتربية والتعليم ولا أدل على ذلك من كون التربية والتعليم من مهام حلقة العزابة، فكان من ثمار هذا الاهتمام التآليف الفردية والجماعية في مجالات الشريعة المختلفة.

عندما يتربى الفرد وينشأ يظهر أثر كل ذلك على تفاصيل حياته من تنظيمات اجتماعية أو اقتصادية بل وحتى في الجدران التي يبنيها ليأوي إليها أو يتعبد فيها أو ليعمل فيها.

ثانيا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمران:

تمهيد: أهم الأصول الاجتماعية عند الإباضية

لا بأس أن نركز على الأصول التي تضبط العلاقات الداخلية والخارجية للإباضية خاصة ما يتعلق بمسلك الكتمان وهو الوضع السائد في مرحلة الدراسة، وهي كالتالي:

- يشتركون مع الحكم في الجهاد ضد المشركين هجوما ودفاعا.
- يقومون بالدفاع عن الوطن مع الحكم ولو كان المهاجم مسلما ما لم تكن إمامة شرعية عادلة.
- يتولون جميع الأعمال في الحكم ما لم تكن فيها إبطال لحق أو إظهار لمعصية.
- إذا كُلِّف أحد بتطبيق حد من حدود الله وتأكد من صحته فعليه القيام به.
- لا تجوز طاعة الحاكم في معصية.
- تسري عليهم جميع الأحكام والحقوق الصادرة عن المذهب الفقهي للدولة ولو خالف مذهبهم.
- إجبارية الالتزام بالحقوق المترتبة عن أحكام الدولة ولو تغيرت الدولة.
- التعاون مع الدولة بالنظر إلى أحكام الإسلام العامة والعدالة لا إلى المذهب فقط.

ما مضى من الضوابط تتعلق بالعلاقة بين الأفراد والدولة، أما ما يتعلق بالأفراد والعلاقات الداخلية فإن أهمها ما يلي:

- حقوق الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والصاحب والجار واجبة أبرارا كانوا أم فجارا، موافقين كانوا أم مخالفين.
- يجب أداء الأمانة إلى أصحابها والوفاء بالعهد لهم وإجارتهم إذا استجاروا، موافقين كانوا أم مخالفين.
- يجب توفير الحماية لمن كف عن القتال بسيفه واعتزلهم.
- النكاح والميراث والمساجد والإمامة في الصلاة والصلاة على موتى المسلمين وغسلهم وتكفينهم ودفنهم والذبائح والمقابر كلها حقوق لأهل القبلة.
- لا يحل غنيمة مال من حل دمه من المسلمين ولا سبي نسائه ولا قتل أطفاله ولا قطع الميراث عنه سواء بحد أو ببغي على دولة بفتنة قائمة بين دول للمسلمين.
- لا يحل الفتك بالمخالف ولا اغتيال الخصوم.
- لا يحل قذف أحد من أهل القبلة مع العلم ببراءته.
- لا هجرة بعد الفتح ولا يجوز الخروج من دار المخالفين إلى دار الموافقين باعتقاد الهجرة.
- الولاية للمؤمن الموفي بدين الله وحبه حق له.
- البراءة من كل مشرك وكافر ومصر على المعصية واجبة.
- الولاية تثبت لأهلها الذين سبقونا بشهادة المسلمين العدول وكذا البراءة.
- الولاية للذي ورد في حقه نص الولاية والبراءة في حق من ورد في حقه البراءة واجبة.
- لا تجوز معاملة صاحب الكبيرة معاملة المشركين، بل يعامل معاملة المسلمين ما عدا الاستغفار مادام مصرا ولم يتب.
- المخالف في المذهب يعتبر مسلما له كل الحقوق وعليه كل الواجبات مثل الموافق.
- الأحوال الشخصية من نكاح وطلاق وحضانة ونفقة تجري وفق الأصول الفقهية المعروفة ومقتضيات العرف[1].

---

1) معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص 65-71. (مقتبسة مع إعادة ترتيب المبادئ وتلخيص للصياغة أحيانا)

هذه هي أهم المبادئ التي تربط الإباضية بعضهم ببعض وبغيرهم من المسلمين الآخرين، ولا شك أن لها أثرا واضحا في حياتهم الاجتماعية وعلاقتهم بغيرهم وحياتهم الاقتصادية وحتى في هياكلهم وعمرانهم.

1. في المغرب عامة:

بالرغم من وجود أمثلة للحكام العادلين في تاريخ المغرب، لكن في فترة الدراسة يعزّ أن تجد أمثال الملك أبي الحسن علي بن عثمان المريني (732هـ – 752هـ)، وما كان منه من إصلاح للأوضاع من اعتناء بالأيتام والشيوخ وتأمين الطرق ووضع المغارم ونهيه عن المنكر[1]، لكن الوضع الغالب كان يتميز بعدم الاستقرار الأمني واستحكام العداوة بين القبائل في عمومها، ومن أهم أسباب العداوة التنافس الحاد على مصدر الحياة من ماء وكلأ. ومما زاد للعداوة تأجُّجا التحالف الذي كان بين الملوك ورؤساء القبائل القوية[2] لتثبيت حكمهم، وكانوا يقتطعون لهم الأراضي ويدفعون لهم جبايات القبائل المستضعفة، فانتشر بذلك النظام الإقطاعي، وتقطعت الأواصر بين المجتمع الواحد فضلا على تقطعها بين القبائل والأعراش.

ومن الواضح أن لهذه الأوضاع أثرا في طريقة حياة الإنسان واختياره للأماكن الجغرافيا المناسبة وطريقة البناء فيها بما يضمن له الأمان والاطمئنان، لذا فقد عرفت القرى مصيرا سيئا بسبب الصراعات في القرنين الخامس والسادس الهجريين[3]، وكان ذلك سبب ظهور السكن المحصن أو ما

يسمى بالقصر، أو المنازل بمعنى القرى سواء في السهول أو في الجبال[4]، ومما تميزت به أنها لا تستقر طويلا، وأنها غالبا ما تقطن الأماكن المنيعة، إما لأسباب طبيعية مثل الوباء والقحط، وإما بشرية

1) التلمساني، محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 286.

2) الميلي، تاريخ الجزائر، ج02، ص 354.

3) حسن، محمد، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 28.

4) حول مفهوم القرية: تحدد القرية "بالمعنى المقابل للمدينة على أنها مركز توطين ريفي يفتقر إلى مؤسسات إدارية وإلى سلطة سياسية هامة، وقد تواجدت في السهول والجبال على حد سواء". وهي نوعان: قرى بيدي أصحابها يديرونها عن طريق مجلس القرية من المشائخ وقرى بيدي عمال يفلحونها لفائدة كبار الملاكين يفيدون إليها و يقدمون لهم الولاء على أنهم عبيد لهم. وفي القرن05 تحرر أهل هذه القرى بتلاشي نظام الرق. تختلف في

كالاستيلاء والتعدي من هجومات النصارى أو حرابة البدو، وقد تحتمي بجدران وأسوار من تراب[1]، كما أن لهذه الأوضاع أثرا أيضا على الزراعة ظهر في التخلي عن البنى الزراعية التقليدية وتحولهم إلى التجارة[2].

في ضوء هذه الأوضاع يذكر علي يحي معمر[3] أن معظم التجمعات الإباضية تميزت بعدم استقرارها، وتباعد الأهالي عن بعضها البعض، أحيانا بسبب الاستبداد السياسي، وأحيانا أخرى بسبب تعدي القبائل التي تعيش على النهب، وأحيانا باستعمال السلطة للمتعصبين الدينيين، ويظهر ذلك الارتحال في صعوبة نسبة عالم ما إلى قرية معينة لأنه تنقل وتحول من مكان لأخر، لذا غالبا ما ينسب إلى القبيلة عوضا عن القرية[4].

المستقرون منهم يأوون إلى المدن ويشكلون فيها تجمعا خاصا، وقد يكونون جماعات وأسرا، أو أفرادا وافدين على المدينة، أما أصحاب المواشي يأوون إلى الوديان والتلال الخصبة، وغالبا ما يندرج أصحاب المواشي تحت وحدة القبيلة ومن ينضم إليها فيشكلون قرية، ويرتحلون ويستقرون بالاتفاق ويشكلون بذلك مجتمعا مصغرا تتيسر فيه تنظيمات للشعائر الدينية والتربية والتعليم، كما يشكلون بذلك قوة للدفاع عن أنفسهم[5].

الحجم فنجد قرى صغيرة لا يتجاوز عدد أفرادها الخمسين، وقرى يتجاوز عدد أفرادها 500.وأن الفرق بين المدينة والقرية هو: امتداد النسيج الحضري وتواصله، الإحاطة بالسور، ووجود المنشئات الأساسية: المسجد والسوق القارة والمدرسة، عدد السكان وكثافتهم مرتفع. وقد يقصد بالمنزل القرية، لأن المنزل يستعمل للدلالة على السكن الريفي، وقد يقصد به المسلك أو الطريق، وأحيانا ينسب المنزل. و القصر في السهل هو مجموعة منازل محصنة في وسطها باحة صغيرة، وللسور مدخل واحد، أما القصر في الجبل فهو مأوى للسكان ومخزن للحبوب، و موطن للبطون والعشائر شبه الرحل التي تحتمي بها عند الحاجة وتودع فيها مؤنتها. وقد ذكر المؤلف أصنافا أخرى، سنعود إليها عند الضرورة. أنظر: محمد حسن، المرجع السابق، ص 18 – 30.

1) محمد حسن، المرجع السابق، ص 22.

2) المرجع السابق، ص 28.

3) معمر، علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 04، الإباضية في الجزائر، ج01، ص 293- 295.

4) أحيانا تنسب المنازل إلى القبائل، والمنازل كما مر بمعنى القرى والأحياء الريفية، فيقال منازل بني فلان، أي قريتهم. أنظر تفاصيل مفهوم القرية في الهوامش السابقة.

5) معمر، علي يحي، المرجع السابق، ج02، ص293- 295.

أما عن النشاط الاقتصادي السائد هو الزراعة والرعي بأسلوب النجعة والارتحال، لكن هذا الأسلوب يعيش به القوي الذي يستطيع فرض سيطرته[1]، أما الضعيف فكان يميل إلى التجارة البعيدة المدى مع ما فيها من صعوبة ومشقة الطريق وخطورته، وتعتبر الآبار أهم عامل في تشكل الطرق وانطماسها، ومن أهم الطرق التجارية التي كان الإباضية مع غيرهم يرتادونها:

- طريق: الجريد، وارجلان، تادمكت، غانة.
- طريق: قابس، طرابلس، جبل نفوسة، غدامس، كانم شرقا، تادمكت، غانة، أودغست، أغياروا، تكرور غربا.
- طريق: زويلة (الفزان)، كانم[2].

2. في جبل نفوسة:

من القبائل الأمازيغية الإباضية بطرابلس الشرق كل من مزاتة، وهوارة، وزناتة، وضريسة، وزواغة، ولماية، ونفوسة وتعتبر النواة الرئيسية لساكني البلد[3]، يقصد بجبل نفوسة نالوت وفساطو ويفرن[4].

في جبل نفوسة وزوارة لكل قرية مجلس عزابة يرأسه شيخ، ويجتمع رؤساء المجالس في مجلس أعلى له رئيسه، للبث في قضايا المجتمع، مقرهم جادو لأنها الوسط بين مناطق الإباضية في ليبيا وذلك في مسجد إمصراتن[5]، وكان المشائخ يعقدون الزيارات ويراقبون الأسواق وأحوال الناس ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطبقون مبدأ الولاية والبراءة.

---

1) الشماخي، أبو العباس، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 47.

2) المرجع السابق، ص 48. أنظر أيضا في ملحق الخرائط رقم01: خريطة الطرق التجارية بين بلاد السودان وبلاد المغرب.

3) ليفيتسكي، تادايوش، دراسات شمال إفريقيا، ص 99.

4) المرجع السابق، ص 121. أنظر أيضا في ملحق الخرائط رقم 02 مزيدا من التوضيح في مواقع القبائل: خريطة جبل نفوسة. أنظر أيضا الملحق رقم 03: خريطة القبائل البربرية بإفريقيا.

5) معمر علي يحي، المرجع السابق، ج02، ص287. يقال إنه بنوه بالتطوع وباشتراك الجميع، من دون أن يتحمل أحد نفقة الآخر أثناء التطوع بالنسبة للذين يفدون من الأماكن البعيدة، حتى يكون العمل خالصا لله.

3. في جزيرة جربة:

لا يخفى ما كان بأهل جربة من التزام وكرم وزهد وعفة وتماسك ونجدة وانتشار للعلم، وقد أثر بصفة واضحة على المجتمع الكبير بسبب التنافس الذي يفرض الاطلاع على ما لدى الغير للأخذ به والتفوق عليه[1]، في حين كانت بعض الحواضر الإباضية التي يقل فيها عدد العلماء إما موتا أو هجرة أو غير ذلك من الأسباب قد ظهرت فيها بوادر التفلت والانحلال، كما أنهم قد مروا بظروف غيّرت من أخلاقهم ووضعهم الاجتماعي الكثير، كان سببها طغيان المعزّ بن باديس بسبب تقتيله للعلماء الذين كانوا رادعا قويا للعامة من السطو والنهب، فتحولت حياتهم في سبع سنين فقط وتغير دينهم من التعفف والتورع عن أموال الغير إلى حياة النهب والسطو الغارة، ولم يكن ذلك إلا بسبب خفوت صوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ذلك من سنة 431هـ إلى سنة 438هـ.

بالرغم ما يصف المؤرخون من آثار سلبية لهذه الظروف على المجتمع الجربي، لولا المدافعة التي كانت لذهبت الكثير من الحقوق، حيث كانت لهم أساطيل بحرية للدفاع ولنهب السفن الصغيرة التي تفد إلى المعزّ، وبعد أن بلغ الضرر مبلغه خضع المعز للمفاوضة والشروط، مع كل ذلك في نهاية المطاف استطاع دعاة الحق والإصلاح أن يوجهوا سلوك العامة ويرشدوهم من العمل للتحضيرات الحربية للهجوم والدفاع إلى حياة التنزه عن ذلك والاستقامة والالتزام[2].

كان في جربة مجلس عزابة واحد وشيخ واحد لكن عدد العزابة كبير، وذلك بسبب اتساع رقعة المدينة مما يستلزم عددا كبيرا من المؤذنين والأئمة[3]، وغيرها من الوظائف الأساسية في مجلس العزابة، يجتمعون حسب الضرورة في مسجد من المساجد وأحيانا في منزل الشيخ، كما أنه يوجد إلى جانب شيخ العزابة الذي يتكفل بالجانب الديني والاجتماعي منصب شيخ الحكم الذي يتكفل بالقضايا السياسية والخارجية، وكلما كان الاتفاق بينهما جاريا كانت الأحوال على ما يرام، وإذا ما وقع استبداد ساءت الأحوال والظروف، وأحيانا يكون شيخ العزابة نفسه شيخ الحكم[4].

1) باجيه صالح، الإباضية بالجريد، ص 154.

2) معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، ص226.

3) أنظر: ملحق الخرائط رقم 04: خريطة لأهم الحوم بجربة.

4) معمر علي يحي، المرجع السابق، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج02، ص288.

4. في الجزائر:

أ- ورجلان وما جاورها:

- تركيبة السكان:

تأكيدا لما ذكره المؤرخون من تنقل كبير بين المناطق لأسباب أمنية وأخرى طبيعية، نلاحظ أن تركيبة مجتمع وارجلان القبائلية تتكون من ثلاث قبائل أساسية وافدة من مختلف مناطق المغرب، منها قبيلة زناتة: التي تمتد مابين غدامس بليبيا إلى السوس بالمغرب الأقصى وبالقرى الجريدية وجبال طرابلس، يتفرع منها: بنو وركلا وقد أعطت اسمها لورجلان وسميت بها، وبنو يفرن التي اعتنقت المذهب الإباضي والصفري[1]، وبنو مغراوة كانوا منتشرين بجنوب المغرب الأوسط مثل ورجلان والأغواط ولهم وجود ببسكرة أيضا، يتميزون بأخلاقهم الفاضلة وحمايتهم الجار مما جعلهم ينالون ثقة الشيخ أبي عبد الله الفرسطائي مؤسس حلقة العزابة، ويختار الاستقرار إلى جوارهم[2]، وبنو زنداك التي هاجر إليها أبو يزيد مخلد بن كيداد، والتي ذكر عنها أنها نكارية وليست إباضية وهبية[3]، وبنو ورماز الذين كان بعضهم قد سكن أريغ والبعض الآخر ورجلان، ومنها أيضا قبيلة سدراتة التي يعود أصلها إلى لواتة الذين يوجدون في برقة بليبيا والأوراس ووارجلان، ومن القبائل الكبرى أيضا قبيلة تناوتة التي انتشرت بين غدامس ونفزاوة بالجريد[4].

كما أنه توجد قبائل سكنت في وقت لاحق مثل: قبيلة ورتيزالين في القرن 06 هـ، وفيها من القبائل بعد ذلك من حافظت على بربريتها وإباضيتها، ومنهم من تحول جزء منها إلى المالكية، مثل بنو واجين التي تعتبر كلها إباضية، وبنو سيسين أغلبها مالكية والبعض منها إباضية، وبنو ابراهيم مالكية كلها[5].

---

1) بن خلدون، المقدمة، ج 07، ص 03، 04، 22.

2) خليفات، عوض محمد، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، ص 25.

3) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، معالم الحضارة بوارجلان، ص05.

4) المرجع السابق، ص 51.

5) المرجع السابق، ص 52.

كما أن في وارجلان عرب وقد بدأ تواجدهم بها منذ هجرة بني هلال وبني سليم إلى المغرب[1]، وكانت فيه قبائل أخرى استطاعت أن تنسجم مع البربر لحسن جوارهم مقارنة بالنازحين[2]، كما كان فيها اليهود الذين استطاعوا أن يتأقلموا ويفرضوا قوتهم الاقتصادية في المنطقة في بعض الأحيان، وكانوا يتاجرون في الذهب والعبيد[3].

- الفن المعماري للمساجد:

ومن المهم أن نقف على بعض المظاهر الدينية والروحية في معمار أهل المنطقة، كنموذج لباقي المناطق التي يعيش فيها الإباضية في المغرب العربي، من ذلك أن المسجد الجامع يتوسط المدينة، أما المساجد الأخرى عبر الأحياء فتكون أصغر، وهذ يدل على محورية المسجد في الحياة الاجتماعية، كما أن معمارها يتميز معمارها بالبساطة في البناء بالرغم مما وصلوا إليه من فن معماري[4].

جدرانها سميكة من حجر صلب مجلوب من المقالع البعيدة، أما عرصاتها عرضية قد تبلغ المتر، سقفها من أقواس يتماسك فيه جريد النخل وجذوعها، لا يهتمون بالقباب كثيرا حتى يستغلوا السطح لأيام الصيف. حرصا منهم على الطهارة فإنهم يفصلون بين مكان قضاء الحاجة ومكان الاستنجاء لغرض الاستبراء الذي يعتبر عندهم سنة، ويفصلون أيضا بين مكان الاستنجاء وهو مكان التخلص النهائي من النجاسة ومكان الوضوء الطاهر، ثم يدخل بعد كل ذلك إلى المسجد لأداء الصلاة طاهرا[5].

ومن المساجد العتيقة مسجد الشيخ حادور الذي يقال أنه أتى من زنجبار سنة 108هـ، وهو الزمن الذي شيدت فيه ورجلان، ومسجد الشيخ أبي سهل الذي عاش ق05هـ، وهو مرتبط بمنزله يفصل بينهما صحن صغير، وهو مسجد صغير سقفه دان وعرصاته متقاربة وبناؤه بسيط وغير متناسق، يدل على البساطة التي كانت تتسم بها روح الناس الذين يؤمونه[6].

---

1) بن خلدون، المقدمة، ج 06، ص 17.

2) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص53.

3) المرجع السابق ، ص55.

4) المرجع السابق ، ص 86.

5) المرجع السابق ، ص 88، 89.

6) المرجع السابق ، ص 87.

ووصلت بهم البساطة والزهد وتوفير البناء الذي يساعد ساكنه على الحضور القلبي إلى أن يأووا إلى الكهوف والغيران للتعبد، ويبنوا فيها مصليات، أو إضافة تعديلات بسيطة من نحت حسب الحاجة، مثل توسيعه نزولا إلى الأسفل أو إلى الجانبين، أو تهيئة له بإحداث رفوف فيه للكتب وما إلى ذلك من الأغراض التي قد يصطحبها المتعبد إلى الغار، ومن الغيران غار صالح جنون بن يمريان الذي اتخذه للتعبد بعد بنائه للمسجد الكبير بالمدينة، والشيخ أبي عبد الله عندما طلب من أهل أجلو أن يحفروا له غارا، والشيخ أبو صالح الياجراني الذي كان يتعبد في غيران بني أجاج، كما أنه يوجد غار يسمى بغار السلطان الذي يعتبر واسعا مقارنة بالغيران الأخرى، إذ إنه يتوفر على ثلاثة طوابق تتوزع عليها ثمانية غيران، يغلب عليها عمل الإنسان، يصل بينها درج، ويشير عمر لقمان أنه من المحتمل أنه من صنع الإنسان القديم، ثم أدخلت عليه التعديلات الإسلامية، كما أن جبل عباد الذي أحدثوا فيه محاريب كثيرة جدا تبلغ الخمسمائة محراب على سطحه[1].

- الفن المعماري للمدينة:

فإذا كان هذا هو حال معمارهم في العبادة فإن معمار منازلهم لا يبتعد عنه كثيرا في مميزاته، فهو يدعم كل ما يقوي الجانب المعنوي في المجتمع من أخوة وتعاون وطهر وعفة، فنجد مثلا لذلك أن مدخل المنزل منكسر، بهدف عدم انكشاف أهل الدار لمن هو في الخارج، كما أن التراص والتداخل بين المنازل تعبيرا عن اللحمة الاجتماعية بين عناصر المجتمع، كما أن في الطابق الأرضي مجلسان: أحدهما في المدخل يحتوي على منسج تستقبل ربة المنزل الضيف وهي مشتغلة فيه بعد أداء حق الضيافة، والمجلس الآخر وسط الدار خاص لأهل الدار حتى يبقى سرهم فيه، وقد يكون جزء من المنزل جناحا خاصا بكل طوابقه لصاحب المنزل وضيوفه ولأبنائه حين بلوغ سن الزواج[2].

والمبدأ الأساس هو أنه لا بناء زائد عن الحاجة، وأكبر مظهر لذلك أن المقاييس والموازين المستعملة للبناء تحد بأعضاء الإنسان وسعتها أو طولها، مثل قامة الإنسان وذراعه، وعينه حيث تصل، ويده كم تحوي. ومن المبادئ أيضا احترام حقوق الآخرين مثل عدم إحداث النوافذ إلى الشارع، ولتهوية المنزل يستفاد من الرياح والشروق والغروب بتوجيه ظهور بيوتهم إلى الرياح الربيعية والشتوية الباردة،

1) المرجع السابق ، ص 91.

2) المرجع السابق ، ص 92.

ومراعاة الشرق والغروب. وأسسوا لذلك ضوابط في علو المنزل والمسافات الفاصلة تسمى بالحريم[1]، ولا يجوز لأحد تجاوزه وهو ما قننه أبو العباس في كتابه أصول الأرضين[2].

- التجارة:

تعتبر ورجلان من أهم المراكز التجارية بالمغرب، وأهم سبب في ذلك موقعها الاستراتيجي الذي لا يمكن لأي قافلة متجهة إلى بلاد السودان أو عائدة منه أن لا تدخل ورجلان فتتزود لطريقها الطويل[3]، مثل القوافل التي تمر بها إلى تلمسان وإلى مناطق الشمالية الحضارية، إضافة إلى ذلك ما لها من ثروات طبيعية مثل المياه الجوفية وواحات النخيل المزدهرة فيها[4].

أهم السلع المتبادلة الذهب لرخصه في السودان وغلاء ثمنه في المغرب العربي، وأيضا الملح من خلال السبخات التي يتجمع فيها صيفا، أو من خلال السراديب، وأيضا تجارة العبيد من السودان. وتعتبر وارجلان من بين الأسواق التي تستهلك العبيد لحاجة أهاليها إلى اليد العاملة الزراعية[5]، خاصة أن من أهم المزروعات التي يعيش عليها أهل ورجلان وتعتبر الغذاء الأساسي زراعة النخيل، لما يتطلبه من تعهد ورعاية مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة الصحراوية بحرارتها القاسية، إضافة إلى ذلك وبصفة أقل زراعة الزيتون والقمح والشعير خاصة وأن مصدر سقي كل ذلك الآبار والسواقي[6]. كما أنهم يهتمون إلى جانب ذلك بالرعي وتربية الحيوانات، ويعتمدون أساسا على الأغنام والجمال لحاجة الناس إلى لحمها ولبنها وصوفها ووبرها يقاومون بها الظروف البيئية الشديدة، كما يهتمون بالخيول، والداعي إلى ذلك الحاجة الأمنية، ولو أنها لم تنل الاهتمام الكبير بسبب النزوحات المتكررة والفرار من مكان لآخر.

---

1) أنظر: ملحق رقم 05 جدولا لمختلف الضوابط التي يجب احترامها في المدينة وفي الريف: جدول في الحريم والمسافات التي يجب أن تحترم.

2) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص 93 وما بعدها.

3) أنظر في ملحق الخرائط رقم 06: خريطة المسالك التجارية الرابطة بين وارجلان و غيرها. أيضا ملحق رقم 07: خريطة الطرق الصحراوية القديمة لتجارة العبيد و الذهب و الملح.

4) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص 165.

5) المرجع السابق، ص 178 وما بعدها.

6) المرجع السابق، ص 190-193.

وللجانب الروحي والديني أثره على اهتمامهم عموما بالتجارة، إذ لم يكونوا يمارسونها بدافع التملك الصرف، بل لدفع المكروه وتوفير حاجيات الحياة، ويظهر ذلك في انقطاعهم للتعبد والزهد، إلى جانب النشاط التجاري الذي ذكرناه[1]، والدليل على ذلك ما كان من التجار الكبار أصحاب القوافل إلى بلاد السودان من جهد في نشر الإسلام في طريقهم، حتى أنه يُذكر أن ملك غانة أسلم على يد أحد المشائخ[2]، ويذكر الباحثون أنه لا تزال دلائل معمارية في مساجد إفريقية تشبه معمار مساجد الإباضية، ومعظمها ذات بعد فقهي، مثل عدم وجود المنابر في المساجد، لأن الإباضية كانوا يشترطون الإمام العادل لوجوب صلاة الجمعة، أو حتى طريقة البناء الهرمي حيث يكون المسجد في الأعلى[3].

ليس من الغريب مع كل هذا النشاط الاقتصادي أن تكون عرضة للنهب والسرقة، ومن الأحداث المؤلمة التي لا تغادر ذاكرة[4] ورجلان ما فعله الميروقي بها، وهو خارج من اسبانيا ثائر على الموحدين ببلاد المغرب، فمر بوارجلان سنة 624هـ وكانت آنئذن في غنى وعز فخربها شر تخريب وحاصرها، فمنهم من هرب إلى وادي مزاب وملوية وإلى المشرق طالبين السلامة، ومنهم من احتمى بجبل الكريمة المنيع بناحية جبل العباد بسدراتة، ومنهم من وقع في الحصار وهادن وجارى ودفع الأموال، ثم انصرف إلى حومة أريغ وبلاد سوف وجبل نفوسة وبني دمر يفعل فعلته فيها[5].

دفع هذا العدوان وما شابهه من الفتن التي مرت بأهل ورجلان ومن حولهم إلى الهجرة والبحث عن الأماكن الأكثر أمانا وبعدا عن أيدي الطامعين، وفيما يلي مجال من أهم المجالات التي أوى إليها الإباضية منذ سقوط الدولة الرستمية.

ب- في وادي مزاب:

- تشكل القرى:

---

1) المرجع السابق، ص 198 – 200.

2) الدرجيني، أبو العباس، كتاب الطبقات، ج02، ص 340.

3) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، المرجع السابق، ص 205.

4) أتذكر أن أول من شرح لي تفاصيل هذا العدوان شاب حديث السن من شباب أهل ورجلان، وهذا دليل على تجذرها في ذاكرة أهلها بالرغم من طول الزمن.

5) أعزام، ابراهيم بابا حمو، غصن البان في تاريخ ورجلان، ص 131، 132.

وادي مزاب من الأماكن التي وجد الإباضية فيها المنعة والهدوء الذي ظلوا ينشدونه من قديم، بعد أن تم الحديث سابقا عن الأحداث الأساسية للهجرة وما كان منهم مع المعتزلة والسكان الأصليين في المنطقة، نركز حديثنا الآن على أهم المظاهر الاجتماعية للمنطقة، باعتبارها امتدادا للمعاقل الإباضية الكبرى التي سبقت، ونقف أيضا على العلامات الروحية الوجدانية من الدين في العرض.

تتعدد أسباب الهجرة إلى وادي مزاب من أمنية كما مر واقتصادية وطبيعية، لكن السبب الديني هو الأول عند الكثير من المؤرخين والرواة، فنجد البكري مثلا يشير إلى ميزة البربر في تمسكهم الشديد بالدين، والخوف من التعدي في معاملة خصومهم وإن جاروا عليهم، وميلهم إلى حياة الروح والخلوة والعزوف عن القوة المادية التي تمكنهم من الاستقرار في مواطنهم السابقة ومقاومة الأعداء، ويشير أبو اليقظان إلى موت العلماء بسبب الفتن المتوالية كسبب من أسباب الهجرة، كما أن للعوامل الأخرى أثرا أيضا مثل الجور الذي كان يتعامل به الحكم مع الخالفين، فكان ذلك سببا في تجذر العداوة بين أصحاب الحكم وأصحاب النزعات التحررية المنعوتة بالخروج[1].

بدأت تتأسس قرى جديدة في وادي مزاب باستقرار الشيخ أبي عبد الله الفرسطائي بالوادي سنة 402هـ صاحب نظام العزابة، وهي خمسة قرى متقاربة عن بعضها البعض، كلها على جبال متفاوتة في العلو، طلبا للمنعة من العدو ومن الوديان التي تجتاح المنطقة بغتة من حين لأخر[2].

- النظام الاجتماعي:

كان النظام الاجتماعي في وادي مزاب عشائريا، وبعد أن تحول نظام العزابة من تربوي تعليمي فقط إلى اجتماعي استطاع أن ينسجم مع النظام العشائري، وكان يتخذ من رؤساء العشائر عونا له على تطبيق شريعة الله وتسيير المجتمع وفقه، كما أن للنساء تنظيما يقابل تنظيم الرجال يسمى بتمسيريدين أي الغاسلات يتكفلن بشؤون النساء في المجتمع[3].

---

1) معمر، علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج02، ص 304 – 308.

2) أغرم نواداي (أسفل مليكة حاليا) 395هـ/ تاجنينت (العطف) 402هـ/آت بنور (بنورة) 457هـ/ تغردايت (غرداية) 477هـ/ آت يزجن (بني يزقن) 720هـ/ آتمليشت (مليكة العليا) 756هـ، إضافة إلى ذلك القرارة وبريان اللتان خارج الوادي. أنظر: حاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ص 22، 23.

3) المرجع السابق، ص 32.

ومن الملاحظ التقارب الشديد بين تنظيمات الوادي وتنظيمات جبل نفوسة التي مر الحديث عنها، إذ لكل قرية مجلس عزابة، وللوادي مجلس عزابة عام، والفرق بين تنظيمات عزابة نفوسة وتنظيمات عزابة وادي مزاب أن في نفوسة يمكن لشيخ العزابة الأعلى أن يتخذ القرار بمفرده، خصوصا زمن رد العدوان لصعوبة الاجتماع والمشورة، على عكس ما في الوادي من قرب بين المدن مما يجعل اللقاء سهلا ولا يمكن بأي حال اتخاذ قرار يتعلق بكل قرى الوادي من دون الاتفاق في المجلس، ويعتبر هذا التنسيق من أهم أسباب بقاء المذهب واستمراره في بعض المناطق في ليبيا وتونس والجزائر، وعدمه من أهم أسباب الزوال مثلما حدث في الأماكن الأخرى التي كان فيها الإباضية مثل أريغ[1]، كذلك شهد الوادي إضافات لنظام حلقة العزابة وصلاحيات جديدة ومهام محددة لكل قسم من أقسام الحلقة، كمهام لمجلس العزابة ومهام التلاميذ (حلقة إيروان) ومهام المساعدين (إمصوردان)[2].

- الوضع الأمني:

لم يستقر حال إباضية الجزائر خلال القرنين الخامس والثامن، وهذه بعض التعديات التي عاشوها والتي كانت سببا في الشتات وتقطع الصلات بينهم، منها فتنة بلاد أريغ سنة 471هـ والتي فر بسببها أبو العباس إلى أجلو وأخوه أبو يعقوب يوسف إلى ورجلان، ونزول عنان بن دليم الطرفي إلى أريغ مرتين واشتباكه مع أبي العباس وما أعده من رجال لرد العدوان، وكان ضحية ذلك قتلى كثر وفساد في الزرع والضرع، وغارة من بني توجين فأخذوا غنما لأريغ، فاتبعهم المشائخ منهم ماكسن وأبو العباس الويليلي وغيرهم فردوها[3]. أما بالنسبة لوادي مزاب فقد عاشوا أيضا فتنا مع من هاجر إليهم بحثا عن الماء والكلأ واستوطن عندهم لما وجد في جانبهم من أمان ومسالمة في غالب الأحيان.

1) معمر، علي يحي، المرجع السابق، ص 290.
2) المرجع السابق، ص 286.
3) المرجع السابق، ص 341 – 345.

ثالثا: الحياة السياسية:

تمهيد: أهم الأصول السياسية عند الإباضية:

تتمثل أصول الإباضية السياسية فيما يلي:

- تعد عقد الإمامة واجبة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك للقيام بالعدل وأداء الحقوق إلى أصحابها ومجاهدة العدو.
- الكفاءة هي الأمر الأساسي للترشح للخلافة، فإن تساوت الكفاءة صارت القرشية – إن وجدت – مرجحا.
- لا يحل الخروج على الإمام العادل.
- الخروج على الحاكم الجائر جائز، ويستحسن إذا غلب ظن النجاح، ويستحسن البقاء إذا غلب ظن وقوع المضرة التي تلحق المسلمين وتضعف قوتهم على الأعداء في أي بلد من بلاد المسلمين، وجور الحكام المقصود به مخالفة أمر الله سواء من الحكام الإباضية أو من غيرهم.
- يطالب الإمام الجائر أولا بالعدل، فإن لم يستجب طولب بالاعتزال، فإن لم يستجب جاز القيام عليه بالقوة ولو أدى ذلك إلى قتله إذا كان لا يؤدي إلى فتنة أكبر.
- يعتبر السلطان الجائر سواء من الإباضية أو من غيرهم هو وأعوانه في براءة المسلمين ومعسكره معسكر بغي.
- بلد المخالف في المذهب بلد إسلام ولو كان السلطان جائرا.
- لا يجوز الاعتداء على دولة مسلمة قائمة داخل حدودها إلا ردا لعدوان.
- اختيار الإمام يكون بالشورى واتفاق أغلبية أهل الحل والعقد.
- يتحمل الإمام مسؤولية تصرفات ولاته، ومن المستحسن استشارة أهل الحل والعقد في المنطقة التي يختار فيها واليه.
- لا يجوز أن تبقى الأمة الإسلامية دون إمام أو سلطان.
- يجوز تعدد الإمامات إذا اتسعت رقعة الدولة المسلمة وتعسر التحكم، وخيف من تشتت القوى وتعطل مصالح الناس.
- أحكام الدار على أربعة صور:

- الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معسكر إسلام عندما يكون الوطن مسلما والأمة مسلمة والدولة مسلمة تعمل بكتاب الله تعالى.
- الدار دار إسلام ومعسكر السلطان معسكر إسلام لكنه معسكر بغي وظلم عندما يكون الوطن مسلما والأمة مسلمة والدولة مسلمة لكنها لا تلتزم بالمنهج الإسلامي سواء من الإباضية أو من مخالفيهم.
- الدار إسلام ومعسكر السلطان معسكر كفر وشرك عندما يحكم الأمة الإسلامية مستعمر مشرك كتابي أو غير كتابي.
- الدار دار كفر ومعسكر السلطان معسكر كفر عندما يكون الوطن للمشركين تسكنه أمة مشركة ويحكمه حكم مشرك[1].

هذه أهم المبادئ السياسية التي عاش بها الإباضية فترة من القوة إبان الدولة الرستمية كما أنهم تمسكوا بها واستماتوا من أجلها بعد ذلك في كل الظروف والأحوال، وتشكلت بذلك علاقاتهم السياسية مع من حولهم.

1. الحياة السياسية في المغرب عامة:

قد يلاحظ في التقسيم السابق لكل من الحياة الدينية والحياة الاجتماعية أنه تم تخصيص عنوان مستقل لكل موطن من مواطن الإباضية، وتم التركيز أكثر في الحياة الدينية والتربوية على جبل نفوسة، وفي الحياة الاجتماعية على إباضية الجزائر، في الحياة السياسية يختلف الأمر لأن الأحداث والتفاعلات مع العالم الخارجي تقل، خاصة فيما يتعلق بنفوسة والجزائر، وهذا ليس بالغريب خاصة إذا علمنا التحول الجذري الذي أحدثه الشيخ أبي عبد الله (ق05هـ) في المجتمع الإباضي بالمغرب المتمثل في استبعاد فكرة الاهتمام السياسي عن أذهان الناس.

هذا لا يعني أن الأحداث السياسية تنعدم، وإنما ينعدم التفاعل معها، فتتحول إلى مظاهر اجتماعية مثل النزوحات المتكررة من مكان لآخر، أو دفع الضرائب والخضوع لأوامر بعض الحكام، وكل هذا ومثله قد مر فيما سبق. ومع ذلك لا يمنع أن نتطرق إلى معقل من معاقل

1) معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص 52- 57 (مقتبسة مع إعادة ترتيب المبادئ وتلخيص للصياغة أحيانا)

الإباضية التي لوحظ فيها بعض التفاعل السياسي خاصة في القرن الخامس الهجري وهي جزيرة جربة، ونعتبرها نموذجا للحياة السياسية لبقية الإباضية بالمغرب، والسبب الأساسي الذي جعلها مسرحا لأحداث سياسية مهمة موقعها الجغرافي الساحلي المتميز.

عموما، لقد شهد المغرب في القرن الخامس الهجري حدثا مهما جدا قد مر الحديث عنه في الحياة الاجتماعية وهو هجرة بني هلال وبني سليم إلى المغرب، الأمر الذي يقودنا إلى الحديث عنهم مرة أخرى هو السبب السياسي في هجرتهم وهو خروج المعز بن بلكين بالمغرب عن طاعة الفاطميين بالمشرق، فأرسلوهم إليهم ليتخلصا بذلك من عدوين الأول الفساد الذي ألحقه بنو هلال وبنو سليم الذين نفاهم الفاطميون من الحجاز، والثاني الانتقام من عاملهم الذي استحوذ على افريقيا واستبد بها، فطمع بنو هلال وبنو سليم في إفريقيا فأرسلوا إلى بني عمومتهم بالالتحاق بهم فدخلوا المغرب وأفسدوا وأحرقوا كل ما يمرون عليه، واقتتلوا فكان لبني هلال الغرب ولبني سليم الشرق[1].

تعاقبت خلال فترة الدراسة دولتان على جربة أولهما الدولة الصنهاجية بداية من المعز لدين الله الفاطمي إلى بلكين بن زيري الذي اختاره بعد أن نقل كرسيه إلى مصر، ثم عقبه ابنه المنصور بن بلكين، ثم ابنه باديس وكلهم كانوا موالين للفاطميين، ولما تولى المعز بن باديس الحكم قطع صلته بالفاطميين وذلك سنة 370هـ، إلى أن انقرض حكمه سنة 566هـ، ودامت مائة وستة وتسعين سنة[2].

تلتها بعد ذلك الدولة الحفصية والتي تعتبر فرع من الموحدين، رأسها أبو محمد عبد الواحد الذي يتصل نسبه إلى الشيخ أبي حفص يحي بن عمر، واستتب لصاحب الدولة الأمر بسطوته وشجاعته، وتداول بنوه من بعده الحكم إلى أن انقرضت سنة 981هـ ودامت ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة[3]، وكانت بينهم وبين الإباضية علاقات جيدة[4].

---

1) ابن خلدون، المقدمة، ج06، ص 19، 20.

2) أعزام، ابراهيم بابا حمو، المرجع السابق، ص 404.

3) المصدر السابق، ص 409.

4) الجعبيري، فرحات، نفحات من السير- أبو العباس الشماخي- ص 03.

كانت جربة خلال القرن الخامس والثامن تقاوم في جبهتين جبهة الحقد الصليبي الذي جثم أكثر من مرة على الجزيرة من جهة، وأوضاع الحكم الذي هم فيه من جهة أخرى، وهي في بداية الأمر مع الموحدين إلى سنة 725هـ، ثم استقل الحفصيون بتونس فصاروا يحكمون جربة عن طريق الولاة، وكان الحكم يرهقها بالضرائب المادية، وإن كان يحقق لها بعض الأمن أحيانا، إذ يُذكر أنه قد عاش أهل الجزيرة نصف قرن تحت القهر الصليبي من 688 هـ إلى 738 هـ[1].

على العموم فقد كانت الأوضاع السياسية تتميز في عمومها بالرغبة في الاستيلاء على الحكم بالثورة والقتل، وتتميز بالاشتغال بالأبهة والمظهر والإمارة وبالضعف بسبب النزاع الداخلي وعدم القدرة على مواجهة الصليبيين[2].

هذا بالنسبة لأهم الأوضاع السياسية التي كانت تعيش فيها جربة وما جاورها من التجمعات الإباضية، وبالنسبة لبقية الإباضية عموما فقد كان موقفهم من السياسة هو الابتعاد عنها كما مر سابقا، ومن استقل منهم سعى إلى تطبيق أحكام الدين من دون إعلان لدولة مثل نفوسة، ومن كان خاضعا مثل تونس والجزائر فقد كان خاضعا لدولته وضرائبها ومجاهدا معها إذا وجهت جيوشها إلى الكفار والمشركين وعليهم أيضا القيام برعاية مصالحهم الدينية والاجتماعية حسب الأصول الشرعية، وأن لا يشتركوا مع دولتهم في أي حرب ضد المسلمين وفي بلاد الإسلام، وسار الإباضية على ذلك المنهج دون أن يجعلوا لذلك كتبا وقوانين يرجعون إلى موادها.

وقد حاول الإباضية مرة الثورة على المعز لدين الله الفاطمي لا رغبة في حكم وإنما ثأرا ومحاربة للظلم والجبروت، وذلك حين قتل المعز أبا القاسم بن المخلد حين خاف من زيادة أتباعه وحب الناس له ومن دون جريرة، وكان من بين الثائرين أبو صالح اليراسني وأبو محمد ويسلان، وقد كان سببا في التنازل وعرض الصلح والمكاسب السياسية، لكن المشائخ رفضوا كل ذلك للمبدأ الذي انطلقوا منه، وهدأت الثورة وعادت حياة الناس إلى وتيرتها الطبيعية، وكان الناس يتهامسون بينهم من حين لأخر في سبيل تشكيل قوة يثورون بها ويشكلون ثقلا سياسيا في المنطقة، إلى أن أتى الشيخ أبي عبد الله واستبعد فكرة السياسية عن أذهانهم ووجه اهتمامهم إلى التربية والسلوك،

---

1) علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، ص233- 237.

2) بابا واعمر خضير، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، ص 40.

وقنّن العرف الذي استحسنه الناس وعاشوا عليه منذ وقعة مانو من خلال هيكلته لنظام العزابة وجعله في مواد وقوانين تجمع بين التربية العملية على الأخلاق الفاضلة والتكوين العلمي الرصين[1].

المطلب الثاني: كتب السير وأصحابها

أولا: أبي زكرياء وكتاب السيرة وأخبار الأئمة:

1. الشيخ أبي زكرياء الوارجلاني:

هو أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بن سعيد الوارجلاني ولد في وارجلان بعد سنة 474هـ، تلقَّى العلم في وادي أريغ عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ)، وفي رواية أنه تعلم عند نفس الشيخ لكن في تامْلُسْت جنوب شرق تونس، وقبل وفاة شيخه بقليل انتقل إلى وادي أريغ بقرية تين وال[2]، وقد نشأ وترعرع في ورجلان حيث النهضة العلمية والسلطة الروحية التي انتقلت إليها بعد سقوط الدولة الرستمية[3]

كانت له حلقة علم ذُكر أنه من المحتمل أنها كانت تعقد في المحضرة القديمة بآجلو بوادي أريغ، روى عنه أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، ويذكر المؤرّخون له أجوبة وفتاوى في علم الكلام ورسائل في الفقه، كان يشتغل بالزراعة للاسترزاق، وكان كريمًا سخيًّا، توفي ودفن بوارجلان أو سدراتة بعد 474هـ.

2. أهمية كتاب سير الأئمة وأخبارهم:

مما ألفه الشيخ أبي بكر كتاب سير الأئمة وأخبارهم وهو من أهم الكتب التاريخية للإباضية نظرا لزمن كتابته المبكر، إذ أنه يقدم معطيات هامة عن تطور المذهب الإباضي بالمغرب وتاريخ الدولة الرستمية والتطورات التي تعرض لها المذهب من ق02هـ إلى 05هـ، وكذلك الصراع الفاطمي وتراجم للعديد من شيوخ الإباضية البارزين[4]، وهو ما جعل المستشرقين يولونه اهتماما بالغا

1) علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج02، ص 300- 303.

2) مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، مج 04، ص 948. أنظر أيضا: مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، ص 18. أنظر أيضا: ليفيتسكي، تاديوش، دراسات شمال إفريقيا، ص75.

3) الوسياني، أبو الربيع، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص184

4) ليفيتسكي، تاديوش، دراسات شمال إفريقيا، ص75، 76.

ويهربونه إلى أروبا ويترجموه، للتعرف أكثر على هوية المجتمع وقبائله لتزويد المستعمر بقاعدة بيانات تخدم أهدافه، ولقد أمرت فرنسا بتسليط الضوء على الطلبة والمكتبات، وكان من عيونهم إيميل ماسكراي الذي استطاع أن يترجم الكتاب سنة 1978 ويقف على الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية للمنطقة، مما سبب هجمة شرسة على المجتمع حسبما تشهد به الوثائق في ذلك الوقت الذي نجم عليها اسقاط المدن الصحراوية تباعا بدأ من غرداية سنة 1882[1].

كما اهتم بالكتاب أيضا المستشرق جون أوغست بوسترو فيما اهتم به من المخطوطات إبان مشاركته في الهجوم على مزاب وتونس فنقل النسخة إلى باريس، حيث وجدها المحقق التونسي عبد الرحمن أيوب وحققها تحقيقا أكاديميا. كما أن داتيشيو ليفيتسكي حاز على نسخة نقلها زيغمونتسو موجورزفسكي من وادي مزاب ترجع إلى سنة 1302هـ/1885م نسخها ابراهيم بن سليمان الشماخي[2]، وتوجد نسخة من الكتاب في جزئين بالهيئة العامة للكتاب بمصر تحت رقم 9030ح.[3]

3. محتوى كتاب سير الأئمة وأخبارهم:

بدأ أبو زكرياء في كتابه بانتشار المذهب بإفريقيا، إلى قيام دولة أبي الخطاب بإفريقيا سنة 140هـ، ثم إلى سقوطها على يد محمد بن الأشعث سنة 144هـ وقيام الدولة الرستمية بتاهرت سنة 160هـ وسقوطها على يد العبيديين سنة 296هـ، ويظهر اهتمام المؤلف واضحا بالمناطق القريبة من مسقط رأسه: أريغ- دمر- أسوف- ورجلان- بادية بني مصعب، إضافة إلى بعض أحوال إباضية جربة وجبل نفوسة. كما أن اهتمامه كان واضحا "بالثورات التي حدثت بين الإباضية والشيعة خاصة اهتمامه بالشيخين أبي القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر يغلى بن زلتاف، وثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني، كما تحدث أيضا عن أخبار أبي عبد الله ونظام العزابة، ويعد من أهم المصادر بالنسبة للنظام لقربه منه زمانا ومكانا"[4]

---

1) الوسياني، أبو الربيع، المرجع السابق، ص 185.

2) المرجع السابق، ص 186.

3) المرجع السابق، ص185

4) المكان نفسه.

يتميز أسلوب الكتاب بعدم الانسجام وهذا دليل على أنه لم يكن هو الذي ألفه بل تلاميذه كتبوه عنه، وهي طريقة كانت شائعة آنذاك، وهو الأمر الذي دعا الدرجيني إلى تهذيبه. وقد حقق الكتاب كل من عبد الرحمن أيوب في رسالة أكاديمية نشرت بتونس، كما حققه أيضا الأستاذ اسماعيل العربي وقد طبع ونشر بالجزائر [1].

يشتمل الكتاب على روايات عن مناقب العلماء وعلى أحداث تاريخية تتعلق بالأعلام أو بالجماعة الإباضية في مكان ما عموما، بأسلوب أقرب إلى السرد القصصي فيه من التشويق ما يجعل القارئ يستعظم أمرهم، فتجده أحيانا يتحدث عن مواقف اجتماعية في الورع، أو سياسية في الشجاعة والغيرة على دين الله، أو تعبدية في المجاهدة والورع والتقوى، أو أسرية في الحرص على أداء الحقوق على أتم وجه، إلى غير ذلك من المشاهد المثيرة التي من شأنها أن تجعل القارئ متحفزا للاقتداء والتمسك بهذه الأخلاق، كل هذا وفر مادة خصبة للوقوف على منطلقاتها العقدية والكشف عن الرابط الوجداني الذي بين السلوك والمعتقد.

ثانيا: أبو العباس الدرجيني وكتاب الطبقات:

1. أبو العباس الدرجيني:

هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني، ولد في بداية القرن السابع الهجري في درجين بالقرب من نفطة، ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والفضل بداية من يخلف الذي كان سببا في إسلام ملك مالي، ثم جده سليمان بن علي الذي كان مفتيا مشهورا في كنومة ببلاد الجريد[2]. يعود أصل أسرته إلى تيمجار بجبل نفوسة[3]، انتقل إلى وارجلان سنة 616هـ وهو فتى ليقضي سنتين في تحصيل العلم على يد الشيخ أبي سهل يحي بن ابراهيم بن سليمان (ق06هـ)، ثم انتقل إلى جزيرة جربة واستقر بها زمنا، ثم انتقل إلى توزر سنة633هـ[4]، وتوفي سنة

---

1) مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، مج 04، ص 949.

2) ليفيتسكي، تادايوش، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، ص52.

3) ليفيتسكي، تادايوش، دراسات شمال إفريقيا، ص 78.

4) سليمان بوعصبانة، عمر لقمان، معالم الحضارة بوارجلان، ص 154.

670هـ بعد فترة وجيزة من إتمامه لكتاب السير، وضريحه موجود بالصومعة بنفطة وبجانبه مسجد قديم صغير[1].

2. سبب تأليف كتاب الطبقات:

كتب كتابه الطبقات المسمى بكتاب طبقات المشائخ بالمغرب حوالي سنة 650هـ[2]، والدافع له في ذلك ما ذكره هو بنفسه حيث قال:" وقد سأل من وجبت طاعته، ولم يسع إهمال أمره وإساءة طاعته أن أجمع من سير أسلافنا وأخبارهم ما تيسر لي جمعه وأضع في ذلك تصنيفا"[3]، فوضح تفاصيل الطلب البرادي بقوله: "ذكر لي بعض العزابة أن سبب تأليف أبي العباس هذا الكتاب أنه لما وصل الحاج عيسى بن زكريا من بلاد عمان بما معه من الكتب التي ورد بها أرض المغرب كحل ابن وصاف وجامع الشيخ أبي الحسن وجامع ابن جعفر وغيره، فكان مما رغب إليه فيه إخوانه أن قالوا له وجهوا لنا كتابا يتضمن سير أوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب من لدن وقع فيه مذهبنا إلى هلم جرا، فإنه قد عميت علينا أنباؤهم، وغابت عنا آثارهم من بعد الشقة وعظم المشقة، فشاور من بجربة يومئذ من العزابة والفقهاء ومن يشار بالبنان إليه من الحذاق والنبهاء وقرر طلب إخوانهم إليهم ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم، فنظروا في كتاب الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر فوجدوه مخلا ببعض التفصيل، قاصرا دون أمد التحصيل، مع أن لسان البربرية أورد ألفاظه موارد التكليف وقلة تحفظه على قوانين العربية أدخل ببعض معانيه مجاهل التعسف، فاهتموا بتصنيف كتاب يشتمل على سير الدولة الرستمية ومناقب الأسلاف كما طلب ذلك إليهم، فلم يروا أهلاً لهذا التصنيف غير أبي العباس فعنده طلبه الحاج المذكور وهو السائل الذي وجبت طاعته)[4]

3. محتوى كتاب الطبقات وأهميته:

يحتوي الجزء الأول على تكرار لما ورد في سير أبي زكرياء مع تهذيب في اللغة، بداية بتاريخ دخول الإباضية إلى المغرب العربي وتأسيس الإمامة الإباضية وأئمة بني رستم وما لاقوه من فتن داخلية

1) باجيه صالح، الإباضية في بلاد الجريد، ص210.
2) ليفيتسكي، تادايوش، المرجع السابق، ص 79.
3) الدرجيني، أبو العباس، الطبقات، ج01، ص02.
4) البرادي، أبو القاسم، الجواهر المنتقاة، ص19.

وخارجية كانت سبب زوالها، ثم سيرة بعض العلماء الإباضيين المغاربة وفق الترتيب الذي وضعه أبو زكرياء ومحاولات الإباضية لإعادة الإمامة أهمها أبي خزر يغلا بن زلتاف وأبي نوح سعيد بن زنغيل، أما القسم الثاني فقد قسمه إلى طبقات، والطبقة تشمل على خمسين سنة، وعدد الطبقات اثنا عشر طبقة، تحدث في الطبقات الأربع الأولى عن تراجم علماء مشرقيين خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، وغض الطرف عن الطبقة الأولى باعتباره أنها أشهر من أن يضاف لها تعريف فقال:" أشهر من أن نحتاج إلى تعدادهم، فهم نجوم الهدى ومصابيح الدجا، وإنما نعتت على مكانتهم من أمهاد الفضل، تبركا بذكرهم، ولئلا يكون السكوت عن ذكرهم في محالهم من التقدم إعراضا، أو التجوز عن شرفهم غمضا وإغماضا)[1]، لكن البرادي فسر سبب الإعراض أنه كان " بين ظهراني المنتقدين الحاقدين من المخالفين، وتحفظه من بغي الحاسدين الحاضرين المؤتلفين، فمن ذلك أغفل والله أعلم عن ذكر الفتن وعدا عن تلك المحن"[2].اعتمد في ذلك على مصادر قديمة جدا أحيانا، كما أنه لم يذكر كل العلماء استقصاء فقد عدل عن ذكر العلماء المشهورين مقتفيا في ذلك أثر أبي زكرياء.

أما الخمسون الثانية من المائة الأولى تتناول انتشار المذهب بالمغرب عن طريق حملة العلم، والخمسون الأولى والثانية من المائة الثالثة تبدأ من الإمام أفلح بن عبد الوهاب، والخمسون الأولى والثانية من المائة الرابعة تبدأ بأبي مسور اليراسني، والخمسون الأولى والثانية من المائة الخامسة تبدأ بنظام العزابة وأبي عبد الله، والخمسون الأولى من المائة السادسة وهي الطبقة التي بلغها أبو عمار عبد الكافي، ولم يذكر الكثير من معاصريه لأنه لم يكن يريد الاستقصاء، وإنما تسمية الجماعة فقط، والخمسون الثانية من المائة السادسة حيث بدأت إضافة الدرجيني بتلامذة الطبقة التي انتهى إليها أبو عمار وتلامذتهم الذين يعتبرون مشائخ الدرجيني، والطبقة تبدأ بأبي عمار عبد الكافي إلى جد المؤلف يخلف بن يخلف، والخمسون الأولى من المائة السابعة وهم المشائخ الذين عاصرهم المؤلف[3].

1) الدرجيني، أبو العباس، المصدر السابق، ص 06، 07.

2) البرادي، أبو القاسم، المرجع السابق، ص10.

3) الدرجيني، أبو العباس، المصدر السابق، ص 07 – 10.

كما أن الطبقات الأربع الأخيرة لا تعنى إلا بأعلام ورجلان ووادي أريغ وواد سوف وبلاد الجريد وجزيرة جربة، لذا فإنه قد أغفل العلماء الذين عاشوا خارجها خلال القرن الرابع إلى آخر طبقة، لذلك ليست للصفحات الأخيرة إلا أهمية محلية[1].

من الباحثين من اعتبر كتاب الطبقات بداية عهد جديد في التأريخ الإباضي، وهو عهد يتميز بسلامة اللغة العربية وقلة الألفاظ الأمازيغية مقارنة بسير الوسياني والبغطوري[2]. ومما يتميز به أنه قام بصفته فقيها بالإجابات على الكثير من المسائل التي جمعها الجيطالي بعد ذلك في كتاب الفرائض والحساب[3].

ومما يزيد في أهميته عدد الأشخاص الذين ذكرهم لأول مرة، وهم الذين يوجدون ما بين تاريخ وفاة أبي زكرياء بعد 474هـ إلى تاريخ تأليف الطبقات 650هـ[4]، كما تتجلى الأهمية أيضا في تحديد التواريخ التي كانت مجهولة عند من سبقه وذلك من خلال نظام الطبقات[5].

تميز الكتاب باللغة العذبة التي تظهر فيها عاطفة المؤلف بوضوح، حتى أن المستشرق ليفيتسكي وصفه بالأناقة والجمال، واعتبره أحسن المؤرخين الإباضيين من حيث الأسلوب سواء ما كان من نظمه أو ما نقحه وعدله من الروايات التي نقلها عن غيره، أو ما أورده من شعر ورسائل منظومة، ومما تميز به وزاده أهمية للبحث استفاضته في الحديث عن حلقة العزابة ودورها في تربية الفرد وتهذيبه رعاية شؤون المجتمع، وهذان الأمران – أي: أسلوبه العاطفي واستفاضته في الحديث عن نظام الحلقة –يعتبران مصدر الثراء الوجداني والروحي في الكتاب.

4. مصادر كتاب الطبقات:

أول مصدر اعتمد عليه الدرجيني بصفة كبيرة كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني، وقد ورد بلفظ: "قال الشيخ"، كما أنه اعتمد أيضا على سيرة أبي سفيان محبوب بن الرحيل العبدي (ق02هـ) في القسم الأول من الجزء الثاني الذي تحدث فيه عن المشارقة، وقد ورد بلفظ:" قال أبو سفيان"، كما أنه اعتمد في معظم الجزء الثاني على سيرة أبي الربيع سليمان

---

1) ليفيتسكي، تادايوش، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، ص56.
2) الشماخي، أبو العباس، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 21.
3) ليفيتسكي، تادايوش، المرجع السابق، ص57.
4) الوسياني، أبو الربيع، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص 190.
5) الدرجيني، أبو العباس، المرجع السابق، الصفحة " ل "

بن عبد السلام الوسياني (ق06هـ) والذي ورده بلفظ:" قال أبو الربيع"، وقد ورد ذكره في خمسة وثلاثين موضعا[1]، واستفاد أيضا من سير أبي عمار في منهج التقسيم الخمسيني لكل طبقة حين قال:" هذا الفصل نقلته مما فعله الشيخ أبو عمار عبد الكافي (رضي الله عنه)...و ذكر الخمسين من كل مئة وسمى من تيسر ذكره ممن اشتملت عليه كل خمسين سنة من المئين المذكورة"[2]، وقد ورد فيمن روى عنهم لفظة "أبو نوح" وهو أبو نوح يوسف أحد أحفاد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، ومنهم من يقول المقصود به أبو نوح صالح بن ابراهيم الزمريني (حي في 557هـ)، لكن الباحث عمر لقمان في تحقيقه كتاب سير أبي الربيع الوسياني يرجح أنه الأول، وأن الشماخي قد ذكر ذلك[3]، ومن المصادر التي ذكرها الدرجيني روايات عن جماعة أحيانا بلفظ:" جماعة من أصحابنا" وأحيانا أخرى بلفظ:"أصحابنا"[4].

5. تحقيق الكتاب:

اعتمد البحث على نسخة من تحقيق الشيخ ابراهيم طلاي، وهو قد اعتمد على نسخة من الشيخ إبراهيم بن أبي بكر القراري (1890- 1954) ويذكر أنها أصح النسخ وأحسنها تحقيقا، واعتمد أيضا على نسخة من مكتبة الشيخ اطفيش ويذكر أنها قديمة جدا وقريبة من عهد المؤلف تعود إلى سنة 758هـ، واعتمد أيضا على نسخة من القاضي بو فاره ابراهيم تعود إلى ق12 هـ[5]، تميز تحقيقه بإضافة عناوين هامشية لمختلف المسائل والمباحث الواردة مما سهل القراءة والتركيز على ما يخدم البحث، وإثرائه بفهرس العناوين والموضوعات والأعلام والأماكن المذكورة بالاستعانة بالباحثين مصطفى باجو ومصطفى شريفي، وتعليقات من حين لأخر في بعض المواضع الغامضة من خلال الهامش.

كما يذكر الباحث في المخطوطات الإباضية عمر لقمان أنه توجد نسخ مخطوطة له في مكتبات ميزاب، ونسخ أخرى في المجموعة التي جمعها سموجورفسكي موجودة بحوزة ليفيتسكي، وأن ما بقي

1) الدرجيني، أبو العباس، الطبقات، ج02، ص 366.
2) الدرجيني، أبو العباس، الطبقات، ج01، ص 06.
3) الشماخي، أبو العباس، كتاب السير، ج02، ص653.
4) الدرجيني، أبو العباس، المرجع السابق، الصفحة "ز"، "ت".
5) نفس المصدر، الصفحة "ن".

من المخطوطات عموما في "لفوف" بعد الاحتلال الروسي لبولونيا أكثر منها مخطوطات تتعلق بالطبقات[1].

6. هدف الدرجيني التربوي من التأليف:

إن السبب الذي دفعنا إلى اختيار كتب السير عامة ومنها كتاب الطبقات ما يقوله صاحبه في مقدمة كتابه: "وبعد: فإن العلم دليل يقتدي به، وإلى طريق الرشد هاد يُهتدى به (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[2]، (والعلماء ورثة الانبياء)[3] وفي الآية والخبر دليل على أن العلم ما صاحبه العمل، وصدقته الخشية والوجل، فإنه من خشي الله تعالى لما لديه، وسعى فيما يقدم بين يديه، وهل لمن عَرِيَ من الخشية فوز بعمل الحسنات، واستحقاق وراثة تلك الدرجات ؟ ومما ينبغي لمن نزع إلى هذا النزع وطلب هذا العمل الأرفع، أن يتعرف مناقب السلف والأخبار، ويحصل سيرهم الصالحة ليقتدي بحميد تلك الآثار، فإن ذلك مما يقوى الرغبة والاشتياق والحرص على المصير إلى تلك المنازل السنيَّة واللِّحاق، ويحض على الطريق الأقوم، وينهى عن أهواء الهاوين في هواء الخسران والندم، فما أقمن من عرف طريق الصلاح أن يتبعه! وما أقبح من حمله أن يضيعه!"[4]، الملاحظ أن الشيخ بعد أن أكد صلة العلم بالعمل والخشية لله تعالى، ربط أهمية معرفة سيرة السابقين في طريق الخشية والالتزام، لأنه يوقظ الحرص والرغبة في الثبات على الطريق بالتزامه وتجنب الأهواء والعراقيل التي تحول بين الإنسان وعبوديته لله تعالى، وأنه من الصعب لمن عرف الصالحين أن لا يتبعهم. وأن هذا الأسلوب التربوي هو دأب المشائخ من قبل مع من بلغ سن التعلم فإن أول ما يبدأ به السكينة والوقار وتعليم سير السلف، لغرض الثبات ثم يتعلم بعد ذلك ما شاء الله أن يتعلم إذ يقول:" وقد استمرت عادة أصحابنا أن أول ما يمرن عليه المبتدئ إذا وصل: السكينة والوقار وتعليم سير السلف، لتكون لهم على اتباعهم معينة، فإذا اكتسى تلك الحلة قلما بدلها، ثم بعد ذلك "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز

---

1) سليمان بوعصبانة، عمر لقان، معالم الحضارة بوارجلان، ص 157. أظن أنه يقصد بـ: "لفوف" مدينة "lviv" بأوكرانيا.

2) سورة فاطر، الآية 28

3) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم 2606، ورواه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم رقم 3157. من حديث أبي الدرداء.

4) الدرجيني، أبو العباس، المرجع السابق، ص 01، 02.

الحكيم" فاللهم ينفعهم وينفع بهم في الدنيا والدين ويجعلنا لآثرهم مقتفين لا مبدلين ولا مغيرين وينقذنا برحمته أجمعين"[1]

ثالثا: أبو العباس الشماخي وكتاب السير:

1. أبو العباس الشماخي:

هو أبو العباس بدر الدين أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد بن سعيد بن أبي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحي بن ابراهيم بن موسى بن أبي ساكن عامر بن علي بن عامر بن يسفاو الشماخي نسبا اليفرني بلدا، اشتهر أجداده بالعلم والفضل، بداية بجده الأول أبو يعقوب يوسف (ق04هـ) حاكم قرية تاغرمين شرق جبل نفوسة، كما كان حفيده أبو موسى عيسى بن سليمان بن يوسف معروفا بتقييد سير المشائخ نهاية (ق06هـ) وكان بن أخي أبي موسى وهو أبو زكرياء يحي بن العز نساخا للكتب ومفسرا وشارحا لكتاب الدعائم في سفرين كما درس بتاغرمين سنة (704هـ)[2].

بسبب الاضطرابات والخراب الذي تعرضت له القرية برز فرع ثان للأسرة، حيث استقر الجد أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن يسفاو بيفرن منذ سنة 756هـ، وكان قد تعلم على يد أبي موسى عيسى الطرميسي الذي أسس مدرسته الشهيرة بيفرن بعد أن كان له مركز مشهور بالجبل، كما أنه (أبو ساكن) تنقل للتدريس إلى مزغورة، ثم ميتون بالرحيبات، وذلك قبل استقراره بيفرن حيث توفي وذلك سنة 792هـ، له كتاب الإيضاح في أربعة أجزاء في فروع الفقه، وقد قال حفيده أبو العباس في أهميته أنه واسطة بين من بعده ومن قبله.

أما الأب موسى بن أبي ساكن فقد كان فقيها في علم الفروع، وحفيده من بعده أبو عثمان سعيد بن عبد الواحد عالما طبيبا حيث درس في تونس، وتوفي سنة 856هـ، كل هذا إشارة إلى انحدار أبي العباس من أسرة عريقة في العلم[3].

---

1) نفس المرجع، ص 02.

2) الشماخي، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 13.

3) نفس المرجع، ص 14.

أما عن أبي العباس بدر الدين فقد ولد بمدينة يفرن حوالي سنة 860هـ ونشأ بها، وتوفي والده وهو في سن الخامسة[1]، ولم تسنح له الفرصة أن يتعلم لا على يد أبيه ولا على يد عمه أبي محمد عبد الله إذ كانا من المشائخ البارزين[2]، وتعلم في محيط أسرته العلمي فحفظ القرآن وشيئا من السنة وما كان يُتعلم من العلوم في حلقات الدرس الابتدائية آنذاك[3]، وتعلم على يد أبي عفيف صالح بن

نوح التندميرتي الذي قام معه بزيارة مشاهد الجبل[4]، ولما توفي شيخه سنة 874هـ انتقل إلى حلقة الشيخ أبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى أحد تلاميذ عمه أبي محمد عبد الله، وإن لم يثبت أنه جلس إليه بانتظام لكنه استفاد منه نزعته الموسوعية إذ كان ولعا بالنحو عارفا بالتفسير، حافظا لما رواه المخالفون والموافقون في الحديث وعلم التواريخ والرواة الأمر الذي جعله يسعى إلى تلك الدرجة من الإلمام[5].

عاش ست سنوات بعد ذلك في طرابلس وعاين معاناة الغربة القاسية التي يعيشها أهل طرابلس بعدما كان قبلة العلم والعلماء، فكان ذلك الوضع القاسي دافعا له أن يزداد في العلم حتى يثبِّت من أراد الثبات ويواجه من أراد الحجة، فأخذ طريقه إلى تونس حيث الدولة الحفصية تعيش أزهى عصور التقدم العلمي والحضاري المتمثل في المدارس النشيطة مثل المدرسة المنتصرية (841هـ) وغيرها من المدارس التي توفر للطلبة النفقة والإقامة والكتب، أو في المكتبات العامة مثل العبدلية

---

1) الجعبيري، فرحات، نفحات من السير- أبو العباس أحمد الشماخي –، ص 33

2) نفس الموضع.

3) نفس الموضع.

4) أشار ليفيتسكي إلى المعنى السلبي للزيارة وأشار الجعبيري إلى معناها الإيجابي فقال: كان الشيخ أبو عفيف واعيا بمسؤولياته التاريخية وهو مدرك بسعي القوى المخالفة لطمس معالم الإباضية، فكان إزاء تلقين طلبته أسس العلم لا يغفل عن ربط الحاضر المتعثر بالماضي السعيد (..) بداية بالصحابة إلى آخر واحد من علماء الإباضية الذين حرصوا على رفع راية الإسلام عاليا) ، وكان ذلك من الدوافع التي جعلته يبحر في عالم السير. أنظر: نفحات من السير- أبو العباس أحمد الشماخي – ص 34. أنظر أيضا: ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص 46.

5) الجعبيري، فرحات، المرجع السابق، ص34، 35.

(899هـ) التي يشرف عليها إمام الجامع الأعظم[1]، ومرة أخرى لم يلتزم الشماخي بحلقة معينة دون أخرى، مع ذلك فقد ذكر البيدموري عرضا في كتابه، كما أنه قدتلقى تكوينا هاما في اللغة، الأمر الذي جعله يذكر عددا من المصادر النحوية في أثناء مؤلفه[2]، ولم يستقر في تونس العقد كاملا (من 880هـ - 890هـ) بل كان يتنقل بين الحلقات كيفما شاء معلنا عقيدته مدافعا عنها، ومما يدل على حضوره القوي أنه التقى بالسلطان أبي عمرو عثمان وتحاور معه حول بعض المسائل سنة 891هـ، ومتنقلا أيضا من هناك إلى طرابلس وإلى مختلف مواطن الإباضية خاصة جزيرة جربة[3].

يذكر الجعبيري[4] أنه على الأرجح بعد رجوعه من تونس عكف على التأليف والتنقل بين مواطن أهل الدعوة، يفيد من علمه ويستفيد من الروايات الشفوية التي ضمنها كتابه، وأنه لم يذكر عنه أنه كون مدرسة علمية يتجمع الطلاب حوله فيها، لذا من الصعب الوقوف على كل مشائخه الذين تتلمذ عليهم أو تلامذته الذين جلسوا إلى علمه. توفي في شهر جمادى الأولى 928هـ/ مارس - أفريل1522[5] ببلدة يفرن بجبل نفوسة، وعن قبره فيه اختلاف حيث يقول يحي معمر أنه دفين نفوسة، بينما يقول الشيخ سالم بن يعقوب أنه دفين جربة[6].

من الملاحظات الملفتة للانتباه حركية الشيخ وأسفاره التي كان لها الأثر البالغ، خاصة أنه يتميز بنزعة تحررية في تعلمه إذ لم يلزم نفسه بحلقة معينة أو بشيخ معين، وهذا دليل على أن المطلوب العلمي الذي يرجو تحصيله واضح في ذهنه منذ بداية الطريق إلى حد ما، أيضا ما جعله يصمم ما يريده تحديدا الوضع الذي آلت إليه بعض مواطن التي كانت آهلة بالإباضية إذ جعل منه الرجل الحاد في بعض مؤلفاته، فكان كل ذلك دافعا أن يتدرع بالقوة المنطقية والفلسفية من خلال تلخيصه كتاب الدليل والبرهان، فتحصل بذلك على باع طويل في أسس العقيدة الإباضية

1) المرجع السابق، ص37

2) الشماخي، أبو العباس، المرجع السابق، ص 15.

3) الجعبيري، فرحات، المرجع السابق، ص38، 39.

4) المرجع السابق، ص40.

5) ليفيتسكي، تادايوش، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، ص 46.

6) الجعبيري، فرحات، المرجع السابق، ص41.

وغيرها، ومما ركز عليه أيضا قوة اللغة ورصانة الأسلوب بإعرابه لشرح الدعائم الذي هو نظم في العقيدة والفقه، وفيما يلي الاعمال التي قام بها الشماخي وساهمت في تكوين شخصيته العلمية.

2. مؤلفاته:

1. شرح العقيدة لعمرو بن جميع الذي نقلها من البربرية في ق08هـ فبدأ شرحها الشماخي سنة 894هـ وانتهى منها في شعبان 904هـ، وكان تركيزه منصبا على المحاور التالية: أصل الدين، الإيمان، الكفر، الإسلام، الدين، الولاية والبراءة، الأنبياء، الكتب، الكبيرة، الكلام على القرآن وأسماء الله، الرد على الخوارج والصوفية، نبذة من عقيدة أهل الحق والاستقامة[1]، ويذكر في المقدمة أنه لم يشرحها إلا لما يحتاجه المبتدئ، وربما بعض التوضيح للمنتهي، ولا يزيد عن إزالة الإبهام إلا نادرا، اعتمد فيها عرض المواقف بطريقة جدلية، أحال الآراء فيها إلى أصحابها أو كتبهم بالنسبة للآراء الإباضية وغيرهم[2]، ومن اللطائف أنه أرخ لنهاية شرحه بحدث إخراج المسلمين النصارى من جربة، مما يدل على الاهتمام الواسع بأمور أمة الإسلام، ولم يبق حبيس اهتمامات مذهبه[3].
2. مختصر كتاب العدل والإنصاف للوارجلاني لغرض المبتدئين من الطلبة والمتعلمين لأصول المذهب.
3. شرح كتاب مرج البحرين في الفلسفة والمنطق والرياضيات للوارجلاني.
4. إعراب مشكل الدعائم وهو مخطوط بإحدى خزائن مزاب الخاصة.
5. شرح على متن الديانات.
6. رسالتان مخطوطتان في مسائل عقدية لأحد طلبته واحدة في العلاقة بين الاسم والمسمى، والأخرى في صفات الله.
7. رد على صولة الغدامسي يتناول فيها قضايا خلافية بين الإباضية والمالكية بحدة[4].

---

1) المرجع السابق، ص46.

2) المرجع السابق، ص47. أنظر أيضا: عمرو بن جميع، مقدمة التوحيد وشروحها، الشرح الأول للشماخي والشرح الثاني للتلاتي، تصحيح وتعليق: أبو إسحاق اطفيش، ص 11.

3) عمرو بن جميع، مقدمة التوحيد وشروحها، الشرح الأول للشماخي والشرح الثاني للتلاتي، تصحيح وتعليق: أبو إسحاق اطفيش، ص 118.

4) الشماخي، أبو العباس، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 16، 17.

3. محتويات كتاب السير:

بدأ الشماخي بالطبقات الأربع الأولى لعلماء الإباضية بالمشرق، وتبدأ:

الطبقة الأولى (01 هـ- 50هـ) بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

و الطبقة الثانية (05هـ - 100هـ) وهي طبقة التابعين بأبي بلال مرداس بن حدير.

و الطبقة الثالثة (100هـ - 150هـ) بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

و الطبقة الرابعة (150هـ - 200هـ) بالربيع بن حبيب.

ثم عرض طبقات العلماء بالمغرب حيث إن الطبقة الأولى منها تقابلها الطبقة الثالثة من علماء المشرق (100هـ - 150هـ)، فتبدأ:

الطبقة الأولى (100هـ - 150هـ) بأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.

الطبقة الثانية بالمغرب والرابعة بالمشرق (150هـ - 200هـ) بعبد الرحمن بن رستم.

الطبقة الخامسة (200هـ - 250هـ) بأفلح بن عبد الوهاب، وعرض فيها مشائخ المغرب من القرن الثاني إلى التاسع من دون ترتيب زمني واضح، وأتبع القسم بذكر بعض الكرامات، كما احتوى آخر الكتاب على ثلاث وثائق هامة ليست من تأليف الشماخي، أولها وثيقة نسب الدين واحدا عن واحد، ثقة عن ثقة، من النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرن العاشر هجري، وانتهى من تدوينها سنة 970هـ، والأخرى هي وثيقة ذكر فيها أسماء بعض الشيوخ مرتبين حسب انتمائهم القبلي للتعرف على قبائل انتشار المذهب، وقد ذكر محقق الكتاب أنها كتبت بعد أبي زكرياء الوارجلاني وقبل أبي العباس الدرجيني، وأخيرا وثيقة تسمية مشاهد جبل نفوسة المشهورة بإجابة الدعاء، ويذكر المحقق أنها من المحتمل قد كتبت في ق09هـ[1].

4. مصادر كتاب السير:

1. المصادر الإباضية: أقدم كتاب اعتمد عليه الشماخي هو تاريخ إباضية المغرب للواب بن سلام بن عمرو حيث ذكره تسع مرات، كما أنه اعتمد على عدد لا بأس به من المصنفات واستطاع

---

1) نفس المصدر، ص18.

أن ينتقي الأهم منها مثل: كتاب النهروان وكتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني وكتاب المعلقات وكتاب الدعائم لابن النضر العماني.

أما بالنسبة لكتب السير فإنه لم يعتمد على سير أبي الربيع كثيرا لغلبة الحكم والمواعظ على الحقائق التاريخية، أما سير أبي زكرياء فقد اعتمد عليه بشكل واضح كما سيأتي لاحقا، وسير الوسياني الذي يعتبر (مصدرا رئيسيا للشماخي إذ اعتمد عليه عشرات المرات)، وسير مشائخ نفوسة لمقرين بن محمد البغطوري (ت بداية ق07هـ) اعتمد عليه الشماخي كثيرا إذ تكررت الإحالة إليه 83 مرة، يذكره مرة بـ:" سير أشياخ نفوسة"، أو"سير مشائخ نفوسة"، أو "كتاب السير لمشائخ نفوسة"، أو " سير نفوسة"، أو"سير الجبل"، أو"سير نفوسة"، وورد اسم "مقرين" تارة و"مقّر" تارة أخرى، كما يعتبر كتاب طبقات الدرجيني من الكتب الأساسية التي اعتمد عليها كما سيأتي لاحقا، وأما الجواهر المنتقاة للبرادي فقد اعتمد عليه مرة واحدة فقط[1].

2. المصادر غير الإباضية: يذكر محقق كتاب السير أن الشماخي نسي بعض المصادر القريبة إلى القرنين الأول والثاني مثل أنساب الأشراف للبلاذري وتاريخ خليفة لابن خياط إذ أورد عدة عبارات مأخوذة من كتب أخرى لأهل السنة، واعتمد كثيرا على مروج الذهب للمسعودي خاصة في سرده لأخبار المشرق، أما في تاريخ الأئمة الرستميين نجده قد اعتمد على أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير، كما اعتمد على تاريخ بن الرقيق اعتمادا واضحا، إذ من المحتمل أنه كان يملك نسخة منه، كما اعتمد على مسالك أبي عبيد البكري، عموما يذكر المحقق أن الشماخي استطاع أن يتعامل بشكل من المرونة مع سائر المصنفات بانتقائية بعيدا عن الانغلاق المذهبي، كما أنه حرص على ذكر مصادره في كل ترجمة لعلم، بل في كل رواية أحيانا بتحديد الكتاب أو مؤلفه وأحيانا بتحديد الفقرة التي أخذ منها، كما أنه ينقد الروايات ويقارن بينها في أحيان كثيرة[2].

وما هذا الاطلاع وهذه المقدرة على التأليف والتأصيل إلا نتاج رحلاته التي لم تحدها مذهبية أو نزعة عرقية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الخصائص الاجتماعية للمرحلة التي كان يعيش

1) نفس المصدر، ص 18 - 22.

2) نفس المصدر ، ص 22 – 24.

فيها في المغرب عموما والإباضية خصوصا إذ كانت تتميز بالفرقة الشديدة، مما يجعل كل فريق يدور في فلكه ويقيم على نفسه الحواجز المادية والنفسية، لكن الشماخي استطاع أن يتجاوزها ليؤلف هذا السفر التاريخي المتنوع في مشاربه وميزاته.

5. أهمية كتاب السير:

يعتبر كتاب السير بين كتب السير الإباضية (المعتمدة للتعرف على الأحوال السياسية والعلمية والفكرية والاقتصادية وغيرها للمجتمع الإباضي طيلة عشرة قرون تقريبا)[1]، وقد ذكر الشماخي تفاصيل كثير عن الحياة اليومية للفرد، لذا يعتبر كتابه (مادة صالحة لدراسة الحياة اليومية وأوجه النشاط الزراعي والحرفي والتجاري الذي يمارس في هذه المجتمعات الإباضية، والأحوال الثقافية من علم وتعليم)[2]، وبالتبع يكون صالحا للوقوف على الجانب الوجداني الذي يعتبر كما سبق في التعاريف هو الدافع لأي فعل يصدر عن الإنسان، فهو يعرض في كتابه العالم الواعظ، والرجل الفلاح، العالم المشتغل بأرضه، والمجالس العلمية المنعقدة هنا وهناك، والإنفاق في سبيل العلم، والمرأة المخلصة في النصح لزوجها، وفي سلوكها عند تغير حال زوجها عليها، وفي نقاش البنت المتعلمة لأبيها بإدلال، وفي كفاح المرأة في سبيل العلم، وفي الأحاديث والآراء والفتاوى، وكل ما يمثل حياة الإنسان اليومية[3]. وأردف علي يحي معمر في وصفه للكتاب أنه (قصة حياة أمة عاشت خلال عشرة قرون، وأبطالها أبطال الحقيقة لا الخيال، حقيقة الحياة بما فيها من متعة، بما فيها من فقر وغنى، بما فيها من حركة وصراع ونضال، بما فيها من عمل فردي وجماعي، والأمة الإسلامية في حاجة كبرى إلى كتاب من هذا الطراز يصورون الواقع كما هو، وكما تشهد به الحياة، وكما يجري به التاريخ الواقعي في فلك الزمان الطويل بعيدا عن توجيه السياسة المغرضة والأطماع الزائفة، والمؤثرات الخارجية، مقصودة أم غير مقصودة)[4]

كذلك فإن كتاب السير لا يقل فائدة على المستوى الأكبر والأوسع من المذهب الإباضي، فإنه يعتبر مصدرا ثريا في التاريخ السياسي والديني والاجتماعي لمناطق الجزيرة العربية والعراق وإفريقيا

---

1) نفحات من السير- أبو العباس أحمد الشماخي – ص58.

2) الشماخي، أبو العباس المصدر السابق، ص 50.

3) الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 02، الإباضية في ليبيا، القسم 02، ص 128 وما بعدها.

4) نفس المرجع، ص 130.

الصغرى، ويشير ليفيتسكي أنه بالرغم من كل هذا لم يكن موضوع دراسة نقدية، وأنه قد نقلت أول نسخة منه في وقت مبكر إلى أروبا من طرف هنري دوفييري حوالي سنة 1860 نظرا لأهميته التاريخية[1].

رابعا: التداخل بين كتب السير المعتمدة:

بما أن كتاب سير الأئمة وأخبارهم يعتبر أول ما وصل إلينا من كتب السير الإباضية فإننا لا نجد له تداخلا أو تكرارا مع كتاب آخر في كتب سير الإباضية بالمغرب، لكن الأمر يختلف مع كتاب الدرجيني والشماخي، حيث نجد أن الكتابين قد اعتمدا على ما قبلهما من كتب السير بداية بسير أبي زكريا.

أما بالنسبة للدرجيني فنجد أنه صرح بالأخذ من سير أبي زكريا، وذكر أنه يريد تهذيبه واختصاره، لأنه لم يكن صالحا لإرساله إلى أهل المشرق بسبب لغته الغليظة، لذا نجده قد اعتمد عليه بشكل كلي في الجزء الأول من كتاب الطبقات، وهذا ما يجعل بعض الأعلام تتكرر في الكتابين، لكن ليس بالشيء الكثير، لأن البحث يعنى بما بين القرن الخامس والقرن الثامن، أي ما يمثل جزء يسيرا من كتاب أبي زكريا، وهذا الجزء يتحدث معظمه عن نظام العزابة.

وقد ذكر الباحث عمر لقمان[2] أن الدرجيني قد وقع في أخطاء كثيرة قد يكون سببها الناسخ، وأن الأصل والصواب يعود إلى أبي زكريا لأنه اعتمد في تحقيقه على عشر نسخ من كتاب سير أبي زكريا، منها أخطاء في التواريخ والأسماء، ومنها تأخير فقرة وتقديم أخرى، ومنها إضافة الناسخ وسط الفقرة، ومنها السقط، ومنها الاختزال، ومنها اخطاء في ذكر الأسماء، إلى غير ذلك مما ذكره الباحث، وقد أورد لكل ما ذكر أمثلة وشواهد عليها.

---

1) ويضيف ليفيتسكي أنه بعد مدة من الزمن حقق إ. مسكوري جزءا منه وذيله بترجمة كتاب أبي زكريا، وفي سنة 1884 طبع طبعة حجرية بفضل عناية طالب إباضي يدعى الحاج سليمان بن مسعود النفوسي، ثم نشر موتيلنسكي كتابه حول بيبليوغرافيا المزاب، و خصص فيه مقالا لكتاب السير حيث ترجم فهرس مواده، ووضع ملحقا لأسماء القبائل والأماكن الواردة في الكتاب. أنظر: ليفيتسكي، تاديوش، دراسات شمال إفريقيا، تر أحمد بومزقو، ص 18، 19.

2) الوسياني، أبو الربيع، سير الوسياني، قسم التحقيق، ج01، ص 194.

أما بالنسبة للشماخي فقد ذكر أبي زكريا 52 مرة، ومعظم الأعلام التي وردت عند أبي زكريا موجودة عند الشماخي مع اختصار الرواية وانتقاء المادة التاريخية[1]، والفرق واضح بين اعتماد الدرجيني واعتماد الشماخي على أبي زكريا، حيث إن الدرجيني اعتمد عليه بنسبة كبيرة، في حين اعتبره الشماخي من بين مصادره وإن كان من أهمها، أيضا أن الدرجيني اقتبس منه بصفة مباشرة جزءا كبيرا من الكتاب وضمنه الجزء الأول من كتابه مع تعديل في الصياغة والأسلوب، أما الشماخي وإن كان قد اقتبس شيئا لكنه بشكل انتقائي ومختصر، ويعود سبب ذلك إلى توفر عدد كبير من المصادر أمامه على خلاف الدرجيني، وأيضا بالنسبة للدرجيني أن الكتاب الذي كان المؤهل أن يبعث إلى أهل المشرق حتى يتعرفوا به على أئمة الإباضية بالمغرب هو أبي زكريا، فلما وجدوا ما وجدوا فيه من النقص في اللغة طلبوا من الدرجيني إعداده وتنسيقه، لذا كان اعتماده عليه أكبر.

يعتبر كتاب الطبقات من أهم المصادر بالنسبة للشماخي بسبب التحسين الذي أجراه مؤلفه المتمثل في تقسيم الأعلام على نظام الطبقات فضلا عن الأسلوب الراقي الذي حلى به كتاب أبي زكريا واختصره، فقد ورد ذكر الطبقات في كتاب السير 101 مرة تحت عبارة "قال أبو العباس"[2].

والبحث سيحاول الاقتصار على ما أبدعه كل مؤلف في كتابه، ولو تكررت الأعلام فسيتم التركيز على المواقف التي تفرد بذكرها كل كتاب، وبما أن البحث يهتم بمرحلة ما بين (ق05هـ – ق08هـ) لذا سيكون العالم الأول الذي نبدأ به من كل كتاب واحد إلى من بعده من العلماء إلى النهاية إلا الشماخي فإننا نقف عند آخر عالم في القرن الثامن، فتكون بذلك البداية عند سير أبي زكريا من الشيخ فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين (ت بين: 420-440هـ)[3] إلى النهاية، أما بالنسبة للدرجيني ستكون البداية أيضا من نفس الشيخ[4]إلى النهاية، أي: إلى الشيخ يوسف بن

1) الشماخي، أبو العباس، كتاب السير، ج01، قسم التحقيق، ص 20.
2) نفس المصدر، ص 21.
3) أي من الصفحة 303/254 من الكتاب الذي حققه اسماعيل العربي.
4) أي من الصفحة 161 من الجزء الأول من الطبعة المعتمدة (تحقيق الشيخ ابراهيم طلاي)

سدميمان (550هـ - 600هـ)، أما الشماخي فستكون البداية أيضا من نفس الشيخ[1] إلى الشيخ أبو القاسم البرادي (حي في: 810هـ)[2].

1) أي من الصفحة 551 من الجزء الثاني من الطبعة المعتمدة (تحقيق محمد حسن)

2) أي إلى الصفحة 806 من الجزء الثاني من الطبعة المعتمدة (تحقيق محمد حسن)

الفصل الثاني: البعد الوجداني في كتب السير.

نحاول في هذا الفصل تصنيف المواقف التي تحوي إشارة وجدانية في كتب السير الثلاثة: كتاب السيرة وأخبار الأئمة، وكتاب الطبقات، وكتاب السير، واستخراج الأبعاد الوجدانية من مواقف كل شيخ بمفرده، لنصل في النهاية إلى صورة متكاملة عن الحياة الوجدانية لكل شيخ إذا كانت عدد الأخبار الواردة عنه كافية لتشكيل تصور شامل عن حياته، كما يحاول أيضا تقديم صورة مجملة عن كل كتاب، ولكل قرن بشكل نسبي وذلك بسبب تداخل تواريخ الوفيات وعدم دقّتها.

تم تقسيم المواقف إلى مواقف ذات بعد تربوي وأخرى ذات بعد اجتماعي وأخرى ذات بعد سياسي من دون عنونتها بأقسامها، لأن ذلك سيكون في الفصل الأخير التحليلي، وإنما يكون ذكرها مجموعة مرتبة من الخاص إلى العام عند كل عالم، أي ما يتعلق بالحياة الخاصة للعالم إلى ما يتعلق بالوضع العام.

تتمثل المواقف ذات البعد التربوي في الصفات الوجدانية التي تتميز بها شخصية العالم مثل الزهد والحرص على العبادة والتوبة، والمتمثلة أيضا في التعلم والتعليم والتربية، و كل الأخبار التي لها علاقة بالجانب التربوي في شخصية الإنسان.

أما المواقف ذات البعد الاجتماعي تتمثل في المواقف التي تنتج من تفاعل العالم مع أسرته مجتمعه، مثل برّ الوالدين وبرّ الأزواج، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزيارات الأخوية أو الزيارات لإصلاح الناس ونشر الخير، أو آداب الضيافة، والتعاون على الخير وكل الأخلاق التي لها علاقة بصلاح الأسرة والمجتمع.

أما المواقف ذات البعد السياسي تتمثل في المواقف الناتجة عن تفاعل العالم مع الحكم والسياسة، مثل النهي عن المداهنة والتزلف للظلمة والأكل بالدين، ومختلف أخبار التخفي عن أعين السلطة ومدافعة العدوان وغيرها من الأحداث التي توضح علاقة العالم بالسلطة الحاكمة.

تم الحفاظ على نص الموقف أحيانا بسبب ما يحويه من معاني وجدانية في تركيبها، وفي الغالب الأعم أوردها ملخصة حسب المعنى الإجمالي لها، ثم يلي ذلك كما سبق فكرة إجمالية عن حياته الوجدانية حسب توفر المادة العلمية.

يختتم كل مبحث بتحليل شامل لعدد المواقف الواردة فيه ونوعها من خلال تصنيفها في جدول ثم استخراج أهم الاستنتاجات المستخلصة من الجدول إضافة إلى الاستنتاجات المستخلصة من خلال المقارنة بمصادر السير الأخرى.

المبحث الأول: الأخبار الوجدانية في كتاب السيرة وأخبار الأئمة.

عن أبي مسور يسجا بن يوجين[1]:

الورع:

يشير الشيخ إلى أن أهم شيء في الدين هو الورع والتحرّج من الوقوع في الآثام فقال:(إنما الدين بالورع والحرج، والدنيا بالسياسة، والرجل بالعقل)

عن أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي[2]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يتميز هذا النموذج بالتفرد، لما مرّ به من تيه عن المنهج الرباني في بداية حياته من جهة ومن حرص على التقوى والعبادة وطلب العلم و عمق في المشاعر الوجدانية بعد التحول من جهة أخرى.

---

1)أبو مسور يسجا بن يوجين: من علماء القرن الثالث، بجربة، تونس. أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 468.

2) من قبيلة مزاتة، ليبيا،(350هـ - 400هـ) كان راعيا ثم تحول في كبره إلى العلم والتحصيل.

التوبة:

ورد عن الشيخ أنه كان يغني للرعاة كل يوم قبل غروب الشمس ويختم بالدعاء لنفسه وإذا طلب الرعاة المزيد قال لهم "ختمت"، ثم ألهم الله له الهداية والرشاد فرجع إلى حلقة التلامذة زمن أبي القاسم يزيد بن مخلد، فقال له رجل لما رأى ما به من مشقة في قراءة القرآن أن يذهب فيخدم أهله ويخدم التلامذة إذا مروا أحسن له، فأيسه من ذلك وأخذ يبكي، فمر به رجل فسأله عن سبب بكائه فأخبره القصة، فشجعه بكلمات كانت سببا في انطلاقه وعزمه، قال له:(هات لوحك. وكان قد رماه. فقال له: اقرأ. فأخذ في القراءة. فقال له الرجل:(أي عالم يخرج منك يا ويسلان، فارتاح قلبه وراح كربه من قول الرجل فتمادى على العزم والجد والمواظبة عليه، فلما تعلم القرآن رجع إلى علم الأصول والحجة والكلام، فمكث فيها ست عشرة سنة)[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] معلقا أن دعاءه وعدم العودة إلى الغناء سبب هدايته، كما أنه استعمل تعابير عاطفية بليغة تدل على حسرته على عدم قدرته على التعلم مثل: (عبرته تخنقه، بل دموعه تسيل)، أما الشماخي[3] فقد ذكر ذلك مختصرا.

يظهر الجانب الوجداني في دعائه عقب الغناء دليل على وجود شعلة من التقوى نابضة في قلبه تنتظر الظهور، وفي عزمه الصادق وسعيه الحثيث في سبيل تحصيل العلم، وفي كلمة تشجيع عابرة كان لها الأثر الكبير في قلبه، وجعلته يستمر ويكابد في طلب العلم.

الذكر:

روي عنه أنه سجن من طرف عمال الفاطميين بعد معرفتهم أنه صاحب أبي القاسم يزيد بن مخلد[4]، واشتكى منه أهل السجن بصوته الجهوري عندما يقرأ القرآن الكريم، وسئل بعد ذلك عن السجن فقال يصلح لقراءة القرآن[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

---

1) الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 294.

2) الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 1،90 91 .

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص560.

4)من بني تيجرت، بالحامة، ببلاد الجريد، بتونس، من كبار العلماء، نال شهرة قربته إلى المعز لدين الله الفاطمي، (ت:358هـ)

يظهر الجانب الوجداني في المواظبة على الذكر والاستئناس به في الأوقات الصعبة، لأنه وجد في الذكر ما يسليه ويخفّف عنه وحشة السجن

طلب العلم:

ورد عن تفرغه وانقطاعه عن الشواغل لتحصيل الفقه أنه أستأذن أمه أن يصعد إلى الجبل فأذنت له، ظنا منها أن الجبل هو الذي بجانب الدار وهو كان يقصد جبل نفوسة[3]، فتفرغ للعلم وكلما بلغ إليه كتاب من أهله وضعه في كوة بالجدار، إلى أن انتهى من التحصيل ورغبت نفسه الرجوع إلى أهله أخذ الكتب التي وصلت إليه ووجد فيها خبر وفاة أمه. ذكر ذلك الدرجيني[4] واختصره الشماخي[5].

يظهر الجانب الوجداني في الابتعاد من الملهيات وهذا مما يساعد على طلب العلم، وفي هجرته لموطنه دليل على العزم الصادق لأنه قضى فيه معظم حياته قبل هداية الله له، و يظهر صدق عزمه في ملازمته القراءة والمذاكرة بعد عودته من سفره في كل الأوقات وعدم الفتور، وكانوا (إذا رأوه يقرأ كتبه في الشتاء قالوا له: هذا زمان برد وقر وندى، أشفق على الكتب، فيقول: يأتي الصيف فيذبلون وييبسون. و إذا أخذهم في الصيف قالوا: هذا زمان صيف و حر. فيقول: يأتي الشتاء فيبردون ويمتدون)[6] وقد ذكر ذلك الدرجيني[7] بنفس المعاني، و الشماخي[8] مختصرا.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 21 3.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص561 .

3)جبل نفوسة: اسم قبيلة، سمي الجبل جنوب غربي طرابلس باسمها. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 875.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 91 .

5)الشماخي، المصدر السابق، ص561 .

6)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 295.

7)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 92.

8)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص561 .

الحلم:

ورد في حلمه و خلقه الرفيع والترفع عن الخصومات أنه ذات مرة ذكر في مجلس بالقيروان فتعجبوا من عقله وحلمه بالرغم من بربريته، فقال أحدهم سأجربه لكم، فلما مرّ مدّ رجله فأسقطه على الأرض، فنهض ومسح وجهه وقال الحمد لله ومضى[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] بنفس المعني مع اختلاف العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في أنه استطاع بإخلاصه في التوبة و الحرص على طلب العلم والأدب أن يلتزم بالأخلاق الطيبة في حياته اليومية و الترفع عن المخاصمات وتسليم الأمر لله.

عن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور[4] :

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر الجانب الوجداني شاملا لمعظم مجالات حياته، بداية من ذاته حيث يظهر الوجدان في الذكر والورع في التعامل واطراحه حظ النفس والاجتهاد في العبادة، كما يظهر الوجدان في أسرته مثل برّه بوالديه وحرصه على تربية أبنائه، ثم تتسع الدائرة أكثر ليظهر الوجدان في علاقته بمجتمعه وورعه في تسيير شؤونه، والاجتهاد في مساعدة الآخرين من دون مقابل، و علاقته وشهرته بالصلاح عند عمال الفاطميين، والإنفاق في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و توجيه الناس إلى أدب الكلام والسكوت.

بر الوالدين:

أرسله والده للمتجارة بماله فلم يستعمل شيئا من مال أبيه في حوائجه الخاصة المعينة له على سفره، وعندما قضى حاجة أبيه واصل سفره في البحث عن معلمه أبي خزر[1]، و في طريقه سمع

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 296.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 92.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص561 ، 562.

4)أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور: من العلماء الأفذاذ بجزيرة جربة بتونس، ولد بنفوسة، (ت بين: 420هـ، 440هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 339.

بنداء الثأر بشيخه أبي القاسم يزيد بن مخلد، فرجع إلى أبيه أولا لمحاللته من التبعات واستئذانه، فرضي عنه أبوه و لم يقبل منه أنه لم يستعمل مال التجارة في قضاء حوائجه في السفر، وقد ذكر ذلك الدرجيني بنفس الألفاظ تقريبا[2].

يظهر الجانب الوجداني في بره بوالده والحرص على رضاه و محاللته قبل الموت، وفي الخروج في سبيل البحث عن معلم ليتعلم عنده، وفي الاستجابة لداعي الجهاد والدفاع عن الحرمات بعد أن قتل شيخه مظلوما.

الورع:

ورد أن عاملا من عمال الفاطميين أراد أن يقدم خراجا لبني يهراسن فقال له أبو زكرياء أن ينقص منه ففعل العامل، فرجع الشيخ إلى نفسه فأنفق مثل ذلك للفقراء[3]، و قد ذكر ذلك الدرجيني[4] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في محاسبة النفس على المواقف التي تصدر منها، خاصة ما تعلق منها بمصلحة الجماعة، و ورعه محاسبة نفسه بتعويض ما قد شك في الخطأ فيه.

حين توفي الشيخ طلب عامل من عمال الفاطميين أن يذهب إلى قبره، فقال: "عاش حميدا ومات فقيدا، اللهم اخلف على جربة من بعده، وقال أيضا: مات امرؤ علم أنه سيموت"[5] وقد ذكر ذلك الدرجيني[6] بنفس الصيغة.

يظهر الجانب الوجداني في حسن الجوار مع المخالف له في المذهب وهذا دليل على تقواه وورعه الذين لا يحدهما مذهب معين.

---

1)أبو خزر يغلا بن زلتاف، من العلماء الكبار بالحامة، بقسطليلة، ببلاد الجريد، في الجنوب التونسي، (ت:380هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 477.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 62.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 255.

4)الدرجيني، المصدر السابق،ج01 ، ص1 63.

5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 260.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 68.

مساعدة الآخرين:

شفع لرجل إلى عامل الفاطميين كان قد أخذه فخلى سبيله، فأراد ذلك الرجل وبإلحاح أن يكافئ أبا زكرياء لكنه رفض[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في رفضه المقابل المادي لفعل خير قام به.

أدب الكلام:

ورد عنه في أدب الكلام والسكوت:(ما علمنا كيف نتكلم ولا كيف نسكت)[3]، وقد ذكروا عنه أنه صاحب حكم بليغة ومنطق.

يظهر الجانب الوجداني في إشارة الشيخ إلى خطورة الكلام وأثره إذا لم يكن بغير علم.

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 255.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 63.

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 255.

العبادة و الزهد:

عرض وسواس في أمر عقدي لأحد زملائه المشائخ و هو أبو محمد كاموس الزواغي[1] فناداه وكان مقعدا بالبيت فأسرع لتلبية ندائه رغم عجزه، فلما زال ما بالشيخ من وسوسة فرح وأراد أن يكرّم أبا زكريا بلحم مطبوخ بائت وكان صائما، وله مشكلة صحية مع اللحم البائت فأكل بالرغم من ذلك موافقة له. وقيل أنه رأى في المنام أن واقفا وقف عليه وأخبره أن موافقته للشيخ وإدخال السرور عليه أفضل من عبادة سنة، ثم إنه استراح من علته التي كانت به مع اللحم البائت[2]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[3]، و الشماخي[4] ذكر ذلك في معرض الحديث عن أبي محمد كاموس الزواغي وذلك دليل على دوام تفكره وذكره لله ومسارعته إلى إزالة الشكوك.

يظهر الجانب الوجداني في استشعاره خطر الوسوسة في أمر من أمور العقيدة ومسارعته إلى إزالتها بالعلم والإقناع، وفي الحرص على موافقة الشيخ وإدخال السرور عليه.

يقول ابنه زكرياء فيه: (إنه ما مثل أبي زكرياء في آخر عمره إلا كمثل دابة مثقلة، رأت موضعا تحط فيه ثقلها فأسرعت إليه)[5] وقد ذكر ذلك الدرجيني[6] في معرض الحديث عن مناقب ابنه زكرياء وأقواله، وأضاف الدرجيني أن هذا من أحسن الأمثال التي تضرب في مثل أبي زكرياء، يريد بالحمل الثقيل هذه الحياة، لأن الدنيا سجن المؤمن وبالإسراع العمل لما بعد الموت، وهذا شأن من أحب لقاء الله"[7].

يظهر الجانب الوجداني في مدى حرص الشيخ على العمل لما بعد الموت، ومدى تشوقه له.

---

1)أبو محمد كموس الزواغي، من تلاميذ يسجا بن يوجين، وهو عالم من علماء جربة، تونس، (ت: 431 ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 349.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 256، 258.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 64،1 65.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص657.

5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 260.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 68.

7) المصدر السابق، ص1 68.

وصل مشائخ إلى جربة زائرين وقت صلاة الظهر، فرأوه من بعيد فقال أحدهم أنه لا يعانقكم في هذا الوقت، فمرّ عليهم وقال سلام ودخل المسجد، ثم بعد فراغه من وظائف الصلاة ذهب إليهم وصافحهم[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في استعظام وقت الصلاة واشتهاره بذلك، ولو تعلق الأمر بأمر عاطفي آخر وهو الأخوة والاستقبال.

الذكر:

ورد عنه في استحضار أفضال الله عليه في الرزق وهو يقدم زيتا لامرأة تطلب شيئا من الزيت لشعرها، ففتح الطنجرة ليصب لها فرآها وهي تنظر إلى سعة ما أعطاه الله فبكى وقال:(بالله [ربما يا الله] ليس بيننا و بينك نسب تعطينا دون غيرنا، ولكن برحمتك يا أرحم الراحمين)[3]. وقد ذكر الدرجيني[4] ذلك بنفس المعاني.

قد يكون من الأحسن أن يكون الموقف تحت عنوان الصدقة لكن كلامه الوجداني البليغ في استحضاره لأفضال الله عليه جعل من الأولى أن يكون في ذكر الله في كل وقت وحين، ومن مظاهر الذكر ما ورد عن ابنه أنه كان يعتاد الصلاة في مكان إذا أتوا إليه في الصباح وجدوه مبتلا بالدموع[5]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[6] بنفس الصيغة.

اطراحه حظّ النفس:

ذكر عنه في اطراحه حظّ نفسه وتواضعه أنه خرج في بعض حوائجه فجاز على منزل أحد أصدقائه وهو غير موجود فيه فاستقبلته زوجته وهي لا تعرفه، فسألته قائلة: الأضياف على منازل، منهم المقربون باللحم، ومنهم بالآدام، ومنهم من لا يجعل له الآدام. فقال لها أبو زكرياء اجعليني

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 31 6.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص667.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 258.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 65.

5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 260.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 67.

بالأوسط فأضافته بالزيت، فلما أتى صاحب المنزل وعلم بالأمر فقال لزوجته :(ويحك ذلك أبو زكرياء)[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في تواضعه وعدم تزكية نفسه بالرغم من مكانته وعلمه، و يظهر أيضا في إكرام المجتمع للعالم والاحتفاء به حسب منزلته.

الحرص على تربية الأبناء:

كان يستعين بأبنائه وأبناء أخته يعينونه في شغله ويربيهم ويعلمهم بمصاحبتهم، ويبحث لهم عمن يعلمهم ويربيهم، وذلك حين بعث ابنيه زكرياء ويوسف، وابن اخته أبي بكر بن يحي ليبحثا عن أبي عبد الله محمد بن بكر[3]، وأمر ابن أخته سعيد بن يحي أن يقعد معه[4]، وقد ذكر الدرجيني[5] ذلك في معرض الحديث عن مبدأ تأسيس الحلقة، مكتفيا بذكر الأبناء الذين أرسلهم أبو زكرياء.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على صلاح الابن من خلال مرافقته والبحث عمن يعلمه.

الحث على الإنفاق في سبيل الله و الأمر بالمعروف:

قال عن الصبر على ابتلاء الفقر و أنه أهون من الصبر على ابتلاء الدين، و صعوبتهما إذا اجتمعا:(إذا قحطت الأرض تنال الجنة بقبضة من طعام، وإذا قحط الإسلام تنال الجنة بكلمة حق تقال، وقحط الإسلام أشد من قحط الطعام، وقد اجتمع كلاهما في زماننا هذا)[6]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[7] بنفس المعاني.

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 258.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 66.

3)كل هذه الأعلام سيأتي الحديث عن بعض مواقفها عند الحديث عن نماذج من أخبارها و مناقبها.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 259،260،263.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 69.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 255.

7)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 63.

يظهر الجانب الوجداني في أن الجنة دافع وراء كل سلوك، ويظهر أيضا في تقريب صورة ضعف التمسك بالدين بالقحط والجوع الذي يصيب المجتمعات، و في التأسف على وضع المسلمين و عدم تمسكهم بدينهم.

الأمانة:

ورد عنه في حفاظه على الأمانة وحرصه على رعايتها رغم طول المدة و إرجاعها لصاحبها رغم بُعده أن رجلا من سفاقس[1] أودع أمانة عند الشيخ بعد أن امتنع عن إمساكها، وطالت مدة سفر الرجل، فأخرج الشيخ الزكاة من ماله لمال الرجل خلال كل الفترة، وسمع بفاقة قد ألمت بسفاقس فركب البحر وكان حينئذ يتعذر الركوب فيه، لكن الله سلمه وبلغ منزل الرجل فوجده على مشارف الهلاك، وذهب إلى السوق وأحضر ما يسد الرمق، فلما أفاق الرجل سأل الشيخ عن سبب قدومه فقدم له الشيخ أمانته، فأراد الرجل مقاسمتها معه لكنه امتنع[2]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في المبالغة في الحرص على الأمانة والإحسان في رعايتها وخدمة صاحبه والامتناع عن المقابل.

عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

حين نتمعن مع الوجدانات الموجودة في النموذج سنجد أن معظمها تحثّ على العلم وتمجيد العلماء، و مقاومة كل الصعاب والمخاوف في سبيل طلب العلم.

---

1) سفاقس: مدينة بساحل إفريقية. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 857.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 259.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 66،1 67.

4)أبو الربيع سليمان بن يخلف الوسلاتي، المزاتي، النفطي، القابسي؛ لكثرة أسفاره، من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر.(ت471 هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 21 5.

كما يظهر الوجدان أيضا في النصح عند موادعة العلماء، كما أن الشيخ استعمل مناقب السابقين لا من أجل التمجيد والبكاء عليهم، بل من أجل الحثّ على التمسك بالمذهب والمصابرة على طلب العلم وتعليمه والاعتناء بالتربية، حين قال: (أخرجوا هذا عن أنفسكم فإنه قليل عنكم وعليكم بالحفظ والتمسك بما سمعتم وحفظتم من ذلك...). وما يغلب على حياة الشيخ أنها وجدانات موجّهة إلى المجال التربوي أكثر من أي مجال آخر.

العلم و التعليم:

ورد في حرصه على التعلم وحرص معلميه على التعليم بالرغم من مشاغل حياتهم أنه توجه نحو علماء بني يهراسن[1] وهم: أبو محمد كاموس وأبو زكريا فصيل ويونس بن أبي زكرياء وأبو بكر بن يحي[2] ليتعلم علم الفروع فوجدهم في وقت الاشتغال، فاتفقوا ألا يدعوه لوحده في المسجد فجعلوا لكل منهم يوما معه يعلمه شيئا وكانوا يتداولون عنده يوما فيوما حتى تعلم منهم الكثير[3]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[4] أنهم كانوا عازمين على التفرغ له بعد قضاء مصالحهم، وأنهم فعلوا ذلك حتى يجمعوا بين مصالحهم وطلب التلميذ للعلم ولا يضيع أيا منهما.

يظهر الجانب الوجداني في سفر التلميذ ومكابدة المشقة من أجل التعلم على المشائخ، وفي حرص المشائخ على عدم تفويت مصلحة الطالب من التعلم والتوازن بينها وبين مصالحهم المعاشية.

ورد في حلقات العلم ونشاطها والاستعانة بالطلبة القدامى لتعليم الطلبة الجدد العقيدة أن طلبة كانوا عند أبي محمد ويسلان يتعلمون الفقه، وبجانبه أبي عبد الله محمد بن بكر يتعلمون الأصول وعلم الكلام وذلك في حلقتين، فرغب جمع من التلامذة تعلم علم الكلام، فأرسل الشيخان إلى

---

1)بني يهراسن: قبيلة إباضية نازلة شمال جهة طرابلس، بجبل دمر، سكن قسم منها جزيرة جربة ابتداء من قدوم أبي مسور، وكان مسجد بني يهراسن (في الحشان غرب حومة السوق)من أهم مراكز الوهبية في بداية القرن الرابع هجري. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 882.

2)أبو بكر بن يحي الزواغي النميلي: عالم من عزابة آجلو، استقدمه أبو عبد الله محمد بن بكر إلى أريغ بالجزائر، اختلف في نسبته قد يكون زواغيا أو يهراسنيا، استشهد (431 هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، علم رقم: 1 89.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 281 .

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 93.

أبي الربيع ومن كان معه من التلامذة القدامى أن يعينوهم في تعليم الجدد علم الكلام فامتنعوا وقال أحدهم:(إنما جئت لأتعلم عند الشيخ أبي محمد ويسلان ولم آت لأعلم غيري) لكن أبا الربيع خالفهم في ذلك وبذل جهده في أن يعلم التلامذة واجتهد في ذلك أيما اجتهاد، وازداد عدد الحضور عنده حتى دخل عليهم زمن الخروج إلى الجبل فخرج بحلقته الكبيرة، و قد لقت الحلقة إكراما بالغا من طرف زنزفة و لماية و مزاتة[1] ومن حولهم من القبائل لكن ظروف الأمن لم تسعفه، فتفرقت حلقته ، واجتمعت مرة أخرى في غار صغير لكنه كان ضيقا بعد زيادة عدد الحلقة فانتقل فريق منهم إلى غار آخر والشيخ يبيت ليلة عند غار وأخرى عند الثاني يعلمهم الأصول و الكلام.[2]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على العلم والتعلم والاجتهاد فيهما، وهذا دليل على أنه في بيئة تتميز بيقظة فكرية إيمانية تسعى لطلب العلم وتحصيله، و تشجيع القبائل طلبة العلم بالإنفاق عليهم، ويظهر أيضا في مكابدة المخاوف في سبيل التعلم.

ومن الحرص على طلب العلم أن تلامذة الشيخ طلبوا من شيخهم أن يكتب لهم ديوانا في الأصول يساعدهم على الالتزام وألحوا في طلبهم حتى استجاب لهم على كره، وذلك عندما رأى رجل في المنام أن التلامذة أخذوا أبا الربيع ونقبوا صدره فاستخرجوا منه قصعتين من عسل، فلما سأل الرجل عن الرؤيا فقيل له إن كان صاحب مالا فإنه يستخرج منه المال كرها، وإن كان عالما فإنه يستخرج منه العلم كرها، فأخذ كبير التلامذة الألواح وقسمها بين التلامذة حتى يكتبوا ما كانوا يأخذون عن الشيخ، ولما اجتمعت لهم ألواح كثيرة عرضوها على الشيخ فأثبت بعضها وأسقط البعض الآخر و أمر بتدوينها في جزئين بعد أن راجعها مع تلامذته مرات، وعرضوها على الشيخ أبي عبد الله محمد بن سودرين[4] فلم يزد إلا حرفين، وكل ذلك إشارة إلى التورع والتثبت في

---

1)زنزفت، قبيلة بربرية إباضية بجبل دمر جنوب شرقي البلاد التونسية. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 855. أما بقية القبائل قد مر التعريف بها.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 282،284.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 94.

4)أبو عبد الله محمد بن سودرين: من المشائخ الكنوميين الثلاثة الذين ساهموا في تخريج الكثير من الطلبة، من كنومة، من بلاد تقيوس، بالجريد التونسي.(400هـ-450هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 825.

نقل العلم ونسخه[1]. و قد ذُكر ذلك في كتاب الطبقات[2] مع إضافة في الهامش أن الكتاب هو موجود على شكل مخطوط بعنوان " التحف المخزونة" منه نسخة واحدة بمكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية.

يظهر الجانب الوجداني في حرص التلامذة على طلب ما يرسخ علمهم، وفي تحرز الشيخ من التأليف و الاجتماع عليه خشية الوقوع في الخطأ، ويظهر أيضا في الأخذ بالرؤيا والعمل بها.

ومن الحث على طلب العلم أن جماعة بتمولست[3] أرادت مغادرته إلى جبل دمر[4] لدراسة الكتب، فقال مثبتا إياهم:(إن مضيتم إلى أهاليكم على هذه الحالة فأنتم كمن ترك الإسلام عمدا)[5]، ذكر ذلك الدرجيني[6] و الشماخي[7] محذرا إياهم من إماتة الدين.

ومن تحذير أيضا أنه قال:(يذكر أن أول هذه الأمة يشرك وآخرها يشرك، وذكر أيضا أن الساعة لا تقوم إلا على دين أبي جهل لعنه الله وما ذلك لأنهم يجحدون الله وينكرون محمدا صلى الله عليه وسلم، ولكن ذلك ما يلقي الشيطان من الوسوسة في قلوبهم حتى يشبهوا الله بخلقه ويمثلوه ببريته، كما كان ذلك من طوائف الملاهي اليوم، وإن كانوا يقرون له بألسنتهم، فلذلك يجب ألا يقصّر في النظر في التوحيد والحجة ومعانيها لكي ينفي على الله ما لا يوصف به من صفة خلقه ويشبه على ما هو به من صفته عز وجل)[8].

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 287،288.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 95.

3)تمولست: يسمى حاليا بتملست، في جبل دمر، 1 7كم جنوب تيطاوين، وسط بلاد تسكنها القبائل الوهبية من زنزفة ولماية ومزاتة، وقد كانت في القرن الخامس هجري مركزا لمقاطعة جبال تمولست.أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 841 .

4)دمر: جبل في الجنوب الشرقي من البلاد التونسية، بين جبلي مطماطة شمالا ونفوسة جنوبا، يسكنه البربر الإباضية من لواتة وزاغة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 849.

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 372.

6)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص250، 273.

7)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص604، 621 .

8)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 383،384.

يظهر الجانب الوجداني في التأكيد على تعلم العقيدة لرد الشبه عنها، وفي التحذير من وسوسة الشيطان في ذلك، و في الحرص على العلم لأنه سبب بقاء الدين والتشديد في التخلي عنه عمدا، وفي الحرص على النصح و التوجيه وتثبيت المبادئ والتذكير بها.

النصيحة:

أراد العزابة موادعة الشيخ فقالوا له أوصنا يا شيخ، فقال:(قد عزمت على ذلك قبل أن تقوله) فقال:(امضوا بالسلام، فإذا وصلتم منازلكم إن شاء الله فإياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم، فمن استقبلها أغرقته، ومن استدبرها فلا بد أن تأخذ منه، وعليكم بالنصيحة والألفة والتزاور فيمن يرِد عليكم من أهل دعوتكم والسلام)[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] مضيفين في النصح:(وحفظ مجالس الذكر وإياكم وأموال الناس).

يظهر الجانب الوجداني في الحرص النصيحة و الاستنصاح، و التحذير من الانشغال بالدنيا على حساب الدين، والحث على الحفاظ على العلاقات الحسنة والألفة والتزاور.

ذكر المناقب:

كان في زيارة فلما أراد الانصراف وقد جاء القرية خبر وفاة الشيخ أبي سليمان داود بن يوسف، فتردد أهل القرية بينهم فيمن يخبره فتقدم أحدهم فأخبره، فقال:(إنا لله وإنا إليه راجعون)[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] مضيفا ما ذكره بعد ذلك من تحسّر على اندثار المذهب من المغرب وشدة الحرص والتضحية التي كان عليها الأوائل في سبيل الدين والعلم، وهو ما ذكره الوارجلاني مباشرة من دون تقديم.

---

1) المصدر السابق، ص 371 .

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص250.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص604.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 368.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص262.

يظهر الجانب الوجداني في اليقين والصبر بمجرد سماعه الخبر وحديثه عن المناقب وذلك دليل على درجة الحرقة والغيرة على الدين، ويظهر أيضا في التذكير بمناقب السابقين وتضحيتهم في سبيل الدين.

المناقب التي ذكرها الشيخ بعد سماعه بوفاة أبي سليمان داود بن أبي يوسف :

قال في التذكير بالصبر والمصابرة والعلم والتعليم وفي تحسره على اندراس أثار الإباضية من المغرب:(انقطعت آثارنا من المغرب)

و ذكر أن أحد المشارقة أتى لزيارة عالم بالمغرب فسأل عنه فأخبروه بوفاته، و دلوه على ابنه لكنه ليس ممن يستحق الذكر، فذهب إليه ووجد مع النائحات، وقال:(إنا لله وإنا إليه راجعون...مصيبة الأخيار في أولادهم) وأضاف الدرجيني أنه ذكر ذلك تفجعا لوفاة الشيخ أبي سليمان الذي لم يخلف ولدا.

و قال:(فقد الناس من مسائل الحلال والحرام والفقه أكثر مما فقدوا من مسائل الأصول والكلام والحجاج) وقد ذكر ذلك لأن ما يؤخذ من علم الفقه آنذاك كله من تلامذة الفقيد[1]، وذكر ذلك الدرجيني، و الشماخي[2] مع إضافة أنه بعد وفاة الشيخ أبي سليمان داود بن أبي يوسف أن رجلا رآه في المنام ، فقال له: (لعلك ظفرت يا شيخ؟ قال: نعم، ثم قال: قل للعزابة عليكم بالدعاء وقيام اليل والقيام بالمعروف).

يظهر الجانب الوجداني في ذكر مناقب الصلاح والمواقف الحسنة التي لها علاقة بحياة الفقيد، وفي اهتمام الأخيار بأبنائهم لأنهم ورثة الخير الذي يتركه أو العكس، وفي تذكير التلامذة بمجهودات الشيخ في علم الفقه وهو ما ينقص مقارنة بعلم الكلام، وفي الرؤيا الصالحة التي تحث على الدعاء وقراءة القرآن والصدقة للصالحين.

ورد أنه عندما توفي الشيخ جعل العزابة ذلك متحيرين دامعين، فقال أحدهم:(أخرجوا هذا عن أنفسكم فإنه قليل عنكم وعليكم بالحفظ والتمسك بما سمعتم وحفظتم من ذلك...)وذكرهم

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 368.
2)الدرجيني، المصدر السابق، ص262،263.

بكلام لأبي الربيع يشير فيه إلى الحفاظ على الدين بالمهج، إذ ذكر أن ابراهيم بن ابراهيم دفع لغلام دينارا ليوصله لرجل آخر، فقال له ابراهيم:(إياك أن يقع منك)، فقال الصبي: تقع هاتان — يعني عينيه — ولا يقع يا عماه)، إشارة إلى أن يحملوا الأمانة من بعده مثل حملهم لأعينهم[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني مع اختلاف العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في التأسف البالغ على وفاة العلماء لشدة ارتباطهم به، وفي التعلق بما ترك من الإرث في الحفاظ على الدين من علم وتوجيهات والحرص الشديد عليها لا بشخصه.

مدافعة العدوان:

كانت جماعة يوما بعد الصلاة قد أخذت في قراءة القرآن وأخرى لم تشرع بعد فسمعوا صيحة، فابتدر التلامذة بالرماح ليدفعوا العدوان، وهربوا إلى الغار، وأصيب الشيخ بجرح بعد أن نزعوا كسوته، فغير الشيخ المكان للتلامذة وانتقلوا إلى مكان آخر وأخذوا في الجد والاجتهاد ونشر الخير إلى أن توفي الشيخ فيه[3].

يظهر الجانب الوجداني في الفرار من مكان لآخر والمثابرة في التعليم رغم صعوبة الظرف الأمني، وكان بالإمكان أن يأخذ مسارا آخر تدريبيا لمواجهة العدوان المتكرر من حين لآخر، لكنه كان وفيا للمبدأ الذي وضعه شيخه أبي عبد الله وهو الانشغال بتربية الفرد والجماعة وعدم الانشغال بالأمور السياسية، ويظهر أيضا في أن الغار من أهم أماكن الجد و التعبد والتحصيل، لما فيه من خلوة وابتعاد عن الأعين.

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 375.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص252.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 288.

عن زكرياء بن فيصل بن أبي مسور[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ من خلال ما ورد عنه من أخبار في الجانب الوجداني بأنها حياة عبادة وزهد وحرص على طلب العلم والصلاح، ولا يوجد متحدث عن نظام حلقة العزابة لا يذكر موقف الشيخ ومن معه مع الشيخ أبي عبد الله في سبيل وضع نظام الحلقة، وهذا ما يجعل موقف الشيخ ومن معه له أثر بالغ في الحياة الدينية والوجدانية للمجتمع الإباضي.

العبادة:

ورد في قوة ثباته وخشوعه في الصلاة أنه كان في رمضان يصلي إماما بالناس في التراويح، فسمع الناس صوت أمته تخبرهم بوفاة الشيخ، فاضطرب الناس كلهم إلا هو فقد بقي في صلاته حتى أتمها[2]، وقد ذكرها الدرجيني[3] بنفس الصيغة.

يظهر الجانب الوجداني في مظهر الثبات والتماسك والاستمرار في العبادة يدل على الخشوع التام والاستسلام المطلق لله.

كرامة استجابة الدعاء:

كان مع قافلة فتعب من السفر ونام حتى ابتعدت عنهم القافلة، فلما استيقظ دعا الله فقال:(يا صاحب كل غريب، و يا مؤنس كل وحيد و يا قريبا غير بعيد، اجعل لي من سفري هذا فرجا

---

1)أبو يحي زكرياء بن فيصل بن أبي مسور، من العلماء الكبار بجربة بتونس، وهو من أسرة العلماء وقد سبق الحديث عنهم، اختلف في سنة وفاته، وحدد سالم بن يعقوبها باجتهاد منه بسنة:(508هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 350.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 260.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 67.

ومخرجا) فتبينت له علامة فتبعها حتى وصل إلى الرفقة[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس الصيغة.

يظهر الجانب الوجداني في الدعاء بأسماء الله الحسنى و المنتهى الخضوع و التذلل، وفي استعمال أخبار النجاة من الضيق لتأكيد فضل الدعاء وقيمة المشائخ.

العلم و التعليم:

خرج هو وأخوه ومن معه ممن أرسلهم أبوه أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور ليبحثوا عن الشيخ أبي عبد الله ويرافقوه، فمروا بقرية لم يبق فيها إلا عالم واحد يدعى يصلتين[3] مع النساء والأطفال على مذهب أهل الدعوة فطلب منهم أن يجلسوا ويعلموا الناس معه لكيلا تنقلب القرية كلها عن أهل الدعوة، فأجابوا لما طلب بعد أن رفضوا، وكان (كلما حضر الطلبة عنده على كرامة واجتمعوا في وقت، أحضر النساء والأطفال فقال: لهم هذا دينكم وهؤلاء أهل دينكم، كل ذلك ليتمسكوا ببعض دينهم ويكونوا على ثقة من مذهبهم)، فلما فرغوا وأرادوا الانصراف وهم لا يعرفون أين يلتقون بالشيخ، فإذا بهم يلتقون معه على مقربة من القرية التي كانوا فيها و قال أحدهم: "ما ظننت مصادفتنا له، لأننا لا نعرف موضعا هو فيه، إلا لموافقتنا ليصلتين وإدخال السرور عليه وعلى النساء والأطفال"[4]، وألحوا للشيخ أبي عبد الله إلحاحا شديدا حتى رضي لهم، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] بصيغة أخرى ونفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في السفر من أجل البحث عن المعلم، وفي توظيف الكرامة لتثبيت العامة على الدين، وفي الحرص على تعليم الناس الخير، وفي إنساب فضل التقائهم بشيخهم لله وربطه بعملهم الصالح، وفي الإلحاح الذي يدل على الصدق في الطلب والحاجة الأكيدة له.

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 261

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 91 .

3)أبو محمد يصلتين الكباوي، من كباو بجبل نفوسة، نشأ في أحضان أم قاسية لم تهتم به كثيرا، كان فقيرا نحيل الجسم ضعيفا، تخرج على يده جمع من العلماء، له أقول فقهية ذكرها الشماخي، (ق04هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 027.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 265

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 70، 1 71 .

عن يونس بن فصيل بن أبي مسور[1]:

الحفاظ على الأمانة:

كان على سفر إلى الحج والتقى به رجل متعب من السفر يائس من الحياة كانت معه صرة مال، فقدم الرجل المال للشيخ لما رأى فيه من حسن الطلعة وراحة النفس في وجهه، و قال له أنت أولى بها مني، فمضى الشيخ في إدراك القافلة، قاوم الرجل حتى أدرك القافلة، وعادت نفسه إلى الصرة يبحث عنها، حتى التقى بالشيخ وهو لا يعرفه فسأله عن الصرة وعن الرجل، فقدمها له الشيخ، فلم يتمالك الرجل نفسه من تعجبه بأمانة الرجل وبدأ يصيح بين أصحاب القافلة:" والله ما هو إلا مسلم، والله ما هو إلا مسلم، ويمرّ بينهم ويقول هذا ما فعله، والله ما هو إلا مسلم."[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في تورعه في حفظ الأمانة، و ربط الرجل بين سلوكه وصفة الإسلام.

عن أبي عبد الله محمد بن بكر[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

نال الشيخ أبي عبد الله اهتماما بالغا في رواية الأحداث والمواقف الوجدانية التي صبغت حياته، وهذا الأمر يمكننا من تشكيل صورة واضحة عن حياته الوجدانية في مختلف المستويات، بداية من حياته الشخصية إلى دوره كمربي ثم كمصلح اجتماعي.

---

1)أبو القاسم يونس بن فصيل بن أبي مسور، من علماء جربة العاملين، طويل القامة قوي البنية، كان مشتهرا بالبراعة في التدريس خاصة أصول الدين، (ق05ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 083.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 262.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 91 .

4)أبي عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي، أحد الأقطاب الإباضية بالمغرب، و من أبرز المصلحين الدينين الاجتماعيين. من فرسطاء بجبل نفوسة بليبيا، صاحب نظام حلقة العزابة، (و:345ه/ت:440ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 803.

تظهر شخصية الشيخ أبي عبد الله شخصية ربانية خاشعة تصلح أن تكون قدوة لتلاميذ يعيشون معه في حله وترحاله، زاهد في الدنيا يكتفي بالقليل منها، في خوف ووجل دائم من زينتها، حريص على الدعاء والالتجاء إلى الله، ينهى عن استعمال الدعاء لإلحاق الضرر بالآخرين، يستمع الموعظة نهاية كل حلقة من أحد تلاميذه.

ومن أبلغ ما ورد عنه في توجيهه للناس المفهوم الشمولي للعبادة حين ربط ضيق الرزق وشح الأرض بالمعصية، حيث إن العبادة ليست رهبانية و انعزالا عن الحياة المادية للإنسان، وإنما تأثير بينهما وتأثر، تربط بينهما الغاية من الوجود.

وفي المجال التربوي تظهر الملامح التربوية للمربي الرباني في توجيه القدرات وتحفيزها للخير، وتوفير الجو المناسب للتربية وغرس الأخلاق مثل الانعزال عن المجتمع الكبير ثم العودة إليه بعد التزود بالإيمان و العلم الرصين والتعود على التصرف مع الأزمات من خلال ارتحال التلاميذ بصحبة الشيخ يتعلمون من أخلاقه في السراء و الضراء.

كما أنه كان يحث على اكتساب الدليل في مسائل العقيدة لدفع الشبه وترسيخ الإيمان، وعندما يتجهز طالب للعودة إلى أهله بعدما ارتوى من العلم وجه له الإرشادات الأساسية التي تساعده على القيام بدوره الإرشادي في مجتمعه من دون مصادمة، من ذلك مثلا أن إن وجد من هو أكثر منه علما تبعه، وإن وجد من هو أقل علما أمه، وإن وجد من مثله تعاون معه وإن لم يجد غير ذلك اعتزل الناس.

كما أنه كان القدوة من خلال سلوكه وأخلاقه الراقية، حيث كان يتورع عن أخذ الهبات مقابل ما يقدمه للناس من خير وعلم، كما أن من تواضعه أنه يسوي بين نفسه و العزابة الآخرين وإن كان شيخهم.

وفي المجال الاجتماعي ينسحب الأسلوب التربوي على كامل مواقف الشيخ في علاقاته المختلفة، مثل تقديم النصح للزائرين الذين يفدون إليه، ويظهر في نصحه تنوع أعمال البر والتقوى، إذ نصحه بقراءة القرآن والرغبة إلى الله من جهة والرأفة بالضعفاء من جهة أخرى، كما تظهر حكمة

الشيخ في التأثير على القلوب من خلال التنويع في أساليب الوعظ مثل استعمال أسلوب ضرب المثل في اتقاء الشبهات و تبليغ معنى الإحسان في عبادة الله.

ومن المواقف التي تدل على إخلاص الشيخ لقضيته التي من أجلها يعيش وهي نشر الدين وتعليم الناس الخير طلبه من أحد تلاميذه السفر معه ليساعده على تحمل مشقة رعاية أمور الناس، حيث شرح فيها الصعوبات التي يتعرض لها.

ومن أبرز الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ زيارة مواطن الإباضية وتعليم الناس الخير، ولهذا العمل أهدفا تربوية يحققها في تلاميذها مثل تصحيح أخلاقهم وأجسادهم، وتدريبهم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، إضافة إلى معاينة شؤون الناس الدينية والدنيوية والإصلاح بينهم وتوجيه من يعلمهم الخير من طلبته، كما كان من أخلاقه الكريمة إكرام المشائخ الذين يفدون إليه و السعي إلى إرضائهم.

كما كان حريصا على الحفاظ على استقرار الحالة الأمنية والهدوء داخل المجتمع في علاقته بالحكام خاصة بعدما كثر تلاميذه، كما أنه يحث في هذا الصدد على التحلي بالحكمة و عدم الخفة في النهي عن منكر خشية وقوع مكروه للناهي من طرف الحكام، كما ينهى عن التزلف للظلمة منهم.

الذكر:

ورد أن الشيخ كان يسمع المواعظ من أحد تلاميذه يقرأها عليه كلما همّ بالقيام بعد الفراغ من الحلقة[1]، يظهر الجانب الوجداني في سماع الموعظة من شخص آخر لما لها من وقع على القلب، أثر ذلك في النفس عندما يقرأها على أستاذه، ويظهر أيضا في ختم الحلقة بالموعظة.

ومن ذلك أيضا خوفه من زينة الدنيا وحرصه على الاكتفاء منها بالقليل، أذ أضافه أحد المشائخ وكان في زيارة، فبينما كان الخادم يختار أسمن الكباش، إذ وقف أكبرهم على رجله فبلغ قامة الخادم وكان هو الذي ذبحه، فقال الشيخ أبي عبد الله: (كيف يكون قلب من يأكل هذا من ماله، فكيف من مال غيره)[2]، أظن أنه يقصد حالة القلب من الغفلة التي ربما تعتريه عندما يتمتع بالملذات وينسى نفسه فيها.

ومن ذلك أيضا حرصه على الدعاء، وذلك عند الغرغرة أتى إليه تلميذه ورفيق دربه أبو الخطاب عبد السلام بن منصور وجعل يتحسر وقال:(إلى من تركتني يا أخي؟) فقال له: الدعاء[3]. وذكر الدرجيني[4] أنه نهاه عن التحسر وجعل يكرر كلمة الدعاء حتى فاضت روحه، وأما الشماخي[5] فقد ذكر ما ذكره أبو زكرياء.

يظهر الجانب الوجداني في حسن الخاتمة بالدعاء وهذا دليل على مواظبته عليه في حياته.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 266.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 270.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الإئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 306.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص228.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص588.

ومن ذلك نصائحه التي نصح بها زائرا فذكره بـ: (قراءة القرآن والمواظبة عليه والرغبة إلى الله والرأفة بالضعفاء. وقال له: احمل نفسك على مالك يحملك)[1]، إذ يظهر الجانب الوجداني في أن من أساليب التزكية: الورد اليومي و الرغبة إلى الله و اللطف مع الضعيف و وإنفاق المال في سبيل الخير.

الورع:

ورد عنه في تبسيط مبدأ الورع واتقاء الشبهات بضرب المثل، إذ سأله رجل عن مال له اختلط به شيء من الحرام هل يأكله أم لا؟ فأجاب الشيخ قائلا:(أرأيت حجرا رأيت فيه فأرا و يربوعا دخلته حية، أكنت تدخل يدك لتخرج الفأر واليربوع؟ قال له: لا مخافة الحية)[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعنى، يظهر الجانب الوجداني في ترسيخ مبدأ التورع عن الكسب الحرام من خلال التشبيه لتبيين الخطورة.

ومن تورعه عن أخذ الهبات و حرصه على أن تكون يده دوما هي العليا وأن لا يأخذ مكافأة على عمل خير قام به أنه حين ولد له مولود فأراد الناس أن يولموا له فأبى، وتحدثت إليه امرأة أبي القاسم يونس بن وزجون الويليلي لما بينه وبين زوجها من المعروف والمودة:(ولو نحن يا شيخ، أتجعلنا مثل غيرنا من الناس فقال لها أن لا يريد أن تكون يده السفلى بعد أن كانت العليا، استنادا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى)[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] بنفس المعاني، إذ يظهر الجانب الوجداني في حرصه ألا ينال شيئا من الدنيا بعلمه و مكانته عند الناس.

ومن ورعه وبساطته تسوية نفسه بالعزابة الآخرين وذلك حين استضافهم أحدهم وهم على سفر، فقدم لهم موائد الطعام ووجد في مائدته لحما كثيرا، فطلب من رجل بجنبه أن ينظر هل كل الموائد

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 360
2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 267.
3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 85.
4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 269،270.
5)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 89.

فيها نفس القدر أم لا، فلما لم يجد ذلك نهض وترك الطعام[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني.

وكان لا يقبل الهدايا وتصنع الناس له، إذ خرج يوما من ورجلان فأرسل إليه رجل لفائف و جمار[3]، فأكل الجمار وأعاد إليه اللفائف وقال: وما نحن والهدايا؟[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني بنفس المعاني[5]، ومن ذلك أيضا الشيخ أرسل رجلين ليشتريا له خادما، فلما علم التاجر أن المشتري هو الشيخ أنقص خمسة دنانير، فلما عاد الرجلان إلى الشيخ وأخبراه بذلك امتنع عن أخذ الدنانير الخمسة تحرجا[6]، و يظهر الجانب الوجداني في تحرجه من أن يكون عمله الديني لمصلحة دنيوية.

العبادة:

سأله رجل عن(أي شيء من الغنم يقدم للصدقة؟ فقال له: (ما تقول فيمن أعطاك أربعين شاة ثم بعد ذلك سألك أن تعطيه شاة واحدة، أيها تعطي؟ قال الرجل أحسنها. فقال له الشيخ، إن الله هو الذي اعطاك أربعين شاة، فأخرج للصدقة أحسنها)[7]، يظهر الجانب الوجداني في تعليم الأدب في عبادة الله والإحسان فيها باستعمال المثل، وفي استشعار نعم الله على الإنسان وأفضاله عليه.

وقد ذكر أن من أسباب ضيق الرزق المعاصي، إذ قال:(لا ييبس الزرع إلا بذنوب من يدعي الإسلام)[8]، ويظهر الجانب الوجداني في الدعوة إلى الالتزام الحقيقي بالدين.

ومن ذلك ما ورد عن حياة العزابة وقت العبادة مع بعضهم إذ كان في يوم من أيام رمضان يتناولون السحور فقال لهم:(اشتغلوا فيما أنتم فيه وأنا أرقب لكم الفجر) وذلك بعد أن ذهب

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 279.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 89.

3)الجمار: هو لب يكون في النخلة عند استئصالها ويكون في أعلاها وهو من المأكولات. أنظر: فيروز أبادي، القاموس المحيط، ص304. اما اللفائف: لا أعرف مرادها.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 279.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 90.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 280.

7) المصدر السابق، ص 267.

8)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 362.

بصره، فبينما هم يأكلون أمرهم بالكف عن الأكل، فلما رأوا وجدوه كذلك[1]، حيث يظهر الجانب الوجداني في أن الاجتماع على العبادة من أقوى المعينات على الطاعة، وأن فراسة المؤمن لا تخطئ، خاصة لأنه عود نفسه حين كان بصره صحيحا فاعتاد على ذلك وتمرن عليه.

و لتحقيق العبودية الحقيقية كان يحرض على تعلم مسائل الكلام:(أنظروا في هذه المسائل. يعني التوحيد والكلام والحجة لئلا تعبدوا غير الله وأنتم تصومون و تصلون)[2].

العلم والتعليم و التربية:

تبدأ قصة تنظيم حلقة العزابة كما مر سابقا بإرسال أبي زكرياء لأبنائه وابن اخته ومن معهم ليطلبوا من أبي زكرياء أن ينظم لهم حلقة يجلسون ويتعلمون فيها، رفض الشيخ الطلب في بداية الأمر، لكن بعد أن رآهم قد ألحوا ذات يوم وهم واقفون بجانب مسجد فمر رجل يتحدث مع آخر وهو ينادي: (اجعلها لله فمن جعلها لله فلا تضيع)، أو ما قاله الدرجيني:" أن رجلا خرج من الحامة إلى تقيوس يشيعه زميله، فلما افترقا نادى أحدهما الآخر: (أن يا فلان. فأصغوا أسماعهم إلى صوته. فقال له الآخر: لبيك، فقال له اجعلها لله لا تخب، أو قال: افعل فعلتك لله فلا تضيع)[3] فتفاءلوا بها، فعطف عليهم بها و طلب منهم ألا يسأله أحد ولا يجيب لأحد إلا بعد أربعة أشهر، وهي المدة التي قضاها في التفكير لنظام الحلقة، وهو في أثناء ذلك يستخير الله فيما يقدم ويؤخر[4] وبعد أن استحكمت الفكرة في ذهن الشيخ أمر طلبته أن يذهبوا إلى ريغ[5] لأن فيها أناسا رقاق القلوب قال فيهم:" إن ههنا أناسا رقاق القلوب وأرجو أن ينجع فيهم الإسلام وينبت فيهم الخير فهل لكم أن تنتقلوا إليهم" فأجابوا مسرورين مغتبطين، وطلب من شيخ فيها وهو الشيخ أبي القاسم بن وزجون الويليلي أن يحضّر لهم غارا ليتفرغوا فيه للحلقة والعزم[6]، وقد ذكر ذلك الدرجيني

1) المصدر السابق، ص 363.

2) المصدر السابق، ص 384.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 71 .

4)نفس الموضع.

5)أريغ: واحات شرقي الصحراء الجزائرية تسمى حاليا وادي ريغ. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 827.

6)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 265.

بعبارات أخرى مضيفا ضرورة التهيئة النفسية والفكرية حتى يتسنى العزم والاجتهاد في طلب العلم، وذلك حين طلب من الشيخ المذكور تهيئة الغار[1].

يظهر الجانب الوجداني في الإلحاح على الجلوس إلى الشيخ والتعلم على يده، وفي الأخذ بالفأل و تصديقه و العمل به والتسليم به لأمر الله، وفي التفكير و الاستخارة في شأن تنظيم الحلقة، وفي اختيار القلوب المناسبة لبذر الخير فيها، وفي اختيار الغار كمكان للتعلم و والتربية لتوفير جو من العزلة.

ومن ذلك أنه كان يربي تلاميذه على المكابدة في الدين والدنيا، حيث كان يتنقل بهم ويكابدون خلال ذلك مؤونة العيش لأنفسهم، ويجتهدون في دراستهم أيضا[2]، يظهر الجانب الوجداني في التربية على الشدة وتحمل المشقة في أمور الدين والدنيا.

وفي التفاف التلاميذ بشيخهم ما قاله رجل:" عجبا لهذا النفوسي وأصحابه، كمثل الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام"[3]، إذ يظهر الجانب الوجداني في شدة تعلق التلامذة بالشيخ والتفافهم به.

و في معرفة مسائل العقيدة أنه على الناس معرفة القيامة، إذ سأله أبو الربيع سليمان بن يخلف وهو بحضرة مزين:(هل على الناس أن يعلموا أن الدنيا ستفنى؟ فقال: اسمع يا مزين، على الناس معرفة البعث والقيامة، هكذا قال السلمون)[4]، إذ يظهر الجانب الوجداني في إبعاد العامة عن المواضيع الغامضة، وعرض الواضحات لهم مثل المعاد لأنها تهدف إلى السلوك.

ورد أنه كان في زيارة لمواقع الإباضية فمر على قرية فرآه أحدهم من بعيد فاتجه نحوه وصافحه وأدخله القرية، فأحسنوا ضيافته، وبعد العشاء جلسوا إلى حلقة يأخذون عنه المسائل حتى تعبوا، ثم جاءت النسوة وفيهن امرأة تقرأ الكتب وتدارسها، فجعلوا معه مجلسا في المسائل والوعظ حتى طلع الفجر، وعندما أراد الانصراف سبقه رجلان ليبشرا أهل لماية التي هو قاصدها بقدوم الشيخ

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 71 ، 1 72.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 266.

3) المصدر السابق، ص 270.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 362.

وينالا على ذلك أجرهما جزاء البشارة، فتهيأت القرية أيضا لاستقبال الشيخ والجلوس إلى علمه أيضا[1]، ومن الاحتفاء بالعالم أيضا ما كان من بني يهراسن في جربة حين أراد المغادرة فقرب أحدهم الدابة وأمسك الآخر الركاب كل ذلك تبجيلا لعلمه وتقواه[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني، يظهر الجانب الوجداني في الحفاوة التي يحظى بها العالم عند زيارته لقرية ما في الاستقبال والتوديع، وفي اغتنام الزيارة للمذاكرة والتناصح إلى أقصى حد، رجالا ونساء.

و في احتكام قوم إليه مع عالم لهم، إذ أن بني ورتيزلن[4] طلبوا من الشيخ أبا عبد الله قاضيا، فعين لهم أبا الحسن أفلح المادغاسني[5]، فمر زمن فاشتكوا إلى أبي عبد الله وأكثروا الشكوى، فبعث الشيخ إلى عزابتهم وغيرهم من أهل تلك الناحية أن يجتمعوا، فجلسوا في حلقة كبيرة وسكتوا طويلا، ثم أذن لهم الشيخ بالحديث فجعلوا يشكون وكلما شكوا أمرا سأل الشيخ أبا الحسن عن الأمر هل حقا أم لا فيقول له كل مرة: نعم، إلى أن انتهت، و شرع أبو الحسن في الإجابة عن شكواهم وكلها أسئلة فقهية، فلما انتهى وافقه الشيخ أبي عبد الله في كل ما قام به، وأراد أبو الحسن أن يحدث الشيخ عن القوم فمنعه، وحلف له ألا يقضي لهم مدة سبع سنوات وصرخ فيهم فتفرق كل إلى وجهته، و نهض أبو عبد الله مع أبي الحسن ودخلا غارا يتدارسان المسائل إلى الصبح، فقال الشيخ أبو عبد الله لرجل كان ينتظره عند الغار طيلة تلك المدة: منذ دخلت عنك إلى وقتي هذا لم يفتر لساني عن مسائل الأحكام ولم ينقطع سؤاله، إلا إذا أقمنا إلى الصلاة. فلا يقوم بسؤال العالم إلى العامل مثله. ثم قال هيهات إن جيرانك يتصارعون مع من لا يقدرون له على شيء[6]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[7] و الشماخي[8] بنفس المعاني، يظهر الجانب الوجداني في

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 268،269.

2) المصدر السابق، ص 269.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 86.

4)بنو ورتيزلن: أو بنو أورتيزلن، قبيلة بربرية إباضية تسكن قرب أريغ في القرنين الرابع والخامس. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 878.

5)أبو الحسن أفلح المادغاسني، متضلع في الفقه، ملازم لأبي عبد الله محمد بن بكر، (400هـ، 450هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 1 3.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 276، 279.

7)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص201 ،202.

8)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص573.

خضوع القوم في حضرة العلم و العالم، وفي مدارسة العلم ومناقشة الأحكام والصبر على ذلك في الغار طول اليل، وفي زجر العامة عن التعنت ومخالفة العلماء، وفي انتهاره القوم ومعاقبتهم لتعنتهم ومخالفتهم لأمر القاضي.

الزيارة:

ورد عن يعقوب بن أبي القاسم أنه وصل واجلان ولم يزر أبا يعقوب، فقال أبو عبد الله لمزين:(أنظر هذا يا مزين، سافر إلى وارجلان ولم يصل إلى أبي يعقوب) فعظم عليه ذلك فسافر إلى وارجلان لأجل ذلك وعاد فأخبره بأخبار الشيخ أبو يعقوب يوسف بن سهلون[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] بنفس العبارة والمعاني.

وكانت محافظة حلقته على خلق زيارة الإخوان لغرس أهداف منها: تربية التلامذة أثناء الرحلة على فعل ما يليق بالزيارة وآدابها، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و التوجيهات الأخلاقية لتجنب الاخلاق الدنيئة[4]

من أمثلة هدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الزيارة وردع العاصي حتى يتوب حين زاروا وارجلان، وذلك أن أهل وارجلان شكوا عن رجل من سراتهم منع عنهم الحق وفعل الباطل، فذهبت الحلقة إليه، فلما وصلوا أراد مصافحتهم فامتنعوا فنزل عن دابته فصار يتوب أمامهم، فلما وصلوا المنزل طلب منهم الدخول و وعدهم بفعل ما يريدون، فاشترطوا له أن ينزلوا بطرف المنزل حتى يرضيهم، فأضافوهم وقدموا لهم ثلاث نوق، وانتظروا الرجل حتى ينصف من نفسه لكنه لم يأت، فانصرفوا نحو أماكن أخرى في ورجلان يتبعون المنازل فيجتمع عليهم أهل المنزل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر إلى أن غادروا وارجلان[5].

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 365.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص245.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص600.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 285.

5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 286.

يظهر الجانب الوجداني في التأنيب على عدم زيارة الشيوخ، وفي الأخذ بالنصيحة والسفر من أجل العمل بها، وفي تدريب التلامذة على الأمر و النهي والتزام آداب الزيارة، وفي التشديد والصرامة في الهجر.

الحرص على الأمر والنهي وعدم الافتراق:

زار أبو عبد الله الشيخ أبا محمد بن زكرياء السدراتي[1] وقد ولاه أهل ورجلان أمورهم، وعندما كبر اعتزل أمور الناس في بيته، فسأله أبو محمد:(تقولون خير الرعاة راع ساوى بين القوي والضعيف)، فسكت قليلا ثم قال:(أليس يقولون اصطحب الناس على المكروهات لئلا يفترقوا؟) فقال له أبو عبد الله بن بكر في أمور الدين أم الدنيا؟ فقال له:(قد انتهى علمي إلى هنا. فأجابه بأن الخلاف يسع أمور الدنيا حتى يتعاشر الناس ويقل الاختلاف، أما في أمور الدين فلا، وذلك أنه لو كان يسع لما فرق الأوائل أئمتهم حتى قتلوا)[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في التشدد على الأمر والنهي في أمور الدين ولو أدى إلى الافتراق، وفي الأمر بالتسامح والمعاشرة بين الناس في أمور الدنيا، وفي اعتزال المجتمع بسبب التعب الذي ناله جراء قيامه بشؤون الناس.

النصيحة:

قدم الشيخ نصائح لزائر في التعامل مع الناس و في التقوى و في بر الوالدين وختمها بكلام عن أهل الدنيا و قلة أهل الآخرة فقال: (انتقلتم من موضع ترككم فيه والدكم إلى غيره، فكونوا للناس كما قال لقمان لابنه لا تكن حلوا فتبلع ولا تكن مرا فتلفظ. و اتقوا الله في والدتكم فإن حقها عليكم عظيم. فإنه قيل لو حمل أحدكم والدته على ظهره إلى مكة فحج بها ما أدى حق ضربة واحدة ضربها برجله في بطنها. أما والدكم فقد سلمتم من حقوقه إذا لم تدركوه. قال: فمد يده إلى ناحية أذني فأمسكني منها فأخذها. فقال اعلم أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم أهل الآخرة هم أهل

---

1)أبو عبد الله محمد السدراتي: من علماء سدراتة بوارجلان، تولاه الناس أمورهم، (400هـ ، 450هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 774.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 270.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01 ، ص1 88.

الدنيا. و الذين يزعمون أنهم أهل الدنيا فلا يصلحون لها ولا للآخرة. فما ظني بأخذه من أذني إلا لئلا أنسى ما حدثني به)[1].

يظهر الجانب الوجداني في هذا الموقف في الربط بين التقوى و بر الوالدين وعظيم قدر الأم، وفي الأخذ بالأذن كأسلوب تربوي لتأكيد المعنى الذي يريد الإشارة إليه، وهو صلاح الدنيا بصلاح الآخرة.

ومن النصائح أيضا ما قدمه لتلميذ حين أراد الرجوع إلى أهله بعد التعلم، إذ قال له:(اذهب إلى منزلك فإن وجدت من تقدمه في الأمور فاتبعه، فإن لم تجده ووجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى، فإن لم تجد ووجدت من سعى في الخير فكن إمامه، فإن لم تجد أحدا من هؤلاء فاستقم على الطريقة وحدك)[2]، وأضاف الدرجيني[3] أن يعتزل الناس في نهاية الكلام، دون أن يضيفه الشماخي[4].

يظهر الجانب الوجداني في نصحه بتحمل مسؤولية الدين وتبليغه، وفي الاعتزال والثبات على الطريق حين لا يجد من يسانده، و في الأمر بطاعة الأعلم إن وجد والتواضع له، و في التعاون في الخير ونشر العلم، والثبات على الطريق وحيدا و اعتزال الناس إن لم يجد من يسنده.

التحذير من البدع وزوال الدين:

رأى أحدهم في المنام أن الشيخ ينذره بموت الدين في المغرب، إذ رأى أنه ذهب إلى زوجة الشيخ يسألها عنه وبينما هما يتكلمان إذ أقبل الشيخ حكيل العين على فرس أدهم (ناعم الوجه،(...) فقال له: امض بنا. فقال: يا شيخ لست ماض بعد، فنظر إلي فقال: تركته للناقضين الذين يموت الدين على أيديهم، فتوجه نحو المشرق) وقد نقلت الرواية من الدرجيني[5]، وأضاف على الهامش

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 308.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 363.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص207.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص702.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص203.

المحقق: (يبدو في العبارة نقص ولعل الصواب هكذا: قلت لمن تركت المذهب، فنظر إلي فقال....) بسبب عدم وضوحها عند الوارجلاني.

يظهر الجانب الوجداني في أن نومهم و يقظتهم في سبيل استمرار الدين و التحذير من أسباب زواله.

إكرام المشائخ:

ورد أن جماعة من المشائخ مروا به على عجل فجهز لهم الضيافة بما يليق بهم، لكنهم أبوا إلا الانصراف، فقال الشيخ لأهل منزله:" مهلا عليكم ليس شيء أحب إلى نفسي من أن يأكلوا طعامي، وموافقتهم أحب إلي من ذلك"[1]، ومن ذلك أيضا حرص الشيخ أبي القاسم سليمان بن موسى[2] على إكرام حلقة الشيخ بأجود ما لديه من غنم حين سمع بقدومهم، لكن خادمه لم يرجع إلا بعد أن وصل المشائخ وغادروا، فلحق بهم إلى قرية مجاورة وأكرمهم وأحسن في ذلك[3].

يظهر الجانب الوجداني في الحرص الشديد على إكرام حملة العلم ومداركة الأمر.

النهي عن الدعاء بالسوء للمؤمن:

قال الشيخ ناهيا عن الدعاء بالسوء للمؤمن بالهلاك: (من دعا على المسلم أو ودّ له مصيبة في دنياه من المصائب والرزايا والنكبات أنه يهلك)[4].

يظهر الجانب الوجداني في حب الخير والنفع للآخرين، وفي قدسية الدعاء في حياة المؤمن وأنه لا يكون إلا لطلب الخير والنفع.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 285.

2)أبي القاسم سليمان بن موسى، لم أعثر على ترجمة له.

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 286.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 369.

تغيير المنكر:

كان الشيخ سعيد بن إبراهيم[1] في سفر مع العزابة فمرّوا بحي فيه (معازف ومناهي، فقام سعيد إلى معزف امرأة فكسره وخرقه، فإذا هي بنت عامل صنهاجة، فلما رأى العبيد والصبيان ذلك قاموا في العزابة يصيحون عليهم بعياط و مياط يطردونهم، فبلغ ذلك أخ العامل فركب إليهم. فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالقصة. فرد الغلمان والعبيد عن العزابة)، فانتقل العزابة إلى حي من أحياء مزاتة فأعلموهم بالخبر فأبدوا استعدادهم للدفاع عنهم [2]، لكن سعيد غادر الجماعة فرارا من الثأر وأرسل إلى العزابة يستحلهم فيما أوقعهم فيه، ولما علم أبو عبد الله بن بكر بالخبر قال:(ليس هذا برأي، كاد الرجل أن يستهلك العزابة) وأشار إلى ما ينبغي أن يفعله إلى حادث يشبهه حدث للشيخ ينكول بن عيسى[3] وكان مع الرفاق إذ ذهب إلى أهل المعازف فقال لهم:(يا قوم أتعبتم أنفسكم هذا وقت الرقاد والراحة، اتركوا السهارى وارقدوا كي تنتفعوا بما أكلتم) فقال القوم:(صدق العزابة) فانصرفوا[4].

يظهر الجانب الوجداني في التضحية في سبيل تغيير المنكر، وفي اعتذاره من الخطأ ومحاللته العزابة فيما أوقعهم فيه من حرج، وفي دعوة الشيخ أبي عبد الله إلى الحكمة في تغيير المنكر بتقديم مثال على ذلك، وفي استعمال الشيخ ينكول مبدأ المنفعة الحسية وما يميل إليه الناس في تغيير المنكر.

التعاون على إصلاح المجتمع:

قال لأبي الخطاب عبد السلام بن منصور حين أراد الرحيل بتلامذته إلى أريغ:(كن معي يا عبدالسلام فإن من يرفع الناس إليه حوائجهم ويدعونه مثل من كان في الحرب، لا غنى له عمن

---

1)سعيد بن ابراهيم، من علماء الجريد الغيورين والصالحين، (ق05هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 388.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 358.

3)ينكول بن عيسى، أو يكدول من علماء تاجديت، (توفي قبل440هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 041 .

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 358. ذكر الشماخي قصة تشبهها للشيخ أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي، أنظر: الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص 734.

يرعاه و يحرسه و يؤيده و يمده ويرفعه ويدعمه، ويداوي جراحه، ويسوي خلله، وإلا هلاكه وشيكاً)[1] ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] مع اختلاف بسيط في الألفاظ.

يظهر الجانب الوجداني في استعمال معاني: الرعاية، التأييد، المدد، الرفع والدعم، مداواة الجراح، تسوية الخلل، الهلاك الوشيك. كل ذلك ما يلاقيه في سبيل رعايته شؤون الناس، وفي تودده وطلبه من تلميذه المساعدة.

التخفي عن أعين السلطة:

كان يوما في زيارة لمواقع الإباضية، فاجتمع عليه كثير من الناس في قسطالية، فخاف أن يسبب مشكلة مع المخالفين فاستغفلهم وأعطى لأحد أصحابه بغلته ولأخر سرجه وأخذ طريقا آخر وتواعدا في مكان واستمروا زيارتهم وسفرهم.[4]

يظهر الجانب الوجداني في خوفه أن يوجه الأنظار أو يجرّ ضررا لمن معه أو لأهل القرية التي زارها باستفزاز المخالفين.

النهي عن التزلف للظلمة:

سأله أبو الربيع سليمان بن يخلف:(عن الأكل بالدين ما هو، وهل هو مثل الذي يفعله أهل الدعوة و يصنعونه بجماعة التلامذة مثل الدولة وغيرها من الأبرار والضيافة والقرى والمعروف والمواساة؟ قال: ليس كذلك إنما هو ما يصنع الناس لمن يرفعون إليه حوائجهم إذا احتاجوا، فيصنعون له الجميل ويعز عليهم ويكبر، وإذا لم يحتاجوا إليه رفضوه ونبذوه وتركوه جانبا ومن خاصمهم خائبا كالعيدان والميزان نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار)[5].

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 304.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص226.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص587.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 267.

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 309.

مما اتضح من النص أن خدمة التلامذة ليس من الأكل في الدين لأنه لا مصلحة دنيوية ترجى من وراء ذلك لمقدم الخدمة، أما الأكل بالدين هو التقرب إلى الحكام لأجل مصلحة يقضونها ولو كان ذلك على حساب الدين كأن يكون الحكام خارجين عن طاعة الله، ويظهر الجانب الوجداني في ربط هذا التزلف إلى الظلمة بالنار وغضب الجبار، وفي الدعوة إلى الاعتناء بالتلامذة والقيام بشؤونهم و مواساتهم.

الكرامات:

وردت عن الشيخ كرامات وأخبار غريبة تحمل مضامين مختلفة، من المضامين إكرام المشائخ، إذ ورد أن مشائخ ضيوف قدموا إليه ولم يكن له ما يذبحه لهم، فوجد في العريش كبشا سمينا لم يكن فيه من قبل، فلما أتى الرعاة أخبروهم بأنه قد هبت زوبعة وفقدوا كبشا كبيرا[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني، أما الشماخي[3] معلقا على أن الحكاية رويت عن جماعة ممن لا يرد ما ذكروا وأن مثلها لأبي عبد الله لا تنكر.

ومن الأخبار أيضا ما كان في سبيل الإصلاح الاجتماعي أن امرأة كانت تخدم التلامذة، وكان لها زوج قد هجرها وتركها معلقة، فأرسل الشيخ أحد تلامذته ليتابع الأمر، فذكرت كتب السيرة ما كان له من كرامات مثل النجاة من اعتداء قطاع الطرق، واتصال بالجن إذ علمه شيء من الأذكار، وكل ذلك ببركة الشيخ وسعيه في سبيل إصلاح شأن المرأة[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] بنفس التفاصيل والمعاني، مع بعض الاختصار في الصياغة عند الشماخي[6].

يظهر الجانب الوجداني في الحرص الشديد على إكرام الضيوف أحسن إكرام بالرغم من قلة ذات اليد، وفي لطف الشيخ بالمرأة والسعي في حل مشكلتها، ويتضح أيضا في دور المرأة في المجتمع

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 273.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 98.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص 570.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 276.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 98، 200.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص 571 ،572.

حيث كانت في قرية من القرى الخاملة التي مر بها تلميذ الشيخ أبي عبد الله امرأة عالمة تعلمهم، كما أن من أدوار المرأة خدمة التلامذة و العزابة.

عن أبي محمد كموس الزواغي[1]:

أثر الزيارة على النفس:

زاره يوما عمروس بن عبد الله الزواغي[2]، فقال أبو محمد:(آثرك الله يا عمروس قد زرتني وأزلت عني الوحشة. قال عمروس: وهل نزيل الوحشة نحن أهل هذا الزمان؟ قال أبو محمد علام تقول ذلك؟ أليس قد قالوا: من يصلي الصلوات الخمس قد ملأ ما بين السماوات والأرض عبادة[3]. ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في أن من آثار الزيارة إزالة الوحشة، وأن في الناس كل الخير ما داموا يحافظون على فرضهم.

عن أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي[5]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم أخبار الشيخ نموذجا آخر عن حياة مفعمة بالوجدان الوقاد الدافع إلى الخير، حيث إن البداية كانت محرقة محفزة لتغيير جذري في حياته، تدل على وجود استعداد داخلي لهذا التغير من جهة، و على تواجده في بيئة تجعل من النصح أساسا في التعامل بين أفرادها، وتستعمل من الطبيعة المحيطة بها رموزا لتقريب مفاهيم عميقة عن الحياة و عن دور الإنسان في الوجود.

---

1)أبو محمد كاموس الزواغي، من تلاميذ يسجا بن يوجين، وهو عالم من علماء جربة، تونس، (ت: 431 ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 757.

2) عمروس بن عبد الله الزواغي، لم أعثر على ترجمة له.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 288.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص706.

5)هو أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري، دخل باب العلم متأخرا، استشهد في غارة، (400ه، 450ه). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 593. هذا العلم هو بداية الجزء الثاني من كتاب السيرة واخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب.

بعد تحوله الجذري ظهر الصدق والعزم في العبادة وطلب العلم، أما في العبادة فكان يلتزم العزيمة ويجتهد في العمل بها مع وجود الرخصة، ويعتقد أن عدم الأخذ بالعزيمة من خصال العاجزين، وكان يتحسر من ميل الناس إلى الرخص، ومن زهده في الدنيا بعد أن كانت غايته أنه يكره أن يتجمع المال في يده بشكل كبير، كما أنه قال عن نفسه أنه لم يستلف من أحد مالا قط إلا مرة واحدة، و هذا دليل على مراقبته تفاصيل حياته ومحاسبة نفسه.

أما في طلب العلم فيظهر من خلال الأخبار الواردة عن الشيخ أن له قيمتان أساسيتان في حياته حول العلم و العمل الصالح هما: أهمية النية في العمل أكبر من العمل بدون نية مهما كان عظيما، والاشتغال بالعلم الذي ينفع في العمل أولى من الاشتغال بغيره. كما أنه أبدى حرصا وحذرا من القول في الدين ما ليس فيه عندما تضعف قواه الذهنية وأن يعتزل الناس قبل أن يعتزلوه.

بعد أن تضلّع الشيخ في العلم واستدرك ما فاته في شبابه من صلاح أصبح قدوة في النصح والنهي عن المنكر ولو مع أعز أقربائه. وكان شديد التحسر على ضعف حال المسلمين الذي كان سببا في ذهاب حرمة الإسلام.

التوبة:

كان راعيا للغنم بعيدا عن منهج الله، وكان تحوله بسبب شيخ التقى به و أشار له بمعاني، حيث قال له:(اعلم أن غنما ترعاها لحية خير غنم، وأن لحية تتبع الغنم شر اللحا) فأثرت فيه الكلمات فقصد علماء جربة للتعلم، ثم رجع فالتقى به ثانية فقال له الشيخ:(اعلم أن الجمال تبرك للأحمال وإنما التفاضل فيمن يبلغ) ثم رجع مرة أخرى للتعلم، ثم عاد إلى أهله والتقى بالشيخ مرة أخرى فقال له:(اعلم أن الغدران تأخذ الماء، وإنما التفاضل فيمن يمسك ويجوز ما أخذ) فعاد إلى العلماء ومكث عندهم وتعلم قدرا كبيرا حتى صار من الفقهاء السبعة المسمون بأهل الغار[1] وهو غار أمجماج[2].

1)غار أمجماج هو غار استعمل لتأليف ديوان، يقع بحومة مجماج في جهة من جهات جزيرة جربة غربي الحارة الصغير. أنظر: الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة، ص1 67.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الإئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 284.

وقد ذكر ذلك الدرجيني مع مقدمة روحية لطيفة حيث قال:(أحد من نظر فأبصر واستبصر، واذّكر بعد حين فتذكر تلافى الفوات بعد حين، واعتاض الإجهاد بما ضيع عدد سنين، واطمأن بعد الحزن إلى السهولة، وعالج ما يعالج الشاب وهو في الكهولة، يسر الله له الورود من منهل الوعظ فارتوى، وبادر ولم يتباطأ وجد ولم يثن عن طلب الخير عنانه، ولا أزاح من الاجتهاد فكرته و لا جثمانه، حتى أصبح من العلم مفعم الوعاء ومن القرب من ربه أهلا لإجابة الدعاء)، ورد في الهامش من طرف المحقق لكتاب الطبقات أن المقصود بالتوبة هو (رجوع الشيخ إلى سير أهل الدعوة وعدم الاشتغال بالدنيا ومطالبها) [1]، وهي مختصرة عند الشماخي[2].

يظهر الجانب الوجداني في أن المجتمع مقسم إلى أهل العزابة وأهل الدنيا، وفي الحث على الطلب الحقيقي للعلم وحسن رعايته وتبليغه، وكيف أن النصيحة حولت مجرى الحياة، وجعلت لها معنى، وفي الاجتهاد الحثيث في سبيل طلب العلم رغم كبر السن وقلة ذات اليد.

الزهد:

ورد عنه في القناعة والاحتياط من الاستدانة أنه قال:(ما استلفت قط دينارا غير دينار واحد وقد رددته بعينه)[3]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[4] مع إضافة تعليقات تبرز الغرض العقدي من السلوك مثل الرضى بما قسم الله له، كما أنها عند الشماخي[5] مختصرة.

ومن اطراحه للدنيا وزهده فيها ورغبته عن المال الكثير أن راعي غنمه قدِم إليه فسأله عنها، فقال الراعي:(بخير إن أصابت العافية إلى قابل تستكمل المائة) فقال له أبو محمد:(ما أحب أن تستكمل مائة شاة كما لا أحب أن أكون يهوديا)[6]، وقد ورد ذلك عند الدرجيني[1] و الشماخي[2] بنفس المعاني.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص220،221 .

2)الشماخي، المصدر السابق، ص584.

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 285.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص222.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص584.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 285.

العبادة:

كان يغتسل بالماء و يتيمّم لوجهه إذ كان يعاني من عمش في عينه يضرها الماء، حرصا منه على أداء العبادة على أكمل وجهها ونفورا من رخص العاجزين، و يذكر أنه بنى في منزله أربعة حمامات لتلافي الرياح، كلما كانت من جهة ذهب إلى حمام الجهة الأخرى، فقيل له:(فلا يجزيك التيمم؟) فقال: (تلك المسألة للعجزة لست آخذها)[3]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[4] ذلك بنفس المعاني، و ذكرها الشماخي[5] مختصرة.

وفي تحسره على ميل الناس إلى الرخص أنه كان يتذاكر الفوائد وصنوف العلم مع زملائه العلماء حين زاروه يوما، ومما اشتكى منه عدم التورع في الإتيان بالتكاليف على أحسن وجهها، ذلك ما قاله لأبي عمران موسى بن زكرياء:(ما عاش الناس في هذا الزمان إلا بالحملان) وقال الآخر – وأحسبه أبا عمران- :(أتشك في؟ إنما يكون الحملان في الطهارات والنجاسات، وأما أموال الناس فلا)[6] وقد ذكر الدرجيني[7] الكلام واضحا ومفصلا، حيث وضح أن المقصود بالحملان: حمل الأشياء على أسهل وجهها، أما الشماخي[8] فقد عبر عن الشكوى بالضيق وكثرة الريب الذي وقع فيه الناس وأعاد ما ذكره السابقون بلفظ مغاير، و يظهر الجانب الوجداني في استغلال الزيارة لرصد أوضاع الناس وحالهم مع الدين.

و مما تذاكره مع رجل في أهمية النية في العمل وانها أهم من العمل نفسه حين سأله الرجل (عن العبادة ما هي؟ فقال: العبادة نية، فهكذا أنا لا أقرأ إلا ربع القرآن. وداود ابني قد حفظ ما بين الدفتين، وها هو الفرس في الفتنة)[9]، و ذكر ذلك الدرجيني[1] مبرزا أهمية تقوى الله مع كثرة قراءة

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص222.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص584.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 285.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص222.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص584.

6)الوارجلاني، المكان نفسه.

7)الدرجيني، المكان نفسه.

8)الشماخي، المكان نفسه.

9)الوارجلاني، المكان نفسه.

القرآن، إذ لا تكفي القراءة وحدها، وأبرز أيضا ما ذكره الوارجلاني في شأن ابنه الذي خرج عما كان عليه أبوه، لكن أباه اهتم به واغتم ودعا له وكان ينهى أبناءه أن يعاضدوه حتى لا يكونوا مثله، حتى هداه الله، وأظن أن ابنه هذا كان يحمل أفكارا تخالف مذهب أبيه، إذ وصفه الدرجيني قائلا(يقصد في ذلك ما يقوم به ابنه عما ليس هو بسبيله)، أما الشماخي[2] فقد ذكر كل ذلك باختصار شديد مبرزا أهمية الإخلاص إلى جانب الاجتهاد في العلم.

الورع:

ورد عنه أنه قال:(من العلماء من يقول: إذا أحسّ الرجل في عقله نقصانا من علة أو كبر فلا يجوز أن يفتي الناس العلم، وقد أخذت أنا بذلك). (وكان يقول: إني سأترك الناس قبل أن يتركوني. وقد مد الله لي في العمر و أنسأني في الأجل)[3]، ذكر ذلك الدرجيني[4] و الشماخي[5] لكن لم ينقلا كلام الشيخ مباشرة بل بالمعنى، يظهر الجانب الوجداني في تحرزه عن القول في الدين في كبره خشية الوقوع في الخطأ.

العمل بالعلم:

ومما تذاكره أيضا من الفوائد ما قاله للشيخ ماكسن بن الخير حين كان ذاهبا إلى جربة في شأن الأولى بالتعلم (فسأله: في أي باب أنظر أمن علم الكلام أم الفقه؟ فقال لي: أنظر في الكل أي بني، فإنك تحتاج إلى ذلك كله. قال: فقلت له: إن لم يحتمل ذهني ذلك كله؟ قال: دينك إذا أي بني)[6]. وقد ذكر ذلك الدرجيني[1] وبين أن الشيخ يشير إلى أولوية علم الفروع، وذكر الشماخي[2]

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص223.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص585.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 291 .

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص224.

5)الشماخي، المكان نفسه.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 286.

أيضا ذلك باختصار مؤكدا أن الدين هو علم الفروع، و يظهر الجانب الوجداني في الاهتمام بالعمل بالعلم أولى من الزيادة في العلم.

الحرص على قوة الدين ماديا:

مر الشيخ ماكسن بن الخير مع جمع له إلى مزارع وكانت عليهم ثيابا رثة وبالية، فمروا على أبي محمد عبد الله بن مانوج فصوّب بصره إليهم وقال:(آه، قلت الأموال وذهبت حرمة الإسلام) ظنا منه أنهم في فقر وفاقة، فقال له الشيخ ماكسن:(يا شيخ تركنا ثيابنا في جربة و خرجنا بهذه إلى الحرث). فقال:(نعم إذا نعم إذا)[3]، يظهر الجانب الوجداني في تحسر الشيخ على أن الضعف المادي للمسلمين يسبب الضعف للمسلمين، وفي اشتغال العلماء بإصلاح معاشهم بأنفسهم.

النهي عن التساهل في الديون:

زاره عبود بن منار ذات مرة فسأله عن أحواله (فقال: أنت عظيم في نفسي يا عبود. فكيف أنت و كيف حالك؟ قال عبود: بخير يا شيخ غير أن ديونا كانت علي. فانتهره أبو محمد فقال: له إن كانت عليك ديون فتأتيني؟ أبعد عني يا عبود) فنهض من عنده مباشرة ليبيع غنما ومطمورة شعير له ليقضي بها دينه، ثم إنه مات بعد قضاء دينه بأيام بسبب غارة للنكار ومات فيها شهيدا، و أن زيارته لأبي محمد كانت فضلا من الله ونعمة، وأنه رآه أهل الصلاح في المنام فقال له: مضيت وتركتنا يا عمي عبود، فقال: لا تقل ذلك فإني تركت فيكم سليمان بن يخلف نذيرا بعدي [4]، ذكر ذلك الدرجيني[5] بنفس المعاني، وذكر ذلك الشماخي[6] أيضا موضحا أن سليمان بن يخلف هو أبو الربيع صاحب السير.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص223.

2)الشماخي، الموضع نفسه، ص585.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 289.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 287.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص223، 224.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص585. أنظر أيضا: ص 603.

يظهر الجانب الوجداني في الانتهار والتشديد في التساهل مع الدّين، وفي دور الرؤيا في تعظيم العلماء وإبراز شأنهم.

النصيحة:

نصح رجلا يدعى عمروس بن عبد الله الزواغي، (فقال له: اتق الله يا عمروس فإنها لك جُنة وأحسن معاشرتك للناس، قال أي الناس تريد؟ قال نعم فهمت ما قلت. المسلمون هم الناس)[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] مع اختلاف عوض أن يعرف الناس بالمسلمين عرفهم بالصالحين، كما أن الشماخي[3] ذكر الرواية الموجودة عند أبي زكريا مع شيء من الاختصار في حديثه عن عمروس الزواغي، قد يقصد في رواية أبي زكرياء بالمسلمين الإباضية، وقد يقصد بها عند الدرجيني أهل الصلاح مطلقا وهو الأحسن، يظهر الجانب الوجداني للنصيحة في ربط التقوى بحسن المعاشرة، وفي التأكيد على رابط الدين بحسن العشرة.

عن أبي محمد عبد الله بن الأمير[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ في عمومها بالحرص على العبادة بمفهومها الشمولي الذي لا يفصل بين الأعمال الشعائرية والسعي في سبيل الحاجات اليومية، فهو بذلك يقدم النموذج المثالي للمؤمن الرباني المحافظ على نوافله أثناء نشاطه الدؤوب في حقله، ومن مظاهر المفهوم الشمولي للعبادة:

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 288.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص224.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص706.

4)أبو محمد عبد الله بن الأمير، من خلال الأحداث التي وردت عنه من لماية، رضوى، جزيرة جربة. لم أعثر على ترجمة له.

تقديم بر المشائخ وإرضائهم وزيارتهم باعتبارها من الفرائض على إتمام صوم النافلة، ومن ذلك أيضا اعتقاده أن إكرام دابة الضيف هو إكرام للضيف.

تتميز حياة الشيخ إضافة إلى ما ذكر بالتشديد في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال استعمال التخويف من عموم البلاء بسبب المعصية التي لم يُنه عنها.

موعظة للقوم:

كان يعض أهل لماية فقال:(حسبنا الله أن نؤاخذ بذنوبهم يا لماية[1]. ويقول: من فم أبي صالح إلى أذني الويل لي إذا ظلمته: السخطة تعم والرحمة تخص، يهلك الصا بذنب الطا، وقال: ﴿**ثم صرفكم عنهم ليبتليكم**﴾[2]، وقال:﴿ **إنما استزلهم الشيطان بغير ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم**﴾[3]، تبيانا: وفيهم رسول الله ومن يريد الآخرة)[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] بنفس المعاني مع بعض الاختلاف في الصياغة، كما أن الشماخي[6] أورد الرواية مختصرة، لكن لم يوردا التبيان الموجود بعد الآية الثانية، يبدو أنها إضافة من الناسخ.

العبادة:

ذهب أبو الربيع يبحث عنه في منزله، فوجده مشتغلا بالحصاد في مزرعته وقد وضع رداءه، فلما أحس بأبي الربيع ذهب إلى ردائه فلبسه و أظهر بعض الاعتذار من ذلك. فسأله أبو الربيع:(ما في ذلك من بأس، أليس هو العمل من الحلال؟) فتحدث عن شيخه أبي صالح أنه كان وقت الحصاد حين يرفع الحصاد على ناقته، فإذا صادف وقت صلاة الضحى، أناخ ناقته ووضع عنها

1)لماية: يطلق هذا الاسم على قرية تقع غربي طرابلس 27كم، وعلى قرية أخرى بجزيرة جربة(الماي)وعلى موضع بناحية قابس (لماوة). والموقع المعني هو موقع جزيرة جربة، لكن الشيخ منه. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 868.

2)آل عمران، الآية: 1 52.

3)آل عمران، الآية: 1 55.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 290.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص235.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص593.

الحمل و ركع ركعاته ثم واصل سيره، وقال:(فهكذا يكون العمل في الحلال إذا لم يضر بعمل الآخرة)[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] متميزين في عرضهما الحوار بطريقة واضحة.

يتضح البعد الوجداني في الاجتهاد في أداء النافلة وقت العمل، وفي الرفق بالحيوان و الرحمة به، إذ كان بالإمكان أن يدع الحصاد فوق راحلته أثناء أدائه الصلاة، وفي السعي في شؤون المعاش والجد فيها.

فضل زيارة المشائخ:

زار يوما عبد الله بن الأمير عبد الله بن مانوج في يوم جمعة فقدم له لحما مطبوخا فأكله وكان صائما، موافقة للشيخ، فقدم رضا الشيخ الذي اعتبره فرضا على صوم النافلة[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] مع توضيح جلي لمقصد الشيخ ونيته، كما أن الشماخي[6] عبر عنه بموافقة قلب المؤمن وإدخال السرور عليه.

المبالغة في إكرام الضيف بإكرام دابته:

زاره أحدهم فأمر أولاده أن يطعموا دابة الضيف، فأخبره الضيف أنه قد علفها في طريقه، وأنها لا تعلف كثيرا، فقال له إنه قد كان له نفس الموقف مع أبي محمد عبد الله بن ما نوج فقال له:(يا عبد الله علف دابة الضيف، هو علف لصاحبها)[7]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[8] بنفس المعاني

---

1)الوارجلاني، المكان نفسه.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص236.

3)الشماخي، المكان نفسه.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 289.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص235.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص593.

7)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 291 .

8)الدرجيني، المصدر السابق، ص236.

والعبارات تقريبا، أما الشماخي[1] فقد قال في النهاية:(فإن علف دابة الضيف يا عبد الله أهم من طعامه) وفي الروايتين فرق في المدلول إذ الأولى تشير إلى المبالغة في إكرام الضيف والثانية تشير إلى الرفق بالحيوان والاهتمام به.

عن أبي جعفر أحمد بن خيران الحامي[2]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ الوجدانية بالمجاهدة والمثابرة في الأعمال الصالحة بالرغم من الشواغل بشهادة الشيخ أبي عبد الله، ومن ذلك حرصه على إنفاق ماله و إكرام الضيف وعابري السبيل، ومن أخلاقه أيضا المسامحة والعفو و لين الجانب مع كون الحق إلى جانبه.

قدم لنا الشيخ تصورا جديدا لألم الكائنات التي بجانب الإنسان، حيث اعتبره نذيرا للإنسان من عذاب الله كي لا يقع في الجرم.

الاجتهاد في العبادة:

كان أبو عبد الله محمد بن بكر يضرب به المثل في اجتهاده في العبادة والسخاء والورع رغم المصاعب والمشاغل و أنه مقل وفي بيئة ملهية فيقول:(قطع عذركم أبو جعفر يا أهل قصطاليا[3] إن قلتم كنتم مقلين فأبو جعفر مقل مثلكم، وإن قلتم كنتم على ممر الطريق والسوق فأبو جعفر كذلك)[4] ذكر ذلك الدرجيني[5] و الشماخي[6] بنفس مع اختلاف العبارة.

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص594.

2)أبو جعفر أحمد بن خيران الحامي، لم أعثر على ترجمة له.

3)قصطالية: أو قصطيلية، أو قصطلية و هي بلاد الجريد. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 865.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 297.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص224.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص586.

تظهر الملامح الوجدانية في قوة الشيخ الوجدانية التي مكنته من الثبات رغم الصعاب و الملهيات، وفي تربية الناس بالقدوة الصالحة وتشهير السابقين في عبادة الله والتصغير من العراقيل لرفع الهمم، وأن من أهم العراقيل على التقوى والورع الفقر والبيئة الملهية.

إكرام الضيف:

كان إذا صلى العشاء يتأخر بعد خروج الناس فيفتش زوايا المسجد بعكازه ينادي: هل ههنا ضيف؟ إياكم من المبيت بلا عشاء[1] ذكر ذلك الدرجيني[2] مع إضافة أنه كان ينادي في الناس ثم بعد ذلك يطوف بنفسه المسجد بعد خروج الناس باحثا عن عابر سبيل، وذكر ذلك الشماخي[3] مختصرا.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على الصدقة وهذا دليل على المثابرة في أعمال البر و الصالحات ونفع الخلق.

ومن جوده وكرمه أنه مر عليه في يوم من الأيام أبو الربيع سليمان بن يخلف وعبود بن منار، فأدخل يده في جيبه وقدم دراهم لأحدهما وقال له:(امضيا إلى السوق واشتريا خبزا نقيا حراري) ورد في الهامش أن الخبز الحراري هو الخبز الجيد المصنوع من القمح تمييزا عن المصنوع بالشعير، فقالا له بأنهم تغذيا بعد. فقال الحمد لله ورد الصرة في جيبه[4]. ذكر ذلك الدرجيني[5] و الشماخي[6] مع بعض الاختلاف في اللفظ، يظهر الجانب الوجداني في العلاقة الحميمية بينهم واهتمام بعضهم ببعض.

1)الوارجلاني، المكان نفسه.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص225.

3)الشماخي، المكان نفسه.

4)الوارجلاني، المكان نفسه.

5)الدرجيني، المكان نفسه.

6)الشماخي، المكان نفسه.

الذكر:

كان الشيخ عبود الكزيني[1] معه في سفر فضاعت له ناقة بسبب اضطرابها بألم المخاض، فخرجا يبحثان عنها، فوجدا أن الذئب قد أكل ما بين عجافها وذنبها وهي تتألم، فأوقفاها وأخذاها إلى المدينة، وكلما رفعت رجلا نزل الدم، فسأل أبو جعفر الشيخ:(ما هذا يا شيخ؟ كيف تصيب هذه البهائم ولا جرم لها؟. قال الشيخ: نعم يفعل الله ذلك بالبهائم و الحيوان ومن لا جرم له لهؤلاء الذين يحتملون الاعتبار ليعتبروا بما نزل بمن لا ذنب له) ثم أمر أن يبيعها ويستثني من ثمنها ثمن الرطل الذي أكله الذئب منها[2].

يظهر الجانب الوجداني في السؤال عن حكمة الله فيما يقع في الحياة اليومية وهذا دليل على الإيمان الراسخ، واليقين في حكمة الله وعدله، ويظهر أيضا في الرؤية الكونية التي تدل على أن كل ما يحدث في الكون لخدمة الإنسان، وأن الله إنما جعل الله الآلام في الكون ومن ليس له جرم ليعتبر الإنسان ويحذر من الجرم.

العفو و الصفح:

ورد أنه قدم بذورا لرجل ليزرعها له في أرضه، وكان كلما لقي الرجل سأله عن زرعه طمأنه أن زرعه بخير، وفي يوم من الأيام ذهب لزرعه فلم يجد شيئا، فلما لقيه قال له الرجل: (يا عمي أبا جعفر، أزرع لك الزرع ويموت أولادي جوعا؟) فخرج أبو جعفر يقول سلاما سلاما[3]. وقد ذكر ذلك الدرجيني[4] و الشماخي[5] بنفس المعنى مع اختلاف العبارة.

---

1)رجل فاضل، استشهد في معركة باغاي سنة 358هـ أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 61 0.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 299.

3) المصدر السابق، ص 29

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص225.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص586.

يظهر الجانب الوجداني في العفو والصفح والتمثل بقول الله تعالى في شأن المؤمنين أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

عن أبي عمران المزاتي[1]:

زيارة العلماء من أجل الفتوى:

زار هو وأبو جعفر أحمد بن خيران الحامي "الغاية" وهي امرأة عالمة، وهي زوجة الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد الوسياني، فسألته عن حكم امرأة نزلت الوادي واصطحبت غيرها و دخلت الماء بثيابها ووضعت سترا عليها. فقال لها:(أيما امرأة ذهبت إلى الوادي فاغتسلت فيه ستعوم سبعة أودية من النار) فلما سمعت ذلك تغير لون وجهها. فقالت: هل من رخصة؟ فرخص لها إذا فعلت ما ذكرت من السترة والحارس، فهذه المرأة قد تغير لون وجهها من سماعها الوعيد ولم يتغير حين سعمت بوفاة ابنها في سفر[2]. ذكر ذلك الدرجيني[3] و الشماخي[4] مع بعض الاختلاف في تفاصيل الحوار.

يظهر الجانب الوجداني في اغتنام الزيارة لتبادل المعارف و الجلوس إلى أهل العلم و العلماء، استعمال الوعيد في الحكم الفقهي، ويظهر أيضا في حالهم مع آيات الوعيد و كأنهم يرونه رأي العين.

---

1)أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الزمريني، رأس من رؤوس العلم في تجديت، تعلم على يد أبي صالح بكر بن قاسم، كان صاحب حلقة علم، وهو أحد الشبعة الذين ألفوا ديوان العزابة بغار أمجماج، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 923.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 298.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص231 .

4)الشماخي، المصدر السابق، ص590.

عن أبي نوح سعيد بن يخلف[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ بالاحتراز في أمور الدين والتواضع وقوة الشخصية، يظهر كل ذلك في محاربة مظاهر التساهل في أمور الدين في التصرفات الناس، كما أنه يرى إلى نفسه نظرة تقليل من شأنها خشية الوقوع في الغرور إلى جانب ذلك لا يقبل من يواجهه بالمحقرة وهذا من مميزات الشخصية السوية.

كرامة رؤيا:

اتهم رجل يدعى خليفة العاصمي أبا نوح بسرقة الصدقات بالرغم مما لديه من أموال، فرأى في المنام في ليلته أنه كشف عن كتفي أبي نوح، ثم استيقظ وفي فمه نتانة اللحم ومراراته فبزق فلم يغن عنه ذلك، فمضمض في الوادي فلم يجد ذلك نفعا، قال فذهب إلى الشيخ إلى قبره وحكى له القصة فغفر له وقال:(أنت في حل وقد علم الله أن تلك الأموال للنساء) فزالت المرارة عن الرجل[2].

يظهر البعد الوجداني في توظيف الرؤيا في تصحيح الاخلاق وانها تجسيد لما تنص عليه الآية القرآنية في موضوع الغيبة والتحذير منها.

العبادة:

روي عنه أنه كان يخصص ثيابا للصلاة يضعها في خرجه و لا يفوته ذلك حتى في سفره، وأنه كان بمسجد من مساجد وارجلان يوما فرأى رجالا يصعدون من الساقية حفاة بعد اغتسالهم ووضوئهم يمشون على الطين ومبارك الإبل والغنم فانتهرهم وحذرهم من زوال المذهب بمثل هذه

---

1)أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي المدوني، علم من أعلام مزاتة، (350هـ، 400هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 41 2.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص300.

التصرفات[1]. ذكر الدرجيني الموقف الأول في موضع[2] بنفس المعاني والموقف الثاني في معرض كلامه عن موقف يشبهه في المقصد لأبي عمران المزاتي[3].

العلم:

و في تواضعه لمن هو أعلم منه أنه كان مع سعيد بن زنغيل[4] يتناقشان في مسألة فقهية فأخذ كل منهما موقفا، بينما هم كذلك دخل عليهما أبو عمران موسى بن زكرياء فقال سعيد بن زنغيل:(قد جاء من هو خير منا) فوافق أحدهما[5]. ذكر ذلك الدرجيني[6] و الشماخي[7] مع اختلاف في العبارة.

الزهد و عزة النفس:

قال يوما:(لا تسمى نفسي عندي هذا كله – وعقد يديه الصفقة- ولا أحب مع ذلك من يواجهني بالمحقرة)، ومن تواضعه أنه كان يقوم بنفسه بالأضياف ولو مع وجود أولاده، وإذا قيل له اجلس. قال:(إن الرجل يقف للبهائم كيف لا يقف للرجال)، وإذا استضافه رجل قال لمن وقف عليه:(اجلس فإن الوقوف على الضيف مشتت لذهنه ولزوم له)[8] ، يظهر الجانب الوجداني في تواضعه وتصغيره لنفسه من جانب، و أنفته وغيرته و عزته واحترامه لنفسه من جانب آخر.

---

1) المصدر السابق، ص301 .

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 88.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص232.

4)أبو نوح سعيد بن زنغيل، نشأ في الجريد بتونس، واستوطن وارجلان بالجزائر، علم من أعلام الإباضية، أوائل القرن الرابع هجري، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 390.

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص301 ،302.

6)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص232.

7)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص590.

8)الوارجلاني، المصدر السابق، ص302.

عن أبي الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم أخبار الشيخ نموذجا من الوجدانيات يحث في معظمه على المثابرة في طلب العلم والاجتهاد في تبليغه، من ذلك احتكاكه بالصالحين، وارتباطه الوثيق بالشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر في تعلمه وفي تسخير حياته في إعانته على أعمال البر و مواظبته على ذلك بعد وفاة الشيخ أبي عبد الله، ومما ساعده على ذلك البيئة المحفزة والمساعدة للشيخ خاصة من الناحية المادية.

من الأمور التي كان الشيخ يركز عليها في توجيه الناس تحذيرهم من إيثار الدنيا على الدين و الفرقة، كما أن له مواقفا تعتبر نموذجا على ما يدعو إليه من ذلك تحرجه من التعامل المالي مع من في ماله شبهة.

الاجتهاد في العلم و التعليم:

كان الشيخ كثير المجالسة إلى الصالحين والاستعانة بهم لتعلم الجد والهمة العالية في الاجتهاد، إذ كان في بداية حلقات الشيخ أبي عبد الله مع المبتدئين، وكان كثير الاغتنام من الصالحين حتى عرف بذلك، وكان الشيخ أبو محمد يوجين اليفرني يطلب منه أن ينام في موضع معين على طريقه إلى الوضوء حتى يسهل إيقاظه، وكان أبو الخطاب يطيل المكوث مع القراءة وينام قليلا، وإذا ما أتى إليه الشيخ ليوقظه يقول له:(قم أي بني، إنما أصاب المسلمون الجنة بترك شهوة الدنيا، والنوم من شهوات الدنيا)[2]، وفي رواية الدرجيني[3]:(يا عبد السلام يا بني إنما نال الصالحون ما نالوا بترك اللذات، والنوم من اللذات)، وذكر الشماخي[4] ذلك مع اختلاف بسيط.

---

1)أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي، أحد أعلام الإباضية الذين أسهموا في إرساء قواعد نظام الحلقة، أصله من نفوسة، سكن أسوف، ت(440هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 551 .

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص303.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص226.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص587.

يظهر الجانب الوجداني في أن بيئة التربية الإيمانية تحتاج إلى قدوة ميدانية، و أن من طرق السير إلى الله الاحتكاك بالصالحين والعيش معهم، و أن الدافع الوجداني النهائي للعلم والاجتهاد في الطلب هو الجنة، وفي أن النوم الكثير من الشهوات المبعدة عن الجنة.

ومن المظاهر أيضا شدة تعلقه بشيخه أبي عبد الله محمد بن بكر، حيث إنه بعد وفاته أظهر تحسرا بالغا، وقال كلاما ينعيه فيه:(إنما مثلي كمثل رجل سار في يوم ذي حر شديد، فرفعت له شجرة، فتوجه إليها ليستظل تحتها، فلما أتاها انقلعت وزالت)[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] مع بعض الاختلاف في العبارة، إذ يظهر الجانب الوجداني في تشبيه صعوبة الدنيا مثل يوم شديد الحر، والعالم مثل الشجرة التي يستظل فيها، وكل ذلك تعبير على التبجيل الكبير للعلم والعلماء.

وقد سخر حياته في سبيل تعليم الناس الخير، إذ إنه تزوج من ابنة أبي القاسم الويليلي عندما طلب منه أبو عبد الله أن يمكث معه ويعينه، و عاد إلى مدينته وطلب أهله منه أن يمكث عندهم حتى ينفعه بعلمه فتزوج من امرأة بمدينته، وذهب ليرجع الصداق لزوجته الأولى فرفضت إمساك المال هي وأبوها وقال أبوها:(معاذ الله أن آخذ من عبد السلام عوض الدنيا، إنما اجتمعنا وإياه في أمر الدين والإسلام. أشهد أنني نزعت لابنتي ما كان لها على عبد السلام وتركته له) ولم يطمئن حتى تحدث مع المرأة نفسها فأبرأته[4]. ذكر ذلك الدرجيني[5] و الشماخي[6] بنفس المعاني مع اختلاف العبارة، ويظهر الجانب الوجداني في أن خدمة الدين هي التي توجه حياتهم، وما كان زواجه ولا طلاقه إلا ليستقر ويعلم الناس الخير، ويظهر في الثبات على النية الحسنة من البداية، وذلك حين رفضت الزوجة الأولى وأبوها رد الصداق.

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 306.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص229.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص588.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 304.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص227.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص587.

ومن مظاهر الاعتناء بالعالم مسارعة بني وتيزلن إلى رفده وإعانته بعد هجرته من مدينته التي غزاها عدو، إذ بمجرد سماعهم بمجيئه تسارعوا إليه بالحمولات ومنحوه أرضا واسعة، ونال استقرارا وولد له ولد بعد طول انتظار[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] مع الإشارة إلى أنه عندما جاءت بشارة ولده الذي انتظره طويلا أنه قال: (ولد الشيخ يتيم)، وعلق أنه(يمكن أن يكون قال ذلك لئلا يظهر عليه الأشر)، و اكتفى الشماخي[3] باختصار رواية الوارجلاني، و يظهر الجانب الوجداني في المسارعة إلى خدمة العالم و الاحتفاء به، وفي مجاهدة الشيخ نفسه وابتعاده عن الأشر.

التحذير من الأكل بالدين والمداهنة:

كان الشيخ عن أبي بكر الزواغي وكرر مرارا أن خصال من فارق الإسلام: (الأكل بالدين، والمداهنة في الدين، وإيثار الدنيا على الدين، وإعراض بعضهم عن بعض، وسوء الظن فيما بينهم)[4].

يظهر الجانب الوجداني في التكرار الكثير للنصائح، وفي الحث على الإخلاص في العبادة والأمر بالمعروف النهي عن المنكر والزهد في الدنيا بتطبيق الدين والولاية الحقيقية للمسلمين، وحسن الطوية مع المسلمين.

بر الزوج:

كان الشيخ لا يلد من زوجته إلا الإناث، فعرّض لها برغبته في زوجة أخرى ليلد منها ولدا، فزوجت له إحدى بنات ضيف حل بمنزلهم، وسكنت معها في منزل واحد[5]. وقد ذكر الدرجيني[6] ذلك و الشماخي[7] بنفس المعاني مع اختلاف في العبارة، إذ يظهر الجانب الوجداني في حسن

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص305.
2)الدرجيني، المصدر السابق، ص228.
3)الشماخي، المصدر السابق، ص588.
4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 307.
5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص305.
6)الدرجيني، المصدر السابق، ص228.
7)الشماخي، المصدر السابق، ص588.

التعامل مع زوجته بالتعريض وهذا دليل على أخلاقه الرفيعة، وحسن فهم الزوجة للتعريض، وفي إنصاف الزوجة من نفسها بتلبية رغبة زوجها وإسعاده، خاصة وأنه شيخ يخدم الناس والمجتمع دليل على صفاء القلوب وحسن العشرة.

التورع عن مال الشبهة:

ورد عنه أنه اشترى خرفانا من السوق، فقال له البائع: "أرا" أي: هات بلغة صنهاجة، فغلب على ظن الشيخ أنه من صنهاجة، فقدم له الثمن و تصدق بالخرفان والحملان[1]. ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني، وأضاف الشماخي[3]:(وتصدق بها تحرجا من رزق صنهاجة لتجبرهم وغصبهم للناس أموالهم)، إذ يظهر الجانب الوجداني في احتياطه في المعاملة المشبوهة بالتصدق.

عن أبي عبد الله محمد بن تامر التناوتي[4]:

إكرام الضيف:

مما كان الشيخ يقوله:(إذا رأيتم الأضياف قاصدين نحوكم فلا يسبقكم كلاب الحي إليهم، وإذا أردتم أن تذبحوا للأضياف فاذبحوا الكبير فإن الصغير إذا ترك يسد مكان الكبير، وإن قصدتم أرضا وطُلبتم إلى المبيت دونها فباتوا فإنكم لا تدرون ما يحدث عليكم)[5]، ذكر ذلك الشماخي[6]، وتتميز

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 306،307.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص229.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص589.

4)أبو عبد الله محمد بن تامر التناوتي النفزاوي، من علماء تناوتة، (ق05ه). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 808.

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 307.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص675.

روايته بوضوح العبارة أكثر، بدلا أن يقول:(إذا ترك يسد مكان الكبير) قال:(لأن الصغيرة إذا بقيت تعود كبيرة)، يظهر الجانب الوجداني في الحث على المسارعة إلى الإكرام والإحسان، وفي الاستجابة لدعوة الداعي وربطه بالسلامة من سوء القدر، و في الإكثار من النصح والمداومة عليه لكل من يمر عليه.

عن أبي صالح تبركت الياجراني[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم لنا الأخبار التي وردت عن الشيخ نموذجا لحياة يغلبها الوجدان الديني والشعائري، الغرابة في أسلوب حياته، وذلك بمنهجه الذي أخذه لنفسه في عبادة الله، حتى أحاطه الناس بروايات كثيرة عن خوارق للعادة وكرامات، كان يطوف بكل مساجد ورجلان كل ليلة، ويقوم الليل بثلاثمائة ركعة بفاتحة الكتاب وسورة الإخلاص، مع كل ذلك كان يستصغر جهده، وصفوه بصفاء الظاهر والباطن، حين يتحدث عن نفسه لا يقصد بذلك رياء أو سمعة، يمكث في السورة يقرؤها في لوحه مدة كبيرة، ثم تمسح له ويعاد كتابتها مرة أخرى فيقول وكأنها لأول مرة قرأها.

و مما يزيل تلك الغرابة أنه كان يلتزم التوازن في حياته إذ كان إلى جانب ذلك يزاول تجارة الإبل ويسافر هروبا بدينه متعبدا وفي نفس الوقت متاجرا في إبله، كما أن في حياته الوجدانية توازن بين الخوف والرجاء ظهر حين حضر مجلسا للشيخ أبي عبد الله في التخويف، كما أنه كان حريصا على التزام الدعاء و إغاثة الملهوف على أنهما من أسباب النجاة في الدنيا، وصفه الشيخ أبي عبد الله أنه رجل عالم بالله عالم بنفسه.

الاجتهاد في العبادة:

اشتهر الشيخ باجتهاده في قيام اليل، وطوافه بكامل مساجد وارجلان[1] في ليلة الجمعة، إذ ذكر عن عبود بن منار[2] أنه تبعه يوما ليرى ما يفعل، فوجده يطوف مساجد وارجلان ويصلي في كل

1)أبو صالح تبركت الياجراني، عابد مجتهد، من قبيلة ياجرين التي قدمت من درجين ببلاد الجريد في الجنوب التونسي واستوطنت وارجلان، (350هـ ، 400هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 220.

منها ما تيسر ثم ينتقل إلى الآخر[3]. ذكر ذلك الدرجيني[4] بعد مقدمة وجدانية قال فيها:(هذا الشيخ أعبد العباد، وأزهد الزهاد، وكان لكثرة زهده يحسب أن ذلك منه بله، ولفرط حزنه على الآخرة يظن أن الذي به وله، لا يكترث إلا بخدمة ربه، ولا يعمل لشيء غير حبه، حتى خصه بالكرامات التي خص بها الأولياء، وأفاض عليه نور معرفته وكساه الآلاء)[5]، وقد ورد أنه قال:(عيار الليل كله ثلاثمائة ركعة، في كل ركعة فاتحة الكتاب و ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ثلاث مرات[6].وقد أحيط الشيخ بكرامات وغرائب تحدث له خلال أداء العبادة[7].

يظهر الجانب الوجداني في تخصيص الأوقات المباركة والأماكن المباركة للعبادة، وفي مراقبة الصالحين في تعبدهم واقتفاء أثرهم، وفي وأنه يوجد نوعان من المشائخ: منهم من عُرف بالعلم ومنهم من عُرف بالورع، ومنهم من جمع بينهما، وهذا الشيخ معروف بالورع.

ومما ورد عنه أيضا استصغاره لجهاده في العبادة أمام جهاد الآخرين، و حرصه على صلاح أولاده ورضى المسلمين عليه، إذ يقول:(ما فعل ابني صالح، أما سليمان فلا أسأل عنه. وقد رضي به المسلمون. وكان يقول: إذا نظرت إلى ولدي سليمان، وعمران بن زيري، و تسودرا، أقول في نفسي: لم أتب بعد) ، و عن ثباته على الحق يقول ابنه سليمان ومن معه عن أبي صالح:(سيروا بنا لزيارة الأخيار وأما هذا الشيخ –يعنون أبا صالح– لو قام وسكن بين ظهراني المشركين ما تبدل ولا تغير) [8]، ذكر الدرجيني[9] أنه قال:(احتقرت نفسي وعلمت أني محتاج إلى التوبة والإنابة واستئناف

---

1)وارجلان، هي حاليا مدينة ورغلة، واحة في الجنوب الشرقي من البلاد الجزائرية، أضحت أهم مراكز الإباضية بعد سقوط تاهرت عاصمة الرستميين. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 878.

2)عبود بن منار المزاتي، رجل صالح من أهل وارجلان، استشهد في غارة، (النصف الثاني من القرن الخامس) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 61 1 .

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 310.

4 الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 92،1 93.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص562.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 4.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص565.

8)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 3.

9)الدرجيني، المصدر السابق، ص1 96.

العمل) وهذا قريب مما ذكره الشماخي[1]، حيث يظهر الجانب الوجداني في حرصه على التزام ولده التقوى ورضا المسلمين عليه، وفي تواضعه واحتقار نفسه في عبادة الله ومقارنة نفسه بمن هو أعلى منه، إذ قرن تقصيره بالعبادة بالتوبة مبالغة في عدم الاستكثار من الجهد، وفي أن زيارة الأخيار لها هدف تقوية الإيمان.

و قال يوما لأبي عبد الله محمد بن بكر:(ما أدركت مني يا محمد وشعر رأسي صار كالثغامة، وجسدي مهزولا، وصارت لحيتي كالصغار، ولو علمت ما جاز علي من الشجاعة و القوة والعبادة)، علق أبو زكرياء:(وأن ظاهره مثل باطنه كلما رأى من البراهين والكرامات و العلامات أخبر عنها) [2] ، قدم الدرجيني[3] للكلام بقوله أن هذا من اطراح الاستعمال و أضاف:(لو رأيتني حينئذ لرأيت شيئا عجيبا تعجب أن تراه) ثم علق قائلا:(أفتراه –رحمه الله– يريد بذلك تفاخرا وسمعة؟ حاشاه، ثم حاشاه، إنما ذلك دليل على صفاء باطنه وكونه لا يحذر شيئا يحذره أهل الدنيا – رحمه الله–)، وذكر الشماخي[4] ما هو قريب من ذلك، و يظهر الجانب الوجداني في صفاء الظاهر والباطن و قدرته على تجاوز أمراض النفس وأهوائها بذكر الأفضال للاعتبار فقط، وأن غرضه التأسف على عدم القدرة على مواصلة الخير و أيضا تقديم المثل والقدوة.

الذكر:

وصفه الشيخ أبو عبد الله أنه (عالم بالله عالم بنفسه)[5]، وقد حضر مجلسا من مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر أسهب فيه الشيخ في الوعظ والتخويف، (فقال له أبو صالح: أليس يقال يا محمد الجنة في آخر الزمان أرخص من حمار دابر؟ قال: نعم. ولكن أرأيت إن وجدت في السوق جملا ينادى عليه بقيراط ولم يكن عندك، أنى لك به)[6]، ذكر الدرجيني[7] و الشماخي[1] ذلك بنفس

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص564.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 313،31 4.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص 1 96.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص564.

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 31 1 .

6) المكان نفسه.

7)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 93.

المعاني، إذ يظهر الجانب الوجداني في عقد مجالس خاصة بالتخويف من النار، وفي استعمال الأمثلة لتقريب المعاني الوجدانية للعقيدة، وفي أن دخول الجنة يكون بأعمال بسيطة لكن لا يقوم بها الجميع إشارة إلى كثرة الانشغال بالدنيا، وصعوبة الثبات، ويظهر أيضا في التوازن في الطرح الوجداني، فالشيخ يسهب في التخويف والمستمع يسأل في الثواب والرجاء.

وكان مشهورا بتأمله الطويل للقرآن، إذ روي عنه أنه إذا كتبوا له سورة في اللوح يقرأها عدة أياما حتى تندرس الكتابة، ويعيدون كتابتها ويقول لهم:(ما أحسن هذه السورة يا بن أخي، أترون أني قرأتها قط؟)[2].

مساعدة الآخرين:

وقعت في وارجلان فتنة فخرج الشيخ إلى أدرج وكان له فيها إبل، وكان فيها شيخ وتلامذة كثر، قضى معهم سبع سنوات يجلس ويستفيد من حلقاتهم في مختلف العلوم والسير، فلما هم بالانصراف جعل التلامذة يودّعونه جماعة بعد جماعة حتى بقي الشيخ ودار بينهما كلام مفيد ونصائح، إذ سأل الشيخ أبو صالح:(أخبرني يا شيخ بأي شيء تدرك به الدنيا؟ أبالتجارة؟ قال: لا. فقال له أبالحرث؟ قال: لا [وأضاف الدرجيني]: قال: أبالصناعة؟ قال له :لا. وقال الشيخ: إنما تدرك بدعوة المسلمين إذا صادفت لهم حاجة)[3] أما عند الدرجيني[4] فقد ورد أنه رد الشيخ السؤال إلى أبي صالح ليستفيد منه فقال:(إن أفضل ما ينال به ذلك دعاء الصالحين، لا سيما إذا أغثت ملهوفا أو سددت فاقة مضطر) ذكر الشماخي[5] ما هو قريب من هذا مع اختصار في العبارة والحوار الذي جرى، يظهر الجانب الوجداني في الهروب بالدين إذا اختلط الأمر وعمت الفتنة، وفي القوة الإيمانية التي ينطلق منها لتحقيق الدنيا، و الإيمان بأن الله هو الرزاق وليست قوة العبد، وفي إعانة المسلمين على قضاء حوائجهم وإغاثة الملهوفين، وفي قيمة دعاء الصالحين في صلاح الأحوال و توسيع الرزق.

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص562.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 4.

3)المكان نفسه.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 94.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص563.

عن عمران بن زيري[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

مجمل الأخبار الواردة عن الشيخ في حياته الوجدانية تؤكد على قيمة التحرز من المال المشبوه و الانفاق في سبيل الله، كما أنها تؤكد على قيمة زيارة العلماء والأخيار لأجل القدوة والاعتبار.

الورع:

أرسل صوفا مع رجل ليبيعه في البوادي وكان بالصوف تراب، وقد قال له أخبر المشتري بالتراب لكنه لم يخبره ناسيا، فلما عاد سأله فأجاب بذلك، فأخذ أكياسه فارغة و انصرف[2]. وقد ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني، وفي في التحرج من أموال الغير أيضا أنه يوما أراد أن يربط مالا في صرة فأخذ خرقة من الشارع، ثم رماها حذرا وتحرجا، و أنه يوما كانت في يده صرة مال فأخذته سنة ثم انتبه وقد سقطت، فقال له شخص كان معه أنها له، فمضى ولم يأخذها[4]، وقد ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس العبارة.

الإكرام:

قدم لحما لأبي عبد الله فجاء سائل يطلب بالله طعاما، فأخذ اللحم من يد أبي عبد الله وقدمه للسائل، (وكان أبو عبد الله إذا حدث بهذا الحديث يقول: أين من يفعل مثل هذا سوى عمران، شكرا لما صنع)[6]، وقد ذكر الشماخي[7] بنفس المعاني، إذ يظهر الجانب الوجداني في إنصافه من نفسه، و إكرام بعضهم لبعض للمودة التي بينهم والظاهرة في سقوط الكلفة بينهم.

---

1)عمران بن زيري، لم أعثر على ترجمة له.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 5.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص666.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 5.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص667.

6)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 5.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص666.

أهمية زيارة الأخيار:

قال لإخوانه يوما سيروا بنا إلى الأخيار. فمرّوا إلى أريغ، (قال سيروا بنا لرؤية الأخيار فوصلوا جربة[1] وكان بها أبو صالح بكر بن قاسم اليراسني وأبو زكرياء فصيل بن أبي مسور، قال: هل رأيتم الأخيار؟)، وقد كان يمشي ويتكلم ويقول:(ما أحسن رجالا رأيت وأي رجال رأيت. [وكانت وراءه أمه]، فقالت: ومن أولئك؟ فقال: أهل جربة) وكان يقول عن الزيارة لنوح بن المناسك:(زر يا نوح الأخيار، فإن مثل من لم يلق الأخيار كجرو لم تفتح له عين. وقال: كيف يفلح من لم ير مفلحا)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني، لكنه لم يذكر الكلام الأخير.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على زيارة المشائخ والافتخار بهم، وفي تشبيه الذي لم ير الأخيار ولم يزرهم مثل الجرو الذي لم تفتح عينه إشارة إلى أن معرفة أبوب الخير والبر بمعرفة أهله.

عن عدل بن اللؤلؤ[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ من خلال ما ورد من أخبار عنه أنها حياة عبادة و وجدان عميق تتمثل في المواظبة الدؤوبة على النوافل صلاة وصياما، خاصة و أنه كان مؤذنا ملازما للمسجد، وهذا لم يمنعه أن يكون تاجرا يضرب أكباد الإبل في سبيل الرزق. كما تتميز أيضا بالحرص على مكارم الأخلاق مثل صلة الرحم و الكرم.

---

1)جربة: جزيرة جنوب شرقي البلاد التونسية. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 849.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الإئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 31 6.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص667.

4)حمو بن اللؤلؤ، لم أعثر على هذا العلم وإنما على حمو بن اللؤلؤ: من أهل العلم والصلاح، كان يسكن تين باماطوس، (400هـ - 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 267.

صلة الرحم:

ذكر أن امرأة (قالت له: أنا من محارمك فقال لها: اجعليني في حل مما ضيّعت من حقوقك)[1] وقد ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني، إذ يظهر الجانب الوجداني في ورعه و حرصه على علاقاته بأرحامه.

العبادة:

كان يصلي الضحى يوما فناداه رجل في شأن حمل له إلى بلاد أخرى، فلم يرد أن يقطع صلاته، ففاته الركب، (فأصيب أولئك المسافرين فعصم الله جملة من صحبتهم، والحمد لله يسلم من يتوكل عليه)[3] علق الشماخي[4]:(وسلم جمله ببركة تعظيمه للصلاة)، و يظهر الجانب الوجداني في التوكل على الله في الرزق واليقين في ذلك، الالتزام بورد الصلاة والمواظبة عليه.

وفي محافظته أيضا على ورده من نافلة الصوم والصلاة، أنه كان مؤذنا فإذا صلى المغرب قدموا له من كوة المسجد ما يفطر به، وشرع في الصلاة يصلي بالبقرة الركعة الأولى وبالإخلاص الركعة الثانية ثم يخرج ويؤذن للعشاء وكان هذا دأبه[5]، ذكر ذلك الشماخي[6].

الكرم:

زار رجلان قريته فالتقيا بشيخ فنادهما إلى الضيافة فقالا له:(دعنا فإنا قصدنا من هو أسخى منك ...فجعل لهما مائدة من ثلاثة أرباع شاة)[7]. وذكر ذلك الشماخي[8]، يظهر الجانب الوجداني في اشتهاره بالكرم والسخاء لإخوانه.

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 6.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص667.

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 7.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص729.

5)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 7.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص667.

7)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 31 8.

8)الشماخي، المصدر السابق، ص730.

عن أبي صالح بكر بن قاسم اليراسني[1]:

التمسك بالدين آخر الزمان:

قال الشيخ :(يأتي على الناس زمان يود الرجل من يأكل له طعاما فلا يجده، ويود من يستشيره في أمر دنياه فلا يجده، ويود من يرفع إليه أمر النازلة إذا نزلت عليه في أمر آخرته فلا يجده، لا لقلة الناس فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليمسك ويلزم ما بلغه وحفظه من دين الله ويعض عليه بالنواجذ، وينشب الأظفار فيه لئلا تحول الحوادث بينه وبين ذلك) وأضاف أن ذلك يشبه ما ذكره ابن مسعود:(ما شبهت ما غير من الدنيا إلا كثقب ذهب صفوه وبقي كدره، إنكم لن تزالوا بخير إذا أحس أحدكم من نفسه شيئا فوجد من هو خير منه، فمشى إليه فشافه منه، والله ليوشك أن يلتمس ذلك فلا يوجد)[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] من دون أن يذكر كلام بن مسعود.

يظهر الجانب الوجداني في التحذير من الابتلاءات التي ستستقبل الإنسان حتى يتشبث أكثر، وفي أن من مظاهر فساد الناس أن لا يجد المنفق من يقدم له طعامه ويتولاه، وفي الحث على التشبث بالعلماء احتراسا للآخرة، وفي ذم الدنيا وما يحدث فيها من أسباب الزيغ.

عن أبي سفيان محبوب السدراتي[4]:

التحذير من البدعة:

قال في البدعة:(البدعة أشرّ من الزنا والسرقة وشرب الخمر، لأن هذه يتوب ويستغفر منها العبد ربه ويتوب إليه، وصاحب البدعة قل ما يتوب)[5]، وذكر الشماخي[6] ذلك مع اختلاف بسيط.

---

1)أبو صالح بكر بن قاسم اليهراسني، من بني أزرن، درس في الجامع الكبير بجربة، من مشائخ أبي عبد الله محمد بن بكر، استشهد في هجوم للمعز بن باديس على جربة.(431 ه) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 86.

2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 366.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص1 80.

4)أبو سفيان محبوب بن أبي عبد الله السدراتي، من مشائخ سدراتة المشهورين بالعلم والصلاح، (400ه، 450ه) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 771 .

5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 367.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص705.

التحذير من المداهنة:

قال محذرا من المداهنة: (المداهن آمر وشريك ومسهل للخطيئة)[1]. وذكر الشماخي[2]، و يظهر الجانب الوجداني في التشديد على المداهن والذي لا ينهى عن المنكر.

عن أبي يعقوب بن سهلون[3]:

بر الأباء وبر الأبناء:

كان مضرب مثل في حسن تربيته لابنه و كان إذا أراد من ابنه شيئا قال:(لو أصبنا من يفعل كذا و كذا) فيعرف الابن المراد فيمتثل، وكان يقال في برهما ببعضهما:(الأب مثل أبي يعقوب والولد مثل أيوب لكثرة شفقة هذا وسرعة طاعة ذلك)[4]، وقد ذكر الدرجيني[5] و الشماخي[6] ذلك مع اختلاف بسيط، إذ يظهر الجانب الوجداني في الحرص على التربية الحسنة بالحكمة و الإشارة.

جدول تحليلي للمواقف الوجدانية في الكتاب:

مجال الموقف	موضوع الموقف	عدد المواقف
التربوي	العبادة و الزهد و الورع والذكر والتوبة	47
	العلم والتعليم وتربية الأبناء	22

---

1)الوارجلاني، المكان نفسه.

2)الشماخي، المكان نفسه.

3)أبو يعقوب بن سهلون، من كبار مشائخ وارجلان، تميز بحفظ المسائل وحدة الذكاء، (400هـ – 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1 064.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 366.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص246.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص601.

	ذكر المناقب	03
	الكرامات	06
	التحذير من البدع وزوال الدين	03
	أخبار نهاية الزمان	06
الاجتماعي	المساعدة والتعاون على الخير	03
	بر الوالدين والأزواج	02
	الإنفاق وإكرام الضيف	07
	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	03
	التسامح وحسن الخلق	03
	الورع في المعاملات والأمانات	06
	الحرص على النصيحة	04
	الزيارات الدعوية والأخوية	07
السياسي	الحرص على القوة المادية للدين	01
	التحذير من المداهنة والأكل بالدين	03
	التخفي عن السلطة ومدافعة العدوان	02

بعد رصد ما ورد في الكتاب من مواقف وجدانية للعلماء من نهاية القرن الرابع الهجري إلى نهاية الخامس منه، اتّضح ما يلي:

- بلغ العدد الإجمالي للمواقف في الكتاب (129 موقفا) خلال القرن الخامس الهجري مما يدل على ثراء الكتاب وتركيزه على الجانب الأخلاقي من أخبار المشائخ.

- كل عالم يغلب عليه نوع من المواقف التي ذكرت عن حياته ومناقبه، فمنهم من غلبت عليه المواقف ذات البعد التربوي بحكم وظيفته التعليمة والتربوية في المجتمع، ومنهم من غلبت عليه المواقف ذات البعد الاجتماعي بحكم وظيفته الاجتماعية وتوليه إصلاح مجتمعه الصغير والبعيد عن سلطة الزمان.
- كثرت المواقف الوجدانية في المجال التربوي حيث بلغ عددها (87 موقفا) مقارنة بالمجال الاجتماعي حيث بلغ عددها (35 موقفا)، لأن المجتمع الإباضي قد بدأ تجربة داخلية من نوع آخر، حيث فرض على نفسه نوعا من الانعزال، وهي ما تسمى بمرحلة الكتمان، لذلك نجد أن الجانب الوجداني التربوي حاضرا بقوة، حيث إن معظم المواقف الوجدانية في المجال التربوي حول الحرص على العبادة والزهد والورع والتوبة، وأخبار الاعتناء بالعلم والتعليم، وذلك حتى ينشأ الفرد من داخله بترسيخ العقيدة والمبادئ الأخلاقية التي تضمن تمسكه بدينه في ظل التحديات الصعبة التي يعيشها، ليظهر أثر هذه الجهود شيئا فشيئا في الحياة الاجتماعية، وهو ما سنلاحظه من ارتفاع عدد المواقف الاجتماعية في القرن الموالي.
- يظهر جليا قلة عدد المواقف الوجدانية ذات البعد السياسي حيث بلغ عددها (07 مواقف) وذلك انعكاس لقرار المشائخ المتمثل في اعتزال السياسة وعدم التفكير فيها بسبب العدد الهائل من المشائخ الذين ذهبوا ضحية ثورات مختلفة بعد سقوط الدولة الرستمية ورغبتهم في الحفاظ على الدين، والملاحظ أن معظم الأخبار تدور حول طريقة الحفاظ على الدين في التعامل مع السلطة الحاكمة مثل التحذير من المداهنة والأكل بالدين، وأخبار التخفي والمدافعة في سبيل الحفاظ على الدين.
- وفرة أخبار نهاية الزمان والتحذير من زوال الدين ونشر كرامات المشائخ و ذكر مناقبهم يدل على الشحن الوجداني الذي كان يُوظّف لتثبيت الفرد على طاعة المشائخ والالتزام بالدين.
- الملاحظ في المجال الاجتماعي وفرة أخبار إكرام الضيف والإنفاق خاصة على طلبة العلم المقيمين والزائرين، وهذا دليل على جهود العلماء ودعوتهم إلى اهتمام المجتمع بحمل أعباء طالب العلم المادية وتشجيعه على ذلك.

- نالت أخبار الحفاظ على الأمانات وأداء الديون والتحذير من التساهل فيها و أداء النصيحة وطلبها حظا كبيرا، وكل هذا دليل على يقظة دينية في المجتمع و نتائج لجهود في التعبئة الإيمانية بدأت نتائجها في الظهور بصورة ملفته للانتباه.

يتضح جليا أن وجهة المواقف الوجدانية الواردة في الكتاب ذات بعد تربوي توعوي داخلي بالدرجة الأولى ثم ذات بعد اجتماعي كنتيجة للتوعية والتعبئة الروحية، بينما لم تنل الأخبار السياسية كثير اهتمام بسبب الأوضاع التاريخية التي مرت بها المناطق الإباضية حيث استفادوا منها ورأوا أن الحل في اعتزال السياسة وكل ما له صلة بذلك.

المبحث الثاني: الأخبار الوجدانية في كتاب طبقات المشائخ بالمغرب.

تمهيد:

تميّز كتاب السيرة وأخبار الأئمة بتركيزه على البعد الأخلاقي والتربوي من مواقف العلماء الوجدانية، ثم على البعد الاجتماعي وفي الأخير البعد السياسي، يليه كتاب الطبقات للدرجيني وقد اعتمد عليه كما سلف ويعتبر تحسينا له فحسب، فهل هذا يعني أنه لا يوجد جديد أخبار فيه، وأن النتائج نفسها سنجدها فيه؟ هذا ما سنجده في هذا المبحث الخاص بكتاب طبقات المشائخ بالمغرب.

عن أبي صالح بكر بن قاسم اليراسني:

أولا: المواقف الوجدانية لعلماء القرن الخامس الهجري

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ الوجدانية من خلال ما ورد من أخبار عنه بالعزم و عدم التساهل في أمور الدين، وتقدم لنا نماذج مختلفة المجالات في ذلك، منها الحرص الشديد على الطهارة في حياته اليومية، و البر بالمشائخ و بأبناء المشائخ بعد وفاتهم ومعاتبة من لا يهتم بهم، تولي مهمة التعزير على الجرائم، والتزام العدل والصرامة في الحكم ولو على الأقربين، و التشدد في مواجهة أصحاب الفرق المخالفة له.

العبادة:

ورد عليه جمع من العزابة، وكان بجانب عريشه الميضأة، فرفعوا ثيابهم ليمروا فقال لهم:(لا تحذروا فإني لم آته قط بنجاسة)و كان إذا أكمل النوافل التي اعتاد عليها نادى لأحد يقرأ عليه آيات السجدات الموجودة في القرآن وسجدها كلها[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني، يظهر

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص180.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص551.

الجانب الوجداني في تحرز العزابة وتحرزه الشديد من النجاسة، و في الحفاظ على النوافل اليومية من الصلاة، منها المواظبة اليومية على سماع التلاوة والسجود في كل مواضع السجدات في القرآن.

البر بالمشائخ:

خرج أحد من أولاد أبي مسور يستجدي في مواطن الإباضية، فعظم ذلك على أبي صالح من ناحيتين، أولا أنه خرج استجداء وهو ما لم يفعله آباؤه من قبل، وأنه بن عالم لم يُعرف قدره، فقال له قائل:(إن فلانا لم يبلغ قدره هذا الاهتمام الذي اهتممت له. فقال أبو صالح:(يا هذا لا تقل هذا، فإن ذلك بن أبي مسور وقد قال الله تعالى: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾[1].

يظهر الجانب الوجداني في الوفاء للعالم بعد وفاته بإكرام أبنائه، وفي غيرته وحرصه على عدم الابتداع.

الإنصاف و الأمانة:

وقعت مداينة بين نكاري و إباضي واختلفا في وجه أدائها، فترافعا إلى أبي صالح، فأعطى الحق للنكاري، فقيل له:(هذه إعانة للنكاري على الوهبي) فقال لهم:(إن الحكم لا يختلف)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى. يظهر الجانب الوجداني في الإنصاف والعدل في الفصل بين الناس مطلقا.

الشدة على الحق والمرونة حسب الضرورة:

عاقب الشيخ رجل من تلامذة أبي مسور على خطأ وقع فيه ، فاشتكى الرجل إلى أبي مسور، فقال له:(المسلم في الحق كالحديد المحماة ما وقع عليها أحرقته، وما وقعت عليه أحرقته والحق أحق أن يتبع، وإن كان مرّا)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في الصرامة في النهي عن المنكر، وفي الحث على الصبر على الحق.

1)الكهف، الآية 82. الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص179.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص174.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص548.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص172.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص546.

و كان إذا ثبت عن أحد جناية، أمر بإحضاره وأُثبتت رجلاه في حلقة لئلا يهرب ثم قُلبت عليه، فضربه ضربا شديدا (حتى إنهم ليصيحون في اليل من ألمهما)، وكان إذا كان من الصنهاجيين تركه ولم يعاقبه تقية لا مداهنة، فلما ساءت الأحوال وتغيرت انتقل من البادية إلى المدينة و رمى آلة المعاقبة في البئر، وسئل ابنه عن ذلك فقال:(إنما اتخذ ذلك ليصرفه في الوجه الذي أراده له، وإذ قد تخلى عن ذلك فلا ينبغي أن ينتفع بها في غيره)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في شدته في الأمر والنهي.

شدته على المخالفين:

سمع عن النكار أن لهم حلقة بجبل دمر، فقصد الإباضية به مع حلقته، بالرغم من عجزه وكبره، وابنه يرفده من الوراء في صعود الجبل، حتى وصل إليهم وأنبهم بكلام قائلا:(ما هذا الذي بلغنا عنكم يا زيري من مرور النكار[3] عليكم وحلقتهم بين أظهركم وأنت بالحياة؟ فاشتكى له شيخهم بنقص من يأمر وينهى من المشائخ، فقال له:(منع من ذلك شحة الزمان، وما يدركنا من الشفقة عليكم) فقال له: فأتوا بأزوادكم معكم، ففحم الشيخ لأن الله تعالى يقول:﴿ **ذلك بأنهم لا يصيبهم ضمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله**﴾[4]، ذكر الشماخي[5] ذلك بألفاظ أكثر وضوحا.

يظهر الجانب الوجداني في مكابدة المشقة رغم كبر السن للإصلاح، وفي تأنيبه شيخ الإباضية بالجبل على وجود مخالفين بجانبهم، وفي استعمال الآية القرآنية للحث على المكابدة في سبيل نشر العلم والخير للناس.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص173.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص547.

3)النكار: جماعى انشقت عن الإباضية في المغرب الإسلامي زمن الإمامة الرستمية، وسميت كذلك لإنكارها إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ، عرفت باليزيدية و الشغبية و النجوية و الناكثة. لا يزال إلى الآن بعض أتباعها في جزيرة جربة بتونس ولكنهم قلة. أنظر: معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج03، ص 1026

4)سورة التوبة، الآية: 120. الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص176.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص549.

اللطف بالحيوان:

كان يوما في بعض شؤونه هو وابنه، فوجد شاة في آخر رمق لها، ولا يدري من صاحبها، فأمر ابنه بذبحها فأبى و كرر عليه الطلب فأبى، فنزل من الدابة بنفسه وذبحها وانصرف، ومن ذلك أنه سافر يوما وترك ناقة في منزله عليها صرار، فلما عاد وجد خيط الصرار قد أثر عليها، فغضب غضبا شديدا وجعل يخفف على ناقته ويحل الصرار[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في الرحمة بالحيوان بذبحه و فك الصرار، وفي الغضب الشديد على أهله لعدم حلهم الصرار من ظهر الناقة.

عن أبي نوح سعيد بن يخلف:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

ركزت الأخبار الوجدانية التي وردت عن الشيخ عند أبي زكرياء على الجانب الشخصي والتربوي من حياة الشيخ، أما ما ورد عنه عند الدرجيني فنلاحظ فيه التركيز الجانب المادي والاقتصادي من حياة الشيخ مركّزا على خلق الكرم والرغبة في نصرة الدين بالمال.

الكرم:

كان كثير المال والضيوف وكان لا يرد السائل، و كانت له أربع نساء كل واحدة في خيمة، وفوق خيامه جلود الشياه بصوفها منشورة على الخيام لكثرة أضيافه[3]. ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس العبارة.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص175.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص548.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص188.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص557.

أمله نصرة الدين بماله:

في كثرة اقتنائه الخيل، يقول الدرجيني:(ولعل كثرة ما اقتنى من الخيل لكثرة ما يأمله من الخير في نصرة الدين، ومدافعة المعتدين)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس العبارة.

عن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور :

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

اتفقت الأخبار الوجدانية التي وردت عن الشيخ عند الدرجيني مع ما ورد عنه عند أبي زكرياء في الجانب التربوي والشخصي، حيث يظهر ذلك عند الدرجيني في شهادة العلماء الآخرين على أخلاقه وورعه، كما يظهر في حثه الناس على الاهتمام بالتلامذة ودعمهم، كما يظهر في تحسره على وضع الناس وحالهم مع مسالك الدين، وتميز الدرجيني بإلقاء الضوء على جانب آخر من حياته وهو الجانب السياسي حيث كان يطعم ويدعو إلى إطعام الجبابرة تقية، ثم التكفير بذلك بإنفاق مثله على التلامذة.

شهادة على الورع والتقوى:

مر ذكر أبي زكرياء على أبي محمد عبد الله بن مانوج وأبي عمران موسى بن زكرياء و أبي عبد الله محمد بن بكر، فكان قول أبي محمد فيه:(لو كان الوحي ينزل في زماننا لكان أبو زكرياء أهلا لأن ينزل عليه الوحي لكنه لا وحي بعد رسول الله ، و قال أبو عمران: لو كانت الإمامة في وقتها لاستحقها أبو زكرياء، وقال أبو عبد الله: لو اجتمعت خلال الخير والبر كلها بيدك، وأردت أن تزيد منها في أبي زكرياء لم تجد لها فيه موضعا للمزيد لاحتوائه عليها[3].

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص187.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص557.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ج01، ص161.

يظهر الجانب الوجداني في الشهادة على قربه بأخلاقه وخلال البر من مرتبة النبوة واستحقاقه الإمامة.

الدعوة لخدمة التلامذة:

كان الشيخ يمثّل المنزل الذي يهتم بالتلامذة مثل شجرة الخروب، أي يكون الاهتمام بالتلامذة شغلهم الشاغل، كما يجب عليهم ألا يستعظموا ما ينفقونه في جانب التلامذة، وقد بين الدرجيني أن شجرة الخروب من الأشجار العظيمة التي تمتص كل شيء، و التي لا يقوم نبات حولها إلا قليلا لشدة حاجتها إلى ما ينميها، و كان هو الذي يضرب المثل في ذلك حيث إنه كان (يضع الدراهم في صرر ويعلقها على ألواح تلامذته أو في أوعية دفاترهم، أو بين التلميذ وثيابه وهم لا يشعرون)، وما عرفوا صاحبها إلا بعد وفاته[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] باختصار.
يظهر الجانب الوجداني في الدعوة إلى الإحسان إلى التلامذة وبذل أقصى الجهد في ذلك، وفي إكرامه لتلامذته بنفسه خفية.

حال المسلمين:

مما قاله في شأن المسلمين:(لسنا في دفاع ولا في ظهور ولا في كتمان، ولا في شراء، ولكن زماننا سائب لتضييع الناس القيام بالحق)[3].

إكرام الجبابرة و العزابة:

كان يطعم العزابة إكراما والجبابرة تقية ويقول: (فالأول وقاية للعرض، وإبقاء للحرمة، والثاني تكفير للأول، و يقول: من حرث زرعا وحصده، ودرسه، وطحنه، وعجنه، وأطعمه الجبابرة، بمنزلة من أطعمه الأولياء، فلكليهما حظ من الثواب، وكلاهما يكتب عند الله صدقة، كما روي في الخبر)[4] ذكر ذلك الشماخي[1] بنفس المعنى.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص183.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص553.

3)الدرجيني، المكان نفسه. ورد عن أبي بكر بن يحي الزواغي (ت 471هـ) أن قال نفس الكلام. أنظر: الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص553.

4)الدرجيني، المكان نفسه.

يظهر الجانب الوجداني في تحفيز الناس على مثل هذا النوع من الإنفاق بالتحفيز بالأجر والثواب، وفي تعويضه الإنفاق على الجبابرة بالإنفاق على العزابة تورعا.

عن أبي يحي زكرياء بن فصيل بن أبي مسور:

العبادة:

صادف أن أتى زكرياء بن يحي بن كرنان[2] إلى طرابلس زائرا، فجعلوا يستفتونه في محفل عظيم وكان به زكرياء بن فصيل، فسأل سائل فأجاب بن كرنان له بالترخيص، فعارضه الشيخ زكريا بن فصيل وأصرّ الشيخان كل على موقفه، فقال بن يحي:(فإذا الذي يقال في أولاد الشيوخ أنهم غير منقادين صحيح؟ فقال: بن فصيل:(هل علمت أن عقبة المستجاب قال لأولاده:(إياكم والمرخصين لئلا تفارقوا دينكم وأنتم لا تشعرون)[3]، وذكر ذلك الشماخي[4]، مع فارق في تحقيقه لكلمة عقبة المستجاب وردت ب:" الأولاد عقبة المستجاب".

يظهر الجانب الوجداني في عقد محافل للاستفتاء والاستفادة من العلماء، وفي أنه لم يذكر نزاع وسوء تفاهم وهذا دليل على صفاء القلوب وصدقها واعتيادها على توجيه النقد لأجل الوصول إلى الصواب، وفي التحذير من عدم الانقياد لأن ذلك هي السمة الغالبة لأولاد الشيوخ، وجواب الشيخ بأن المبالغة في الرخص بداية مفارقة الدين.

عن أبي عبد الله محمد بن بكر:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر اهتمام أبي زكرياء بأخبار الشيخ الوجدانية متوازنا من حيث تنوع المجالات مع الدرجيني بالرغم من وفرتها عند الدرجيني، أما ما يتعلق بحياته التعبدية يقدم لنا نموذجا يدل على الشمولية في فهم الدين، حيث أشار إلى ضرورة صلاح الدنيا لصلاح الدين في زمنه، كما نلاحظ أنه يغلب

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص552.

2)زكرياء بن يحي بن كرنان، لم أعثر على ترجمة له.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص214.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص580.

عليها الحرص والاحتياط خاصة ما يتعلق بمصالح الأمة وشؤونها، إلى جانب أخبار تدل على أهمية الدعاء في حياته وإجابة الله دعاءه.

وما يتعلق بالتربية و المجتمع يظهر في حرصه على توجيه تلاميذه إلى الطريقة الأمثل للتعلم و استثمار العلم بتعليمه للناس وتفادي الفرقة بسببه. كما أنه قدم نماذج حية للشيخ في الأمر بالمعروف والصرامة في نهي القرى عن المنكر، أو النهي عن التزلف للظلمة والتشبه بهم.

صلاح الدنيا لصلاح الآخرة:

زاره بعض أصحابه وكان قبل ذلك في هيئة محترمة ورفاهية، فرآه في ثياب رثة، فقال له:(ما هذا يا أخي؟ فقال له: نحن في زمان من فقد فيه دنياه فقد فقَد آخرته، وكان السلف في زمان من فقد دنياه لم يفقد أخرته، فالسعيد من احتاط على سلامة آخرته)[1] ، ذكر ذلك الشماخي[2] في معرض الحديث عن الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الوالي.

يظهر الجانب الوجداني في اهتمام الشيخ بحال صاحبه و مواساتهم، وفي التأسف على زمنه الذي من فقد فيه دنياه فقد آخرته على عكس السابقين، وفي الدعوة إلى الاحتياط للآخرة بتحصيل الكرامة في الدنيا.

التورع في أموال الناس :

احتاج يوما إلى جريدة ليتوكأ عليها وجدها، ولا يدري لمن هي، وظن أنها لأحد العزابة، فقدمها لأبي الربيع سليمان بن يخلف ليبحث عن صاحبها ويرجعها له،[3] ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعاني واختصار العبارة.

ومن ذلك أنه أوصى ابنه يعقوب بخمسمائة دينار أن يقسمها على أربعة دراهم لكل شخص من العزابة، وقال له:(فإنما هي حوطة من أموال أهل الدعوة، وما أطعمتهم منها عشاء ولا غداء إلا أنهم ربما أرادوا وجهاً فصرفته في غير الوجه الذي أرادوه)[5]، ذكر ذلك الشماخي[1] بنفس المعاني.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص210.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص736.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص204.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص573.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص212.

يظهر الجانب الوجداني في الاحتياط في رعاية أموال العامة والخوف من عدم أدائها على وجهها.

العلم:

قدم توجيهات لتلميذين زاراه من غيران بني أجاج[2] معتكفين مع الكتب، بتشجيعهما على الاعتكاف، وحثهما على عدم دراسة كتب اللقط[3]، لأنه (كمن يهيل أنواع الثمر إلى غرارته)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] مشيرا إلى أفضلية المطالعة على التعلم عند خمسة علماء.

يظهر الجانب الوجداني في تشجيعه طلبته على التعلم الفردي والاجتهاد فيه بالانعزال في الغار، وفي نصحه بتعلم العلم الحقيقي والتدرج بمنهج فيه وبزيارة المشائخ والحرص على أخذ النصيحة منهم.

ومن ذلك أيضا أن جمعا من العلماء بوارجلان حضره فسأل سائل عن حكم أجرة تعليم القرآن، فتداولوا السؤال بينهم كل يقدم الآخر، فطلب أبو عبد الله من المدوني[6] الجواب، فقال:(نعم تؤخذ الأجرة على تعليم القرآن، فإن لم تؤخذ عليه فعلى ما ذا؟ أعلى رعي البقر؟ فسكت الفقهاء توقيرا له، مع أنه لم يحسن العبارة تأدبا منهم وفضيلة) وأضاف الدرجيني في المسألة:(قلت: وهذا الجواب غير معروف بالمذهب، والذي أنكر من الإجارة على رعي البقر فهذا الإجارة لا خلاف في جوازها، وكان ينبغي أن يقول بما في المذهب من جواز الأجرة على تعليم الأدب والخط، وصناعة الكتابة وأدواتها دون أن يكون للقرآن ثمن. والعذر عنه –رحمه الله– كره أن يقول لا تجوز فيكون ذلك ذريعة إلى ترك التعليم فيفضي ذلك بالناس أن يكونوا أميين لا يعلمون الكتاب، يقول: فإذا جاز لراعي البقر أخذ الأجرة وهو يأخذها على صلاح أحوال الدنيا فالذي يأخذها

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص578.

2)غيران بني أجاج: موضع للدراسة قرب وارجلان. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 863.

3)شرح الدرجيني معنى كتب اللقط قائلا:(إنما يعني أن ملتقطات العزابة مختلطة كمن يجمع في غرارة واحدة من كل نوع من الثمر وكذلك هي قد تشتمل ورقة واحدة على مسائل شتى من أبواب شتى، فلا مسألة تنتظم مع أختها، ولا باب من أبواب الفقه يستوعب ويستقصي له فهي قليلة الفائدة جدا والغناء، كثيرة التعب والعناء)

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص209.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص576.

6)أبو محمد جمال المدوني المزاتي، عالم وفقيه، وافر الثروة كريم، أصلح بين قبيلتين من قبائل ورجلان، كان عاملا على ورجلان لأبي خزر عندما قام إماما للدفاع للثأر من مقتل شيخه أبي القاسم. توفي المدوني قبل(354هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 242.

بسبب إصلاح الدين أولى)[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني، يظهر الجانب الوجداني في توقير العلماء بعضهم لبعض، وفي جعل أجرة لمعلم القرآن حتى لا ينقطع خير تعليم القرآن.

مساعدة الآخرين:

قدم رجل من نفوسة يشتكى إلى أبي عبد الله بدين كان له على الشيخ ينكول و كان قد توفي، فجمع أبو عبد الله المشائخ وعرض عليهم القضية، فتسابق المشائخ في قضاء الدين، حتى ترك النفوسي دينه لما رأى من تنافس المشائخ على أدائه، فجمعوا له دينه[3]، وأضاف الشماخي[4] أن النفوسي أسقط الخمس منه وهو نصيبه من مشاركته معهم.

التشديد على الابتداع:

زاره أحد مشائخ وارجلان (ورغب في المسير إليه، فقال له:(تصل وارجلان فترى الناس ويرونك ويتبركوا بك، فقال: مالي ولقوم عمدوا إلى مكتل عظيم فجعلوا فيه القدور والملاقي[5] والشقف والملاحف، وخلطوا ما لا ينبغي أن يخلط قال الشاعر:

لا تخلطن خبيثة بطيبة   واخلع ثيابك وانج منها عريانا)[6]

ذكر ذلك الشماخي[7] من دون أن يذكر المناهي مكتفيا بوصفها (تخليط أهل وارجلان الحسن بالقبيح).

يظهر الجانب الوجداني في التبرك بالمشائخ والاحتفاء بزيارتهم، وفي امتناعه عن الزيارة بسبب الخلط الذي وقعوا فيه، وعنادهم المشائخ وفي دعوته إلى الفرار من الخلط بين الصالح من الأعمال و الفاسد منها.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص220.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص583.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص204.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص573.

5)القدور و الملاقي والشقف: الخزف المكسر. والملاحف: الإزار. أظن أنها طقوس وبدع محرمة.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص207.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص575.

إصلاح شأن الناس بهجرهم:

ومن ذلك أيضا أنه كان في بلاد أريغ بحلقته وكان فيها فسادا أضرّ بالضيوف الذين يفدون إليه من أماكن شتى من قطع الطريق والسرقة، فهاجر أريغ إلى ورجلان، فألحوا عليه العودة، فاشترط عليهم إصلاح أحوالهم (فتعاونوا على البر حتى ارتدع عتاتهم، وانقمع غواتهم، فلما بلغه ما هم عليه من الخير سألوه الرجوع فرجع)[1]ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في حرص المجتمع على وجود العالم بينهم، وفي تحميل المسؤولية للمجتمع في إصلاح حالهم.

التحذير من الفرقة:

حدث أن رجلا من لواتة ينزع إلى الخلاف في أمور الدين، فقال له:(اعلم يا أبد الله[3] أنه ليس واحد أفضل من جماعة غير النبي عليه السلام، واعلم يا أبد الله أن من يتكلم وقد احتيج إلى كلامه فقد ابتلي ببليه، ومن يتكلم ولم يحتج إلى كلامه فقد ابتلى ببليتين)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] مع اختصار في نص الحكمة.

يظهر الجانب الوجداني في التحذير من مخالفة الإجماع، والإشارة إلى قدسية كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي وصفه الكلام بالابتلاء في كل الحالات سواء النافع أو غيره.

وأيضا من حكمه في ذم قسوة أهل زمانه وفرقتهم أن قال:(أن أهل زماننا هذا كالسبخة، إن ابتلت أزلقت، وإن جفت خدشت، وكالتيوس إن اجتمعوا تناطحوا، وإن افترقوا تصايحوا وقال: قطيعة الرحم كقطع عضو من الجسد، لا يخاط ولا يربط، ولا يناط)[6]، ذكر الشماخي[1] ذلك بنفس العبارة والمعنى.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص207،206.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص575.

3)أبد الله، لم أعثر على ترجمة له.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص204.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص574.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص205.

يظهر الجانب الوجداني في أسلوب الأمر والنهي بالمثال لتوضيح الصورة و شدة الوقع في القلب، إذ أن الزلق عند البلل كناية عن عدم شكر النعمة، و الخدش عند الجفاف كناية عن الجزع وعدم الصبر، والنزاع حين اللقاء مثل التيوس، و الصياح عند الافتراق.

المداراة على المذهب:

يذكر الشيخ قصة:(خرجنا في حلقة زائرين أهل الدعوة فلما صرنا في بعض بلاد الساحل خرج أهل المنزل فتلقونا فأدخلونا وأحسنوا نزولنا، وإذا فيهم رجل ممن كنت أعرفه من تلامذة شيوخي، وممن قرأ معي، وإذا هو قد لبس كساء حشميا، وفي رجليه قرق قلعي، وعلى رأسه شاشية حمراء وفي يده مزراق يرفعه ويضعه فأدخلوني المنزل وقد عزمت على هجران صاحبنا المذكور. ثم إن الرجل أدخلنا بيتا وأدخل معنا رجالا من أعوان الجبابرة فازددت عليه حنقا، وتضاعف غيظي عليه، وقلت لابد من الخطة فأكلنا طعاما إلى آخره وفرغت القصعة وجعل الفوار يتصاعد من قعرها، ولم أر قبلها قصعة تفور بعد فراغ الطعام منها، وذلك لشره الأعوان وشدة أكلهم وقلة أدبهم، وكان ذلك مما زاد في حنقي وقوي عزمي على هجرانه، إلا أنه كان من لطف الله أن حبست نفسي ولم أعجل عليه، قال فبعد انصرافهم أدخلنا بيتا آخر ليس فيه إلا العزابة فيه، وأحضر طعاما حفيلا، فقال: كلوا فلعلنا نؤدي بعض حقوق الإسلام وأهله، ونكفر ما تعلق بنا من طعام كنا نأكله من أموال أهل الدعوة في حرمة هذا الاسم، ثم قال: ما دعانا إلى ما ترون من مؤاكلة غير الجنس إلا المداراة عليكم وعلى المذهب، قال: فانحل بعض ما عقدت. ثم دعونا وانفصلنا إلى المسجد فلما كان وقت الصلاة الأولى فإذا بالرجل قد جاء وأذن فانحل بعض ذلك أيضا ثم جاء وركع ما شاء الله، ثم أقام الصلاة فلم يجد من يقدمه ليؤم فتقدم وأم بالجماعة فانحل بعض ذلك أيضا، ثم دعا فقام وركع ما شاء الله، ثم جلس وأخذ الكتاب وجعل يقرأ ويفسر ما أشكل منه، فانحل جميع ما اعتقد عليه، وحمدته واستحسنت حاله، وحمدت الله إذ لم تكن مني إليه عجلة بنشاط، ولا معاملة بمكروه)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس العبارة والألفاظ.

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص574،575.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص208.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص577.

يظهر الجانب الوجداني في أمره ونهيه وتبرِّئه من المداهنين، وغيرته على محارم الله، وفي الأمر بمخالفة الظلمة في هيئتهم، وعدم مجالستهم ومؤاكلتهم، وفي التكفير عن إطعام الجبابرة بإطعام أهل الصلاح، و في حمده الله على عدم الاستعجال في معاتبة الرجل وهجرانه.

نظام حلقة العزابة[1]:

يعتبر كتاب الطبقات أول مصدر استفاض في تفاصيل نظام حلقة العزابة[2]، حيث تتجلى الملامح الوجدانية واضحة في الأهداف الكبرى وفي القوانين والبنود التي تضمن السير الحسن للنظام، سواء ما تعلق منها بشروط الانضمام والآداب العامة، أو ما تعلق بالمهام والمسؤوليات.

أما ما يتعلق بالآداب نجد أن مجملها يحث على الزهد، و حسن الخلق مع المشائخ والتلامذة الآخرين في الحياة اليومية والصدق في طلب العلم والجد فيه والتدريب على تجنب الكسل واللامبالاة.

أما المهام والمسؤوليات فإن دورها يتمثل في التنفيذ الصارم للنظام وتطبيق نظام العقوبات حسب ما تم الاتفاق عليه.كما أنها تتميز بالتدقيق في متابعة التلامذة فردا فردا والوقوف على محاسنهم ومساوئهم.

ومن المهم جدا عرض نماذج للحياة التربوية لصاحب النظام مع تلامذته حتى تتشكل صورة تقريبية عنه، حيث تظهر شخصية الشيخ أبي عبد الله قدوة لتلاميذه في التعاون معهم في الأعمال اليومية أو الأسبوعية مثل النظافة، وتظهر في خلق الكرم والإيثار وفي السفر وتحمل مشقة التنقل ومواجهة المخاطر، إلى غير ذلك من القيم التربوية والوجدانية التي يتعلمها العزابي.

---

1)العزابة:(جمع مفرده عزابي وهو مشتق من عزب عن الشيء: تركه وانصرف عنه، واستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة، وبالأمازيغية يقال: إِعَزَّابَنْ، مفرده: أَعَزَّابْ. وهو: كل من لازم الطريق وطلب العلم وصاحب أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، ولهذا الصنف سمات انفردوا بها، وأحوال عرفوا بها، وذلك في تسميتهم وخطابهم ومؤاكلتهم ولباسهم أوقات نومهم وقيامهم وأورادهم وصيامهم وعبادتهم... (...) تعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، حينما أسس الحلقة ورتب قوانينها في القرن 05 هـ/ 11 م ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا).أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج02، ص 699.

2)أنظر: مقدمة كتاب طبقات المشائخ بالمغرب.

عن آداب الحلقة:

جعل للعزابي سيمات في هيئته ليتميز بها عن غيره[1]، وهي:

1. التجرد عن طريقة أهل الدنيا بحلق الشعر وعدم تركه يطول.
2. التقشف في الهيئة بـ: لبس البياض و عدم لبس الثوب المصبوغ إلا ما كان من طرز على الحاشية دون مبالغة، و الاكتفاء بالملحفة أو العباءة فقط أمر لائق به، و لبسه على قميص فهو أكمل لغير المبتدئ، إذ عليه عدم الاقتصار على قميص، بل يجب عليه اللحاف[2] أو الاشتمال أو الارتداء.
3. الالتحاء ولبس العمامة بطريقة معينة و هي ليست بلازمة، فإن اقتصر على اللحاف (غطى رأسه وألقى الطرف الأعلى من هدب حاشية الجانب الأيمن على العاتق الأيسر لا يلقي الهدب كله على العاتق الأيسر فإن ذلك مود إلى انكشاف العورة)[3]، يظهر الجانب الوجداني في:

- تمييز التلامذة عن المشتغلين بأمور الدنيا المهملين أمور الدين.
- التمييز بين المبتدئين والمتقدمين من التلامذة حتى يعرفوا ويراقبوا في أخلاقهم وتصرفاتهم.
- الالتحاف بالكامل فيه مدعاة التركيز والانشغال الكلي فيما هو بصدده من تربية وتعلم.

في مهام أعضاء الحلقة:

1. آمر ومأمور.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص172.

2)اللحاف: حاليا أو أَحُولِي بالأمازيغية:(اللباس الرسمي لأعضاء حلقة العزابة، يرتدونه في الحلقة وخارجها، لتمثيلها في المحافل العامة، كالأعراس والمآتم والأعياد الدينية والتجمعات الموسمية كالزيارة. ويلبسه أعضاء إيروان في بعض قرى وادي مزاب. وهو لباس أبيض قد يميل إلى الصفرة ينسج من الصوف ويبدو أن أصله من جبل نفوسة بليبيا ولا شير المصادر إلى بداية محددة لهذا العرف عند العزابة)أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج01، ص 21.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص173.

2. الآمرون: الشيخ والعريف[1].

3. العريف منفرد وغير منفرد.

4. المنفرد اثنان: عريف أوقات الختمات[2] والنوم، وعريف أوقات الطعام.

5. غير المنفرد: عرفاء، وهم من حملة القرآن مهمتهم:

- إملاء القرآن على الطلبة فيكتبون على ألواحهم، ثم يصححونها، ليحفظها التلامذة و يستظهرونها عندهم، وهم كثر.
- المحافظة على أوقات الدراسة ربما واحد ربما أكثر حسب الحاجة، ويسمى عريف أوقات الدراسة.

6. المأمورون ثلاثة: طلبة القرآن، طلبة فنون العلم والأدب، العاجزون. ولكل صنف وقته حسب اختصاصه[3]. يظهر الجانب الوجداني في:

- مسؤول على الختمات التي يقرأ فيها القرآن في وقت معين ليقف على سيرها بانتظام.
- مسؤول على احترام الأوقات والمهام الخاصة بكل وقت خاصة أوقات الدراسة، حتى تتوجه الجهود للاستزادة.
- احترام طاقة الفرد وتوجيهها حسب قدرتها والتدرج في تعليمها حتى ينشأ بتوازن، حتى العاجزون لهم مكان محترم في الحلقة.

مهام الشيخ في الحلقة:

1. تعليم فنون العلم لأصحابها.

2. الجلوس بعد الختمة للإجابة على الأسئلة في كل الفنون ومذاكرة علوم التلامذة لتعم الفائدة على الجميع.

---

1)العريف: عضو من أعضاء حلقة العزابة، ومن هيئة العرفاء المكلفين بنظام التعليم. تختلف مهمتهم من عريف لآخر.أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج02، ص 688.

2)الختمة: (اجتماع تلاميذ الحلقة لتلاوة شيء من القرآن الكريم والدعاء وذكر الله، ويتم هذا الاجتماع عند طلوع الشمس وعند غروبها(...)وهناك ختمة ثالثة بعد صلاة العشاء ليست إجبارية وحضروها على الكفاية) أنظر: معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج01، ص 323. أنظر أيضا: خليفات، عوض محمد، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية، في مرحلة الكتمان، ص 101، 102.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص173.

3. تخصيص يوم الجمعة بشيء من الذكر والوعظ والحكايات الزهدية.
4. استفتاح مجلس القرآن في الثلث الأخير من الليل واستيقاظ التلاميذ على وقعه فينضم إليه جمع وينفرد آخرون بدروسهم إلى غاية آذان الفجر.
5. تفتيش أحوال التلامذة واحدا واحدا وتمحيصها يومي الاثنين والخميس، و تفقد أحوال العرفاء، فيشكر من يستحق الشكر، ويؤدب من يستحق التأديب.
6. الفصل في شأن الضيوف وذلك بأن:
- عابر سبيل يستفيد من الوجبات دون الصدقات التي تقدم للتلامذة، و لا يجبر على الالتزام بالبرنامج.
- إذا كان يريد الدخول في الحلقة يطّلع على أحواله ومن أين قدم، فإن صلحت أذن له بالدخول، وإن كانت غير ذلك طرده، وإن تعذّرت معرفة حاله توقف في شأنه حتى يعرف، وفي أثناء ذلك يلحقه بالنزلاء إلى حين، فإن كان تائبا مبتدئا أذن له بالانضمام.
7. تقسيم المهام على العرفاء.
8. الفصل فيما يشترى ويباع ويُدّخر ويقسّم على التلامذة كل وقدره.
9. الحكم بين المختلفين من التلامذة[1].
10. تفقد الأحوال المادية للتلاميذ فمن كان موسرا نظر له فيمن يعينه، ومن كان معسرا نظر من يتبرع له و يعينه[2]. يظهر الجانب الوجداني في:
- تخصيص وقت معين في الأسبوع وهو يوم الجمعة لتركيز على الوعظ و الرقائق.
- تلاوة القرآن قبل صلاة الفجر وإيقاظ التلامذة بالتلاوة.
- المراقبة الفردية للتلامذة والوقوف على أخلاق كل واحد.
- التوازن في تقديم الشكر و إجراء العقوبة.
- إكرام الضيف والتورع في التعامل معه حسب حالته.
- وصف الذي يريد الانضمام إلى الحلقة بالتائب.
- تربية التلامذة على التعاون و التكافل فيما بينهم.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص173،175.
2)المصدر السابق، ص184.

مهام العريف المكلف بالختمات وأوقات النوم:

1. تسيير ختمة حزب الغداة في المجلس الذي يعقبه مذاكرة، والدعاء بالدور وهو الذي يبدأ، ومتابعة الحضور ومعاقبة المتخلفين بالخطة عن الحضور قبل انقضاء الدعاء.
2. متابعة نظام النوم والحفاظ على الهدوء ومعاقبة الممتنعين عن القيلولة تهربا من قيام اليل ومن دون عذر.
3. النداء إلى الختمة بعد صلاة المغرب و الذكر و قراءة القرآن من طرف قارئيْن والدعاء بالدور، ومن تخلف بعد انقضاء الدعاء يعاقب بالخطة.
4. قراءة القرآن بعد صلاة العشاء، و النداء للدعاء قبل النوم، ما لم تكن الليلة من ليال الإحياء، ومن الأحسن كتاب وعظ أو فيما تيسر بيد أفصحهم وهذه الختمة ليست بالأكيدة، ومن أردا مواصلة المطالعة فله ذلك بعيدا عن النائمين[1].يظهر الجانب الوجداني في:

- الصرامة في المحافظة على الأوراد القرآنية اليومية وهي ثلاثة: بعد شروق الشمس، وبعد غروبها، وقبل النوم بعد صلاة العشاء.
- الإكثار من الدعاء وجعله علامة نهاية الحلقة.
- مساعدة التلامذة على قيام اليل بإجبارهم على القيلولة.
- ختم اليوم بالوعظ.
- وجود برنامج خاص لبعض الليالي الخاصة بالإحياء، مثل ليلة القدر.

مهام عريف أوقات الطعام:

1. ملازمة التحفظ وإفراط الحذر إذا كان الطعام خارجا في دار دنيوي، أما إذا كان عند عزابي فلا بأس من بعض الانبساط واقتراح الطعام أو طلب زيادة في الإدام مثلا، و ترتيب جلوسهم في كلا المجلسين، ومتابعة الحضور والغياب والعتاب والخطة على ذلك.
2. غسل الأيدي والأكل المعتدل من دون نهم ولا أكل تكبر، وتوجيه الملاحظات والنصائح وما تكرر من الأخطاء فالخطة.

---

1)المصدر السابق، ص175،176.

3. إذن أكبر الحاضرين بالدعاء بعد التأكد من إكمال الجميع الأكل.
4. ترتيب تقسيم ما يأكل بعد الوجبة إما في عين المكان وإما مما يدّخر، والاستعانة بالطلبة غير المنقطعين للمطالعة و المدارسة في ذلك، والتحذير من الشره والحرص خاصة إذا كانت الفاكهة نادرة.
5. تقسيم المعروف المدّخر، إما وقت الضحى بعد كتابة الألواح وتصحيحها، أو بعد العصر بعد أن يكمل العريف تصحيح الألواح فينادي للطعام، ويكون خلال تناول الفاكهة أو ما تيسر: طرح مسائل ومناقشتها، وذلك أن يكون في كل مجموعة عريفا نابها يلقي ثلاث مسائل في أي فن، ثم يكون الدور ميامنة، فمن توقفت عنده منعه العريف من الأكل إلى أن يأتي بفائدة ولو بعد حين، تأديبا وتحريضا على تحصيل الفوائد[1]. يظهر الجانب الوجداني في:
- التركيز على الأخلاق الحسنة في دار غير العزابة، والانبساط في دار العزابي.
- مراقبة آداب الأكل و النهي عن التكبر والنهم.
- الدعاء وشكر الله بعد الأكل.
- تحفيز الطلبة على الاجتهاد في التحصيل، بالربط بينه وبين الأكل.

مهام عريف الدراسة:

1. هم من حملة القرآن، ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، أقلهم اثنان وأكثرهم عشرة في الغالب الأعم، حسب كثرة وقلة الرجال.
2. الإملاء والتصحيح وحمل التلاميذ على الحفظ.
3. سماعه لما كتبوا من ألواحهم بالأمس، بعد أن يجمعهم نقيب من أنفسهم ويجلسوا، وتحفيزهم ومعاقبتهم عليها لمن يلزمه ذلك، الحجز في الزاوية والجلد للصغير، والخطة والطرد للكبير.
4. الإحسان في مراقبة رغبتهم واجتهادهم وإعذار قليلي الفهم، والاجتهاد في معاتبة الكسول، وتقديم حالة كل واحد من التلامذة للشيخ يوم الاجتماع[2]. يظهر الجانب الوجداني في:
- المحاسبة على التقصير في الاجتهاد، ومراعاة القدرات في ذلك.

---

1)المصدر السابق، ص177،176.

2)المصدر السابق، ص178.

مهام عرفاء أوقات الدراسة:

1. تفقد أصحاب الألواح بين الظهر و العصر وبين المغرب والعشاء في الإبطاء والغياب عن الحلقة، أو الاشتغال بما يلهي، أو الخطأ في القراءة إهمالا بعدم تصحيح لوحه عند الشيخ، أو القيام إلى الطعام من غير ضرورة أو النجوى والكلام، وكل ذلك يستلزم الخطة.
2. تفقد التلامذة وقت الاستفتاح، والخطة لكل من نام أو تناوم أو اشتغل بغير الدراسة من غير عذر.
3. تفقد التلامذة في الحضور لحلقة المواعظ بين صلاة الجمعة والعصر[1]. يظهر الجانب الوجداني في:
   - التشديد في الالتزام بالجدية والحرص على التعلم.
   - الإجبار على حلقة المواعظ.

أنواع الطلاب في الحلقة:

1. طلبة القرآن:

1. القراءة بين الظهر والعصر حتما وبعد العصر استحبابا.
2. هيئتهم: الاشتمال في اللحاف فلا يظهر من جسدهم شيء.
3. طريقة جلوسهم: تكون وإسناد الألواح إلى الأساطين، ومقابلتها غير مستندين ولا مكثرين من الالتفات، وذلك بين الظهر والعصر وبين العشائين، ويباح لهم الاستناد في غير ذلك من الأوقات، والأفضل للصغار ترك الاستناد.
4. لا يشتغلون بشيء آخر غير القرآن إلا ما عناهم من العبادات وفرائض الإسلام كالطهارات والصيام والصلاة، ومن المكروه الاشتغال بأكثر من ذلك إلا لذوي الذكاء والمواهب[2].

2. طلبة العلوم:

1. طلبة الأدب: أصحاب لويحات و صغار في السن فينبغي لهم عدم الاستناد مثل السابقين.

---

1) المصدر السابق، ص179.

2) المكان نفسه.

2. أصحاب الكتب:

- (شأنهم الاستناد إلى أركان المسجد والأبواب والأساطين وحيث يستحسن).
- من الأحسن لهم الاجتماع (للبحث والمذاكرة والمناظرة، ما لم تفض إلى توغير الصدور).
- يجب أن يكون لهم وقت معتاد يقبلون فيه على أساتذتهم، ليأخذ كل منهم درسه.
- يجتمعون في ختمة الغداة بحضور الشيخ لعرض الأسئلة إما بالدور ميامنة، وإما أفصحهم لسانا، وإما أحوجهم لجواب على ضرورة، فيجيب الشيخ على السؤال، أو إن كان مهما يحيله إلى يمينه ويدور إلى أن يصل إلى الشيخ فيجيب، أو يجد في المجلس من هو أكفأ منه فيه فيأذن له بالجواب، وللسائل التنبيه على السؤال إن لم يفهم أو نسي، أو احتاج إلى توضيح خاصة إذا علم من الحاضرين استزادة الكشف.
- عدم القيام من المجلس إلا بعد إذن من يليه.
- يكره مناقشة مسائل الشواذ إذا حضر المجلس غيرهم، لأنها مضلة.
- ركعوا ركعات الضحى وشيعوا شيخهم إن كان لا يستثقل التشييع وإلا ودعوه وكفى[1].

3. القاصرون من التلاميذ:

- هم الطرش والعميان والزمنى و الهارمون وذوو الأفهام القاصرة، يحاسبون برفق، و (الله حسيبهم فيعاقبهم أو يثيبهم).
- عليهم بالاستماع لتعلم الأخلاق، و إظهار التلهف والاشتياق، وعليهم المحافظة على الطرق والأوقات.
- والعبرة بالجهد لا بالتحصيل، إذ يقول الدرجيني(والغرض أن أعلمكم أن من لم يأل جهدا فهو مأجور وإن لم يحصل، وأن المتضيّع المفرّط راض لنفسه بالقوت الحرام واكتساب الآثام ومرتكب لسخط العلام)
- قد يستعان بهم في خدمة أهل التلامذة مثل توزيع الطعام وغير ذلك من الخدمات[2].

يظهر الجانب الوجداني في:

- الأولى للجميع أن يشتغلوا بأمر عباداتهم إذا طرأ لهم طارئ فيها.

---

1)المصدر السابق، ص181،180.

2)المصدر السابق، ص182،181.

- الحذر من توغير الصدور أثناء المناقشة.
- استئذان طالب العلوم من زميله قبل القيام من المجلس.
- الحذر من إفتان من قد يحضر للاستفادة بمناقشة المسائل الشاذة.
- الحرص على التنفل عقب نهاية مجلس المذاكرة.
- الحرص على إرضاء الشيخ وتجنب ما يزعجه.
- احتواؤهم لأصحاب المواهب الضعيفة وتوجيههم بما يحفظ كرامتهم.

أدب العزابة في العبادة:

1. آخر النهار هو وقت الراحة و التصرف إلى أماكن الفسحة مثل أماكن المياه والأشجار، مبتعدا عن أماكن الشبهة، أو الأسواق وإن كان الذهاب إلى السوق ولابد (ففي طريق نافذ ووقت لا يظن فيه ريبة).
2. وقت الأكل والمعاش بعد صلاة العشاء، إما لوحده وإما مع من تتفق معه طبائعه، ويشترط التخفيف والدعاء بعد الأكل.
3. تغيير المنكر متى ظهر، ويشترط تقديم الشيخ أو التقدم بإذنه أو تقديم الأمثل.
4. وقت التأهب للصلاة بقدر ما يستبرئ ويتوضأ ليدرك الجماعة، ويشترط الابتعاد وإعداد حجر الاستجمار.
5. أوقات النوافل في الليل والنهار، والأمثل خمس تسليمات بالليل ومثلها الضحى، ومن زاد فهذا أفضل، ومن شروط صلاة اليل إطالة القراءة واختلف في إسرارها وإعلانها، وقيل الإعلان لإيقاظ النائمين، وقيل الإسرار أفضل للبعد عن الرياء، كل هذا إضافة إلى الركعات الرواتب.
6. أوقات الصوم المستحب مثل الجمعة ويوم قبله، وتاسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، والثلاثة البيض من كل شهر، إلى غير ذلك[1]. يظهر الجانب الوجداني في:
   - تخصيص وقت للفسحة مع الابتعاد عن مواطن الشبهة.
   - التقليل من الأكل والمواظبة على الدعاء بعده.
   - الحرص على تغيير المنكر وتقديم الأكفأ لذلك.

1) المصدر السابق، ص182، 183.

- الحفاظ على أوقات الصلاة وعلى شروطها وآدبها.
- الاجتهاد في النوافل من الصلاة والصيام.

في أداب الطريق و تقويم السلوك:

1. ألا يتواضع لمتكبر و لا يتكبر لمتواضع.
2. ألا يجالس أهل الدنيا إلا لضرورة تعود للدين من علم أو عمل، (والكبير أعذر في مخالطتهم من الحدث، فإن الكبير أهل لأن يهديهم والحدث أهل لأن يضلوه) و الخطة لمن أكثر بعدما نهي[1].
3. المؤاخذة على العثرات درجات حسب أصحابها:

- الكبير المبتهل حسن به الظن والعبارة، واستعمال الإشارة واللطف.
- غير الكبير،(راسخ القدم، شامخ القدر، واخذته على الكبيرة و الصغيرة، واستعظمت نقيره من الخطايا وقطميره)، وإن كان غير ذلك (تجافيت عن النقير والقطمير، واستكثرت من حسناته الشيء الحقير، وسلكت معه مسلك التأنيس لا التنفير)[2].

يظهر الجانب الوجداني في:

- إلتزام التواضع إلإ للمتكبر.
- الحديث مع أهل الدنيا بما يصلح شأن الآخرة.
- درجات التأنيب حسب عمر الشخص و قدمه في الحلقة .

بعض مشاهد الشيخ أبي عبد الله التربوية مع تلاميذه:

همّ العزابة بكنس الغار، فأخذ الشيخ معهم في الكنس والنقل، فقال له أحدهم:(أقعد يا شيخ فإن العزابة يكفونك، قال أو يحملون عني ذنبي؟ فكان يرفع قليلاً قليلاً جهد طاقته، فقلت له: ارفع إذا أكثر من هذا، فقال: لو كان رأيك يؤخذ لأخذنا به آنفا)[3]، ذكر ذلك الشماخي[4].

---

1)المصدر السابق، ص183.

2)المصدر السابق، ص184.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص212.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص578، 579.

يظهر الجانب الوجداني في التواضع و مشاركة تلاميذه و تبسطه معهم، و توقيرهم له، وفي تعليمه العقيدة بطريقة عملية، و أن العمل الصالح يمحو السيئ.

ومن المشاهد أيضا أنه كان زائرا بوغلانة[1] فقدم له أبو عمران موسى بن أكنون باكور من الرطب والقثاء،(فعلم -رحمه الله- أن ذلك لا يؤثر به غيره، وأن العزابة الغرباء قد يكون بهم تشوق لمثل هذا مما يستغرب، فلم ينفرد بذلك دونهم فقال له: يا موسى أعلي تتجرأ بمثل هذا، وتجهّم في وجهه، فقال: وما ذلك؟ قال: تتحفني بمثل هذه التحفة ومعك أضياف الله لا يتحفهم أحد بمثل هذه التحفة، وهم أولى من أوثر بها، فاذهب وادفع ذلك إليهم وطب نفسا بما يقر عيونهم، فقال: إن هذا شيء يسير لا يجزي فيهم، ولا يقوم لهم مقاما، فقال: بل يقوم لهم أي مقام. فجز القثاء على عددهمأو أكثر من عددهم ثم ضعه على الرطب، ثم ادفع إليهم، ففعل ولا يبعد أنه تناول لنفسه مثل نصيب أحدهم لا زيادة وكل ذلك ليبقيه سيرة يقتدي بها من رآه أو سمع به)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] مع تبيين مقصد التقسيم وأخذه نصيبا له وذلك تطيبا لخاطر المنفق.

يظهر الجانب الوجداني في اعتبارهم التلامذة أنهم ضيوف الله، وفي تسوية نفسه بالتلامذة، وفي تطييب خاطر المنفق بأخذ شيء من صدقته.

ومن المشاهد أيضا أنه كان كثير الخروج إلى بوادي مزاب، لغرض (إراحة خاطره وخواطر تلاميذه واستصلاحها، وتدبير قوى أجسادهم واستصحاحها، (....) وأيضا فإن بني مصعب كانوا واصلية فعمت عليهم بركته فرجعوا إلى الدين الحق والطريقة المرضية، وذلك كان أكثر قصده في انتجاعهم وحلول رباعهم، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يفهمونها)[4]، يظهر الجانب الوجداني في مراعاة الجانب النفسي للتلامذة والترفيه عنهم بالموازاة مع التعلم والتحصيل، وفي الجمع في رحلته بين الترفيه و نشر العلم وتعليم الناس الخير.

ومنها أيضا أنه في فصل الشتاء بعد أن يحرث مزرعته يصعد بحلقته إلى أبي سليمان داود بن أبي يوسف، (يقيمون عنده حتى يسمعوا صيّ البعوض فينزل إلى ضيعته)[5].

---

1)أواغلانت: أو أواغلانة، بلد وواحة في واد ريغ. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 832.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص204،205.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص574.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ج01، ص184،185.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص261.

يظهر الجانب الوجداني في التعاون مع المشائخ الآخرين في تعليم التلامذة، وفي خدمته لأرضه بنفسه.

عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

لم يضف الدرجيني من الأخبار الوجدانية عن الشيخ على ما ورد عند أبي زكرياء سوى نموذجان أحدهما حول الدعاء والآخر عن العلم، وهذا تأكيد للجانب التربوي الذي غلب على حياة الشيخ.

الدعاء:

مرّت جماعة من العزابة على قرية من قرى نفزاوة[1] فأذاهم رئيسها، وقالوا له:(احذر عقوق الوهبية. فقال لهم: ارغبوا إليهم وقولوا لهم يدعو عليّ) فوصلوا جربة يوم جمعة وهو يوم أقبل فيه الشيوخ مع تلامذتهم وفيهم أبو الربيع، فذكروا له ما حدث، فقال:(رب كلمة سلبت نعمة، اللسان يلعب بالبلاء) فاجتمعوا وأداروا الدعاء فأصاب الرجل في تلك الساعة، وجعل يصرخ من شدة الوجع: قتلني الأعور. يعني أبا الربيع، حتى مات[2]، وذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في الحذر والتحذير من دعاء الصالحين، وفي اليقين في استجابة الدعاء، وفي الاجتماع على الدعاء والمواظبة عليه كل يوم جمعة بشكل جماعي.

العلم:

كان جالسا مع يزيد بن يخلف الزواغي[4] وراء مجلس أبي يعقوب محمد بن إيدير[5]، فسُئل: هل يجب العلم عندما يجب العمل، فأخطأ في الجواب، و تحاورا فيما بينهما في ذلك، وسمع شيخ

---

1)نفزاوة: قبيلة بربرية صفرية في الجنوب الشرقي من شط الجريد.أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 875.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص248.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص603.

4)يزيد بن يخلف الزواغي، لم أعثر على ترجمة له.

5)أبو يعقوب محمد بن إيدير، لم أعثر على ترجمة له.

الحلقة الجواب، فلم يقل لهما رجعت عن قولي، ولا أدناهما إلى الحلقة، ولا قالا له ارجع، على أن الجواب الوجوب[1]. ذكر ذلك الشماخي في معرض الكلام عن أبي الربيع و عن يزيد ين يخلف[2] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في حسن أدبه مع أقرانه العلماء وعدم التعجيل في تخطئته، وفي ضرورة العلم عند وجوب العمل، حتى لا يُعبد الله عن جهل.

عن أبي عمرو النميلي الزواغي[3]:

يعتبر ما ورد عن الشيخ في المجال وجداني مؤشرا مهما جدا إلى حالة وجدانية كانت سائدة تتمثل في الحرص على طلب النصيحة وقبولها والالتزام بآدابها.

طلب النصيحة:

ذهب إلى أبي محمد ويسلان يوما زائرا، وقيل هو الذي زاره، فقال له:(يا ويسلان يا بني ذاكرني بشيء أنتفع به، فسكت عنه أبو محمد فلم يجبه، فقال له: مهلا عليك يا ويسلان، مهلا عليك إن كنت استثقلت سؤالي فإني أخفف عنك وإلا فعلام تركت سؤالي، ولم تجبني؟ ولما رأى أبو محمد تغيّر أبي عمرو أقبل عليه، يذاكره بما اعتقد أنه ينتفع به)، وعلق الدرجيني:(فهكذا كانت أحوال السلف وأخلاقهم، وتسارعهم إلى الخير، وسباقهم، لا يضيعون الوقت، ولا يفوتون الغائب)[4]، وأضاف الشماخي[5]: (وقال: إن تتيمم فاغسل أطرافك ، قال: أحسنت يا ويسلان، أحسنت).

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على النصيحة في الدين وأدائها ولو ممن هو أقل منه سنا، وفي الأدب في طلب النصيحة والتلطف فيه.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص251.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص605، 759.

3)أبو عمرو النميلي الزواغي، عالم محقق من أقطاب جربة، من المشائخ الذين ألفوا ديوان غار أمجماج، مات شهيدا عن عمر يناهر 120 سنة، (و:311ه/ت:431ه)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 684.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص184.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص554.

عن أبي موسى عيسى الزواغي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر جليا أن حياة الشيخ تقدم نموذجا وجدانيا في طلب العلم وتحري الصواب والاهتمام بأمر المسلمين، كما أنها تقدم نموذجا للتوازن بين طلب الدين والعلم وطلب الدنيا.

العلم:

وردت عنه مسائل عارضها المشائخ، الأولى: قوله أن الأمر والنهي مرفوعان عن أهل الكتمان، ووجهوها: إنما يعني سقوط الأمر في أهل الخلاف، أي ما يعتقده المخالفون أنه صواب عندهم، والثانية: أن الرياء لا يكون بين العبد والناس وإنما بين العبد وربه، ووجوهها: أن ذلك في النوافل لا الفرائض، والثالثة: أنه اغتم ولا زم الفراش لما أصيب قومه، فجاءه أحد المشائخ وقال له:(حججت، وتصدقت وأعتقت وأنفقت، وأنفذت وصيتك بيدك، ومع ذلك فإن الوهبية غير راضين أحوالك، لكلفك بقومك حتى بلغ بك إلى هذا الحال(...) وأجابهم: بأن قال: يا أبا بكر ألستم تقولون أن من إذا نال خيرا نلته معه، وإن ناله شر نالك معه، فإنه مهما أصابه مكروه فتوجهت وتوجعت شفقة عليه إن ذلك ليس بحمية؟ فقال لهم أبو صالح: اسألوا من صاحبكم المحاللة، فإنه قد أجابكم بمخ العلم)[2]، وأضاف الشماخي[3] موضحا المسألة الثانية:(الرياء لا يكون في الفرائض وإنما يكون في النوافل لأنه ليس عليهم سوط عذاب فيختلهم الشيطان من جهتها).

يظهر الجانب الوجداني في التحقيق في مسائل العلم وتحري الصواب، وفي الاهتمام بمسألة الإخلاص و التحقيق فيها، وفي الاهتمام و الاغتمام بشأن المسلمين، وفي رضى القوم بالعالم يكون بعد أداء واجباته الدينية والاجتماعية.

وقد قال في شأن من يطلب العلم ومن يطلب المال:(خرجنا من هؤلاء - يعني قومه وأهله - وتركناهم أصحاب شياه وبقرات، وقرأنا العلم ورجعنا فسعينا و جمعنا مثل ما جمعوا من شياه

1)أبو موسى عيسى بن السمح الرباني الزواغي، من علماء جربة بتونس، نشأ بزواغة، اشتهر بالعلم والصلاح، قتل ضمن المشائخ الذين قتلوا في هجوم المعز بن باديس على جربة(431هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 702.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص186.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص555،556.

وبقرات)، وأضاف الدرجيني نافيا عنه الافتخار، بل يريد التحريض على طلب العلم والاجتهاد وبأن طلب الدنيا مدرك لا يفوت، وأن المتعين طلب العلم والدين[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] مضيفا تعليق الدرجيني وتوجيهه.

يظهر الجانب الوجداني في الحث على طلب العلم، وفي أن الدنيا تتحقق ببركة تحصيل العلم.

عن أبي محمد عبد الله بن زورستن[3]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تدور الأخبار الوجدانية التي وردت عن الشيخ حول معاني الورع والعلم، أما الورع فيتمثل في تحريه الصواب في الفتوى حين عمل عملا شك في صحته وأيقن منه الهلاك، وأما العلم فإنه يقدم لنا نموذجا للتلميذ الذكي الحكيم الذي جعل رضى أستاذه مقصدا وغاية، ثم نموذج العالم المتواضع أمام من هو أعلم منه.

الورع:

ورد عنه أنه وجد أمة فآواها، ثم ظن أنها أبَقَت فتكدّر خاطره وذهب إلى أبي صالح يطلب منه الخلاص، فقال له:(لا بأس عليك لأنك لم ترد إلا خيرا، وما تعمدت إتلاف مال أحد، ولا أتلفته أنت)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5].

يظهر الجانب الوجداني في خوفه من المعصية وحرصه على السؤال، وفي التخفيف في الحكم إذا عرف الصدق في الطلب.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص187.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص555.

3)أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني، منا علماء كنومة، بالجنوب التونسي، من تلاميذ أبي صالح بكر بن قاسم، (400هـ، 450هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 584.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص216.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص582.

الحرص على برّ المشائخ:

ذُكر عنه أنه كان فتى الشيخ أبي نوح سعيد بن يخلف المقرّب، إذ صحبه يوما معه إلى بني كطوف[1]، وكانوا في ارتحال، فلَهوْا عن الشيخ و غفلوا عنه حتى ضاق صدرا، فقال له:(اردد إلي فرسي فإن دين الله أعز من هذا) فجعل يصلح هيأة المركوب ويتماطل فيه بعد أن رأى اجتماع القوم لعلهم يعتذرون إلى الشيخ، فوصلوا معا إلى الشيخ واعتذر القوم وقبل عذرهم، وحكى له ما كان منه من المماطلة و حسن السياسة فقال له أحسنت يا بني[2]. ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في صحبة الشيخ وخدمته و حسن موافقته والسعي إلى رضاه و التعلم منه، وفي عزة الشيخ وأنفته وغيرته على دين الله.

حلقات العلم:

قدم جربة زائرا، ووصل إليها وقت صلاة الظهر، وبعد الصلاة جلسوا وقدّموا له كتاب ليفسر، وكان بالمجلس أبو عمرو النميلي وهو لا يعرفه، فدخل أبو صالح بكر بن قاسم، فقدم له الكتاب ليواصل، فأحال أبو صالح ذلك إلى أبي عمرو وقال أبو محمد:(فأصابني خجل لما فرط مني إذ تكلفت التفسير بمحضر منه ولم أعرف مكانه)[4]، وذكر ذلك الشماخي[5] بنفس العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في التحليق وقراءة الكتب بعد صلاة الظهر، وفي تحرجه من التقدم على عالم وهو لا يعرفه.

1)بني قطوف: قبيلة بربرية إباضية من زناتة بني وسيلن، سكنت الجريد في النصف الأول من القرن الخامس هجري.أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 876.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص217.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص581.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص216.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص582.

أبو عبد الله محمد بن سودرين[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تبرز الأخبار الواردة عن الشيخ ملامح وجدانية منها أنه كان حريصا على التعليم والتعاون مع أقرانه العلماء في تنشئة الأجيال وتعليمه تعليما بنائيا، كما أنه كان محتاطا لدينه جريئا في ذلك.

منهج التربية التعليم:

ذكرت المصادر تعاونه مع علماء آخرين على تخريج الطلاب، ومنهجهم في ذلك أن البداية بالرقائق والسير وآداب الصالحين عند أبي يعقوب محمد بن يدر الدرفي[2]، ثم يحفظون القرآن واللغة والإعراب عند الشيخ محمد بن سودرين، ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله محمد بن بكر ليتعلموا أصول الدين والفقه. (فكان العزابة في ذلك الزمان يشبهون الشيوخ الثلاثة بثلاث نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب من الشعراء، والثاني يشقها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمّرها، فيما يصلح من الأدوات)[3]ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في التكاتف والتعاون في التربية و التعليم، وأن أول ما يبدأ به المتعلم سير الصالحين والرقائق.

الورع عن المال الشبهة:

كان يوما في بلاد الساحل فرأى الناس يدخلون إلى رجل جالس على دكان يقدم لكل واحد دينار، فدخل وأخذ الدينار ومضى قال:(ثم راجعت نفسي لائما لها، مقبحا لفعلي، ثم رجعت

---

1)أبو عبد الله محمد بن سودرين، من كنومة في بلاد الجريد بتونس، (400هـ، 450هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 825.

2)أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي، من مشائخ جبل نفوسة بليبيا، (ق05هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 859.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص218.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص735.

إليه فقلت له: أنا على غير مذهبك، فنظر إلي مبتسما وزادني دينارا آخر)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في لوم نفسه على ما فعله، تحري الصدق و الحلال، وأن القصة تمثل مظهرا من مظاهر التسامح المذهبي.

عن أبي محمد عبد الله بن مانوج:

العلم والتعلم:

كان يقول:(لا أندم على شيء فاتني من الدنيا كندمي على ثلاثة أشياء لتركي إياها: قراءة كتاب الجهالات[3]، وزيارة أهل الدعوة، ومجالسة أبي عمران[4])[5]، ذكر ذلك الشماخي[6] لكن في معرض الحديث عن أبي محمد ويسلان.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على الطاعات في حياته، منها: طلب علم العقيدة، زيارة الإخوان، مجالسة العلماء.

عن أبي الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تميزت حياة الشيخ الوجدانية من خلال ما ورد عنه من أخبار بنوع من الحدة في التوتر، بداية من تبرؤ العزابة منه وهجرانهم له بسبب موقف علمي عقدي تبناه، ثم مشهد إقامة حد من حدود الله وقاعدته التي صاغها في الموضوع حول مسالك الدين و تنفيذ الحدود كل ذلك يدل على شخصيته الصارمة الحريصة على التزام الحق و تنفيذه، ثم نهايته الاستشهادية في سبيل الدفاع عن الحرمات كانت خاتمة هذا التوتر و الاحتراق في سبيل الدين والمقدسات.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص218.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص583. أنظر أيضا: ص 688

3)كتاب الجهالات للشيخ تيبغوين بن عيسى الملشوطي، حققه الدكتور عمرونيس التونسي في الجامعة التونسية ونال بها شهادة الدكتوراه. أنظر: هامش طبقات المشائخ بالمغرب، الدجيني، ج02، ص 231.

4)هو أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي. أنظر موضع مناقبه.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص231.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص558.

الهجران بسبب موقف علمي:

ورد أن العزابة تبرؤوا منه بعد قول له في صفات الله، إذ قال إن السخط والرضا من صفات الله، فسافر إلى المشرق للحج، فقال الدرجيني:(ولعل الجماعة رضوا عنه، وحينئذ توجه إلى الحج، وإلا فلا يمكنه أن يقصد إلى الحج وهو في وحشة الهجران، بل بعد أن يتوب وتقبل توبته)[1].

يظهر الجانب الوجداني في التبرؤ من كل من يخالف أراء المذهب العقدية، وفي ضرورة التوبة و الخروج من الهجران قبل أداء الحج.

تنفيذ الحدود:

ورد عنه حرصه على تنفيذ حدود الدين حسب الاستطاعة والقدرة، وذلك بتطبيقه حد الزنى على رجل شهد على نفسه بالزنى، وقال بوجوب تطبيق الحدود التي من شأن الظهور تطبيقها في وقت الكتمان، وصاغ القاعدة أنه إذا قدر أهل الكتمان تطبيق أحكام أهل الظهور فعلوا والعكس غير صحيح، أي أن أهل الظهور لا يجوز لهم تطبيق أحكام أهل الكتمان[2]. ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

الدفاع عن الحرمات:

هاجم عسكر صنهاجة قلعة درجين وحاصروها حصارا شديدا سنة 440هـ، فخرجوا رجلا واحدا يدافعون حتى قتلوا عن آخرهم[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى، يظهر الجانب الوجداني في الدفاع عن الحرمات والاستشهاد في سبيل ذلك.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص189.

2)الدرجيني، المصدر السابق، 229.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص589.

4)الدرجيني، المصدر السابق، 228.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص588.

عن أبي عمران المزاتي[1]:

فضل العلم على العبادة والصدقة:

من أقواله التي كان يكررها دائما:(تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمانين مسألة في علم الفروع، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا من كتب إلى بلد لم يكن فيه ذلك الكتاب فكأنما حمل ألف حمل دقيقا، وتصدق بها على أهل ذلك البلد، وهذا في فضل العلم وطلبه)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في التحفيز على العلم بتقريب عظم الأجر والثواب.

أبو محمد عبد الله بن الأمير:

العفو:

ذكر عنه أنه كان في سفر مع رجل يدعى عزون، فكلفه بأمر ثقيل عليه فعله، فقال عزون معايرا بن الأمير بلونه لأنه كان من أمَة سوداء:(لو كان العبد من ديباج لكانت أطرافه من تليس)، فقال له أبو محمد: (يا عزون أنفترق بعد هذا الطريق ولابد؟ قال :نعم. قال: تعالى فاركب على عاتقي)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في الخفض من الجانب للحفاظ على الود والصداقة .

---

1)أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الزمرني، من رؤوس العلماء في زمانه، من أهل تجديت أو من زمرين، أحد السبعة الذين ألفوا ديوان العزابة بغار أمجماج، (حي في: 405هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 923.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص233.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص590.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص237.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص595.

عن أبو مكدول الزنزفي[1]:

النصيحة:

في زهده ونصحه وجرأته وروايته الأمثال والحكم في الدعوة، معظمها أمثال وحكم بالبربرية، وقف عليها الدرجيني لكن لم يحصل فيها على فائدة فيذكرها[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

إكرام الضيف:

أضاف كلا من الشيخ أبي محمد ماكسن والشيخ يخلف التيمجاري أحسن ضيافة لكنها كانت دون قدرهما، وقال حين قدم لهما أكلا:(كلوا فقد مات من يسلم في نفسه ويسلم معه غيره[أظن أنه يريد التوافق الشديد بينه وبين من معه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم]، فشكرا صنيعه، وشكرهما حين رآهما شكرا ولم يذما، وحمد هو الله على اقتران الشكرين، و خطر بباله أن اللعنة مع الضيف مقرونة، فإذا حمد وشكر وقابله المضيف بحمد الله وشكره وقعت على إبليس، لعنة الله عليه، وإن لام أحدهما وضجر وقعت عليه)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في حمده لله على رضا الضيف، وفي حرصه على رضى الضيوف لأن ذلك مخز للشيطان.

1)أبو ميدول مصكوداسن الزنزفي الهواري، واعظ وداعية ومرشد، له أمثال وحكم، (400هـ، 450هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 898.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص243.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص599.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص243.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص599.

عن أبي محمد ماكسن بن الخير[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

قدمت الأخبار الواردة عن الشيخ نموذجا مختلفا عن حياة وجدانية مفعمة بالمشاعر والانفعالات خاصة وأنه ضرير يتميز بسرعة الغضب والانفعال، فصبغ ذلك حياته الدينية ومواقفه.
بداية بتعاطف شيخه مع حالته، ثم في علاقته الحادة أحيانا مع أسرته و أقرانه من المشائخ و معظمها في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح مصطبغة بطبيعة شخصية حادة، والملاحظ في الشيخ من جهة أخرى أن حدته لم تمنعه أن يكون محبوبا بين المشائخ، يشاركهم همومهم ومخاوفهم وأفراحهم، هذا دليل أن للشيخ مبادئ تحكم انفعالاته و وجداناته.

التربية التعليم:

كان كلما شكى التلامذة إليه أبا محمد ويسلان غضبه الحاد والسريع قال:(والله لا أسمع قولكم فيه ولا أقبله، ولا أحرّج عليه لما تفرس فيه من الخير والبر وإحياء الدين والسير، ويقول لهم: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل له: (لم تكون الخفة في المؤمن؟ فقال: لغزارة في قلبه)، وقيل لابن عباس – رضي الله عنه – إنك لخيّر لو لا خصلة فيك. قال وما هي؟ قال الخفة، فقال ابن عباس: عبتني بخير الخصال) ، وقد قال أبو محمد في شيخه ويسلان أنه:(لو سمع في قولهم وطردني لرفعت رأسي وكنت في غير هذا المذهب فأضلّ وأهلك، فلم يكن إلا مدة يسيرة حتى تفقه وعظمت منزلته)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] باختصار و من دون أن يورد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام بن عباس رضي الله عنه، وكلام ماكسن عن شيخه.

---

1)أبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني اليفرني، نشأ بالقيروان، فقد بصره وهو بن سبع سنين، كثير الأسفار في سبيل إصلاح شؤون الأمة، (ت: 491هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 764.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص254.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص606.

يظهر الجانب الوجداني في تشجيع صفة الغيرة على الدين في التلامذة، وأن غزارة القلب بالإيمان سبب في الخفة التي قد تكون في المؤمن، وفي لطفه بالتلميذ لأنه فقد بصره وهو صغير، وتفرس الخير فيه، وفي أن التلطّف في التربية من أسباب الثبات على المبدأ.

وقد قال أبو العزيز داود[1] للشيخ ماكسن مؤنبا عندما رحل إلى أريغ ولم يكن فيها لأولاده مؤدبا:(أقم هكذا يا ماكسن حتى تموت وتبيع أولادك كتبك، فأيقظه و علم إنما نبهه على أولاده فاستأجر مؤدبا يعلمهم)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على صلاح الخلف حتى يرثوا العلم والتناصح على ذلك، و في وجود مؤدبين للأولاد في المجتمع.

العفو:

تنازع مع شيخه أبي الربيع في مسألة وتغاضبا، والشيخ كما سبق سريع الغضب، فظن أن في نفس الشيخ شيء عليه، فحان وقت الصلاة وكان عليه ثوب لشيخه فأراد نزعه، فقال له الشيخ: (صل عافاك الله فإنه لم يحدث عندي شيء)[4]، وذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في سرعة انفعال الشيخ وتغير حاله بسبب مناقشة العلوم، و في امتناعه عن الصلاة بثوب زميله لأنه ظن أنه على خلاف معه، العفو والصفح و المسامحة التي كانت بينهما.

بر المشائخ:

أراد مغادرة وارجلان فاستأذن من الشيخ عيسى بن أبي الحجاج فقال له:(اعلم أنه لا يصح لك انتقال عن وارجلان حتى أموت وتغسلني وتكفنني ثم انتقل، بعد ذلك أو أقم وأما – وأنا حي –

1)أبو العزيز داود: لم أعثر على ترجمة له.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص255.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص606.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص255.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص606.

فلا آذن لك في المسير) فأقام حتى فعل ما أمر به ثم غادر[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] في معرض الحديث عن الشيخ عيسى بن أبي الحجاج بنفس المعاني.
يظهر الجانب الوجداني في ذكر الموت و جعله معلما للمغادرة، وفي الحب والبر بين المشائخ.

التورع عن أكل الشبهة:

خرج مع عزابة لاسترداد غنم لهم نهبت من طرف غارة لبني توجين[3]، فتبعوهم حتى بلغوا منازلهم واستردوا جميع الغنم، ونفذت منهم الأزواد، فرغبت إليهم عجوز أن تهيء لهم بعض الطعام وهي تعلم أنهم يتورعون عن أكل الغارة، فأذنوا لها، واقتربت من المشائخ تسألهم، وكان معهم أبو العباس الويليلي يصلي، وأشار لهم أن يبعدوا عنهم العجوز، فسألتهم عن حكم زكاة يقدمها لها قومها من أموال الغارة فقالوا لها:(إذا فأنت على هذه الحال المذمومة يا عجوز؟ ابعدي عنا. فقال لهم أبو العباس: ألم أقل لكم من قبل؟)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى في معرض حديثه عن أبي محمد عبد الله الدمري الذي كان برفقتهم.
يظهر الجانب الوجداني في شهرتهم عند الآخرين بالتورع عن الأكل المشبوه فيه، وفي الخروج في سبيل الدفاع عن الحرمات، وفي الحفاظ على النوافل ولو في سفر.

حرصه ألا يؤذي أهله الآخرين:

وجد يوما أن أبناءه بنوا شيئا خارجا عن الجدار الأصلي للمنزل فطلب منهم هدمه، ولم ينصرف حتى هدموه أمامه[6]. ذكر ذلك الشماخي[7] بنفس المعنى، يظهر الجانب الوجداني في حمل أولاده على الحق وعلى عدم إيذائه الآخرين، والحرص الشديد على ذلك.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص255.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص608.

3)بنوتُجين، أو بنو تيجن، قبيلة زناتية، سكن قسم منها جبل نفوسة في بداية القرن الرابع، وهم وهبية، وسكن قسم آخر من المالكية قرب أريغ أواسط القرن الخامس. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 845.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص257.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص609.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص256.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص 607.

الزي الحسن يزيد في مكانة المشائخ:

حدث أن قدم الشيخ ماكسن مع أصحاب عددهم اثني عشر رجلا من الحج، فدخلوا طرابلس واختاروا منها لباسا حسنا فدخلوا بها جربة، فابتهج لذلك المشائخ، وكان من بينهم زكرياء بن فصيل بن أبي مسور فقال لهم:(لقد عاملتمونا في زورتكم هذه بما لا نستطيع أن نؤدي حقه، وقلّدتمونا عظيمة لا تقوم ألسنتنا بشكرها، وإن اختصاصكم إيانا بقدومكم علينا عند مقدمكم في تلك المشاهد الشريفة، ومشاهرتكم لنا ليقوم مقام قدوم جميع من سلف من أئمتنا، وأشياخنا، من لدن أبي عبيدة إلى اليوم، فالله يتولى متوليكم. وأكثر ما أدخل عليهم السرور: قدومهم في أحسن زيّ وشارة، فإنهم باهوا بهم جيرانهم النكارة، وظهر من جلالة أقدارهم ما زاد في جيرانهم الحقارة)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في أن الأبهة وحسن المظهر له أثره في إعجاب الناس بالمشائخ، وفي فرح المشائخ بزيارة بعضهم البعض و حفاوتهم بهم.

الهجرة لتثبيت الناس على المذهب:

سافر إلى تينتلات[3] وأقام بها ثلاث سنوات لأن أهلها عزموا على الرجوع عن المذهب بسبب فتنة قتلت منهم الكثير فأصبحوا قلة، (فانتقل إليهم بحلقته فوجد أعلام الخلاف قد نصبت، فلم يزل يكفّ شرهم، ويدحض عزمهم، حتى انقطع الاختلاف ولم يبق إلا الائتلاف، فحينئذ ارتحل عنهم)[4]، ذكر الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في الهجرة في سبيل نشر الخير والإصلاح والتثبيت على المذهب.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص258.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص 608.

3)غالب الظن هي: تلات، وتسمى تالات، أو تالا: وهي قرية مهجورة تقع حاليا غرب جبل نفوسة بين لالوتوكاباو، ويطلق هذا الاسم أيضا على قرية بجزيرة جربة قرب قلالة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 839

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص259.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص 608.

عن أبي عبد الله محمد بن سليمان[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الروايات الواردة عن الشيخ نماذج وجدانية في التربية والرعاية الحقيقية للتلامذة ماديا ومعنويا والمجاهدة في ذلك غاية المجاهدة، ويضرب بذلك مثالا في المعلم التاجر الورع الذي لا يتاجر إلا ليعلم ويربي، والموت من شبابه في ذهنه، جعله يفكر في طريقة خروجه من الدنيا بسلام، كما نجد فيه حرصا شديدا على عدم إيذاء الآخرين بأي نوع من الأذى.

الزهد و القناعة:

كان يملك شجرة زيتونة في أرض وأراد بيعها بعشرة دنانير، فلما ذهب إلى مكان بيعها سِيمَت له بأربعين، فوزع الزائد على العزابة والتلامذة، فسُئل عن ذلك فقال:(كنت نويت البيع بعشرة دنانير، فكل ما زاد فهو لله لا أرى لي فيه شيئا. قال أبو عمرو: سألت عن ذلك أبا العباس فقال: إن من العلماء من يقول الفقراء أحق بتلك الزيادة، والذي فعله حسن جميل)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في القناعة والرضى بما قسم الله و إنفاق الزيادة عن الحاجة.

النهي عن إيذاء الآخرين:

قال: (ثلاثة لا أحب أن أراها إلا في بيت عدو، الفرس في رأسه مطحنة، وفي تحته مزبلة، والكلب ينبح فيسمع نباحه فيروع ولو مسلما واحدا)، أورد خبرا عن أبي سليمان أيوب إذ كان يمشي يوما

---

1)أبو عبد الله محمد بن سليمان الأبدلاني النفوسي، من علماء أبديلان بجبل نفوسة بليبيا، نشأ في أسرة فقيرة، ثم ارتحل إلى وارجلان ليتعلم عند مشائخها، ولما أكمله تعلمه فتح الله عليه برزق وفير.(النصف الأول ق06هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 819.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص241

3)الشماخي، المصدر السابق، ص597.

فسمع نباح كلب فذعر الشيخ، وقال:(إن دخلكم الروع مثلما دخلني فإن صاحب الكلب لا يدخل الجنة)[1] ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في استعمال الوعد و الوعيد في الكف عن إيذاء الناس، وفي الحرص على النصح و تذكير الناس.

الإنفاق على تلاميذه:

يقول الدرجيني:(يفيد العلم ويكسو ويمون، فنيله مأمول، وحرمانه مأمون، يحنو على التلامذة حنو أبيهم، ويقويهم دون قرابة ويجتبيهم(...)كانت له حلقة عظيمة يعلمهم ويطعمهم ويكسيهم من ماله، وكان إذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسية جديدة فيها دفء، فإذا أقبل الصيف اشترى لهم أكسية خفيفة برسم الصيف، ويدّخر الأخرى للشتاء، وربما باعها بالثمن الذي اشتراها به ويخرج لهم كل شهر ما يقيم طعامهم وإدامهم)[3].ذكر الشماخي[4] ذلك مع اختصار في العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في كرمه وعلمه وعطفه على التلاميذ وحنوه وإنفاقه عليهم.

الزهد:

قال لأصحابه: (إن أهلي وآبائي قد عرف من عادتهم أنهم إذا كبروا اعترضتهم حبسة باللسان، تؤذن بفراق الدنيا، فإذا رأيتم ذلك أصابني فزوجوني امرأة تقوم بي في مرضي، فلما رأوا ذلك نزل به أنكحوه امرأة قامت عليه في مرضه حتى توفي رحمه الله)[5]، ذكر ذلك الشماخي[6] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في تفكيره في الموت و اهتمامه بحال خروجه من الدنيا، و ربما كان عدم زواجه لتفرغه للعبادة، أو كما ذكر الدرجيني لعدم قدرته على القيام بحق الزوجة، و أن السبب في طلب الزواج (حاجة المريض إلى من يطلع على عورته)، و أخذه بالحديث {***من مات عازبا مات شيطانا***}.

---

1)الدرجيني، المكان نفسه.

2)الشماخي، المكان نفسه.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص240.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص597.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص242.

6)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص597.

عن أبي موسى يزيد المزاتي وابنه ضمام[1]:

زكاة الجاه مثل زكاة المال:

أقبل إلى ضمام أهل بادية يستدينون عن طريقه أهل قابس لشدة وجوع أصابهم، لأن أهل قابس يعرفونه جيدا، فاستشار أباه أبا موسى يزيد فحكم عليه بالوجوب في استعمال جاهه في التفريج عن إخوته، لأن الله يحاسب على زكاة الجاه كما يحاسب على زكاة المال، و أنه معرض للزوال مثل المال إذا لم يُؤَدّ حقه (وقد قيل: يسأل المرء عن فضل جاهه كما يسأل عن فضل ماله" وقيل" من تبرم بجاهه فقد تعرض لزواله وعنه عليه السلام قال: {***إن لله وجوها من خلقه يستخصهم بنعمته ما بذلوها لخلقه، فاذا بخلوا بها بدلها إلى غيرهم***}[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى. يظهر الجانب الوجداني في التخويف من زوال الجاه بعدم استعماله في سبيل الله، وفي التخويف بالبعد الأخروي وأن الله سيحاسب على الجاه، وفي التذكير بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الجاه نعمة من الله تزول بعدم استعماله في سبيل الحق.

عن أبي عبد الله مزين[4]:

الحرص على إنفاذ الوصية:

ذكر أن أبا وايدران[5]استخلفه على وصيته، فباع خيار ماله ونفّذ منه الوصية، فشكت زوجته إلى الشيخ أبي عبد الله ذلك، فقال:(اعلم أني لم أشتغل بمصلحة هؤلاء لكن بفكاك رقبتي ورقبة أخي

---

1)أبو موسى يزيد المزاتي، وابنه ضمام، لم أعثر على ترجمة لهما.

2)الدرجيني، المصدر السابق، 245.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص600.

4)أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني، من أعلام بني وسين بوارجلان، كان يستخلف على الوصايا، ترك ديوانا جمع فيه الوصايا والحكم لكنه لم يصل إلينا (450هـ، 500هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 879.

5)بن أبي ويدرن الفطناسي المزاتي، أول غريب دخل بلاد أريغ في زمانه، وهو الذ بنى مسجد تين يسلمان، (ق05هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 972.

في الله)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في حرصه على تبرئة ذمته وذمة أخيه في الله وأداء الوصية قبل الاشتغال بالإرث، و في دافع الأخوة في الله في إنفاذ الوصية.

عن أبي القاسم يونس بن أبي الحسن[3]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تتميز حياة الشيخ بالتركيز على وجدانيات عميقة تتعلق بالعبادة والتضرع إلى الله تعالى على الصعيد الفردي، خاصة على الصعيد الجماعي، و تتعلق أيضا بالنصح والحث على العلم واغتنام العمر في طلبه.

التضرع الجماعي إلى الله:

أصيب أهل أجلو[4] بوباء في سنة من السنوات فأضرّ بأهلها وبزرعها، فاجتمعوا على أن يصوموا الأربعاء والخميس والجمعة، ولما صلوا العصر يوم الجمعة ذهبوا إلى (محراب المقبرة وهو موضع معروف بالبركة، واستجابة الدعاء، واجتمعوا عنده وقرأوا وتطوعوا بالمعروف، وعادتهم أن يحضروه ويدعوا، ثم حضرت صلاة المغرب وصلى بهم إمامهم يونس بن أبي الحسن، فلما صلى دعا الله أن يرفع عنهم الوباء، ولم يصبحوا حتى لم يجدوا له آثرا)[5]، وذكر ذلك الشماخي[6] باختصار في الصياغة.

يظهر الجانب الوجداني في الاجتماع على التضرع الجماعي بالصوم والصلاة، و التضرع يوم الجمعة في محراب المقبرة المشهور باستجابة الدعاء، و التطوع بالصدقات.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص253.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص606.

3)أبو القاسم يونس بن أبي الحسن، لم أعثر على ترجمة له.

4)أجلو، أو أكلو: هو بلد بني ورتيزلن في جهة وادي ريغ (قرب تجديت) في الجنوب الجزائري. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 825.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص263.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص611.

العلم:

في حكم بليغة ينصح الطلبة على الاغتنام من العلم، إذ قال:(أما بعد فاجعلوا حوائجكم بكريات، وإذا وجدتم ما ترعون فارعوه رعى النهماء من الغنم، ولا تمجوه مج الريان الماء)[1]، وذكر ذلك الشماخي[2] بنفس العبارة.

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على تقديم النصح للتلامذة، وفي الحث على قضاء الحوائج في البكور، وفي الحث على طلب العلم واغتنام الفرص.

عن أبي الربيع سليمان الزاغيني[3]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تقدم حياة الشيخ الوجدانية نموذجين أساسيين هما الورع و الأخلاق النبيلة، حيث أنه ورد عن الورع نموذج يتعلق بحياته الأسرية مثل ما كان مع ابنته، و آخر عن حياته المادية مثل ما كان مع العبيد، وآخر عن حياته الاجتماعية مثل ما كان مع ابن الشيخ، كما أنه أشار إلى مواظبته على مجالس لذكر ليلة كل جمعة.

أما من أخلاقه النبيلة خلق الكرم حتى اشتهر به، وما قاله عن نفسه في الحلم والإحسان إلى من أساء إليه. و الملاحظ هو الانسجام والتكامل في حياته الوجدانية بين المادي والروحي، وبين الفردي والجماعي.

الورع:

كان يكنس عينا أو يحفرها فأُتي له بعبيد ليساعدوه فجعلوا يتغنون ويعملون، فنهاهم وقال لهم:(اطلعوا من عيني فإن كانت لا تحفر إلا بمعصية الله فلا حفرت، قال أبو مرداس هلاك في طاعة

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص263،264.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص611.

3)أبو الربيع سليمان بن موسى بن عمر الزلغيني، ولد بتين باماطوس، إحدى قرى وارجلان بالجزائر، وعاش بها وتعلم، كانت له حلقة علم، (ق05هـ).(ورد اسمه تارة الزاغيني، وأخرى الزلغيني، وأخرى الزلفيني)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 468.

خير من نجاة في معصية، فلما رأوا منه ذلك تركوا ما كره)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.
يظهر الجانب الوجداني في حرصه على رضا الله في كل شيء، وفي تقديم رضا الله على قضاء حاجته الدنيوية.

التصدق:

ومن كثير تصدقه يقال:(إذا أردت أن تعرف عدد عيال أبي الربيع فراقبه وقت التطوع بعمل المعروف، يعني أنه يتطوع على كل رأس بمعروف)[3]، وذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعنى.

البر بالصالحين بعد وفاتهم:

كان معاذ بن أبي علي يأتي من أريغ إلى أجلو كل ليلة جمعة، (يبيت مع الحلقة، يحيي الليلة ثم يقيم حتى يشهد مجلس يوم الجمعة، ثم يصلي العصر، ثم ينصرف إلى أهله)، فصادف يوما أن أتى أحد أولاد أبي ويدران يطلب معروفا فانتهره، فسمع أبو الربيع سليمان ذلك فانتهره بشدة وقال: (قال تعالى: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾[5]، ثم التفت إلى أهل الموضع فقال لهم: أعطوا ما أعطاه وقته..)[6]، ذكر ذلك الشماخي[7] في معرض الحديث عن معاذ بن أبي علي.
يظهر الجانب الوجداني في أن صلاح الأب يشفع في الابن، وفي استدلاله بالآية القرآنية على موقفه، وفي الانتقال للعبادة يوم الجمعة وحضور مجلس الوعظ مع العزابة.

الحلم:

قال:(إن نفسي تسمح بالإحسان إلى من أساء إلي أكثر مما تسمح إلى من أحسن لي)[8] ، ذكر ذلك الشماخي[9] بنفس المعنى.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص265.
2)الشماخي، المصدر السابق، ص612.
3)الدرجيني، المصدر السابق، ص265.
4)الشماخي، المصدر السابق، ص612.
5)الكهف، الآية:82.
6)الدرجيني، المصدر السابق، ص266.
7)الشماخي، المصدر السابق، ص613.
8)الدرجيني، المصدر السابق، ص264.
9)الشماخي، المصدر السابق، ص 612.

عن أبي العباس أحمد بن الشيخ محمد بن بكر:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ الوجدانية بأنها تقدم نموذج للعالم الرباني الذي عاش ألم قومه و جعل تعليمهم أمله، و تبرز في حياة الشيخ دور الرؤيا الصالحة في توجيه سلوكه وحياته العلمية، تجعله يؤلف ويثابر ويجد في طلب العلم رغبة منه أن يكون خلفا لأبيه أبي عبد الله محمد بن بكر.

ورد عن الشيخ نصح يدل على أنه كان يستعمل أساليب في التأثير منها تقريب معاني العقيدة باستعمال التشبيه، كما وردت عنه مواقف تجعل منه القدوة فيما يأمر به وينهى عنه مثل تورعه عن أخذ ما ليس بحقه.

وصل إلينا من الشيخ في مجال العقيدة والجانب الوجداني على وجه الخصوص كتابان هما تبيين أفعال العباد[1]، حيث يفصل فيه خاصة ما يتعلق بالأحوال والأفعال التي تعتري العابد، وأهم العوائق التي يجدها في طريقه إلى الله، وقد تم تحقيق المخطوط وهو على جزأين، أما الكتاب الثاني فهو مخطوط بعنوان: كتاب في مسائل التوحيد مما لا يسع الناس جهله

العلم:

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر وهو يودع جماعة:(إن أقلّ ما نزل من السماء إلى الأرض التوفيق، وقلّ ما يدعو به المرء إلا استجيب له، ثم قال: رحم الله أحمد بن محمد فقد كان رحمة لأهل مذهبنا حيا وميتا، وذلك أنه كان في حياته يبث العلم و يفيد به كل طالب وكل ذي حاجة، ولما دنت وفاته أودع علومه الكتب فصنف تصنيفا في خمسة وعشرين كتابا، وكتابا آخر تركه في الألواح)[2].

يظهر الجانب الوجداني في الشكوى من قلة التوفيق و استجابة الدعاء، وفي وصف العالم بالرحمة في حياته و مماته.

1)تبيين أفعال العباد تتوفر منه نسخ مخطوطة عديدة، إحداها بمكتبة إروان بالعطف ولاية غرداية، تحت رمز: مج 47، وهو مفهرس في مكتبة أبي إسحاق لخدمة التراث تحت رقم: 19.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص267.

ومن ذلك أنه أرسل إليه الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان أن يكتب كتابا في الفروع، ففكر وتردد في الأمر، فرأى في المنام قائلا يقول له:(اذكر أبا مسألة، فجعله في جزأين، فسماه العزابة أبا مسألة)[1]، إذ يظهر الجانب الوجداني في العمل بالرؤيا وتأليف كتاب بها.

ومن مظاهر حرص على العلم هجرانه النوم إلا ما بين أذان صلاة الصبح والصلاة لمدة أربعة أشهر واشتغاله بالعلم والمطالعة زمن التلمذة، إذ يقول:(وكان الديوان في نفوسة مشتملا على تصانيف في المذهب، فلازمت الدراسة أربعة أشهر لم أذق فيها نوما ليلا ولا نهارا إلا فيما بين أذان الصبح إلى طلوع الفجر، فنظرت في أثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق فإذا هي نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها حينئذ)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3].

اليقين:

قال أبي العباس:(الناس إذا أتاهم خبر خوف انتقلوا عن الحال التي كانوا عليها قبل ورود الخبر ولو كانوا في حر وبرد، وأخذوا لأنفسهم بالحذر والتحرز، ولعل ذلك الخبر يكون أو لا يكون وليسوا منه على يقين، ولقد أنذرهم الله النار وخوّفهم من الشيطان، وكان ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا المرسِل والمرسَل، وأيقنوا بذلك وتركوا التحرز، وأغفلوا الاستعداد لذلك، والحذر من سوء ما يتوقع من ذلك ونسوا فقد إخوانهم وتفقد أحوالهم، و يا عجبا من الناس يكرمون أضيافهم خوفا من اللؤم والذم، وأضياف الله الكرام الكاتبون معهم وهم يعملون، ويتيقنون أنه ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[4]، ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[5] ومع ذلك فلا يعبأون ولا يكترثون)[6]، ذكر ذلك الشماخي[7] مع اختلاف في الصياغة وعدم وجود الآيات القرآنية.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص268.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص269.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص617.

4)سورة: ق، الآية: 18.

5)الرعد، الآية11.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص267، 268.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص616.

يظهر الجانب الوجداني في استعمال التشبيهات في عرض العقيدة، و الدعوة إلى اليقين في وعيد الله والحذر من النار ومن الشيطان، وأن من مظاهر ضعف اليقين في الله: عدم تفقد الإخوان وأحوالهم، وفي تشبيه الملائكة الكاتبين بالأضياف.

الورع في أموال الغير:

كان معه مال من نفقة أبيه عليه حتى يتقوى بها على الدراسة، فلما سمع بموت أبيه أمسك عن الإنفاق منها لاعتقاده أنها مال الورثة، لكن الشيخ أبو الربيع أجاز له ذلك باعتبار أن ذلك ليس محاباة وإنما عونا له على الدراسة، فأكمل ما بيده من مال وأنفقه في محله[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في التورع عن الأخذ من التركة وهي لم تقسم بعدن وفي إنفاق الأب على ابنه في التعلم.

عن أبي يعقوب يوسف بن محمد بن بكر:[3]

الهروب من الفتنة:

يقال إن أول فتنة وقعت بين إباضية أريغ كانت سنة 471هـ بين خيران و تاغمارت وكانت سبب خروج أبي يعقوب من أريغ إلى وارجلان وبها توفي بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على وصيته، فجعل يخرجها من مال ابن أخيه – أي أبو يعقوب– بعسر لأنهم كانوا في عسر كبير[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في الخروج من بلاد الفتنة هروبا منها، وفي الحرص على إنفاذ الوصية ولو على مشقة.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص249.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص617.

3)أبو يعقوب يوسف بن الشيخ محمد بن بكر، لم أعثر على ترجمة له.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص269.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص618.

عن أبي زكرياء يحي بن أبي بكر[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر من خلال ما ذكره الشيخ من أقوال في الجانب الوجداني أنه كان يعتمد على مصادر غير إباضية، إما من غير المسلمين مثلما ذكر عن المسيح عليه السلام، وإما من غير الإباضية مثلما ذكر عن يحي بن معاذ الرازي.

التوبة:

كان دوما يردد قول يحي بن معاذ الرازي عن التوبة أنها ثلاثة مقامات:(الندم والاستغفار والحقيقة، فالندم عند التحول والشعور بمرارة المعاصي، والاستغفار طلب الغفران بصحة الارادة، والحقيقة الأوبة إلى الله تعالى، فآفة الندم الأمل، وآفة الاستغفار الغفلة، وآفة الحقيقة الشهوة)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.

مجالس الذكر:

مما كان يكرره أنه:(قال الحواريون لعيسى بن مريم: من نجالس بعدك يا روح الله ؟ قال من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعاني.

---

1) تم التعريف به مفصلا في الفصل الأول، وقد تناول البحث النماذج الوجدانية من كتابه:السيرة وأخبار الأئمة.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص275.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص623.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص275.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص623.

عن أبي يحي زكريا بن أبي بكر اليراسني[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الأخبار الواردة عن الشيخ نماذج في مجملها تحث على الزهد فيما في أيدي الناس، والتحسر على فتور الدين عند الناس، كما أنه قدم نموذجا للعلاقة التي ينبغي أن تكون مع الحكام، حيث أن مقصدها هو خدمة مصالح المسلمين، ولا تكون العلاقة بالتزلف إلى الظلمة منهم، وإنما بالتقوى.

النهي عن المداهنة:

قال:(إياكم والتسارع إلى قبول صنائع الناس وهداياهم فإنه قيل كن عبدا لله ولا تكن عبدا للناس، وأنشد في ذلك:

ولستُ وإن قربت يوما ببائع　　　لديني وأخلاقي رجاء التقرُّب
و يعتاده قوم لقوم تجارة　　　ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وزاد بعده الدرجيني: وكما قيل: (اترك الطمع يتركك الفقر، واحمل نفسك على مالك يحملك وارض بقليل من الرزق يرض الله عليك بقليل من العمل)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] من دون ذكر أبيات الشعر.

يظهر الجانب الوجداني في النصح بالحذر من الصنائع التي تمنع قول الحق، والحث على التحلي بعزة النفس، وفي الحث على القناعة والرضى بالقليل، وفي إخلاص الدين والعمل لله.

هجران أماكن قسوة القلب:

في نعيه لورجلان بسبب نقص الدين فيها وخروجه منها، فوصفها إذ سأله أحدهم بعد عودته منها عن حالهم فقال لهم:(أما أنا ذهب بصري فلا أرى شيئا ولا رأيت أحدا وأما وارجلان خلت فما

---

1)أبو يحي زكريا بن أبي بكربن سعيد اليراسني، هو أخو أبي زكرياء صاحب كتاب السير وأخبار الأئمة، له باع في علم النظر، وله كلام مأثور منثور في بطون الكتب،(500، 550هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 339.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص273.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص621.

بها أحد)، وقيل أن أهل وارجلان دعوه للمكوث عندهم ليستأنسوا به، فقال:(قولوا أقم عندنا يمت قلبك)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] باستعمال "إما" مكان "أما".

يظهر الجانب الوجداني في تحسره على قلة أهل الخير في المدينة، وفي هروبه من أماكن قسوة القلب.

علاقته الحسنة بالحكم:

في حسن صحبته وعشرته لأحد أحفاد الموحدين لما عرف منه من صلاح وورع وبركة وكرامات، حتى نال منه حضوة وشفاعة انتفع بها أهل المذهب، إذ كان مقربا بسبب صلاحه وكراماته إلى يعقوب المنصور إذ كان وزيرا لأبيه، فقال له اطلب ما تريد لأكتب لك كتابا عند أبي، فقال له بل أكتب لي كتابا عندك، لأنك أنت الذي ستلي أباك في الخلافة بعده، فقال له الوزير أن ذلك لا نفع له، وأن خبر الولاية ليس له دليل، فاستبشر بذلك وكتب له بما شاء، فلما تولى الإمارة بعد أبيه ذكره الشيخ بالكتاب، فقربه إليه وأنعم عليه وانتفع أهل الجزيرة بذلك انتفاعا كبيرا[3]. ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في أن سبب قربه من الوزير أخلاقه وصلاحه، وفي انتفاع الناس بعلاقته الحسنة مع الحاكم.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص272.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص621.

3)الدرجيني، المصدر السابق، 326.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص650.

عن أبي زكريا يحي بن ويجمن[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يتضح من خلال ما ورد من أخبار عن الشيخ أن له دورا في الجانب الوجداني في مجتمعه من حيث الإصلاح بين الناس، و تطبيق الاحكام على المخطئ ومعاتبته حتى يعود، كما أن القصة تدل على التزام العلم و تحري الصواب في عملية الإصلاح.

الإصلاح بين الناس:

وقع اختلاف بين جماعتين، وكان المشائخ أيام سعيهم في الإصلاح يقرأون في كتاب فمروا على خبر زمن سيدنا موسى أن رجلا قال:(يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري، وربطته مع حماري، فهم به موسى، فأوحى الله إليه: يا موسى ذلك مبلغ عقل عبدي فتركه موسى عليه السلام)، وكان المشائخ يعاتبون رجلا ليس من مسؤوليته ما وقع من الاختلاف، فقال لهم الشيخ:(اتركوا عنكم البله الذين تمتلئ بهم الجنة، ألا ترون قصة صاحب الحمار؟ دعونا من هؤلاء وهلموا لمن يثقب الخرزة بكيسه، مثل ياتياسن بن حمو، فجاءوه ولحوه حتى تابوا واصطلحوا)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في المواظبة على الاستزادة من العلم و استعمال ذلك في الواقع، وفي معاتبة المخطئ وتوبته.

ومن ذلك أيضا حكمه بالخطة على أب ينسب إلى العزابة لأن عليه دين لابنه، و ألا يسرح حتى يدفع الدين أو يسرحه ابنه[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

---

1)أبو زكرياء يحيى بن ويجمن ابن محمَّد الهواري، أخذ العلم على الشيخ أبي محمد ويسلان، اشتهر لتضلعه في العلم بصاحب الغوامض، كانت له حلقة في تين زارنين، (ت:476هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1014.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص239.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص596.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص240.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص 596.

يظهر الجانب الوجداني في الصرامة في تطبيق الأحكام خاصة على المنتسبين إلى أهل التقوى، وفي استعمال أسلوب البراءة في إصلاح المشكل بين الأب وابنه.

عن مصالة بن يحي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتضح من خلال الأخبار التي وردت عن الشيخ حالة نفسية وجدانية تتمثل في الالتجاء إلى الله والاحتماء به و مكابدة مشقة الأمر والنهي في زمن ومكان معينين.

اليقين في الدعاء:

قال:(إنما استدللنا على أن الله عز وجل قد استجاب دعاءنا الذي ندعوه به في أمر الآخرة بما شاهدناه من إجابة فيما نسأله في الدنيا)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعاني.
يظهر الجانب الوجداني في اليقين في استجابة الدعاء، وفي العلاقة الوطيدة بين أمور الدنيا وأمور الآخرة.

التحذير من الفرقة:

قال لداود بن أبي يوسف:(إذا عمل أهل وارجلان عملا مما لا تعلم فاحمل نفسك على أنك لا تعلم، وإن كان مما تعلم أنه سوء عمل فاحمل نفسك على الكتمان، ودع عنك الاختلاف)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5]بنفس المعاني.

---

1)مصالة بن يحي، من العلماء النساك، تعلم على الشيخ أبي عبد الله علم الكلام، (ق 05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 894.
2)الدرجيني، المصدر السابق، ص275.
3)الشماخي، المصدر السابق، ص623.
4)الدرجيني، المصدر السابق، ص276.
5)الشماخي، المصدر السابق، ص623.

يظهر الجانب الوجداني في حثه تجنب مخالفة أهل ورجلان ولو كانوا على خطأ ربما لخصوصية أهلها و عنادهم مثلما مرّ مع علماء في نماذج سابقة، وفي نصح الطالب قبل مغادرته إلى أهله.

عن فلفول بن يحي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يتضح من خلال ما ورد عن الشيخ من أخبار وجدانية أن له دورا تربويا مع التلامذة، ومعظم الأخبار ذلك تذكر لطافته في النصح والتعليم والتذكير، كما أشارت الأخبار إلى اهتمامه البالغ بسير الصالحين والحفاظ عليها، وكان ذلك ديدنه إلى آخر لحظة من حياته.

الوعظ والتعليم:

ورد عنه احتفاؤه بتلامذة الحلقة وإكرامه لهم ومسامرتهم بالوعظ والأخبار وتحفيظهم أرجوزة في الوعظ، مما قاله في اعتذاره من قلة ماله:

أرى نفسى تتوق إلى المعالى ويقصر دون مبلغهن مالي

فلا نفسي تساعدني ببخل ولا مال يبلغني المعالى

ومن الأرجوزة:

إذا رأيت صلعا في الهامة وحدبا بعد انتصاب القامة

وصار شعر الرأس كالثغامة فآيس من الصحة والسلامة

وعد إلى التوبة الندامة فقد عليك قامت القيامة[2]

ذكر ذلك الشماخي[3] دون أن يذكر مطلع الأرجوزة.

يظهر الجانب الوجداني في ملاطفة التلامذة وإكرامهم ومسامرتهم بأخبار الصالحين، والشعر و الحكم، وفي استعمال الشعر في تعليم الرقائق الأخلاق الرفيعة، وفي الحث على التوبة الدائمة.

---

1)فلفول بن يحي بن أبي عبد الله محمد بن الخير، كان عالما سخيا ذكيا، كان شديدا في الأمر والنهي، له حلقة تعليم، ترك مأثورات وقصائد شعرية وحكما، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 736.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص276،277.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص624.

مناقب المشائخ:

ذكر أنه حث من كان معه عند وفاة الشيخ أبي عبد الله باتباع سيرته فتباطؤوا حتى زالت فقال:(لما مات أبو عبدالله محمد بن بكر قلت للمشائخ : اقتفوا بنا آثاره مادامت جديدة غير مندرسة، قالوا مهلا عليك، فساعدتهم حتى عفا الأثر، ودرست السير)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني. يظهر الجانب الوجداني في غيرته و حرصه على اقتفاء آثار العلماء وحث من معه على اتباعها.

أدب الزيارة:

قال له أحد التلامذة بعد أن أراد توديعهم ارجع فقال:(آه، لا يقال كذلك، إنما يقال أنظر في الرجوع، ولم يزد بعد هذا خطوة، لأنه يقال: إنه مأجور ما لم يُقل لها رجع)[3].

يظهر الجانب الوجداني في اللطف والحرص على تقديم التوجيه والتربية بالمواقف المباشرة، وفي التذكير بالثواب والأجر.

التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي حرصه على التعاون في الخير ونشر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنّ آخر كلامه بيت شعر عن الموضوع في عزائه أنه لم يجد كثيرا من الأعوان في همه :

حتى متى لا أرى عدلا أُسر به   ولا أرى لدعاة الخير أعوانا.[4]

ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص277.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص624.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص277.

4)المكان نفسه.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص624.

أبو موسى عيسى بن يرصوكسن[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الأخبار الواردة عن الشيخ نموذجا فريدا عن حياة وجدانية تهدف إلى عمارة الأرض والاحتماء بالدعاء لله من الأخطار الطبيعية والبشرية، كما أنها تشير إلى قيمة تقدير المشائخ والسعي إلى رضاهم وموافقتهم.

البر بالمشائخ والتبرك بهم:

عمر أرضا كانت خالية فزرعها وانظم إليه الناس(كان إذا قلع الودايا الراكبات في الأمهات يسلخها ويرفع جمارها إلى "تيناواط" مع لحم ما يصيده من الوحش والظباء والأرانب والظلمان، والبيض، والحبارى وغير ذلك، فيهدي ذلك إلى المشائخ العزابة فيأكلون اللحم والجمار فكان يتبرك بذلك فبارك له ربه في كل ما يحاوله)[2]،وذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في البركة التي ظهرت بسبب التبرك بالمشائخ وتقديم المعروف لهم، وفي المجاهدة في سبيل عمارة الأرض.

عن أبي طاهر اسماعيل بن ييدير[4]:

العلم:

في تعاونه مع جماعة الطلبة من العزابة لتأليف كتاب يسهل على المبتدئين تعلم الدين وحفظه، وجعلوه في خمسة وعشرين جزء، وقيل أن إسماعيل جمع كتاب الصلاة[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

---

1)أبو موسى عيسى بن يرصوكسن الهاشمي العربي، من تلا عيسى، معنى تلا أي منبع الماء، وهي منسوبة إليه، لأن أول من قطنها وأحياها، (450هـ، 500هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 726.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص278.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص625.

4)أبو الطاهر اسماعيل بن ييدير، ربما هو: أبو ابراهيم اسماعيل بن ييدر بن الشيخ عيسى بن أبي ابراهيم الهواري، عزابي من تجديت، إمام حافظ مجتهد، اجتمع مع علماء آخرين في تأليف كتاب في المذهب وهو ديوان العزابة، واستقل هو بباب الصلاة، له مقام بورجلان بالقرب من مسجد لالة عزة، يزاركل عام للتذكير بسيرته وعلمه.أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 111.

يظهر الجانب الوجداني في التعاون على تبسيط الدين وتدوينه للناشئة.

عن عبد الرحمن بن معلى[3]:

تربية:

ذكرت المصادر أنه أسس مسجدا به حلقة أخلاق وتربية، و نظم أوقاتها و ضوابطها، ومنع على تلامذتها شوارعها، إذ تكون البداية بمشاهدة العبر والبراهين ومعرفة السنن عن الثقاة قبل أن يكلفهم بشيء من العلوم[4]، ذكر الشماخي[5]باختصار.

يظهر الجانب الوجداني في تخصيص الجهد لموضوع التربية والأخلاق، وفي البداية بما يخضع القلب ويلينه.

عن أبي سليمان أيوب بن اسماعيل[6]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تتميز حياة الشيخ من خلال الأخبار الواردة عنه بالتركيز على أهمية الاعتناء بطلبة العلم و تقدير المعلم و المشائخ عموما، محيطا ذلك بوجدانيات مثل الكرامات التي وردت عن الشيخ مع تلامذته، أو ذكر مناقب ولحظات مرض الشيخ وزيارة والد المؤلف له وما كان بينهما من حب ومودة.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص280.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص628.

3)أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى، يبدو أنه من مشائخ أريغ، كان المؤسس الأول لحلقة العزابة بمسجد أريغ، (450هـ، 500هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 246.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص281.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص630.

6)أبو سليمان أيوب بن اسماعيل اليزماتي المزاتي، من علماء وارجلان الكبار،(500هـ، 550هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 125.

بر المشائخ:

ذكر الدرجيني عن أبيه أنه زار وارجلان فسأل عن شيخه أبا سليمان فقيل له أن الله ابتلاه في جسده بالجذام، فلازم الفراش لا يستطيع حركة، فذهب إليه زائرا، فلما رآه فعرفه حذره من الاقتراب منه بسبب مرضه، فقال: (حاشا لله أن أتقذرك يا شيخنا. وسقطت منكبا عليه أعانقه وأقبله وأبكي، حتى شفيت بعض هيامي) وقضى مدة في ورجلان لا يفتر عن زيارته، وكان كلما حكى ذلك بكى وأبكى، و المؤلف أيضا كلما حكى ذلك بكى وأبكى، فلما أراد المغادرة زوده بعموم البركة وبشره أن الله سينجيه من شدة، قال فلما كان في الطريق وكانت قافلتهم محملة بجليل المال، فدفن هو ما كان لديه من مال وعلّم موضع الدفن بحربة، فسرقوا ما سرقوا وأسروا من الرجال ما أسروا لكنه هو أمنوه ولم يمسه سوء. قال:(وما ذلك إلا بفضل الله و بركة الشيخ رحمه الله والله ينفعنا ببركة الصالحين) ذكر الدرجيني القصة في معرض الحديث عن مرض أبيه يوما فجعل يسليه ببعض الأخبار ومما قرأ عليه قرأ قصيدة البائية التي رثى فيها أبو يعقوب الوارجلاني أبا سليمان، وقد أورد القصيدة[1] كلها بعد ذكره للقصة[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] من دون أن يورد القصيدة.

يظهر الجانب الوجداني في الحب العميق للشيخ والمكوث إلى جانبه، والدعاء بالخير والبركة، وفي تكرارهم للقصة بتأثر وبكاء، وفي إنساب النجاة من الغارة إلى الله ببركة الشيخ ودعائه، وفي صبر الشيخ على المرض العضال الذي ألم به، وفي وفاء الولد لأبيه بتسليته وقت مرضه بالقصائد و مناقب الصالحين.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص286،287،288،289.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص285.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص633.

عن أبي محمد عبد الله اللواتي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز شخصية الشيخ الوجدانية بالعمق في حياته الدينية، حيث إن ذكر الموت والآخرة دوما حاضر في شغل دينه ودنياه، كما أنه ورد عنه استجابة الدعاء، كما تميز أيضا بالحرص على النهي عن المنكر وتقديم النصيحة، والحرقة الشديدة على حال الناس مع الدين في زمانه.

من خلال الوصية نجد أن الشيخ كانت حياته ترتكز أساسا على تقوى الله وخشيته، و الحث على اتباع المشائخ و التحذير من الابتداع، والنهي عن مجالسة غيرهم و الاطلاع على كتبهم، بالرغم من موقف له في بداية حياته العلمية يتصف بالتفتح على غير الإباضية ومخالفة المشائخ فيما يراه صحيحا، و يتضح من هذا الأمر أن الشيخ كان يحمل توجه التحرر من قيود المذهب المعنوية، والتفتح على الآخر، ثم تحول عن ذلك وأصبح يدعو إلى عكس ذلك ويحث عليه.

ذكر العمل لما بعد الموت:

كان يكنس في الهاجرة غديرا له، فقال له أحدهم ما هذا؟ منكرا عليه عمله في الحرارة، فأنشد:

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي.

تموت مع المرء حاجته وتبقى له حاجة ما بقي.[2]

يظهر الجانب الوجداني في ذكر حقيقة الدنيا و أشغالها وأنها لا تنقضي، وفي ذكره الموت وأهمية العمل لما بعده أفضل من الاشتغال فقط بما ينتهي.

1)أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي، من أخيار بلاد أريغ، حافظ للأخبار، توفي يوم الأحد 28 جمادي الثانية 528 هـ أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 596.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص295.

بر الأبناء:

قال في بر الأبناء:(وإن على الأب أن يعين ابنه على برّه، وقد قال أحد المفسرين في الذين سماهم الله أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء)[1]، و يظهر الجانب الوجداني في الربط بين صفة الأبرار وهم أصحاب الجنة ببر الأبناء.

نهي عن المنكر:

ذكر أبو الربيع أنه كان مع أبي محمد جالسين فمرت امرأة فالتفتوا إليها، فقال لهم الشيخ: لا يجوز القعود على الصعدات إلا لمن أدى حقها، قلت: وما حقها؟ قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما حقها؟ قال: إغاثة الملهوف، وهداية الأعمى، وغض البصر عن المحرمات، وإماطة الأذى)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في نهيه عن المنكر وتذكيره زميله بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في اعطاء الطريق حقه.

التحسر على حال المسلمين:

قال أبو محمد وايسلان بن أبي صالح -رحمه الله-: ما مرّ قط على هذا الدين شر من هذا الزمان، فقيل له: ما يئس الناس، بل نحن في جموع وجماعات، وحلق وظهور، غير مستخفين ولا خائفين من أحد، لم نكن كالأولين مختفين متكتمين معتزلين في الجبال والمغارات والبراري والقرى.

فقال لهم: هيهات لم ير زمان منذ قام هذا الدين إلا ولهم إمام إما ظهور وإما دفاع، وإما شراء، يقتلون ويقتلون ولا يهابون القتل في ذات الله تعالى، القتل عندهم آثر من الحياة في رغد عيش، ولا يريدون غير إظهار الدين ودعوة الإسلام،﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[4]، ﴿**وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ**

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص294.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص295.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص637.

4)النحل، الآية 44.

الْمُجْرِمِينَ﴾، ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ**﴾[1]، فهل حال أضعف من حال أهل هذا الزمان؟ هذا قوله – رحمه الله– ، فكيف بنا وقد قل العلماء، وكثر الجهال فلا تابع ولا متبوع، إلا من شاء الله. وقد بلغنا من الأخبار إنه لا يذهب الإسلام حتى يتدافعه الناس وكل منه خال)[2]، اكتفى الشماخي[3] بالإحالة إلى الدرجيني و الوسياني، وإلى أن الشيخ كان كثيرا ما يتمثل لأكثر أحواله بالشعر لأنه كان أديبا، وأن له من الحكم والأمثال الشيء الكثير.

يظهر الجانب الوجداني في التحسر على سوء حال الناس مع الدين في زمانه، وأن مقياس الظروف الحسنة والسيئة هو العيش على شرع الله والموت في سبيله، وأن من مظاهر قوة المسلمين: الجموع الكبيرة، و حلقات العلم، و عدم الخوف من أحد، و الاستشهاد في سبيل الحق، و من علامات ضعفهم: عدم وجود إمام لهم، إيثار الحياة الدنيا على الآخرة و على الرغبة في سبيل ظهور الدين، ومن المظاهر أيضا التحذير من تدافع الدين وعدم نصرته.

وصية وعظية:

يقول في وصية:(ثم إني موصيكم إخواني ونفسي بتقوى الله العظيم في السر والإعلان، وباتباع آثار دعوة المسلمين فإن الاتباع أولى بالهدى من الابتداع، وعليكم بالائتمار لما أمر الله به من طاعته، والانتهاء عما نهى عنه من معصيته، فاقتفوا آثارهم، فإن الله أوعد بالنار من خالفهم كما أوعد بها من خالفه وخالف رسوله، إذ قال تبارك وتعالى:﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[4]، فاتقوا الله إخواني واحذروا مخالفة أئمتكم في القليل والجليل، فإنه قيل في المثل: حيثما مال الحمل وقع، واحذروا كثرة مجالسة المخالفين، ففي ذلك أثر مشهور عند المسلمين، كالذي يروى عن أبي نوح وأبي خزر –رضي الله عنهما– وتجنبوا مخالطتهم والميل إليهم، وكثرة مطالعة كتبهم، وحذّروا من ذلك سواكم، ألا ترون مسألة السخط والرضا قد وقعت عند من وقعت من أهل الدعوة من كتاب أحمد بن الحسن الضليل، فرسخت في قلوبهم ودانوا بها فضلوا وأضلوا، وكذلك خبر سليمان

---

1)الأنفال، الآية، 42.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص298.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص637.

4)سورة النساء، الآية 115.

بن يعقوب بن الإمام وما تفرس فيه أبوه أنه سيضل بقراءته ديوان ابن الحسين، فضل وقال بمسائل لم يوافقه عليها أحد من الأئمة إلا الشاذ الذي لا يعرج على قوله، حتى برأ منه أبو صالح وكان معه من المباهلة ما هو مشهور، وأحذركم الترك بعد الجدّ، وعليكم بالحذر من الانهماك في الشر والخلاف بعد الزجر عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وغضب منه وقال: (أمنهمكون أنتم فيها بعد ما جئتكم بها بيضاء نقية سمحة سهلة؟) وقد قال الإمام -رضي الله عنه-: بلغنا أنه قد ألقى في ديوان المسلمين ألف مسألة من مسائل الزنادقة فكيف ديوان غيرهم؟ وليس عليكم رحمكم الله إلا الاتباع فإنهم سنوا لكم ما ترشدون به)[1].

يظهر الجانب الوجداني في التذكير بالتقوى والالتزام و التمسك بالآثار والحذر من الابتداع، و طاعة الله والحذر من المعصية ومن الإصرار عليها، و التذكير بالجنة و النار، والتحذير من الاطلاع على الآراء المخالفة حتى لا يتعرض للشبهات في العقيدة، و استعمال المباهلة في الاقناع، و الحث على المواظبة على الإقبال و الجد.

الاختلاف مع العزابة:

حين كان بن ثماني عشرة سنة عائدا من حلقة يزيد بن يخلف إلى داره مع جماعة من العزابة، فمروا على الشيخ ماكسن، فلما كانوا ذاهبين لحقه أبو محمد فسأله:(يا شيخ إن العزابة قد اتفقوا أن لا يفترقوا فهل يجوز لي أن أفارقهم إن رأيت في مفارقتهم مصلحة؟ فقال إنما جعلنا الله أحرارا لنملك أمرنا فصحبه[2]. ذكر ذلك الشماخي[3] مضيفا أنه صحبه بعدما فارق العزابة الذين كان معهم. يظهر الجانب الوجداني في السؤال عن الحرية وهذا دليل على الحواجز التي تقام على أمثاله، وفي أهمية الحرية الفكرية لكي تتحقق العبودية لله تعالى.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص297،296.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص291.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص635.

التعايش مع المخالفين:

كان يجلس إلى حلقات المخالفين له في المذهب حين كان على سفر لشراء كتب، فأنكر عليه أحدهم تسليمه على نكاري فقال له:(ما لكم تسلمون على اليهود وهم مشركون ولا أسلم أنا على رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

عن أبي عمرو عثمان بن خليفة[3]:

النصح:

نقل نصائح عن مشائخ حين أرادوا توديعه عند خروجه من ورجلان يحثونه على الرسوخ في العلم والانقاص من الكلام الزائد، قال:(العلم والوطوطة لا يلتقيان) وعن الثبات وعدم التردد في طلب العلم قال: (الحجر المتقلب لا يثبت عليه شيء من البناء)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى. يظهر الجانب الوجداني في استعمال الوعظ والتحذير في الوعظ، وفي مكابدة المشقة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وفي الحث على الطلب الحقيقي للعلم.

عن أبي عمار عبد الكافي[6]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الأخبار التي وردت عن الشيخ في الجانب الوجداني نموذج عالم وهب شبابه لطلب العلم بكل جد ومثابرة وإخلاص، ووهبه بقية حياته بعد التعلم في تعليم الناس الخير والإصلاح بينهم و

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص293.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص636.

3)أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني، من أعلام وادي سوف، له حلقات علم تخرج عليها الكثير من العلماء تميز بمقدرته الجدلية، خلف تراثا فكريا قيما، (ق06هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 620.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص304.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص639.

6)أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني، من أبرز أعلام عصر الازدهار في وارجلان، أولى التأليف اهتماما خاصا وترك تراثا فكريا قيما، توفي قبل:(570هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 562.

تأليف الكتب، كما يتبين لنا أن اشتغاله بالدين والعلم لم يمنعه من الاشتغال بإصلاح دنياه والسعي في سبيل الرزق من رعي الأغنام وغير ذلك مما كان من سعي الإنسان واسترزاقه.

العلم:

ورد عنه تفرغه للعلم وانقطاعه عن الأهل وأخبارهم وعن كل ما يشغل باله ولما عزم على الرجوع وجد أخبارا كثيرة لو اطلع عليها لأشغلته عن ما هو عليه منها وفاة والديه[1].ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني.

يظهر الجانب الوجداني في المكابدة والهجرة في سبيل تحصيل العلم.

التحذير من الفتنة والافتراق:

قال:(إذا وقعت الفتنة بين فئتين من المؤمنين فالأحب إلي أن يصطلحوا، فإن لم يفعلوا فالأحب إلي أن لا تغلب فئة، فإن من أحبّ أن تغلب إحداهما الأخرى فقد دخل في الفتنة، ولزمه ما لزم أهل تلك الفتنة، وكأن سيفه يقطر دما، وروى عنه عيسى بن أحمد أنه قال السلامة عندي أن يكون في البراءة سواء، لا يرجح إحدى الطائفتين)[3]، ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في أن مجرّد الحب و الميل إلى طرف دون آخر مشاركة في الفتنة، واستعمل لذلك وصفه:(يقطر دما) إشارة إلى شناعة الموقف.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص306.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص640.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص312.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص641.

عن أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم لنا الأخبار الوجدانية التي وردت عن الشيخ جانبا واحدا من حياة الشيخ وهو اهتمامه بالعلم والتعليم والتأليف، إذ أنها تتميز بالصرامة والجدية في العمل من جهة، وبالمرونة والتلطف في التعليم من جهة أخرى.

العلم والتعليم:

ورد عنه أنه أقام بمنزله سبعة أعوام متى زاره أحد إلا ووجده إما مع النسخ و إما مع بري الأقلام وإما مع التدريس وإما مع طبخ الحبر وإما مع مقابلة الدواوين وإما تسفير الكتب إلا إن قام لأداء الفرض[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في همته وتفرغه بمنزله في خدمة العلم و الجد فيه.

و كان حين يضع أغراضه من عمامة ومفتاح وكساء ليتوضأ فتؤخذ منه ولا ترد إلا بمقابل مسألة لكل شيء يقدمه حتى يسترد جميعها[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في حرص الناس على التعلم، وفي تلطفه معهم وتعليمهم.

كما أن للشيخ قصيدة" الحجازية" يحكي فيها رحلته إلى الحج وفيها مواعظ وعبر[6]. ذكر ذلك الشماخي[7] بنفس المعنى.

---

1)أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن الطاق السدراتي، أحد علماء وارجلان كان قاضيا ومفتيا بها، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1048.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص313.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص642.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص314.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص642.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص316.

7الشماخي، المصدر السابق، ص642.

عن أبي محمد عبد الله بن يحي بن عيسى العباسي[1]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

يظهر من خلال ما ورد عن الشيخ من أخبار وجدانية أنه حريص على التحلي بخلق الكرم عموما و إكرام طلبة العلم و المشائخ على وجه الخصوص بالرغم من قلة ذات يده.

إكرام المشائخ:

كان يدخر الجيد من المال للضيف، وهو قليل المال، فسأله يوما أحد العزابة حين رآه يفعل ذلك قال:(يا بني إن من أكل خيار ماله فقد أكل دم وجهه، وذلك مدّخر لأمثالكم، وإن الذي بين يدي مع العافية كثير)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في إيثار المشائخ على نفسه، وفي الرضى والقناعة بالقليل من الرزق.

إكرام التلاميذ:

رغّب عبد الرحمن بن علي و هو أحد التلامذة أن يمكث عنده ويحفظه القرآن وينفق عليه بسخاء، إذ في الربيع يخرجه إلى البراري كي لا يفوت عليه خيرات الفصل من اللبن وغيره، وغير له في برنامج حفظه حتى لا يفوته التحصيل فكان يكتب ويحفظ اللوحين من القرآن و يستظهرهما مرة واحدة عند قدوم الشيخ[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في التشجيع على التعلم والتودّد إلى التلامذة و ملاطفتهم، وفي التكفل بالرزق و التعليم.

---

1)أبي محمد عبد الله بن يحي بن عيسى العباسي، لم أعثر على ترجمة له.

2الشماخي، المصدر السابق، ص652.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص330.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص331.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص653.

عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن داود[1]:

الزيارة لإصلاح الناس:

زار أهل جربة و نصحهم ووعظهم جماعة وفرادى، (حتى أفضت النوبة إلى أبي يحي فصيل بن أبي مسعود فقال له:(فقال ما هذا الذي بلغني عنك يا أبا مسعود؟ فقال له: وما هو؟ قال: بلغني عنك أنك تداين ضعفاء أهل جربة في حال العسر ثم تأتيهم لتقاضي دينك، فإذا رأوك من بعيد أدخلت الروعة على المرأة والطفل، وأثمت فيهم، ويروع المديان منك، واستدعيت منه بذلك ضعف دينك وقلة مروءتك، وما هو إلا أن يروك ويقولوا هذا ابن أبي زكرياء قد أقبل، فعل الله به وصنع. أترضى لنفسك ومنزلتك وأبويك ومنصبك أن تكون هذه منزلتك؟ كلا والله، ولكن جانب المداينات ما استطعت، فإن لذلك رجالاً، فقال: إني تائب يا شيخ ولا أعود)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] في حديثه عن أبو الربيع سليمان بن داود.

يظهر الجانب الوجداني في الزيارة لأجل الإصلاح والوعظ والنصح الفردي و الجماعي، وفي اختياره مدخل وجداني في النصح يتمثل في النهي عن ترويع النساء و الأطفال و تشويه سمعته وسمعة والديه، ودعاء أصحاب الديون عليه، وفي الإذعان المباشرة و التعبير عن ذلك بالتوبة.

عن ميمون بن أحمد المزاتي[4]:

البر بالمشائخ:

كان يعتني بأب المؤلف سعيد بن يخلف إكراما لأبيه يخلف بن يخلف، وكان يشجعه على التعلم بتمرينه و إكباره وتخصيصه بالفوائد، و كان كلما دخل المسجد أعطى له كتابا فأمره بقراءته أمامه وصحّح له. كما كان جد المؤلف يخلف بن يخلف يأمر بإكرامه كلما أمكن، وكان يقول فيه أنه

1)أبو عبد الله محمد بن داود، أصله من تونين بوادي أريغ، من الرواة وكتاب السير الإباضية، (ت:555ه) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 814.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص329.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص 651.

4)أبو العباس ميمون بن أحمد المزاتي، من علماء وحكام درجين، له حلقة علم، من تلاميذه والد أحمد الدرجيني صاحب الطبقات، عمر طويلا، (550ه، 600ه)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 937.

اجتمعت فيه الصفات الثلاثة: عزيز ذُل وغني افتقر، وعالم بين جهال[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في البر بالأبناء برا بآبائهم، وفي التشجيع على العلم، و الرأفة بالمتعلم والتودد إليه، وفي الأمر بالإكرام والاعتناء بمن فقد مكانته من غنى أو عز أو لم يجد مكانه بين علماء.

عن يوسف بن محمد الوسياني[3]:

ورع في العبادة وخمول في العلم:

ورد عنه أنه كان ذا ورع واجتهاد في العبادة، وخمول واقتصار في العلم والتعلم[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في أنه نوع من المشائخ المنقطعين للعبادة دون باع يذكر في العلم.

عن أبي عبد الله محمد بن علي[6]:

الإصلاح بين الناس:

وقعت فتنة بين أهل درجين حولت عافيتهم وأضعفتهم، فنهض الشيخ من سوف إليها ليصلح بين المتخاصمين، فلما دخل درجين أرد الشيخان يخلف بن يخلف ومحمد بن سعيد تضييفه فأبى، وطلب منهما إعانته في الأمر الذي جاء من أجله وأنه لا يبدأ بشيء غيره، فاجتمع الناس و(رغب إلى أولياء الدماء فعفوا، وندب جميعهم إلى الصلح فأجابوا، فلما اصطلح الفريقان استدعى سبع حصيات من أيدي سبعة رجال حجاج حضروا حينئذ، ثم قال: هذه حصيات تناولتها أيد قد استلمت الحجر الأسود، وحفر في الأرض على قدر ذراعين حتى غاب عاتقه ودفن الحصيات، ثم

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص334.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص655.

3)أبو يعقوب يوسف بن محمد الوسياني، ذكره الشماخي بـ: يوسف بن أحمد الوسياني، من مشائخ وارجلان، له كتاب "التقييد" في أشعار المشائخ، (ق06هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 1070

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص335.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص655.

6)أبو عبد الله محمد بن علي، لم أعثر على ترجمة له.

قال: هذه فتنة أهل درجين قد دفنت فمن أثارها جعل الله بأسه في رأسه، فأمّنوا كلهم على دعائه، وقطع الله تلك الفتنة إلى اليوم)، وكان من الناس من لم يحضروا الصلح فدعا عليهم، ودعا بالخير لمن حضر فأصابوا خيرا كثيرا على خلاف الآخرين)، و من أقواله:(دعوى القبائل هي التي تحرك الفتن فادعوا الله على من دعا بها)[1] ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في التضرع إلى الله في الإصلاح بين المتخاصمين، وفي السفر في سبيل إطفاء الفتن، وفي التعجيل في أمر الإصلاح وعدم الاشتغال بما يلهي عنه.

عن أبي زكرياء يحي بن أبي نوح يوسف بن محمد بن بكر[3]:

السفر لأجل تغيير المنكر:

كان إذا سمع بمنكر في أريغ تحول إليها بحلقته فزجرهم أو بعسكر إن كان الفعل يستلزم القوة وطبق حكم الله فيهم أو تأديبا أو وعظا أو سجنا أو حدا[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في سفره لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره بالقوة واللين.

عن يخلف بن يخلف النفوسي[6]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ بنوع آخر من الأخبار الوجدانية تتعلق بالحكم والقضاء بين الناس، حيث إنه كان يشيع العدل بين الناس ولو من غير المذهب مما يجعله محبوبا عندهم، حيث إن السبب الأساسي هو توازنه بين الشدة واللين في الأمر والنهي والتزام الصواب، كما أنه ورد عنه أنه كان يؤلف في الحكم والمواعظ.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص323.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص 647.

3)أبو زكرياء يحي بن أبي نوح يوسف بن محمد بن بكر، من حفدة أبي عبد الله، كان بمثابة الإمام العادل في أريغ بالجزائر، كانت له حلقة بتين يسلي، (550هـ، 600هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 985.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص333.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص654.

6)يخلف بن يخلف النفوسي التميجاري العزابي، من جبل نفوسة بليبيا، فقيه، قاضي، نسابة، تعلم على يد علماء أريغ و وارجلان، (550هـ، 600هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1020.

العدل في الحكم:

اشتهر الشيخ برضى أهل المذهب والمذاهب الأخرى بقضائه، إذ كانت تفد إليه القبائل المختلفة فيحكم بينهم[1]

شهادة مخالف على مناقبه:

في يوم من الأيام كانت تذكر مناقب الشيخ وأسرته بين يدي الشيخ أبي علي حسنون بن محمد بن عمران النفطي، وكان بينهم زائر يستغرب كل ما يذكر من المناقب، فسأل أحد الحاضرين الشيخ:(أترى يا سيدي أنهم يرجى لهم الخير عند الله لهذه الأوصاف؟ وهم على ذلك المذهب؟ فلم يجبه بغير الصمت، فقال الزائر للشيخ: يا سيدي وما مذهبهم؟ قال الصلاح، وانقطع الكلام)[2]، ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في شهادة الغير على الصلاح، وفي ذكر مناقب الصالحين.

عقيدة:

التقى به أحدهم فقال له:(يا يخلف ما منزلتي عندكم جملة العزابة؟ قال: منزلة مشمش وفشفش يعني جلوازين حسينين كانا بين يدي قاضي نفطة، فاستعظم ذلك لما سمعه وكرهه، ثم قال: بماذا؟ قال: لأنك تقول تدخل النار ثم تخرج منها، وهما يقولان أنهما يدخلان النار ثم يخرجان منها، فانبسط بعد الانقباض، فقال: أإلى هاهنا عدت؟ قال: نعم، قال: والله إنكم لمعذورون وإن حجتكم لقاطعة[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

يظهر البعد الوجداني في تركيزه في سبب منزلته عند العزابة على مسألة الخلود في النار، وهذا دليل على محوريتها في الحياة وتوجيه السلوك، ويظهر أيضا الروح الإيمانية العالية بينهما إذ لم يفض ذلك الاختلاف إلى تشنج بل إلى الاعتراف بينهما.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص336.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص337.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص656.

4)الدرجيني، المكان نفسه.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص657.

تأليف في الحكم:

للشيخ تأليف في الحكم والأشعار غير مجموع يتعلق بأمور الدين و الدنيا[1]. وذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

إكرام المشائخ لبعضهم البعض:

بعد صلاة صبح يوم من الأيام طلب من الحاضرين على وجه الدعابة والإدلال من يضيف العزابة للغداء فيولوه عليهم، فطلب موسى بن إلياس المزاتي[3]، لأنه كان قريب عهد من قدومه من البادية محملا بخيراتها، فأطعمهم منها، فقال الشيخ أما الإمارة فأنت واحد منا، ولكن دعا الله له بولد من الحمل الذي عنده أن يكون خليفة للإمام أفلح، و طلب منه أن يسميه أفلح، فرزقه الله ولدا عالما آمرا ناهيا مطاعا[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى وفي نفس الموضع وكرره في معرض الحديث عن أبو معبد أفلح بن موسى بن إلياس[6] الذي أخذت فيه الكرامة[7].

يظهر الجانب الوجداني في إكرام بعضهم لبعض وتعاونهم خاصة زمن الفاقة و الأزمة، وفي استجابة الدعاء بصلاح الولد.

معاتبة العالم وهجرانه:

التقى المشائخ بأبي يعقوب يوسف بن خلفون وهم في طريقهم إلى الحج وقد علموا أنه كان في الحضر في الهجران، وكان معهم الشيخ يخلف بن يخلف جد المؤلف، فلم يريدوا أن يصافحوه و انتظروا ما يفعل معه فيفعلوه، (قال: فلما نزل الشيخان وضع شيخنا يده في يد أبي يعقوب وتنحيا عنا غير بعيد، فجعل يثرب عليه ويعدد ما نسبوه إليه بتثريب، لم نفهم منه إلا ما عاينا الشيخ كلما ذكر خطيئة خط بإصبعه في الأرض فكلما عد عليه شيئا ذكر وجهه وسببه واعتذر،

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص338.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص658.

3)موسى بن إلياس المزاتي، لم اعثر على ترجمة له.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص342.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص658.

6)أبو معبد أفلح بن موسى بن إلياس، لم أعثر على ترجمة له.

7)الشماخي، المصدر السابق، ص663.

واستغفر، حتى أتى على جميعها وظهرت براءته، وكان الشيخ يخلف يقول له في تثريبه: يا ابن خلفون كيت وكيت ثم يخط، ويقول: يا ابن خلفون كيت وكيت، وأطال العتاب، وأبو يعقوب مطرق، إلا أنه مهما عدّ عليه شيئا ذكر عذره ووجهه وسببه، حتى توجه عند الشيخ عذره فسمعنا شيخنا يقول: الحمد لله رب العالمين، وقاما معا واعتنقا وقمنا نحن أيضا وسلمنا على الفقيه أبي يعقوب وسلم علينا وانسناه وتأنسنا به)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في حرص العلماء على المعاتبة و تطبيق الهجران وعدم انتهاكه، و المناقشة والاقناع قبل التولي أو التبرؤ، وعدم التقدم بين يدي العالم، وفي الاعتذار والاعتراف بالخطأ والعودة إلى الجماعة.

عن علي بن يخلف[3]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر تفاعل وجداني خارجي للشيخ، مثلما كان منه مع الصوفي من تأثير وتأثر، أو مع ملك غانة من دعوة و تأثير وجداني.

مع صوفي:

ورد أنه التقى مع صوفي وتبادلا الفوائد، وكل ذلك بعد أن كانت ظلمة بينهم بسبب قول الصوفي له بعد أن علم أنه إباضي:(إنكم تبغضون عليا)، فقال له:(أبي من أئمة المذهب فكيف يسمي ابنه بأحد أعدائه)، فزالت الظلمة وحسنت صحبته له وطلب منه ألا يغادره ما دام في نفطة[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص320.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص 645.

3)أبو الحسن علي بن يخلف بن يخلف الدرجيني، من علماء درجين بالجريد، جد مؤلف كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، من كبار التجار إلى بلاد غانة، سبب إسلام ملك مالي، (حي في: 575)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 637.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص340.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص658.

يظهر الجانب الوجداني في تبادل الفوائد مع أهل التصوف والارتياح في الحديث معه، وفي إزالة البغض بينه وبين الصوفي بتوضيح موقفه وموقف أجداده من الإمام علي.

تبليغ الدين:

ذُكر أنه سافر إلى بلاد غانة حتى دخل مالي، و كان بها ملكا تحته مملكة عظيمة ومعادن تستخرج من أرضه، فأعجب هذا الملك بأخلاق علي بن يخلف وأصبح يقربه في مجالسه، وكانت سنة قحط شديد وبدأوا يتقربون بأضحياتهم لكنهم لم يسقوا، ولما همّ الشيخ علي بالخروج إلى بلاده ، قال الملك لعلي:(ألا تدعو إلهك الذي تعبد أن يسقينا؟ فقال له: لا يسعني ذلك وأنتم تكفرون به وتعصونه، وتعبدون غيره، فإن آمنتم به وأطعتموه فعلت ذلك ورجوت أن يسقيكم، فقال له الملك: علمني الإسلام وفرائضه حتى أتابعك عليه، وتستقي لنا، فعلمه كيف يقر بالشهادتين فعلمه إياهما، ثم قال اصحبني إلى نهر النيل ففعل، فعلمه كيف يتطهر فتطهر، ولبس ثياباً طاهرة ورقى به ربوة فوق النيل فعلمه الصلاة فصلى، ثم قال إن أنا صليت فافعل ما تراني أفعل، وإذا دعوت فقل آمين، فباتا ليلتهما في عبادتهما وضراعة إلى الله عز وجل. فلما كان بعد صلاة الصبح أنشأ الله سبحانه سحابة فما حاولا الانحدار من الربوة حتى حالت السيول بينهما وبين المدينة، فجاءهما زورق في النيل، فركبا حتى دخلا المدينة ودامت السحابة سبعا غير مقلعة تسيح ليلا ونهارا) فما كان من الملك إلا أن يوقن ويدعو قومه للإيمان، فعلمهم الشيخ الإيمان والشرائع حتى استدعاه أبوه فعاد إلى بلاده وأهل مالي يرغبون في اللقاء معهم، لكنه بحجة وقدسية إبرار الوالدين قبل له الملك[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في استغلال السفر و العلاقة الطيبة مع المشركين في نشر الدين، وفي أنه استغل حاجة القوم إلى المطر في التعريف بالله والدعوة إلى عبادته، وفي التضرع بالصلاة و الدعاء، وفي أن بر الوالدين في مرتبة نشر الدين، في تعجب ملك مالي من ورعه و محافظته على دينه ومبادئه.

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص340.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص659.

عن الشيخ سليمان بن علي بن يخلف[1]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تتجه حياة الشيخ إلى منحى الزهد والروع التقوى في مختلف دوائر حياته الخاصة منها والعامة، والتأليف في الأخلاق، من ذلك مواظبته على الدعاء و الذكر، وحرصه على تربيته أبنائه وصلاحهم، والتحلي بخلق الكرم والثبات عليه، والحلم بمقابلة الإساءة بالإحسان، حتى أن بسبب إعجاب الناس بورعه وتقواه تصرفوا معه بعد وفاة بما يتناقض مع العقيدة ويشوهها.

المواظبة الدعاء:

في دعاء يردده كل صباح:(اللهم، أرضني بما قضيت علي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا أحب تأخير ما عجلت)[2] ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في تسليمه المطلق بقضاء الله تعالى ورضاه به، وفي المواظبة على الذكر.

تربية أولاده:

كان كثير الإنفاق والكرم، فقال له أحدهم :" أبق لأولادك بقية ، واتق الله فيهم" فقال: (إن يكونوا أولياء الله فإن الله لا يضيعهم وإن يكونوا غير ذلك فأنا أولى بمالي منهم)[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] مضيفا أن الكلام قد ذكره غيره من الصالحين، ورجح أنه قول عمر بن عبد العزيز[6].

يظهر الجانب الوجداني في أن إرث الصلاح خير من إرث المال، وفي الثقة المطلقة في الله، وفي أن المطيع لله أحق بالحياة الطيبة من غيره، وفي كرم ضيافته و إنفاقه لماله بيده في الخيرات.

---

1)أبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف التمجاري النفطي الدرجيني،أصل أسرته من تيمجار في وسط جبل نفوسة بليبيا، استقرَّت بكنومة من قرى تقيوس بوادي أريغ بالجزائر، ونزل هو بنفطة، أخذ العلم على مشائخ وارجلان، له شعر بالدارجة، (النصف الثاني ق06هـ)أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 458.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص343.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص660.

4)الدرجيني، المكان نفسه.

5)الشماخي، المكان نفسه.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص685.

الاجتهاد في إكرام الضيف:

بعد أن قلّ بعض ماله ، أشفق عليه أحدهم لما رأى منه من كثرة الضيافة فاقترح عليه قدرا من التمر يقدمه له كل سنة ليستعين بها على أضيافه وأضياف المسجد، فقال له:(لا والله إن فيما أبقى الله لكفاية أؤدي منها حقوق من ذكرت ولو على عسر، ولكن إذا كنت فاعلا فقم بحقوقهم كما قام به غيرك، وتولى ذلك بنفسك ومالك)[1] ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في المجاهدة في الخير والاستمرار فيه رغم المشقة، وفي تقريره لمبدأ التنافس في الخيرات وحثه على السعي في الخير، وفي الإيثار والإكرام في خدمة أهل المسجد.

الصفح:

وقعت فتنة عمياء بين النكار و الوهبية في كنومة، فأخرجوا منها كل الوهبية، فهمّ الشيخ بالخروج فقالوا كيف لهم أن يتركوا فقيه القوم ينجو؟ فضربوه وطعنوه أرادوا قتله، فأنجاه الله بمن معه، مع كل ذلك لم يؤذهم لا قبل الفتن ولا بعده لا بفعل ولا بقول[3]. ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في حلمه على من ظلمه وعدم الانتقام.

التأليف في الحكم:

في تأليف في الحكم والمواعظ وأنه صاحب كرامات[5]. ذكر ذلك الشماخي[6].

---

1)الدرجيني، المكان نفسه.

2)الشماخي، المكان نفسه.

3)الدرجيني، المصدر السابق، 344.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص661.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص342.

6)الشماخي، المصدر السابق، ص660.

عن يوسف بن سدميمان[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

حياة الشيخ الوجدانية تميزت بالاحتساب والصبر والورع، والحب الشديد للمشائخ في حياتهم و بعد موتهم.

الصبر:

يقول أبو المؤلف الشيخ سعيد بن علي بن يخلف:(وكان في آخر عمره وقد أصيب بصره، وقل ماله فلم يزدد بذلك إلا رضى بقضاء الله، واجتهادا في طاعته)[2]ذكر ذلك الشماخي[3] بنفس المعنى. يظهر الجانب الوجداني في اجتهاده في العبادة وصبره على مصيبة فقد البصر والرضى بالقضاء.

الورع عن الأكل الشبهة:

كان على سفر مع قافلة يوما فمروا بزرع فتركوا إبلهم ترعى فيها، فلم يرد أن يؤاكلهم وقاوم الجوع لمدة ثلاثة أيام و بلغ به أيما مبلغ ، إلى أن التقى بجماعة من درجين فضيفوه وأنفقوا عليه من صرة كانت معهم، ودعا لهم الشيخ بالبركة فظهرت تلك البركة في الصرة أنها بعد أيام من إنفاقهم منها لم ينقص منها شيئا[4]. ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

---

1)يوسف بن سدميمان، شيخ الزهد والورع، من أهل دقَّاش، وهي من قرى تقيوس ببلاد الجريد جنوب تونس،(550هـ ، 600هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1062.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص345.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص662.

4)الدرجيني، المصدر السابق، ص346.

5)الشماخي، المصدر السابق ص663.

يظهر الجانب الوجداني في تورعه وعدم مؤاكلة قافلة التي كان برفقتها.

البر بالمشائخ:

في زيارة العزابة له تبركا وأخذ المواعظ منه، و حبه البالغ ووفائه بالمشائخ والعلماء الذين كانوا معه ثم ماتوا، بتأثره الشديد عندما سأل عن شاب كان مع الزائرين فأخبروه بأنه ابن الشيخ سليمان بن علي بن يخلف، فأخذ يبكي وقربه إليه، وأنشد بيتا من الشعر يذكر صحبته لأبيه وكأنها لم تكن:"

كأنهم لم يكونوا عارفين بنا ولم نكن لهم بالأمس إخوانا[1]

ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى.

يظهر الجانب الوجداني في قوة الولاء والحب في الله، و تحسره على العلماء و صلاحهم والدنيا الزائلة.

قراءة تحليلية للمواقف الوجدانية في الكتاب:

المجال	القرن الهجري	موضوع الموقف	عدد المواقف
التربوي	الخامس	العبادة و الزهد و الورع والذكر والتوبة	35
		العلم والتعليم وتربية الأبناء	35
		البر بالمشائخ وطلبة العلم وإكرامهم	08
		الكرامات	04
	السادس	العبادة و الزهد و الورع والذكر والتوبة	17
		العلم والتعليم وتربية الأبناء	15
		البر بالمشائخ وطلبة العلم وإكرامهم	05

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص346.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص662.

04	الكرامات		
07	العبادة و الزهد والذكر	السابع	
04	البر بالمشائخ		
01	تربية الأبناء		
01	الكرامات		
01	المساعدة والتعاون على الخير	الخامس	الاجتماعي
02	الإنفاق وإكرام الضيف		
11	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر		
02	التسامح وحسن الخلق		
04	الورع في المعاملات والأمانات		
02	التحذير من الافتراق		
02	الزيارات الدعوية والأخوية		
01	الإنفاق وإكرام الضيف	السادس	
04	الإصلاح بين الناس و التسامح وحسن الخلق		
02	الورع في المعاملات والأمانات		
01	الزيارات الدعوية		
05	النهي عن إيذاء الآخرين		
02	الهروب من الفتنة		
04	التحذير من الفرقة		
03	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	السابع	
01	الإنفاق وإكرام الضيف		
01	التسامح وحسن الخلق		
03	الاهتمام بحال أهل المذهب ونصرتهم	الخامس	السياسي
02	مدرارة الحكام		
02	مداراة الحكام	السادس	

		كرامات مع الحكام	02
		الاهتمام بحال أهل المذهب ونصرتهم	01
	السابع	لا يوجد	

من خلال كل المواقف الوجدانية التي انفرد بها كتاب الطبقات عن كتاب السيرة وأخبار الأئمة ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، ومن خلال المقارنة بين الكتابين اتضح ما يلي:

- بلغ العدد الإجمالي للمواقف الوجدانية (194 موقفا) انفرد بها كتاب الطبقات ولم ترِد في كتاب سير الأئمة، وهذا كما سبق في المبحث الأول دليل على غزارة الجانب الأخلاقي والوجداني في كتاب الطبقات، و دليل أيضا على اهتمام الإباضية بذكر مناقب السلف للخلف، لما في ذلك من أثر على وجدان الإنسان ومشاعره الدينية.
- لا يوجد اختلاف كبير بين كتاب السيرة وأخبار الأئمة وكتاب الطبقات في تفاوت عدد المواقف بين المجالات الثلاثة، لاشتراكهما في نفس الأسباب وقرب الفترة الزمنية، إلا ما نلاحظه من تفاوت بين المجال التربوي والمجال الاجتماعي، إذ يظهر في كتاب الطبقات ارتفاعا نسبيا في عدد المواقف الاجتماعية حيث كان (35 موقفا اجتماعيا من 87 موقف تربوي) في كتاب السير وأخبار الأئمة فارتفع إلى (48 موقفا اجتماعيا من 136 موقف تربوي) في كتاب الطبقات ، وهذا يدل على أن التربية الأخلاقية والوجدانية التي تم التركيز عليها بداية القرن الخامس الهجري قد بدأت نتائجها تظهر على الصعيد الاجتماعي. وقلة عدد المواقف الوجدانية ذات البعد السياسي في الكتابين، حيث بلغ عددها في كتاب الطبقات(10 مواقف) دليل على الاتفاق الصارم من المشائخ على قرار اعتزال الحياة السياسية والاشتغال بالتربية والأخلاق والتعليم.
- حين نقف على عدد المواقف الوجدانية في كل قرن نلاحظ وفرة كبيرة جدا في القرن الخامس، حيث بلغ عددها (111 موقفا) ثم تناقص بشكل كبير في القرنين المواليين، حيث وصل العدد في القرن السادس إلى (64 موقفا) وفي القرن السابع (18 موقفا)، يبدو أن هذا يعود إلى وفرة المصادر التي استند إليها مؤلف الطبقات وندرتها.

- يظهر من خلال الجدول أدناه تفاوت واضح في عدد كل نوع من المواقف بين القرون الهجرية الثلاثة، والأمر المشترك هو ارتفاع نسبة المواقف التربوية في كل قرن، ثم تليها المواقف ذات البعد الاجتماعي، وفي الأخير وبشكل ضئيل جدا المواقف ذات البعد السياسي، وفي هذا تأكيد على أهمية التنشئة الفردية والاجتماعية والعزوف عن السياسة.

نوع الموقف	القرن الخامس	القرن السادس	القرن السابع
المواقف التربوية	82	41	13
المواقف الاجتماعية	24	19	05
المواقف السياسية	05	05	لا يوجد

في ختام المبحث ومن خلال كل ما سبق نلاحظ فروقا بين كتاب السير وأخبار الأئمة وكتاب الطبقات فيما ما يتعلق بعدد المواقف الوجدانية في كل مجال، كما نلاحظ أيضا حضورا أكبر للمواقف الوجدانية ذات البعد الاجتماعي في كتاب الطبقات بينما في كتاب السير حضور أكبر للمواقف ذات البعد التربوي، كما برز بشكل واضح اهتمام كتاب الطبقات بتنظيمات الحلقة التي لها دور هام جدا في الحياة الوجدانية للفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: الأخبار الوجدانية في كتاب السير

تمهيد:

يلي الكتابين السابقين السير والطبقات وبعد قرنين من الزمن كتاب السير الذي قد اعتمد أيضا على جانب مهم جدا من أخبارهما، كما اعتمد أيضا على مصادر أخرى كثيرة، وقد ذكر في آخر الكتاب أنه قد ترك كثيرا من الأسماء لم يوردها لأسباب كثيرة منها أنه لم يجد مكانا لوضعهم في الكتاب، أيضا (تشتت الذهن، والفتن، والقحط، وتزلزل العباد، وعتو أهل الفساد، وكثرة الشكوى وقلة السداد)[1].

إذا كان كتاب السيرة وأخبار الأئمة قد تميز بالاهتمام بالبعد التربوي من المواقف الوجدانية، وأما كتاب الطبقات فقد تميز باهتمامه بالجانب الاجتماعي إلى جانب الاستفاضة في تنظيمات الحلقة، ترى ما هي الإضافات التي سيفيدنا بها كتاب السير، وبم سيتميز به في مجال الوجدان عن الكتب السابقة.

عن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

إضافة إلى ما ورد عن الشيخ في كتاب السير و أخبار الأئمة وفي كتاب الطبقات نجد نموذجا آخر من النماذج الوجدانية يتعلق بالجانب السياسي من حياة الشيخ، حيث إن له مكانة في قلوب الحكام والذين يملكون زمام الأمور، كما أن الخبر يكشف عن جانب مهم من تفاعل الإباضية مع السياسة يتمثل في تولي أحد الإباضية الخارجين عن المنهج الذي ارتضاه الإباضية لأنفسهم منصبا سياسيا، وهذا طبيعي لأن الذين يلتزمون المنهج الإباضي بعيدون عن الساحة السياسية بسبب ما يرونه من فساد وتعد وظلم و هضم للحقوق.

1) الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص809.

مكانة الشيخ عند عمال السلطان:

كاتبه عامل من عمال السلطان، وهو من أهل المذهب لكنه فاسق جائر أن يتنحى هو أهله وعشيرته إلى المسجد لكي لا يصيبهم العسكر بأذى، فاستباح العامل جربة نهبا وغصبا إلا ما كان إلى جانب الشيخ اعترافا بفضله[1].

يظهر الجانب الوجداني في أن في المجتمع الإباضي نوع من الناس متفلت من الضوابط التي جعلها العزابة للمجتمع، وفي احترام مكانة المشائخ بالرغم من عد م الالتزام بأوامرهم.

عن أبي موسى عيسى بن السمح الزواغي:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يتضح مما يلي أن شخصية الشيخ الوجدانية واحدة عند الشماخي وعند الدرجيني إذ إن الأخبار الواردة عنه في الكتابين كلها تركز على طلب العلم وتعظيم أهله وأخلاقهم النبيلة.

اطراحه حظ نفسه:

ذهب إلى منزل عالم وهو غير موجود، فسألته زوجته عن ما يستأهله من إكرام، هل الشاة أم الخبز أم ما تيسر، فاختار الخبز، ولما أتى صاحبه ذبح له الشاة[2].

يظهر الجانب الوجداني في نظرة الشيخ إلى نفسه نظرة تواضع و بساطة، وفي إكرام الضيف على حسب مرتبته وعلمه.

1)الشماخي، المصدر السابق، ص552.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص 556.

عن أبي محمد ويسلان بن أبي بكر اليراسني:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

اتفقت النماذج التي ذكرها أبو زكرياء مع ما ذكره الشماخي في شخصية الشيخ الوجدانية حيث ركزت على الورع في العبادة و الحرص على طلب العلم الصحيح، و المواظبة على الخلق النبيل مع الآخرين.

الورع في الطهارة:

ذكر عن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله قال:(كان لأبي محمد ويسلان سبعة أكسية: واحدة للصلاة لا لغيرها، والأخرى للخروج إلى الجماعة، والقعود بين الناس، وللبراز والنوم.[1]

يظهر الجانب الوجداني في حرص الشيخ على الطهارة والنظام في الحياة الدينية و الدنيوية.

العلم:

سأله طالب عن كتاب فقال له:(اجتنب ذلك الكتاب، وإلا حال بينك وبين دينك. وآخر حكى له من كتاب، قال: اغسله في النهر. و آخر حكى له عن قفيز العلم اسم كتاب. قال: قفيز البلاء[2].

يظهر الجانب الوجداني في النهي عن الكتب التي تؤثر أثرا سلبيا على التدين، وتؤدي إلى ابتلاء.

إكرام الضعفاء:

كان كثير الاشتغال بأمر الضعفاء والإكثار من الضيافة[3].

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص558.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص559.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص558

عن سعد بن ييفاو[1]:

التوبة من الخطة:

في إخراج العزابة له إلى الخطة لأمور[2]، وتوبته وإلحاحه على ذلك إلى أن قبلوا توبته[3].

عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث القنطراري[4]:

زجر من ينتهك الخطة:

قصد أبو يعقوب وارجلان لمصلحة له، وكانت حينئذ قد هجرها الشيخ أبي عبد الله لأعمال عملوها، وعلم أبو يعقوب أن الملامة ستقع لا محالة، فحاول تلافي الشيخ وحريمه أثناء عودته، لكنه ضل الطريق حتى كاد أن يهلك من العطش هو ومن معه، فوجد نفسه عند الشيخ، فضيفه وأكرمه، وقال في ذلك: (أرانا الله قدرته ثم أرانا حلمه)، وبعد أن بلغ أهله أرسل إليه الشيخ أبي عبد الله أبيات شعر معاتبا له أشد عتاب وأنه خيب ظنه وفراسته فيه :

قد كنت أحسب إن فيك رجية ... ترجا لصرف نوائب الحدثان

أوفيك للإخوان أمر يرتجا ... فأراك لا شيء من الاخوان

راحت فراستنا وخاب رجاؤنا ... شمت العداة بنا مع الاقران

فضل يكرر مرار: لا شيء من الإخوان تأسفا وندما على ما صدر منه[1].

---

1)سعد بن ييفاو: من مشايخ نفوسة الذين انطمست آثارهم أو كادت، كانت له حلقة علم في أمسنان بنفوسة، كان حسن النظر في الأمور يعمل على إماتة الشر وحسم المكروه، (ق05ه) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 375.

2)لم يذكر المصدر ما هي الأمور التي كانت سببا في التبرؤ منه.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص560.

4)أبو يعقوب يوسف بن نفَّاث القنطراري النفوسي، من جملة مشايخ أهل الدعوة، من تيمجار بجبل نفوسة، سكن بلاد أريغ، وعاصر الشيخ سعيد بن زنغيل وأبا عبد الله محمَّد ابن بكر، وغيرهما، كان شيخًا فقيهًا، له فتاوى ومراسلات، تبوَّأ منزلة علميَّة هامَّة بين معاصريه، فكانوا يرجعون إليه للفصل في مسائل الخلاف، قتل في معركة درجين لمَّا استباحها عامل المعزِّ بن باديس، (440ه). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1074.

يظهر الجانب الوجداني في هجران مدينة بسبب أعمالهم، وفي معاتبة كل من يخالف الهجران، وفي ربط الحياة بأسماء الله الحسنى المتمثلة في قدرة الله وحلمه، وفي التأسف والندم بعد معاتبة الشيخ.

عن أبي صالح الياجراني:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

إضافة إلى ما ورد عند أبي زكرياء من أخبار وجدانية عن الشيخ، نجد توسع أكثر للشماخي في غرائب الأخبار الواردة عن الشيخ، فيذكر كرامة نجاة من غدر، وهاتف يأمره بأعمال الخير.

عن أبي عبد الله محمد بن بكر:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

اكتملت ملامح الشيخ الوجدانية عند الدرجيني لما احتواه من أخبار كثيرة عن حياته ومناقبه ودوره في تاريخ المذهب الوجداني، وأضاف الشماخي إلى ذلك مواقف تؤكد دوره التربوي الوجداني، من ذلك تربيته وحرصه على قبول النصيحة، ومظهر من مظاهر تواضعه لمن هو أعلم منه وتحريه الصواب، وكما هو واضح في كل نموذج نجد الشماخي يذكر المواقف السياسية للمشائخ، فقد أشار من خلال خبر عن الشيخ إلى قيمة الإحسان إلى الظلمة لاتقاء شرهم.

قبول النصيحة:

قال:(إن من قبل النصيحة ممن ناصحه كمن أخذ منه فأسا و خرج يحتطب من الشعراء، ومن لم يقبلها كمن أخذه وصار يقطع في جسده)[2].

يظهر الجانب الوجداني في استعمال أسلوب المثال في تقريب المعنى و إشعار بالخطورة و الأهمية.

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص669.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص721.

العلم:

أتى رجل يعرض مسألة فقهية على القاضي، فتوقف وسأل الشيخ ماكسن، وتوقف ماكسن ليسأل الشيخ أبي عبد الله فقال الشيخ أبي عبد الله:(ما قدَرنا على مسائل الصبيان والقمل فكيف غيرها؟ فسار الشيخ حتى وصل جربة، فسأل أبا محمد [ويسلان بن بكر] عنها فأجابه)[1].

يظهر الجانب الوجداني في توقف العلماء والالتجاء إلى الأعلم والتحرز من الإفتاء، السفر من أجل الفتوى.

الصدقة للحكام لتفادي ظلمهم:

سمع أبو تغلى[2] يوما العزابة يقرأون القرآن فقال ما هذه البدعة؟ فبلغ ذلك أبا عبد الله، فأرسل إليه (قصعة من طعام طيب ومنادل حسنة وبطة مملوءة زيتا)، فجلس في غد ذلك اليوم في نفس الموضع وسمع قراءتهم فقال: (ما في هذا البلد إلا كلام ابن بكر، فمن كره فهذا في قلبه– لرمح في يده – والرشوة لرفع ظلم أو دفع جور، قال : جائز في سبيل الله)[3].

يظهر الجانب الوجداني في إكرام الحكام لتفادي جورهم وحفظ مصالح الطلبة.

عن أبي الحسن علي بن خزر[4]:

الاعتذار و قبول النصيحة:

عدّ عليه سعد بن ييفاو خصالا وعاتبه عليها وهو منها بريء، فقيل له لم لمْ تدفع عن نفسك وأنت لم تعمل؟ فقال: أعوذ بالله إن أرد ناصحا، ولو رددته لضربني فيما أعمل. فيقول من أراد

1)الشماخي، المصدر السابق ، ص559.

2)أبو تغلى: لم أعثر على ترجمة له.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص579.

4)أبو الحسن علي بن خزر. لم أعثر على ترجمة له.

نصحي: نصحه فلان فلم يقبل، ولست خيرا منه[1]. يظهر الجانب الوجداني في التواضع و عدم رد النصيحة، و إقدامه على التوبة والاستغفار والاعتذار.

عن جعفر الوسلاتي وابنه أبو زكرياء يحي:

نصيحة:

عن أبي زكرياء في حكم عن الاتباع، و التواضع و القناعة، إذ يقول:(اتبع ولا تبتدع، اختفض ولا ترتفع، من تورع فلا يتسع)[2].

عن أبي الربيع سليمان بن أيوب[3]:

اعتزال الناس والصبر على أذاهم:

اعتزل الناس بسبب كثرة القيل في أخيه، وذلك بعد أن نهاه عن كثرة الدخول في أمور الناس لكنه لم ينته، وألحّ الناس على خروجه، فتمثل لهم بقول الحكيم:

إذا ما كنت في زمن عبوس ... وفي ناس من البشر الخسيس

لزمت البيت مصطبرا كأني ... أخو قبر دفنت بلا أنيس[4].

يظهر الجانب الوجداني في شدة الابتلاء الذي كان يلاقيه العلماء من إصلاح شؤون الناس.

عن الشيخ أبو عمران المزاتي:

رؤيا في خدمة الدين:

في رؤيته في المنام أن يده صارت مصباحا فعبرت له أنه سيكون سببا في خدمة الدين[5].

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص757.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص580.

3)أبو الربيع سليمان بن أيوب. لم أعثر على ترجمة له.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص752.

5)الشماخي، المصدر السابق، ص589.

عن أبي صالح يعلو بن صالح الصاويني[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز شخصية الشيخ الوجدانية بالحرص على الأمر والنهي والغضب لله وبقبول الأمر والنهي إذا وجه له، فهو يقدم بذلك العالم القدوة الذي لا هم له سوى الدفاع عن الحق وإتيانه، وتشجيع كل من يدافع عن الحق ويغضب له.

الغضب لله:

ارتفع العزابة إليه يشكون منكرا، فقال لهم بعد أن سلم عليهم وشكر صنيعهم: الغضب لله، طريق اندرس وعفا وقلّ سالكه[2]. يظهر الجانب الوجداني في الشكوى من المنكر والتعاون على إزالته، وفي التشجيع على الغضب لله و التأسف من قلة سالكه.

الدعاء على المخادع:

خادع رجل امرأته بالطلاق وجاءه يستفتيه، وبعد أن أفتى له هرب وترك امرأته، فدعا عليه بعدم التوفيق فلم يوفقه الله[3]. يظهر الجانب الوجداني في الالتجاء إلى الدعاء على من يخادع الناس ويتلاعب بأحكام الدين.

توبة المشائخ من الهجران:

عاتبه العزابة على أشياء ذكرت عنه، فجعل (يتوب ويقول: لا أعود، ولم أفعل ما بلغكم وإنما بي ضعف ومرض ولا شيء مما تكرهون. حتى قبلوا توبته)[1].

---

1)أبو صالح يعلو بن صالح الصوياني، شيخ جليل وعالم كبير من بلدة آجلو بوادي أريغ بالجزائر، يبدو أنَّه أخذ العلم عن الشيخ أبي عبد الله محمَّد بن بكر، عمَّر طويلا حَتَّى أقعده المرض، (ت:513هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1037.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص691.

3) المصدر السابق، ص692.

و عاتبوا أيضا الشيخ تبغورين الملشوطي فلحقهم بتينوال[2] وتاب وقبلوا منه، وأنهم أوقفوا إسماعيل بن أبي العباس أي جعلوه في الوقوف فتاب كذلك، وأنه لم يبق شيخ في أريغ إلا عاتبوه، وأنهم أخرجوا شيوخ تينوال إلى الخطة، وقد ذكر ذلك في معرض الحديث عن داود بن أبي سهل لأنه كان منهم وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على الرجوع إلى الجماعة.

عن أبي عبد الله محمد بن سليمان:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

إضافة إلى ما ورد عن الشيخ عند الدرجيني حيث إن شخصية الشيخ الوجدانية واضحة المعالم تماما، متسمة في بالزهد في الدنيا وتوجيهها لخدمة الآخرة، والميل إلى حياة العلم والعبادة، فنجد الشماخي يعرض مشاهد عن مراحل حياته الأولى تفسر سلوكاته في كبره، مثل تعوده وصبره على قلة ذات اليد وعلى طلب العلم، فكان بذلك أحد حريا أن يتصف في كبره بصفة الأبدال الذين وصفهم الشيخ أبو عمار عبد الكافي بثلاث صفات.

الصبر على طلب العلم:

ورد عنه صبره و مكابدته شظف العيش أثناء طلبه للعلم والجوع خاصة، إذ كان أحيانا لا يجد ما يأكله فيأكل القطف و الرسا وهما شجرتان في الصحراء[4].

ومن ذلك أنه سافر إلى وارجلان فصادف شهر رمضان ولم يكن عليه سوى خرق واحد فلم يعرف أحدا ولم يعرفه أحد، وكان الناس يحملون الطلبة إلى منازلهم للإفطار ولكنه رُفض بسبب رثة ثيابه، فأوى إلى المسجد ليبيت فيه، فأرسل رجل ابنه ليبحث عن أحد من العزابة التلامذة ليؤويه فلم يجد سواه وأخبر أباه بذلك فأمره بإحضاره لكنه امتنع، فذهب الأب بنفسه لإحضاره وأدخله المنزل قال:(فلما غسل يده، أول لقمة رفعها إلى فيه خرج منه نور شق سقف البيت، حتى ظهر

1) المصدر السابق، ص692.

2 تينوال: يطلق على موقعين الأول بلد في أريغ قرب أوغلانة، والثاني قرب تمولست الواقعة في أسفل جبل دمر. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 846.

3 المصدر السابق، ص692. أنظر أيضا: نفس المصدر، ص 722.

4) المصدر السابق، ص598.

إلى الهواء فجعل الرجل يكرهه على الأكل حتى شبع، قال له: هل لك عريف؟ قال: لا. فحدثه بقصته من أولها إلى آخرها. فقال: أنا عريفك. وتكفل له بجميع ما يحتاج. فأعطاه كساء من حينه. و أكرمه الله ببركة أبي عبد الله حتى صار لا يقصد بوارجلان غيره، ثم قتل مظلوما[1]. يظهر الجانب الوجداني في حياة الزهد و التقشف والصبر على الفقر والسفر في سبيل التعلم، وفي إكرام الناس وتسابقهم في إكرام الطلبة.

من خصال الأبدال:

هو من الأبدال السبعة المذكورة في أريغ، (عن أبي عبد الله محمد بن علي السوفي، عن أبي عمار عبد الكافي قال: ثلاثة من أخلاق البدلاء: حفاوة النفوس، و سلامة الصدور، والبرء عن الدنيا)، يصفه الشماخي بأنه:(رجل صالح زاهد، نقي القلب، مخموله، ذو نية) [2]

الدعاء والبر بالمشائخ:

دعا لفسائل الشيخ أبي عبد الله في تينيسلي بالبركة والنماء، وأنها تبلغ وتبلِّغ العشر و إذا تحقق ذلك أرسل له الشيخ منها العشر، فحصل كل ذلك وأرسل له أبو عبد الله العشر إلى أجلو[3].

يظهر الجانب الوجداني في بر العلماء ببعضهم البعض، وفي الكرم والتصدق.

عن عائشة بنت معاذ[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للعالمة:

تقدم الأخبار الواردة عن هذه العالمة نموذجا آخر من الأخبار الوجدانية يتمثل في كونها امرأة مثابرة في سبيل طلب العلم و مزاحمة العلماء في مجالسهم، كما يتجلى حكم البراءة واضحا في حق من جانب الصواب في مسألة من مسائل العلم حتى يعود أو يقنع بالبينة والدليل.

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص598.

2) المصدر السابق، ص614.

3) المصدر السابق ، ص614.

4)عائشة بنت معاذ بن أبي علي، إحدى أشهر نساء أجلو، تلقت العلم على يد الشيخ تبغورين، ختمت القرآن في سن مبكرة.(ق05ه) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 527.

طلب العلم:

في حرص عائشة على طلب العلم، إذ كانت تتعلم على يد الشيخ تبغورين، تلفّ نفسها في الحصير وتقعد في المجلس، قالت عن أبي العباس يوما: رأيت الكثير من العلماء وأهل الخير، ولولا الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله لمت بالجهل[1].

يظهر الجانب الوجداني في المكابدة في سبيل طلب العلم، وفي اعتبارها أن العلم حياة.

البراءة من العالم:

سألت الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد اللنتي عمن أقر بالصلوات إلا واحدة، قال: منافق، ولم يشرك قالت له :تب. لأنها سمعت من الشيخ تبغورين أنه مشرك، وسأل علماء آخرين عن ذلك فأجابوا بجوابه، فقال: الحمد لله أجركما الله، سألتني عائشة بنت معاذ عنها، فأجبت بجوابكما. فقالت: تب؟ فتبت. قالا: أتتوب من الصواب؟[2]

يظهر الجانب الوجداني في إلزام التوبة على من أخطأ في حكم عقدي.

عن سعيد بن ابراهيم[3] وابن أخيه يوسف بن ونمو[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تتميز حياة الشيخ الوجدانية بالتنوع في المجالات، فقد ورد عنه نموذج في التربية يظهر في ورعه و تقواه حتى اشتهر بذلك، و حرصه على صلاح الأولاد وتعلمهم، ونموذج في أخلاقه وعلاقته بالآخرين يظهر في خلق الحلم و مساعدة الآخرين على قضاء حاجاتهم، ونموج في السياسة يتمثل في جرأته وشجاعته وتمسكه بالأخلاق النبيلة في التعامل مع الحكام ولو كان ذلك يجر له خطرا.

---

1) المصدر السابق، ص616.

2) المصدر السابق، ص615.

3)سعيد بن إبراهيم: من علماء قنطرارة ببلاد الجريد، عاصر أبا عبد الله محمد بن بكر النفوسي ، كان شيخاً صالحاً، غيوراً على دينه والمسلمين، تولَّى مشيخة قنطرارة، وهو من العزَّابة الأوائل، اشتهر بالحلم، فكان يقابل المسيء بالإحسان، ولكنَّه كان شديداً على المنكر.(ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 388.

4)يوسف بن ونمو. لم أعثر على ترجمة له.

التربية:

اصطاد يوسف بن ونمو دجاجة فقدمها لزوجة عمه سعيد بن ابراهيم كي تطبخها للشيخ، فسألها عن مصدرها فأخبرتها أنها من يوسف اصطادها، (فصار يكرر: يا خيرتي ويا رزقي يصير صيادا) تأسفا من مستقبله إذا بقي على حاله، حتى أخجلها، ولم يأكلها. وكان ذلك سببا في امتناع يوسف عن الصيد واشتغاله بالعلم وبما يرفع شأنه[1].

يظهر الجانب الوجداني في حرصه على صلاح الأبناء و أن يكون لهم شأن كبير وهمة عالية.

من الأبدال:

يوسف بن أخيه : ذكر أنه من الأبدال السبعة الذين أخبر بهم الويليلي في ليلة القدر[2].

الحلم:

كان يقول: (إذا أساء إلي أحد فلا أجد صبرا دون أن أحسن إليه). ومن ذلك ما جحده فيه رجل من دينار فوجد يوما أن أعوان السلطان قد أخذوه في دينار، فدفعه إليهم كي يطلقوه فأطلقوه، فأتى إليه الرجل بدينارين معتذرا فقبل اعتذاره[3].

يظهر الجانب الوجداني في حسن خلقه مع من أساء إليه.

حفظ ودائع الناس:

قدم إلى سعيد بن ابراهيم رجل يريد استرجاع أمانة ثمن غنم أودعها عند رجل من أهل المدينة يجهله، فقدم له الشيخ سعيد من ماله الأمانة، حتى أتى وقت الصلاة نادى في الناس:(من الذي أودع عنده هذا الرجل أمانة؟) فخرج منهم رجل، فاسترد الرجل أمانته وأرجع إلى الشيخ سعيد ماله[4].

يظهر الجانب الوجداني في إعانة الرجل على قضاء حاجته، وفي استعمال وقت الصلاة والمسجد لتسوية الحقوق بين الناس.

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص668.

2) المصدر السابق ، ص669.

3) المصدر السابق، ص668.

4) المصدر السابق، ص667.

نهي عمال السلطان عن المنكر:

أخذ أعوان السلطان امرأة فطلب منهم أن يطلقوها و أن يدفع سبب أخذهم لها فرفضوا، فصرخت يا للمسلمين فأخذ سلاحه وحال بينهم وبينها، وعاتبه على ذلك أصحابه لأنه فعل فعلا يجر به البلاء لهم، وجاء الأعوان وطلبوه إلى السلطان، فقصّ عليه القصة كلها، فقال للعبيد انصرفوا ما قامت السماوات إلا بهذا[1].

يظهر الجانب الوجداني في غيرته ونجدته للآخرين ونهيه عن المنكر، وفي إنصاف الحاكم له.

عن أبي زكريا يحي بن ييدير الويساني:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

من خلال ما ورد من الأخبار الوجدانية عن الشيخ تتضح شخصيته أنه مجاهد لنفسه ومثابر على تهذيبها، ومجاهد في سبيل إصلاح شؤون الناس وتولي أمورهم.

قراءة المواعظ:

كان إسحاق بن أبي العباس بن محمد بكر يقرأ كتاب المواعظ عليه فقال: أعيانا الثالث، قال: وما هو؟ قال: أن يخالف العمل اللسان الذي يصف والقلب الذي يعلم[2].

يظهر الجانب الوجداني في المطالعة في المواعظ و قراءة التلميذ على شيخه، وفي التحليل و محاسبة النفس أثناء القراءة، وفي الإشارة إلى أهمية العمل إلى جانب علم القلب وقول اللسان، وفي إنساب العلم إلى القلب.

القيام على شؤون الناس و طلبة العلم:

(طلب قوم عزابيا إلى أبي محمد ويسلان بن أبي بكر اليهراسني، قال: عليكم بأبي زكرياء، يصلح لنوازلكم ومصالحكم. قال أبو زكريا: إن استندت إلى هذا، يعني أبا محمد ، [قبلت] قال أبو محمد: نعم. فقعد، وأحيا السير، وأصلح الفساد، وجمع أمورهم، حتى لحق بالله. وأرسل مرة عشرين شاة لحلقة أبي الربيع سليمان بن يخلف، وقال: اشتروا برؤوسها وجلودها لحما للحلقة. قال أبو

1) المصدر السابق، ص668.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص669.

الربيع: قد شمر يحي و جد)[1]. يظهر الجانب الوجداني في إجازة المشائخ لبعضهم البعض لتولي المسؤوليات الاجتماعية، وفي تدعيم حلقات التعليم والتربية و تمويلها.

عن سعيد بن يخلف المادغسني[2]:

إكرام الضيف وخبر من أخبار جغراف:

كان يبحث كل يوم بعد صلاة العشاء عن ضيف يأويه، حتى إنه يوما لم يجد أحدا إلا رجلا غريبا يصلي، فأخذه معه إلى منزله، وناله منه بركة عظيمة دامت سنة، وقدم له إزارا ليتدثر من البرد، وبحث عنه عند خروجه إلى المسجد فلم يجده وإذا به رجل صالح، وكان قد جرى معه حوار فأخبره أن مصلى المقبرة الذي صلى فيه العشاء هو وسط جغراف (المدينة التي يسكن فيها الصالحون آخر الزمان وفيها اختلاف منهم من يقول آجلو ومنهم من يقول غيرها)، وأخبره أنه قد صلى المغرب بمسجد أفتيان وصلى بهم رجل صالح، فسئل عنه فإذا هو يوسف بن موسى الدرجيني[3].
يظهر الجانب الوجداني في الحرص على إكرام الضيف، وفي الاستدلال على أمور غيبية من خلال الحادثة وهي: أرض جغراف وهي أرض آخر الزمان، والاستدلال أيضا على الأولياء.

ثواب زارع الفسائل:

حفظ أن من غرس سبع فسائل من حلال في حلال حتى أخذن، فكل واحدة تسد عنه بابا من أبواب جهنم[4]. يظهر الجانب الوجداني في التركيز على الرزق الحلال، وفي استعمال الوعيد للحث على العمل والزرع.

---

1)المكان نفسه.

2)سعيد بن يخلف المادغاسني. لم أعثر على ترجمة له.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص672

4) المصدر السابق، ص674.

عن يعقوب بن أبي القاسم يونس بن وزجين الويليلي[1]:

الاجتهاد في العبادة:

في شهادة مشائخ الجبل على جده واجتهاده البليغ في العبادة[2]، و قد ورد أن بعض العزابة رأوه مقلدا سيفا فقالوا له لم فعلت ذلك؟ قال: طمعا في السبيل المستقيم أي الهدى وقد مات شهيدا[3].

يظهر الجانب الوجداني في رغبته في الجهاد طمعا في السبيل المستقيم وهو شيخ كبير في السن.

عن أبي محمد عبد الله بن يعقوب الوغلاني[4]:

التربية على القضاء:

وُلّي القضاء صغيرا فأتى يوما وفد من مشائخ طرابلس فعاتبوا مشائخ وغلانت على ذلك فقالوا لهم: آجركم الله في نظركم للإسلام وأهله وتفقدكم لما يصلحه ونصحكم لإخوانكم، ولكن عذرنا أنا تفرسنا الخير في هذا الفتى ورأينا الأمور سترجع إليه فقدمناه في حياتنا لنهذبه ونقومه ونعلمه كيف يرثق وحيث يرفق ونبصره تصاريف الأمور ومفاصلها ونوطنه على احتمال الأذى والصبر والحلم) وكان كذلك في عدله وصرامته إلى هرمه وضعفه[5].

يظهر الجانب الوجداني في تربية الخلف للإصلاح بين الناس، وفي الحرص على تولية المناصب للأكفأ.

---

1)يعقوب بن أبي القاسم يونس بن وزجين الويليلي، من أعلام بني ويليل أحد فروع قبيلة زناتة ببلاد أريغ جنوب شرق الجزائر، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1030.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص676.

3)المكان نفسه.

4)أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن هارون الوغلاني، علم من أعلام وغلانة قرب تقُرت شرق الجزائر، أوتي العلم وهو صغير، (قبل ق06هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 607.

5)المكان نفسه.

عن أبي عبد الله محمد بن تامر التناوتي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

من خلال ما ورد عن الشيخ من أخبار وجدانية نجد أنها تقدم نموذجا في الورع والتقوى واستجابة الدعاء، إذ أن الورع لم يكن ميزة يتميز بها هو فقط بل كانت أسرته من زوجته وابنته بل وحتى خادمته تتميز بها أيضا.

دعاء وهداية:

كانت تخدم زوجتَه امرأةٌ تنتسب إلى مذهب آخر تسمى أمّ خليفة، فدعت الله تعالى ألا تموت كذلك، فأجاب الله دعاءها، وأخذت أم خليفة في العبادات والورع وأن الله تعالى قاد لها رفيقا يحفظها وينبهها إذا غفلت وظهرت لها كرامات، منها أن رفيقها أخبرها بحرمة شاة أدخلها ابنها الدار، فلما أرجعها إلى البائع أقر أنها اختلط أمرها على الراعي فلم يدر لمن، وخشي أن تظهر عنده فباعها[2].

يظهر الجانب الوجداني في التعايش بين المذاهب المختلفة وخدمة بعضهم لبعض، وفي حرص الزوجة على أن تتحول المرأة إلى الإباضية، وفي التحرز من مال الشبهة، وفي الرفيق الذي ينبهها من فعل المعصية و ويحفظها.

ومن أخبار الدعاء أيضا أنه ابتلي بعامل من عمال المعز بن باديس يسرق الأراضي حتى وصل إلى ضيعته فطلب منه أن يبيعها له، وذلك استثناء مما هو يفعل مع غيره، فقال له الشيخ:(لا يجوز لي أخذ مالك، فغضب وقال: البستان أخذته من غير شيء، واذهب إلى المسجد الفلاني لبعض مساجد الوهبية بقابس وادع الله علي فيه الليلة، وكانت ليلة الجمعة. فقال الشيخ: نعم. ففعل العزابي ما قيل له). فخرج العامل في متنزه إلى البحر فسمع هاتفا يقول:

---

1)أبو عبد الله محمد بن تامر التناوتي النفزاوي، شيخ عالم من تناوتة، وكان من المقدمين فيها وفي يزمرتن، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 808.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص679.

أتزهد في الدعاء و تزدريه... تأمل فيك ما صنع الدعاء

سهام الليل قاتلة و لكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

فطلب من أصحابه العودة إلى الشاطئ فإذا برسل المعز بن باديس تنتظره لقتله، فأخذوا رأسه وألقوا بجثته البحر. ذكر المحقق في الهامش أن العامل قد يكون محمد بن الحسن الذي عينه المعز عاملا ثم قتله وأمر بمصادرة جميع أمواله[1].

يظهر الجانب الوجداني في تورعه من التعامل مع الظالمين والثبات على المبدأ، وفي الالتجاء إلى الله بالدعاء لرد الظلم.

صلاح الزوجة:

كانت زوجته توصي ابنتها قائلة:(ما نمت حتى أصلي خمسين ركعة، ولم يرني والدك عابسة قط، ولم تصدر مني كذبة قط، إلا مرة واحدة وهي أن قلت لأبيك وقد سألني: أعلفت البغلة؟ و هو تعب وهو صائم، ولا يفطر حتى تعلف مطيته، وقدمت له فطوره، قلت نعم. وزدت للبغلة في علفها وأتيتها به، فقلت: اجعلني في حل فيما كذبت عليك، و قد زدتك في علفك. فأومأت إليها برأسها شبه من يقول: أنت في حل)[2].

يظهر الجانب الوجداني في صلاح الزوجة ببرّها لزوجها وحفاظها على النوافل والصدق في القول، وفي نصح البنت حتى تكون على طريق أمها، وفي اللطف بالحيوان والرفق به.

عن أبي سعيد يخلفتن النفوسي[3]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تقدم الأخبار ملامح وجدانية عن البيئة الاجتماعية المحيطة بالشيخ أكثر من ملامح عن شخصية الشيخ، حيث إن أهم المميزات الوجدانية تبجيل العلماء وتضيفهم وإكرامهم والحرص على دعائهم لصلاح الأحوال و صلاح الأولاد.

---

1) المصدر السابق، ص679، 680. ذكرت القصة في سياق الحديث عن أحد الأشياخ ويحتمل أن يكون هو.

2) المصدر السابق، ص678.

3)أبو سعيد يخلفتن بن أيُّوب الزنزفي المسناني، أصله من «أمسنان» بجبل نفوسة، من العلماء الذين اجتمعوا على تأليف ديوان العزابة، (450هـ، 500هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1021.

حسن التعامل مع الأطفال:

في أن سبب حبه للإباضية مداعبة العزابة له وملاطفتهم عندما كان صغيرا، وذلك حين تستضيفهم أمه في المنزل لأنها كانت وهبية، وذلك على خلاف ما يلقاه من النفاثية عندما يستضيفهم أبوه، وذلك لأن أصله نفاثي، فلما كبر بدأ التعلم على يد أبي الربيع سليمان بن يخلف وانتقل إلى غيره وصار عالما كبيرا[1].

يظهر الجانب الوجداني في حسن التعامل مع الأطفال والتلطف معهم وتحبيب الدين لهم.

إكرام المشائخ والتلامذة:

أقبل تلامذة زائرون من أهل أفريقية يتفقدون أحوال أهل الدعوة، وكان عددهم نحو مائتين تلميذا، فتحمل مؤونتهم باستعانته بقومه ليقوموا بخدمتهم و كان فيهم مطاعا، فلما رأى العزابة ما عليه الشاب من كثرة المؤونة فقرروا ترك اللحم فأبى، وتآمروا على الصوم تخفيفا عليه، فقال لهم:(دعوني إنما أسعى لكي أجده غدا(..)لا تفعلوا ولا تأووا إلي فإني غنيّ مليّ، لا تتحيروا، وما تأكلون من عوز، ولا ذبحت منذ نزلتم إلا توأم غنمي. ولبثوا عنده شهرين في نعمة و خير)[2].

يظهر الجانب الوجداني في استحضار الشاب الأجر الأخروي في اعتنائه بالعزابة و طلبة العلم، وفي طمأنته العزابة وذكر نعم الله عليه.

وورد عنه أيضا أن رجلا كان يضرب به المثل في شدة الابتلاء بكثرة البنات وقلة ذات اليد، فكان يقال: (ابتلاك الله بما ابتلى به فلانا، قلة مال وكثرة بنات). فأتت حلقة من العزابة من البادية في زيارة لهم فأشار له رجل أن يكرمهم ويطلب منهم الدعاء قائلا له:(فيزيل بدعائهم شعثك، فإن دعاءهم يرد اليابس رطبا، والرطب يابسا بإذن الحي القيوم) ففعل، فإذا في صباح ليلته يأتيه رجل يقدم له غنما ليرعاها ويأخذ قيمة لابأس بها منها، وتزوجت بناته، وولد له عشرا من الذكور كانوا سبب شرف له في المدينة، إذا دعا أحدهم لضيافة أو غير ذلك ترى الناس يتسارعون إليه من كل موضع[3].

---

1) المصدر السابق، ص686.

2) المصدر السابق، ص687.

3) المصدر السابق، ص688.

يظهر الجانب الوجداني في تضييف العزابة وطلبة العلم لتفريج الهموم، وفي طلب الدعاء من العزابة لأنه مستجاب.

عن عبد الرحيم بن عمرو النفوسي[1]:

الخوف من عدم قبول العمل:

قدم لرجل تمرا وشعيرا فشكره، فقال له: (أخشى ألا ينفع الجمل المغشوش ما يأكل) [2]، أظن أنه يقصد بالجمل المغشوش ذاته التي لم تتأهل لتنال القرب من الله بالزيادة من الأعمال الصالحة لأنها ذات يخاف أن تكون مغشوشة مثل الجمل المغشوش الذي لا ينفعه الأكل، وما رجح هذا المعنى ما ذكر بعد ذلك من كلام بليغ في المؤمن الوجل والفاسق الآمن مكر الله:(المؤمن يزرع ويخشى الفساد، والفاسق يقلع و يرجو الحصاد).

يظهر الجانب الوجداني في خوفه ووجله الدائم من عدم القبول عند الله، وفي اتهام نفسه بالتقصير.

عن أبي طاهر اسماعيل بن علي النفزاوي[3]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

من خلال ما ورد من أخبار وجدانية عن الشيخ تظهر شخصيته متميزة بالورع الشديد والإحسان في العبادة.

---

1)أبو القاسم عبد الرحيم بن عمر النفوسي، أحد العزَّابة الثمانية الذين دوَّنوا ما كان يجيبهم به شيخهم أبو محمَّد ويسلان بن أبي صالح، فجمعوا كتابه: «الوصايا والبيوع»، توفِّي بعد الشيخ أبي العبَّاس أحمد بن محمَّد بن بكر (ت: 504هـ / 1110م). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 550.

2) المصدر السابق، ص689.

3)أبو طاهر إسماعيل بن علي النفزاوي التناوتي، من «تيمباور تناوتي»، كان عالماً ورعاً، له ديوان عظيم، (قبل ق 06هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 109.

التورع عن أكل مال الشبهة:

كان في ضيافة الشيخ أبي العباس بن محمد بن علي[1]، وذلك حين وضع له لحم الجمل فامتنع عن الأكل و ذكرهم بفتوى الشيخ أبي العباس بن أبي عبد الله بتحريم أموال النهب، وألحوا عليه بأن الإبل إبلهم أخذوها منهم غصبا، فلم ينفع ذلك معه، وأمر أن ينحى عنه الطعام، وأتي له بصحفة أخرى بها لحم ضأن فأكل[2].

يظهر الجانب الوجداني في التورع عن أكل مال قوم مشتبه في كسبهم، والثبات على ذلك.

العبادة:

في ورعه وحرصه على كمال العبادة و لو في السفر، وذلك أنه سافر إلى غانة ولم يصل صلاة واحدة بلا وضوء أي بتيمم مثلا[3].

عن سجميمان بن سعيد الصاويني[4]:

التعلم و التعليم:

كان زمن التحصيل منشغلا بالدراسة مجدا، فوصلت له من أهله خمس دنانير فشغلته عن عزمه فدفنها في التراب، ثم رجع فلم يجدها وحمد الله و تفرغ للقراءة[5].

و اشتهر بتفرغه للتعليم وحسن اعتنائه بحلقته، و بحسن سياسته واعتنائه بها، و أنها لم تخل من إدام قط[6].

---

1)أبو العباس محمد بن علي. لم أعثر على ترجمة له.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص691.

3)المكان نفسه.

4)سجميمان بن سعيد الصاويني، من خلال السياق يظهر أنه تلميذ أبو صالح يعلو. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص693.

6) المصدر السابق، ص692

عن أبي الربيع سليمان بن شاكر الفطناسي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الأخبار الواردة عن الشيخ ملامح وجدانية عامة، حيث يظهر أن الفترة الزمنية التي عاشها تتميز بالنشاط العلمي والتربوي، كما أن الروايات الواردة عنه في هذا الصدد تركز على قيمة النظافة والطهارة والاعتناء بالمحيط البيئي من خلال ربط ذلك بقبول العمل عند الله، كما أن ذلك مثيرا لإعجاب الحكام الذين يبحثون عن المثالب والنقائص للمعاتبة عليها.

العلم و العلماء:

اجتمع في زمن الشيخ علماء كثيرون في تجديت، و قال بأنه لا يرد المسألة أحدهم إلى الآخر إلا من قبيل الأدب أو الكبر في السن، وتلامذة كثر، إذ بلغ من التوأم فيه حوالي ثمانين توأما ومن الآخرين كثير، وأنه يحضر الصلاة ثلاثمائة فارس وإذا كبروا للصلاة نفرت المواشي[2].

يظهر الجانب الوجداني في التشجيع على العلم والاجتهاد في العبادة بذكر نماذج ناجحة في ذلك.

المحافظة على النظافة خوفا من الله:

ذُكر أن عاملا لصنهاجة دخل المكان الذي كانوا يقيمون فيه، و استغرب لضيقه وكثافة سكانه (فاعتقد أنهم يدنسون وجه الأرض بالخلاء والسماد)، فشرع يبحث عن ما تعابه عينه وتكرهه فلم يجد، وقال وقد مد يده إلى سيفه: (ما يخاف الناس إلا من هذا أو من الله، وهذا ليس موضعه وما منعهم من ذلك إلا خوف الله)[3].

---

1)أبو الربيع سليمان بن شاكر الفطناسي: من خلال السياق يظهر أنه تلميذ الشيخ وارسفلاس بن مهدي كان يقطن تجديت بأريغ. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

2) المصدر السابق، ص696.

3)المكان نفسه.

يظهر الجانب الوجداني في أن القوم يفعلون ما يفعلون من الخير والالتزام وعدم الإفساد في الطبيعة بفضلاتهم خوفا من الله، وقد ذكر عن الشيخ عيسى بن سجميمان[1] أنه من حفر حفرتين لقضاء الحاجة فلا يخلطهما لأن ذلك يمنع إجابة الدعاء[2].

يظهر الجانب الوجداني في في ربط تفاصيل الأخلاق و الأداب اليومية مثل قضاء الحاجة والنظافة بالقبول عند الله، وفي الحفاظ على الطهارة ونظافة المحيط.

عن أبي يعقوب يوسف بن أبي عمران موسى[3]:

طلب العلم:

من أقواله:(إذا لم أزدد علما في يوم فلا أودّ نفسي أن آكل من ذلك اليوم)[4]. يظهر الجانب الوجداني في محاسبة نفسه بالمسارعة إلى الخير، و الحرص على طلب العلم، وفي ربط الاجتهاد في طلب العلم بالاستمتاع بالطيبات.

و عن أبي العباس بن بكر أنه قال فيه: ما رأيت من يضع الأدب موضعه غير يوسف. وعن الشيخ سليمان بن يخلف قال: ما رأيت من يشبه الأولين إلا يوسف[5].

1)أبو عمرو عيسى بن سجميمان النفوسي، من مشايخ نفوسة بليبيا أصلاً، ومن مشايخ وارجلان بالجزائر مسكنًا ومستقرًّا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 705.

2) المصدر السابق، ص697.

3)أبو يعقوب يوسف بن أبي عمران موسى، من خلال السياق يظهر أنه معاصر لأبي العباس بن بكر. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

4) المصدر السابق، ص700.

5)المكان نفسه.

عن أيوب بن أبي عمران[1]:

التورع عن مال الشبهة:

ذكر أن زناتة أخذوا غنمه فأتاهم فردوا له غنمه وقد ولدت عندهم، فأرجع لهم أولادها لأنهم من فحله و لأن أملاكهم فيها ريبة، وفرق الغنم على الضعفاء حتى انقطع اللبن لأنه أيضا من الفحل[2].

يظهر الجانب الوجداني في تورعه وتعففه عن المال الذي فيه شبهة.

عن أبي طاهر اسماعيل بن أبي زكريا[3]:

توبة الشيخ من الهجران:

كان في ورجلان وتبرأ العزابة منه وهو كبير السن، فقال لابنه ارحل بي إليهم إلى مسجد تاماست[4]، حتى أن ابنه لم يكلمه خشية كسر الهجران، بل سأله فقط هل الطريق على يمنة

---

1)أيّوب بن أبي عمران ابن أبي زكرياء اليزماتي المزاتي، نشأ في دار علم بمزاتة، فوالده وجدُّه معدودان ضمن العلماء المشهورين، وعنهما أخذ العلم والشريعة، وتخرَّج على يده ابنه خليفة بن أيوب، الذي قال عن هذا النسب المبارك: «لم ينقطع منّاً الإسلام إلى اليوم» أي إلى جدِّه يبران عامل الإمام الرستمي عبد الوهاب، كان مرجعا للفتوى والنوازل، وعمر المسجد بدروسه ووعظه، (أواخر ق06هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 124.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص700.

3)أبو طاهر اسماعيل بن أبي زكريا ، من شيوخ مغراوة، مسكنه وارجلان، أخذ العلم عن واضع نظام العزابة أبي عبد الله محمد بن بكر، والراجح أنَّه من الأوائل الذين تلقَّوا مبادئ هذا النظام، وعملوا على نشره، وإرساء قواعده، وأسسه في المجتمع الإباضي بوارجلان، (النصف الثاني ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 105.

4)تاماست: قرية بوادي أريغ. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 837.

المسجد أو يسرته كي يقف ويتوب فيه، وبعد أن قبلوه قال: يا مشيختي لم أفعل شيئا مما بلغكم، ودعا على من كذب عليه ألا يميته الله إلا بالحاجة فنفذت فيه وفي ذريته دعوة الشيخ، قال الشماخي كيف لم يجدوا ما يعيبون فيه إلا في شيء مباح ويتضرع كل ذلك التضرع وكل هذا دليل على تقواه وورعه الشديد[1].

يظهر الجانب الوجداني في مسارعته إلى التوبة من هجران المشائخ له، وفي الحفاظ على قانون البراءة وعدم كسره بالرغم من القرابة الشديدة، وفي التواضع والاعتراف بالخطأ.

عن أبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء[2] و أبي منصور بن أبي زكرياء[3]:

تواضع الحكام و العلماء لبعضهم البعض:

كانا حاكمان أحدهما عقب الآخر يلتزمان أحكام الدين ويستفتيان العلماء، إذ كانا يراسلان الشيخ أبي سليمان داود بن هارون، وكان الشيخ يخاطبهما بـ: يا شيخي، إما تعظيما و إما حقيقة، ومما أرسله إلى أبي منصور يوصيه بالتقوى والالتزام:(تولاك بالحسنى وزينك بالتقوى ويسرك لليسرى وجنبك سبل الردى أوصيك ونفسي بتقوى الله التي لا وصية ابلغ منها ولا هداية انفع منها الله)[4].

يظهر الجانب الوجداني في تواضع الحكام و العلماء لبعضهم البعض في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي تقديم النصح للحكام والتركيز على التقوى.

---

1) المصدر السابق، ص702.

2)أبو عبد الله محمد بن هارون أبي زكرياء الباروني، من حكَّام جبل نفوسة بليبيا، تولَّى الحكم بعد والده أبي زكرياء، وكان فاضلاً عادلاً، وهو أحد أجداد الزعيم سليمان الباروني باشا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 854.

3)أبو منصور بن أبي زكرياء الباروني من عائلة البارونيّين المشهورة بالعلم والمشيخة والرئاسة. ومن علماء نفوسة بليبيا؛ وكان بها حاكما قاضيا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 911.

4) المصدر السابق، ص765.

عن إبراهيم بن اسماعيل بن أبي زكريا[1]:

أدب الدعاء:

روى عن جنون بن يمريان أنه قال لرجل تحرك وقت الدعاء في المجلس عنده: من منعنا حلب ناقتنا بعد أن درّت[2]، يظهر الجانب الوجداني في الحرص على الخشوع والتركيز أثناء الدعاء.

عن أبي حمزة إسحاق بن ابراهيم بن اسماعيل[3]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

من خلال الأخبار الواردة عن الشيخ يتبين حرصه الشديد على مقاطعة المال المشبوه فيه والدعوة إلى ذلك، سواء تعلق بأمور المعاش أو بأمور العبادة.

التورع عن أكل مال الشبهة:

كان يحث على التعفف من أكل مال الريبة من بعض قبائل البربر، لأنها تشبه القبائل الأخرى في النهب والإغارة، وهي: بني غمرت، وبني ورسفان، وبني ينجاسن، قال: وإذا غسلت لتأكل فتبين لك أنه طعام بعضهم، فارفع يدك ولا تأكل[4]، يظهر الجانب الوجداني في توجيه الناس وحثهم على التعفف من أموال الشبهة.

نادى الشيخ ينكول بن عيسى في الجماعة أن يستعملوا جمالا لقوم أموالهم مشبوهة لحمل الحطب إلى المسجد زمن الشتاء، فلم يعارض أحد من الأشياخ إلا هو فقال: معاذ الله أن نحمل الحطب

1)إبراهيم بن اسماعيل بن أبي زكرياء. لم أعثر على ترجمة له.

2) المصدر السابق، ص702.

3)أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن أبي طاهر إسماعيل بن أبي زكرياء اليزماتي المزاتي، عالم وفقيه، أخذ طريق أجداده في الصلاح والاستقامة، وهو خال أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر صاحب السيرة، (ق06هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 102.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص703.

على جمال للعرب ونقِده في المسجد، ونسخن الماء للوضوء، ويصعد معنا دخانه، ونقد المصابيح وننظر عليها في الكتب، وأن أبا صالح يعلو سمع ذلك فوافقه[1].

يظهر الجانب الوجداني في التورع في استعمال أموال الشبهة في العبادة.

عن إلياس بن عبد الله اللواتي[2]:

دعاء في المنام:

رأى في المنام من علمه دعاء:(اللهم اغفر ذنبي، استر عيبي، اسعد روحي، وسع رزقي، وفر عملي، اصلح شأني، فرج همي، اكشف كربي، سهل موتي أمّن خوفي، حقق طمعي، اشكر سعيي، سلم ديني، اقضي ديني، علم جهلي، قو ضعفي، اكشف كربي، قدس روحي، زكِ عملي، اقبل عذري، انظر لي، قوِ ظهري، خلص جسمي، نج بدني، رو عطشي، اشبع بطني، انس وحشتي، اقض وطري، ارشد أمري، جدد عزمي، هب لي عظمي، اشرح صدري، يسر أمري، ثقل وزني، خفف حملي، لين غلظي، سخ شحي، وفر حظي، اسعد بختي، سكن وجعي، عظم أجري، أذهب حزني، اجمع شملي، قر عيني، الطف بي، اقبل مني، غنمني ربي، زدني علما، اصرف عني، اهد قلبي، بيض وجهي، والمسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين)[3]

يظهر الجانب الوجداني في كون الرؤيا كمصدر للتعليم الذكر و الإذعان والخضوع لله في كل تفاصيل الحياة.

عن مصكوي الزنداجي[4]:

العتاب على سوء إكرام العزابة:

أضاف العزابة يوما بلحم المريض، فعاتبه أحد العزابة فقال له:(هلا ذبحت لهم على الإسلام فإن كانوا من أهله استحقوه وإلا حصل لك ما تطلب) فطأطأ رأسه خجلا من ذلك، فقال له ينكول ارفع رأسك كيما يرونك؟[1].

---

1) المصدر السابق، ص704.

2)إلياس بن عبد الله اللواتي، معاصر لإسماعيل بن علي النفزاوي ق6 . لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام

3) المصدر السابق، ص712.

4)مصكوي الزنداجي. لم اعثر على ترجمة له.

يظهر الجانب الوجداني في النصح المباشر والاعتذار من الخطأ، وفي الحرص على الإحسان في إكرام العزابة والتلامذة.

عن أبي عبد السلام سمداسن بن يخلف المغراوي[2]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

بحكم مهمته الأساسية في مجتمعه فإن الأخبار الوجدانية الواردة عن الشيخ تركز على مجال الحكم بين الناس وتولي أمورهم، ونجد أنها تركز أساسا على أدب الكلام في مجالس الفصل بين الناس، ونصائح في التعامل مع الناس.

أدب الكلام:

ذكر عنه أنه يقول:(أشير على من يعلم كيف يتكلم، أن يسكت، ومن لا يعلم، لا يحضر البتة)[3]. يظهر الجانب الوجداني في التنبيه إلى خطر الكلمة التي يتلفظ بها الإنسان، وتوجيه الناس إلى الالتزام بأدب الكلام والسكوت.

---

1) المصدر السابق، ص715.

2)أبو عبد السلام سمداسن بن يخلف المغراوي، كان شيخا فاضلا، عالما تقيا، آمرا ناهيا، له كلمته المسموعة إذا اجتمع الأشياخ في أمورهم، وله أقوال حكيمة عديدة في طلب العلم والمعاملة الطيّبة، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 478.

3) المصدر السابق، ص716.

التوبة من الخطة:

أخرج المشائخ أهل مغراوة إلى الخطة بأسرهم، فلما عزموا التوبة وأدوا الشروط و حضروا في مجلس ليعرضوا توبتهم، فقدم العزابة الشيخ ليتكلم، (فأمرهم بإيفاء الكيل وتقديم أولي العلم والفضل وترك جميع المناكر. ففعلوا وتابوا وقبلوا عنهم)[1].

يظهر الجانب الوجداني في مهاجرة قوم بأسرهم والبراءة منهم و توبتهم، وفي الحرص على تقديم النصح والتركيز على الرزق الحلال و احترام العلم وترك المعاصي.

حكمة في خطورة الظلم:

من أقواله في الظلم:(من ظلم من تحته سخط عليه من فوقه)[2]. يظهر الجانب الوجداني في التحذير من خطورة الظلم في الدنيا و الآخرة.

عن أبي محمد عبد الله بن وانودين[3]:

الحلم و الغضب للحق:

في أنه حليم قليل الغضب إلا على الحق و الخير[4].

المجاهدة في طلب العلم:

كان كثيرا ما يردد شعر للإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي يحث على المجاهدة في سبيل العلم ومواجهة الملل:

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص716.

2)المكان نفسه.

3)أبو محمد عبد الله بن وانودين الستني، من قبيلة بني زمور بجبل نفوسة، ذكره الشماخي ضمن «الشيوخ السبعة المتعلّمين عند شيوخ زمانهم كلّهم من نفوسة إلى وارجلان»، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 601.

4) المصدر السابق، ص717.

انشط لعلمك إذ لابد من ملل ... ولا تكن من جميع الناس فرارا

وارصد خواطر ساعات النشاط له ... إذ أردت لبعض القول إنكارا[1].

عن إدريس بن الطويل السوفي[2]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

من خلال الأخبار الواردة عن الشيخ تتضح شخصية الشيخ، إذ إنها تتميز بالورع والزهد في الدنيا و التحلي بالكرم.

الزهد:

أتى هاتف لسارة اللواتية[3] الصالحة يصف لها الشيخ، وذلك حين خرجت تبحث عن بهم لها، فحان الغروب وحارت أين تبيت فأتى لها هاتف يقول لها: (تبيتين عند من لا قيمة للدنيا عنده، وهو مطيع لله، مطيع لوالديه، مطيع لأهله، ووصول لجيرانه، فكان إدريس بن الطويل)[4]،

يظهر الجانب الوجداني في الاتصاف بالزهد و طاعة الله و الوالدين والأهل بر الجار، وفي الاعتماد على مصدر الهاتف في نقل الصفات الوجدانية .

الورع:

كانت جديان أكلت من أشجار الناس فذبحها وتصدق بلحمها على أصحابها[5].

---

1) المصدر السابق، ص718.

2)إدريس بن الطويل السوفي، معاصر لسارة اللواتية، النصف الثاني ق 5هـ لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

3)سارة اللواتية: قال عنها الشمَّاخي: «وسارة اِمرأة لواتية، مسكنها سوف، صالحة عابدة»، عاصرت الشيخ إدريس بن الطويل، والشيخ سليمان بن عيسى، وأبا زكرياء أفلح، كانت تروي أشعاراً بالبربرية، قيل: إنَّ منبِّهاً ينبِّهها فيأمرها بالمعروف، ويهتف عليها بهذه الأشعار لصلاحها، كانت تأوي الشيوخ، وتزورهم طلباً للعلم وسؤالاً في أمور الدين.(النصف الثاني ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 360.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص720.

5)المكان نفسه.

الكرم:

في إكرامه شيخا بأجود ما لديه من التمر وقال له:(كلها يا حبيبي لأني إذا أكلتها ضاعت وصارت هزلا)[1]. يظهر الجانب الوجداني في اعتقاده أنه إذا أكلها ضاعت وإذا أنفقها بقي أجرها.

عن أبي محمد عبد الله بن محمد السدراتي[2]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تتميز شخصية الشيخ الوجدانية بأنها جمعت بين الزهد والورع والتفرغ للعبادة من جهة، والسعي في سبيل الرزق من جهة أخرى، إضافة إلى تعلمه ورغبته في تعليم الناس الخير.

العبادة:

كان على سفر وكان إذا نزل ضرب خباه وهو مسكن من الوبر، ودخل فيه واشتغل بالعبادة وما يصلح به، وكان معه رجل حضري يتاجر في العبيد وشقوا عليه، وكان كلما نظر إلى الشيخ قال: سبحان الله من خلص عبد الله من هذا البلاء وأراحه؟[3].

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على العبادة و الخلوة إلى جانب تجارته ولو على سفر.

الإنفاق والتعليم:

قيل له يوما: ما تتمنى؟ قال: أكون وسط قومي أواسي فقيرهم وأعلم جاهلهم[4].

طلب علم العقيدة:

نصحه صديق له بأن يكتفي بما لديه من علم الكلام، وأن يشتغل بالفقه، فأجابه قائلا: ذلك علم العجائز[5].

---

1)المكان نفسه.

2)أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي، عالم جمع إلى سعة العلم، بسطة في الرزق، كان يسافر إلى بلاد السودان للدعوة والتجارة، عرف بالحزم في أمور دينه ودنياه، هو خال أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 271.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص723.

4)المكان نفسه.

5)المكان نفسه.

يظهر الجانب الوجداني في حرصه على تعلم العقيدة والكلام والمكابدة في فهمه لرد الشبه وترسيخ العقيدة.

عن أبي يعقوب محمد بن يدر الدرفي[1]:

الورع في التعامل مع أعوان السلطان:

قدم له أحد من غارة لصنهاجة على زناتة مزراقا ليستعين به على الحفر قال له: رمحك يصلح لغير هذا، وهو يقصد عدم استعماله لريبة في أموالهم[2].

عن أبي يعقوب يوسف بن تيمال التتجري[3]:

التورع في أموال الغنائم:

سئل يوما عنها فقال: إذا قدِّر عليهم أن تؤخذ عدَّتهم، يحفر لها و تدفن[4].

عن أبي يعقوب يوسف بن الوالي[5]:

إعانة المشائخ لبعضهم البعض:

ألمت به ضائقة في سنة قحط تسمى بفرورا[6]، فاستعان بالشيخ أبي عبد الله وفلفل بن فلفار بمال وثياب بأريغ ، فاستشار الشيخ في مسيره إلى ورجلان يريد شيخين فيها، فأمره بالرجوع إلى أهله

---

1)أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي الزنزفي، من مشائخ جبل نفوسة بليبيا، (النصف الأول ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 859.

2) المصدر السابق، ص734.

3)أبو يعقوب يوسف بن تيمال التتجري: تلميذ وارسفلاس. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

4) المصدر السابق، ص697.

5)أبو يعقوب يوسف بن الوالي عاصر أبا عبد الله محمد بن بكر. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

6)فرورا سنة قحط بطرابلس سنة 430هـ أنظر: الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج03، قسم التحقيق، ص1076.

قبل أن يموتوا جوعا، و دعا له الشيخ باليسر في سفره، فكان كذلك إذ سافر مع جماعة من اللصوص فترفقوا به أيما رفق[1].

يظهر الجانب الوجداني في إعانة المحتاج، وفي السفر في البحث عن الشيوخ ولو في عسرة الأحوال.

عن أفح بن أبي زكريا[2]:

الورع والزهد:

قدم يوما من مكان يأخذ إليه الناس مواشيهم للرعي، فأتى هاتف لسارة يخبرها بأن تستبق فتستقبل الرجل بالماء وتنزع عنه العطش والجوع لتنال بركته، وأخبرها أنه ولي الله، طاهر القلب، خالص الإيمان[3]. يظهر الجانب الوجداني في المسارعة لخدمة الصالحين، وفي أن أولياء الله يتصفون بطهارة القلب و الإخلاص في الإيمان.

عن يدراسن[4]:

نصائح:

من أقواله:(نرضى لأهل هذا الزمان أن يصلحوا علانيتهم كما أصلح الأولون سرائرهم، وأن يصلوا من وصلهم كما وصل الأولون من قطعهم، وأن يزهدوا في الحرام كما زهد الأولون في الحلال، وأن يقيموا فرائضهم كما أقام الأولون نوافلهم، وأن يتقوا على دينهم كما يتق الأولون على نعالهم، وأن يشفقوا من الذنوب كما خاف الأولون من عدم قبول أعمالهم)[5].

يظهر الجانب الوجداني في أمره بالاقتداء بالأولين في الورع و الزهد وتقوى الله، وفي الحث على إصلاح السرائر أولا ثم صلة الأرحام ثم تحري الحلال والحفاظ على الفرائض ثم التقوى ثم الحذر من المعصية.

1) المصدر السابق، ص736.

2)أفلح بن أبي زكريا، معاصر لسارة اللواتية. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

3) المصدر السابق، ص737.

4)يدراسن: (ربما هو يدراسن الأزاجي ق8).لم أعثر على ترجمة له.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص739.

عن أبي موسى عيسى بن ابراهيم[1]:

قبول النصيحة:

خرج يوما ليقتل قاتل أبيه، فليقيه الشيخ أبي عبد الله فقال له هل رأيته قال :لا. قال: هل لك شهود قال لا. قال فارجع لأنك تكون بذلك قاتل نفس بغير نفس. فرجع[2]. يظهر الجانب الوجداني في تقديم النصيحة والأخذ بها.

عن أبي نوح صالح بن ابراهيم[3]:

الحرص على الذكر والمذاكرة:

لقي أبا عمار عبد الكافي (فسأله عما يقال عند النزول وعند الارتحال، قال: تقول: ﴿**رَبِّ أنزلني مُنزَلًا مُبَارَكًا وأنتَ خَيرُ المنْزِلين**﴾[4]، وتصلي ركعتين عند الارتحال، وتقول: رحلنا وربنا محمود، وبلاؤه عندنا حسن، وتذكر الله، ألم تعلم أن الجبل سأل الجبل: هل مر بك اليوم من يذكر الله؟)[5].

يظهر الجانب الوجداني في الحرص على ذكر الله والصلاة في الحل والترحال، وفي الاعتقاد بأن الجماد يشهد على ذكر الإنسان الله تعالى.

---

1)أبو موسى عيسى بن ابراهيم. لم أعثر على ترجمة له.

2) المصدر السابق، ص743.

3)أبو نوح صالح بن ابراهيم، (من خلال السياق غالب الظن هو الذي لقي أبا عمار عبد الكافي)لم أعثر على ترجمة له.

4)المؤمنون، الآية 29.

5) المصدر السابق، ص745.

عن أبي عمران موسى بن محمد[1]:

التحذير من المداهنة:

زار هو و عبد الله بن سجميمان أبا عمار عبد الكافي للاستنصاح والتعلم فسألاه عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (***لا يزال الدنيا والدين قائمين ما لم، ما لم، ما لم)، فقال أبي عمار:(مالم يعظّم أبرارُهم فجارَهم، ومالم يرخِّص خيارُهم لأشرارهم، ومالم يَمِل قراؤهم إلى أمرائهم)***[2].

يظهر الجانب الوجداني في الزيارة للاستنصاح والتعلم، وفي الحث على هجران الفجار و التحذير من الرخص للفجار و ميل القراء إلى الأمراء.

عن أبي زكريا يحي بن أيوب[3]:

صاحب المسائل الغامضة:

يلقب بمطحنة المسائل المعروف بابن بختيت له كلام في الدنيا وفنائها: علينا أن نعلم أن الدنيا ستفنى، والدنيا في نفسها الليل والنهار وما فيهما، وسميت بذلك لأنها دنت إلى الفراق، وجمعها دنى[4].

يظهر الجانب الوجداني في روعة الجمع بين العقل والقلب في شرحه لمفهوم الدنيا.

---

1)أبو عمران موسى بن محمد: معاصر للشيخ أبي عمار عبد الكافي. لم أعثر على ترجمة له.

2) المصدر السابق، ص695.

3)أبو زكرياء يحيى بن أيُّوب، الشهير بـ«ابن بختيت»، شيخ فاضل من نفوسة، حضر حلقات واضع نظام العزَّابة الشيخ أبي عبد الله محمَّد بن بكر، (ق05هـ)

له مسائل عقديَّة وفتاوى، رواها عنه السوفي في السؤالات. أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 988.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص748.

عن يزيد بن يخلف الزواغي[1]:

عدم التجرؤ على الفتوى:

إذا ورد سؤال إلى العالم لا يجيب حتى يدور على جميع مشائخ نفوسة، وكان بينهم فورد إليه سؤال من بعض مستاوة[2]، فدار السؤال وطال حتى ضاقت العامة والعجائز منه، فأجاب فارتفعت منزلته عندهم[3]. يظهر الجانب الوجداني في تحري العلماء الصواب والتواضع في بينهم، وفي حرص العامة والعجائز على تبديد الشبهات.

عن أبي زكريا يحي بن الخير الجناوني[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تظهر من خلال الأخبار الوجدانية عن الشيخ قيما أساسية مثل تعظيم العلماء والحرص على دعائهم، كما أنها تشير إلى العدل والنزاهة التي كان يتحلى بها الشيخ في الفصل بين الناس.

وقد ترك الشيخ مؤلفات منها كتاب الوضع الذي بدأه بمسائل أساسية في العقيدة والأخلاق، وهو كتاب مطبوع ومتداول، و منها أيضا كتاب عقيدة نفوسة[5].

---

1) يزيد بن يخلف الزواغي، معاصر أبو الربيع سليمان بن يخلف. لم أعثر على ترجمة له.

2)مستاوة: بكسر الميم، فرقة النكار أتباع عبد الله بن يزيد الفزاري البصري، والذين استوطنوا الشطر القبلي الشرقي من زيرة جربة، وتضم بني معقل والماي ومحبوبين وميدون وترفلة وترافة. أنظر: معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج03، ص952.

3) المصدر السابق، ص760.

4)أبو زكرياء يحيى بن الخير الجناوني، من العلماء الأعلام بجبل نفوسة بليبيا، من قرية إجنَّاون، وهو حلقة في سلسلة نسب الدين، كان أهل نفوسة يعتمدون على كتبه حفظا وفتيا، لسلاسة أسلوبه، لأنَّها كتب مفيدة في التوحيد وفقه العبادات والأحكام، أودع فيها الراجح من الأقوال، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 993.

5)عقيدة نفوسة، يوجد العديد من النسخ، منها نسخة في خزانة دار التلاميذ(إروان) بجامع غرداية الكبير، تحت رمز: إ/دغ15. وهو مفهرس بمكتبة الشيخ أبي إسحاق لخدمة التراث تحت رقم: 155.

الدعاء:

وردأنه كان أثرا لدعوة نالها جده من الشيخ أبي الخير الزواغي، وسمي جده باسم الشيخ فكان جده عالما واستمر الأثر إلى ابنه، والشيخ الزواغي كان زائرا في ديار إيجناون فولد هذا الولد فدعوه ليدعو الله له فقال: أسأل الله ربي أن يفهمه دينه[1].

يظهر الجانب الوجداني في الطلب من الصالحين والعلماء خير الدعاء، و في الحرص على صلاح الولد.

الحزم في النهي عن المنكر:

أضافه رجل وأكرمه أيما إكرام، ثم أتى مع غريم له بعد ذلك بيوم، فأدبه الشيخ أبو زكرياء بنفسه و أهانه[2]. يظهر الجانب الوجداني في نهيه عن المنكر وعدله في إجراء الأحكام وعدم تأثره بالإكرام.

عن أبي محمد عبد الله الجدولي[3]:

اعتراف و تواضع:

استُضيف هو وطلبته في أحد المنازل فلم يأكل أحد التلامذة لاسترابته طعام الرجل، فقال أبو محمد لأحد التلامذة قل لزميلك يلحق بيته، يعني لم يرض بعمله، فقال له: إن لم تأثم أنت لم يأثم هو يا شيخ. فقبل ذلك بطأطأة رأسه وهما على الدابة حتى كادت تلمس قربوس السرج[4].

يظهر الجانب الوجداني في تربية التلاميذ بالمواقف، وفي الحرص على تجنب مال الشبهة، وفي حرص المجتمع على إكرام العزابة و التلامذة، وفي اعتراف الشيخ للتلميذ بالخطأ.

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص514.

2) المصدر السابق، ص761.

3)أبو محمد عبد الله المجدولي، شيخ عالم، وفقيه عارف، من «تِمِيجَار» بوسط جبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم عن شيخه أبي الربيع سليمان بن هارون، وله معه مراسلات فقهية عديدة. وقد ترك فتاوى، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 565.

4) المصدر السابق، ص763.

عن أبي عبد الله الطرميسي[1]:

الورع عن الأكل:

في تورعه عن أكل اللحم مطلقا خشية الريبة والحرام إلا أن يكون طيرا[2].

شهرته في الورع:

قال بعضهم في حضرته : (يا شيخ بلغت مشائخ نفوسة في دين الله ما لم تبلغه الأنبياء؟ فانتهره الشيخ ووبخه. وقال له تب إلى الله وانزع لأن درجة الأنبياء لا تدركها الأولياء. وأبى الجهل والبله أن يتركاه، فزاد وقال نعم والله لأرضى بأبي عبد الله الطرمسي كما رضيت بأولاد سيدنا يعقوب، فزاد الشيخ في توبيخه وتهديده)[3].

يظهر الجانب الوجداني في إعجاب العامة المبالغ فيه بالمشائخ، وفي حرص المشائخ على عدم تجاوز العامة حدود الضوابط الشرعية في تمجيد العلماء.

عن عبد الله بن مطكداسن[4]:

صفاء القلوب من الغل:

أتى إليه وكان جالسا تحت شجرة، فقعد و قال:(كنت أبغضك. فقال له: لماذا؟ قال بن واريازن: ياشيخ رأيت الشيخ أبا سليمان داود بن هارون يؤثرك ويحبك فنمت فرأيتك في النوم قاعدا مع عمر بن الخطاب في خيمة فأتيتكما، وأردت الدخول. فقام إلي عمر يريد ضربي بدرة في يده، وقال: بماذا تبغض بن مطكود؟ فزال من قلبي من هنالك بإذن الله)[5].

يظهر الجانب الوجداني في البوح بالمشاعر للإخوان وصفاء الظاهر و الباطن، وفي المودة التي بين المعلم و التلميذ، وفي عمله بالرؤيا في إصلاح علاقته بأخيه.

---

1)أبو عبد الله الطرميسي، معاصر لأبي سليمان داود بن هارون نفوسة....

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص767.

3)المكان نفسه.

4)عبد الله بن مطكداسن: تلميذ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون......

5) المصدر السابق، ص768.

عن وجدليش أبو يوسف الأمللي[1]:

رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم:

رآه أحد المشائخ أنه في مجلس يضمّ مشائخ آخرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم أبو يوسف الأرجاني، فأراد صاحب الرؤيا البلوغ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فمنعوه، ولم يبال بهم حتى ارتفع درجتين إليه فسأله عن المذهب، فقال أنتم خير الأديان و مراده خير المذاهب، وذكرها في معرض الحديث عن أبي يوسف الأرجاني[2].

يظهر الجانب الوجداني في استعمال الرؤيا للثبات على الدين، وكان من الأولى أن لا يؤولها بمعنى المذهب.

عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن مطكود[3]:

ذكر المناقب:

كان في آخر حياته يعقد مجالس في سير الأولين وأخبارهم، وكان عالما كبيرا بها كأنها معهم عندما يرويها[4]. يظهر الجانب الوجداني في قوة التصوير والقص في تقديم القدوات، وعقد مجالس خاصة بذلك

1)أبو يوسف وجدليش الأمللي، وهو مِمَّن جازت عليه سلسلة نسب الدين

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص769. أنظر أيضا: 773.

3)أبو محمد عبد الله بن محمد بن مطكود، من خلال السياق يظهر أنه تعلم على يد أبي سليمان داود بن هارون بنفوسة (ق05هـ).

4) المصدر السابق، ص769.

عن أبي يحي توفيق بن يحي الجناوني[1]:

بركة الدعاء:

أخذه أبوه في ذراعه إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن مطكود، وطلب منه الدعاء له، فقال: عسى الله أن يجعله نور هذا البلد، وأعطاه رمانة كانت سبب تذكر الولد للموقف[2].
يظهر الجانب الوجداني في طلب الدعاء من الصالحين، وفي الدعاء لصلاح الولد والبلد، وفي إكرام الشيخ الطفل و ملاطفته له.

كرامة:

ذكر الشماخي كرامة في موضع فيه دماء للشهداء موجودة إلى الآن منذ أمد بعيد على حجرة كبيرة في مجرى ماء مطر، إذا مسحته بثوب تعلق به، وتشم منه رائحة الدم القريب العهد، وقد زارها وحك ثوبه فيه. وقد سأل عنها فقيل بأنه دم اثنان على دين عيسى قبل مبعث النبي ب60 عاما قتلا على الإسلام والتوحيد، والثالث من جبل دمر كان يتعبد ويصلي في ذلك الموضع فقتل ظلما[3]. يظهر الجانب الوجداني في زيارة الآثار التي تذكر بالمناقب و التضحيات.

عن أبي يحي زكريا بن ابراهيم[4]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

تقدم الأخبار الوجدانية الواردة عن الشيخ نموذجا للحاكم المربي الرباني، فهو بذلك يقدم مثالا في كل مجال بداية من حياته الشخصية التي تتسم بالورع و استجابة الله لدعائه، إلى حياته كمربي ينفق على تلامذته، ثم إلى حياته كحاكم مشفق على رعيته.

---

1)أبو يحيى توفيق بن يحيى الجناوني، عالم وفقيه، له كتاب الطهارات(ت:746هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 227.

2) المصدر السابق، ص770.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص770.

4)أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم بن أبي يحيى زكرياء بن أبي هارون الباروني، علم من أعلام آل بارون العائلة المشهورة في جبل نفوسة بليبيا وفي جربة بتونس، كان الغاية في العلم والعمل والأمر والنهي، تولى الحكم على جبل نفوسة وما يليها، رزق ثروة طائلة، وهو ممن جازت عليه سلسلة نسب الدين. أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 344.

الدعاء و زيارة المشائخ:

زاره ناس من بني يفرن وعندما هموا بالمغادرة قدم لكل منهم شيئا، وأراد أن يقدم الباقي لمقدمهم فطلب منه الدعاء والبركة بدل ذلك، فنشر له ثوبه فدعا ثم ضم أطراف ثوبه، ولما وصل داره نفض ثوبه فبقيت تلك البركة في ذريته، وكانوا سادات ومقدمين في بني يفرن إلى أمد[1].

يظهر الجانب الوجداني في زيارة المشائخ، وإكرام المشائخ للضيف وحسن استقبالهم، وفي الحرص على الدعاء من الصالحين.

الإنفاق على التلامذة:

كان ينفق على تلامذته ويحرص على الاستمرار في ذلك ولو في زمن القحط، إذ كان له قرابة ثمانين تلميذا، فأجمعوا في زمن قحط على الانصراف لكي لا يثقلوا عليه، فسمع بذلك ودعاهم إلى طعام واضعا الإدام في مكان بالبيت، وأمر أحد التلامذة أن يذهب إلى ناحية بالمنزل قد وضع فيها أموالا، والإدام في مكان آخر، فلما رجع قال أخبرهم بما رأيت. فلما أخبرهم بما رأى من كثرة الأموال، قال الشيخ:(لم أجمعه إلا لأنفقه عليكم في المسبغة، ولا آذن لأحدكم أن ينصرف إلا لحاجة، فأقاموا وأنفق عليهم حتى زال القحط. وقيل أن بعضهم سأله عن مصدره فقال: من البيع في الشدائد، وقيل معه الاسم الأعظم، وقيل علم الكمياء)[2]. وقد ذكر علي يحي معمر أن السبب في ثرائه لم يكن لا الكمياء ولا الاسم الأعظم ولا كنز من الجاهلية عثر عليه مثلما يقولون، وإنما خبرته التجارية خاصة في أيام الشدة[3].

يظهر الجانب الوجداني في حث التلامذة و تشجيعهم على مزاولة الدراسة، وفي عرض ما وهبه الله من نعم والتحدث بها وعن غرضها.

1) المصدر السابق، ص774.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص774.

3)معمر، علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 01، ليبيا، ص198.

العدل و إكرام الرعية:

كان حاكما عالما عاملا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، تصدق مرة على جميع جبل نفوسة و بني يفرن وكلكلة[1] و بابل[2] و تاكبال[3] بشيئ من الدراهم من خمسة إلى أربعة دراهم لكل بيت وثُمن زيت أو أكثر[4].

عن أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي[5]:

وردت عن الشيخ الكثير من الآثار في الجانب الوجداني مثل الزهد والنصح والحث على التعلم، أغلبها قصائد، من ذلك ما يلي:

01.قصائد أبي نصر في النصح والفقه[6].

02.رسالة المسترشد وكفاية المستنشد[7].

03.قصائد في المواعظ والأمثال[8]

---

1)ككلة: قرية بربرية وهبية استقرت شرق جهة يفرن بجبل نفوسة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 867.

2)بابل: بلد شرقي جبل نفوسة، قرب ككلة و تاكبال وبني يفرن تحولت هذه القرى إلى الوهبية في عهد أبي يحي زكرياء بن ابراهيم الباروني. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 833.

3)تاكبال: بلد يقع شرق جبل نفوسة في جهة ككلة على مرتفع 488 مترا. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 837.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص773.

5)أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، عالم فذٌّ، وشاعر ألمعيٌّ، من أعلام قرية تملوشايت، بجبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم عن خاله أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم، كان عالمًا، واعظًا، شاعرًا، متكلِّمًا، زاهدًا، له العديد من المؤلفات، (ق07هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 730.

6)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز: 123، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:359.

7)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز:135، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:410.

8)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز:26، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:416.

04.قصائد في المواعظ والمديح[1]

05.بائية في الزهد والأدب[2].

06.القصيدة النونية في التوحيد[3].

07.قصيدة تحريض الطلبة[4].

08.قصيدة في الحث على الاغتنام[5].

09.قصيدة في مدح العلم والحثّ عليه[6].

10.قصيدة في رثاء الشيخ زكرياء بن إبراهيم البرادي[7].

11.قصيدة بائية في الحكمة[8].

12.قصيدة حائية في المواعظ[9].

---

1)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة إيروان تحت رمز: مج 33، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:31.

2)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة إيروان تحت رمز: مج 117، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:275.

3) من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 151، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1000.

4)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: دغ 111، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1077

5)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 131، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1094.

6)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 139، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1120

7)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي تحت رمز: 130، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:130.

8)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة عمي سعيد تحت رمز:54، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:76.

9)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة عمي سعيد تحت رمز: 37، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:78.

13.مخمّس في المواعظ[1].

بالرغم من الكم الهائل من الآثار في المجال الوجداني مع ذلك لم ترد عنه أخبار كثيرة في الشماخي.

الورع في الحكم بين الناس:

من احتياطه من الميل إلى أحد الخصمين عند الحكم، كان يضع بينه وبينهما سترا[2].

يخلف الفرسطائي[3]:

صلاح الزوجة:

كان فقيرا ثم استغنى وذلك بعد زواجه بامرأة غنية ومشهورة بمخالطة للسفهاء، ثم تابت بحضورها حلقات شيخه أبي يحي زكريا بن ابراهيم، وقبل أن تتزوج كان قد جاءها خطاب كثر، فسألت الشيخ عن أحسنهم فقال لها إن أردت الدنيا فتزوجي فلانا، وإن أردت الآخرة فعمنا يخلف، فقالت : شبعت من أهل الدنيا، فتزوجته. و كانت تصنع اثنا عشر كساء كل عام، وكل ما لدى الشيخ من مال من عمل يدها[4]، و كان الشيخ يقدم المال للشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي ليتصدق على التلامذة.

يظهر الجانب الوجداني في حضور مجالس الذكر وسببها في الهداية، وفي الرغبة في الآخرة بزواج الصالحين، وفي التصدق على التلامذة وتشجيع العلم.

---

1)نسخ عدة في عدة مكتبات، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 397.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص776.

3)يخلف الفرسطائي: تعلم على يد أبي يحي زكريا بن ابراهيم ق7. لم أعثر على ترجمة له.

4) المصدر السابق، ص778.

عن أبي موسى عيسى بن عيسى الطرمسي[1]:

التفرغ للتعليم:

ذكر عنه أنه كان ورعا مستجاب الدعاء، و لم يتزوج لتفرغه للعلم و التعليم[2].

عن الشيخ[3]:

الصرامة في الفصل في المشاكل بين الناس:

أقبل إليه رجل من تيميجار وقدم له عطية، ثم قال له:(واعدت فلانا الجيطالي لتحكم بيننا صلاة الظهر)، فرمى إليه عطيته وأغلق الباب. فقال التيمجاري: تبت إلى الله وتركت حقي لفلان، فلم يجبه، ثم حمل عطيته وانصرف[4].

من الأخبار أيضا أن رجلا أضافه إلى منزله فأكّله جيدا، وبعد الفراغ من الأكل قال واعدت أولاد أبي الخير أن نتحاكم عندك بعد صلاة الظهر في مسجد إيجناون[5]، فقال له كم ثمن الطعام واللحم، فقال درهمان فجعل على الطبق أربعة دراهم، ثم انصرف ولم يدع، لأن من عادة المشائخ رحمهم الله الدعاء بعد الأكل[6].

يظهر الجانب الوجداني في صرامته وغلظته على المتصنعين.

1)أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي، من علماء جبل نفوسة بليبيا، تلقَّى علمه عن أبي يحي وجدليش ابن فتى، كان شيخا عالما فقيها ورعا، سيد جماعته، لم يتزوَّج لاشتغاله بالعلم والتعليم، أطلق عليه لقب شيخ الإسلام، إذ كان شيخ طبقة من العلماء الأجلاَّء، (ت 722هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 715.

2) المصدر السابق، ص781.

3)الشيخ: (أخ أبو غالي). لم أعثر على ترجمة له.

4) المصدر السابق، ص784.

5)إجناون: يعتقد لويسكي أنها كلمة بربرية تعني العبيد، فيما يذهب علي يحي معمر إلى كونها الصيغة المحلية لكلمة الأجنة العربية، لما عرفت به من كثرة البساتين، وهو بلد في منطقة فساطو غربي جادو في جبل نفوسة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 825

6) المصدر السابق، ص784.

عن أبي طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي[1]:

مجمل الحياة الوجدانية للشيخ:

يظهر من خلال الأخبار الوجدانية الواردة عن الشيخ المعاناة التي كان يعيش المشائخ في سبيل إصلاح الأوضاع المتردية وضعف الدين، كما تظهر شخصية الشيخ متميزة بالاهتمام بالعلم و الحرص على الأمر والنهي مع مجتمعه ومع الحكام.

ترك الشيخ مؤلفات عدة في العقيدة والأخلاق، منها:

1. قناطر الخيرات وهو مؤلف على منوال كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، حقق جزءا منه الشيخ عمرو خليفة النامي، وهو مطبوع.
2. تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان[2].
3. ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله بألفاظ وجيزة[3].
4. قواعد الإسلام. وهو محقق ومطبوع ومتداول، حيث يبدأ بمسائل في العقيدة.
5. العقيدة المباركة[4].

1)أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، عالم جليل، ولد بجبل نفوسة، ونشأ بمدينة جيطال، اشتهر الجيطالي بحافظته القوية العجيبة، فكان شيخاً حافظاً، عالماً، عاملاً، محافظاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ت750هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 110.

2)تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان، توجد منه نسخ عدة، منها نسخة بدار إروان تحت رمز: مج38، وهو مفهرس في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 180.

3)ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله بألفاظ وجيزة، من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز:م 198، وهي مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 192.

4)توجد منه نسخ عدة، منها نسخة بدار التعليم، تحت رمز: مع30، وهو مفهرس في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 48.

البر بالمشائخ والحذر من إيذائهم:

كان ينتظر السفينة للسفر إلى جربة متاجرا مع جماعة، فأقلوا سفينة إلى مدينة أخرى ليدخلوا منها إلى جربة فنفذ زاده هو ومن معه، فاستطعموا أهل المدينة، فجعل الأغنياء منهم يسخرون منه إذ كان معه أربعين مملوكا، وانسل بعض الضعفاء وأحضروا له ما يأكله، فعمت البركة عليهم(فما مات الأول حتى افتقر، وما مات المطعم حتى اجتمع عنده أربعون مملوكا، وبقي فيهم أثر الغناء والبركة إلى يومنا هذا)[1].

أراد دخول جربة مرة فمنع (لأمر وقع من بعض فقهائها كما قيل)، فأخرج له أحدهم شيئا من العنب و نظر إليه واعجبه، فقال: حرموني منها حرمهم الله. (فاحترق عنبها بإذن الله، وبقي ذلك فيها وكان قبل ذلك لا يحترق)[2].

يظهر الجانب الوجداني في إكرام الصالحين واستجابة دعائهم و الحذر من إيذائهم لأن ذلك يظهر في الدنيا قبل الآخرة.

الهجران:

ذكر أنه رفض الإقامة والإمامة عند أهل مستاوة لأنهم خالفوا وخرجوا عن طاعة العزابة[3].

العبادة:

كان يصلي فرفع طرف ثوبه يريد تسويته فأسقط القنديل من مكانه فلم ينطفئ أو ينكسر أو تهرق زيته، وكان شيخ حاضر معه قيل أبو عمران الوارجلاني فقال متعجبا: كنت أظن صلواتك تخيب يا اسماعيل[4]. يظهر الجانب الوجداني في ربط تفاصيل الحياة اليومية بقبول الأعمال و التقوى.

مدارسة العلم:

إذ دخل يوما مسجد أجيطال فوجد الشيخ أبي ساكن عامر يطالع في كتاب، فجلس يسأله عن المبهمات إلى أن طلع الفجر[1].

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص787.

2)المكان نفسه.

3)المكان نفسه.

4) المصدر السابق، ص788.

مكابدة المشقة في النهي عن المنكر:

كان يقيم أمر الله ونهيه في فرسطاء[2] لمدة تسعة أعوام، فأتى إليه خبر أحدهم أنه يملك خمرا، فقصده مع أهل الخير والصلاح ليردعوه، فأرسل إليه صاحب الخمارة بعض الأعراب تهديدا، فأراد مغادرة البلد فتعلق به الناس فقال لهم: (لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحق ولا أمر ولا نهي. وقال للعربي الذي رده: سلطك الله عليهم وسلطهم عليك. فقامت فتنة بينهم بمقتله واستمرت زمانا[3].

و من كثرة إدمانه على الأمر والنهي والوعظ في الأسواق حتى طعن فيه بعضهم أنه علَّم أهل السوق الغش، يقصدون أنه من كثرة ما ينهاهم عنها تعلموها[4].

يظهر الجانب الوجداني في مكابدة المشقة في النهي عن المنكر، وفي مغادرة البلد بسبب عدم القدرة على أداء مهمة الأمر و النهي، وفي الاستعانة بالدعاء على المتعنت و المكابر.

الصراحة والصدق مع الحكام:

ذهب إلى غريان[5] تاجرا بالعبيد فوجد أهلها قد تحولوا عن المذهب، فقال لهم محاججا:(هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ فما زال قاضيها وأميرها يلتمسون عليه الأسباب حتى سجنوه وأخذوا ما معه) وكان خروجه من السجن بسبب رسالة يمدح فيها الأمير، ولما خرج دعا على القاضي والأمير وقومهم قائلا:(سلط الله عليك عدوا لا يخاف ربا ولا يتقي ذنبا، فما مضت إلا أيام قليلة حتى أخذتها النصارى)، وقيل أنه أرسل رسالة إلى بن مكي يعتذر فيها عن المدح الذي مدحه فيه لأنه لا يستحقه، وذلك خشية (أن يكون في شعره كذب وأن يكون من الذين يهيمون في كل واد)[6].

يظهر الجانب الوجداني في مزاولة الدعوة إلى الدين إلى جانب ممارسته التجارة، وفي الدعاء على الظالمين، وفي الصدق في القول والاعتذار إلى الحاكم وصراحته معه.

---

1) المصدر السابق، ص789.

2)فرسطاء: بلد قديم بجبل نفوسة في منطقة الحرابة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 863.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص788.

4)المكان نفسه.

5)غريان: بلد جبلي، يقع على بعد 93 كم جنوب طرابلس. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 862.

6) المصدر السابق، ص786.

عن أبي ساكن عامر الشماخي[1]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

من خلال الأخبار الواردة عن الشيخ نجد أن شخصيته الوجدانية تتميز بأنها مهتمة بالعلم والتعليم، والورع والتقوى، والسعي إلى الإصلاح بين الناس، والحرص على تبليغ الدين وسير المذهب.

أهم كتاب ورد عنه في العقيدة كتاب متن الديانات حيث يحوي على ما يدين به الإباضية من عقيدة، يبدأ في كل معتقد بلفظة (ندين لله)، وهو مطبوع ومتداول.

تربية:

جاز عليه بعض الأعراب وهو يرعى بقرة، وكان يمسكها من رسنها فقال له لم مسكتها؟ قال خشية أن تغشى زرع الناس. فأتى أباه فقال: إن ابنك يصلح للعلم والقراءة لا لرعي البقر[2].
يظهر الجانب الوجداني في التربية الصالحة للابن و تعهده منذ الصغر وتوجيهه إلى العلم و الصلاح.

التعلم والتعليم:

في تفرغه للتعلم بداية عمره و للتعليم إلى مماته، وأن ذاكرته لم تضعف بقوة الله تعالى[3].

الحرص على تبليغ الدين:

قال للشيخ أبي عزيز: هذا المذهب ابلغته إليك فأن أحسنت سياسته بقى وإلا افترق. فحافظ عليه[4]. يظهر الجانب الوجداني في حرصه على تبليغ الدين بأمانة والإشهاد على ذلك.

---

1)أبو ساكن عامر بن علي بن عامر ابن يسِّفاو الشمَّاخي، أحد أكبر مشايخ الإباضيَّة في جبل نفوسة بليبيا، مجدِّد المذهب، وموحِّد الأمَّة، لقِّب بجدارة بـ«يَسِّفَاوْ» ومعناها بالعربية: ضياء الدين، له مؤلفات عدة، عمِّر طويلا، وتوفِّي بواحة يفرن، (792هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 529.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص791.

3) المصدر السابق، ص789.

4)المكان نفسه.

الدعاء في الإصلاح بين الناس:

أصلح بين قريتين من قرى يفرن[1] بعدما كانت حربا قائمة بينهم، فغدرت إحداهما على الأخرى، فأخذت المغدور بها بالثأر وأحرقوا زرع الغادرين فدعا على الغادرين بالقلة، وعلى الآخذين بالثأر بعدم البركة (فما زالوا في قلة إلى يومنا هذا)[2]. يظهر الجانب الوجداني في التحذير من عاقبة مخالفة المشائخ.

عن أبي عمران موسى بن عامر الشماخي[3]:

زيارة المشاهد:

اجتهد عندما كان صغيرا لكن لم يحصل على الكثير من العلم، فطاف بمشاهد نفوسة ودعا الله تعالى فأجاب له، وقيل أن أباه هو الذي أمره بذلك، (وعندهم أن من طاف بها ودعا الله على أمر أجاب الله دعاءه، وهذا أمر مشهور بين فقهائها، ودونوا تلك المشاهد وسطروها في الكتب وحفظوها)[4].

يظهر الجانب الوجداني في أثر التعرف على آثار السابقين في حث الهمم.

عن أبي الربيع سليمان بن موسى بن عامر الشماخي[5]:

الورع:

في شبابه دخل جنان رمان بباب داره وكان جميل الصورة، فهجمت عليه امرأة فراودته، وامتنع بشدة، وهددته بإخبار جده عامر فقال لها: انصرفي وقولي ما شئت، ففضيحة الدنيا أهون من فضيحة يوم القيامة[1].

---

1)يفرن: تقع في شرق جبل نفوسة على مرتفع 700متر. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 881.

2) المصدر السابق، ص791.

3)أبو عمران موسى بن عامر بن علي بن عامر بن يسفاو الشمَّاخي، من يفرن بجبل نفوسة، عالم بالفقه والفرائض، اشتغل بالتدريس والوعظ، وهو مرجع الناس في مشاكلهم، لِما اشتهر به من الصلاح والتقوى وحسن التدبير، (ت:807هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 924.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص792.

5)أبو الربيع سليمان بن موسى بن عامر الشماخي: توفي قبل أبيه 807. لم أعثر على ترجمة له في معجم الأعلام.

يظهر الجانب الوجداني في استحضار المصير الأخروي وصبره على الإغواء.

عن أيوب الجيطالي[2]:

قراءة الكتب عند المشائخ:

كان يقرأ على يد أبي طاهر اسماعيل الجيطالي فسافر، فتحول إلى الشيخ أبي ساكن وأراد قراءة كتاب العدل في أصول الفقه، فأشار له إلى أن يبدأ بغيره، فقال له : لم يبق من يقرأ عليه سواك فإن متّ انقطع من يقرأ عليه فقبل الشيخ[3].

يظهر الجانب الوجداني في حرصه على قراءة الكتب على العلماء قبل موتهم.

إكرام اليتامى:

كان يربي اليتامى ويقربهم إليه[4].

تشجيع الناس على خدمة الطلبة:

وفد إليه طلبة غرباء فنادى في المسجد من يخدمهم، فقال بعض الأغنياء وكان لم يرزقه الله أولادا: أنا أخدم واحدا. فقال الشيخ يعطيك الله واحدا. فنادى الشيخ ثانية. فطلب الغني ثانيا فقال له الشيخ: يزيدك الله ثانيا. إلى أن بلغ سبعة فأعطاه الله سبعة أولاد[5].

يظهر الجانب الوجداني في تشجيع الناس بالدعاء على فعل الخير، وفي استضافة الطلبة والاعتناء بهم.

---

1) المصدر السابق، ص793.

2)أيوب الجيطالي، شيخ فاضل عالم في الشريعة والكلام، سكن شَرُوس بجبل نفوسة، (ق08هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 123.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص793.

4) المصدر السابق، ص794.

5)المكان نفسه.

عن نوح بن حازم المرساوي[1]:

مجمل حياة الشيخ الوجدانية:

تتميز شخصية الشيخ من خلال الأخبار التي وردت عنه بالتقوى والورع، و بالحرص على تحري الصواب في العلم وتولي أمور الناس.

الزهد:

كان مجاب الدعاء، قويا في العلم والزهد، ومن زهده في الدنيا أنه لم يعقد عقدة بيع ولا شراء في عمره، وأن زوجته صالحة[2].

الدعاء:

كان شيخه يدعو له أن يقبضه قبل أن تعمّ الظلمة نفوسة و يعم الفساد[3]. يظهر الجانب الوجداني في طلب الله العافية والسلامة من الابتلاء في الدين.

الصرامة في التزام الصواب في الفتوى:

ورد أن بعض أهل فساطو[4] أكرموه وأحسنوا إليه لكي يفتي لهم بغير المشهور، فأرسل إلى أهل مزغورة[5] ليأخذوه، وجهّز نفسه ليلا للخروج، فعلم بذلك بعض أهل فساطو فأرادوا منعه من

---

1)نوح بن أبي حازم سعيد المرساوي، من علماء جبل نفوسة العاملين، أخذ العلم عن الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشمَّاخي، كان زاهدًا عالمًا معلِّما، تخرَّج على يديه كثيرون انبثُّوا في ربوع الجبل للتدريس والإفتاء والإرشاد، وقد ألَّف الشيخ عامر الشمَّاخي رسالته: متن الديانات تلبية لطلب تلميذه نوح، وهذا الكتاب يعتبر من أهمِّ كتب العقيدة التي عني بها إباضيَّة المغرب عناية بالغة بالشرح والتحشية والتدريس، (ق08هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 952.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص798.

3) المصدر السابق، ص799.

4)فساطو: يطلق على جهة وقرية في آن واحد. تقع الجهة بين الرجبان والرحيبات، أما قرية فساطو فهي قرب طرميسة. وهو بلد قديم من الحصون الواقعة على التخوم الرومانية في إفريقيا. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 864.

5)مزغورة: قرية على مرتفع707م شرق جبل نفوسة، في جهة فساطو عامرة من القرن الثاني هجري إلى اليوم. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 870.

ذلك، فقال لهم: من أراد سكنى بلدكم لا يغفل ولا يسهى[1]. يظهر الجانب الوجداني في مغادرة مكان الإغواء.

رؤيا تؤكد ما أراد بعد وفاته:

رغب في التصدق بما ترك بعد وفاته، إلا أن بعض كبراء نفوسة أرادوا قسمة ما ترك، فرأى أحدهم في المنام أنه أخذ طرف ثوبه فوجده مصبوغا. قال لم فعلت بي هكذا؟ قال: أنا نوح أصبغ حيا وميتا. فأخبرهم بالمنام وحذّرهم مما هم مقبلون عليه لكن لم يسمعوا لقوله، ولم يأخذ شيئا، فبارك الله له ودمر الله كلّ من أخذ[2].

يظهر الجانب الوجداني في الأخذ بالرؤيا في إنفاذ وصية الميت.

قراءة تحليلية للمواقف الوجدانية في الكتاب:

الجدول رقم (01) إحصاء كل المواقف الوجدانية الواردة:

المجال	القرن الهجري	موضوع الموقف	عدد المواقف
التربوي	الخامس	العبادة و الزهد و الورع والذكر و التوبة	06
		العلم و التعليم وتربية الأبناء	03
		الكرامات	03
	السادس	العبادة و الزهد و الورع والذكر والتوبة	20
		العلم و التعليم وتربية الأبناء	17
		البر بالمشائخ وطلبة العلم وإكرامهم	05

1) المصدر السابق، ص798.

2) المصدر السابق، ص799.

		الكرامات وأخبار نهاية الزمان	14
	السابع	الزهد	01
		الكرامات	01
		ذكر المناقب	01
	الثامن	مؤلفات في الرقائق ومواقف الزهد والورع	17
		الكرامات	04
		العلم والتعليم والبر بالمشائخ	14
الاجتماعي	الخامس	الإنفاق و إكرام الضيف	01
		الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	03
		التوبة من الخطة والهجران	05
	السادس	الإنفاق وإكرام الضيف	02
		التسامح وحسن الخلق	02
		الورع في المعاملات والأمانات	07
		الزيارات الدعوية	02
		النهي عن المنكر	04
		كرامات استجابة الدعاء في إصلاح الناس	07
		التوبة من الخطة والهجران	05
	السابع	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	02

	الثامن	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	05
		البراءة والهجران	03
		زيارة المشائخ والمزارات	03
السياسي	الخامس	مدرارة الحكام وحسن الجوار.	02
	السادس	مداراة الحكام وحسن الجوار مع حكام إباضية.	04
	السابع	التحذير من مداهنة الحكام	01
	الثامن	التحذير من مداهنة الحكام	01
		العدل وإكرام الرعية	04

الجدول رقم (02): إحصاء لعدد المواقف الوجدانية ما بين القرن الخامس والثامن هجري:

نوع الموقف	القرن الخامس	القرن السادس	القرن السابع	القرن الثامن
المواقف التربوية	12	56	03	35
المواقف الاجتماعية	09	29	02	11
المواقف السياسية	02	04	01	05

من خلال المواقف الوجدانية المصنفة في الجدولين ومن خلال المقارنة مع ما ورد من مواقف في المصدرين السابقين كتاب السيرة وأخبار الأئمة وكتاب الطبقات اتضح ما يلي:

- يظهر جليا الاتفاق بين الكتب الثلاثة على الاهتمام بشكل كبير بالجانب الأخلاقي والتربوي، حيث إن عدد المواقف الوجدانية ذات البعد التربوي والتي انفرد بها كتاب السير ولم ترد في الكتب الأخرى (106موقفا)، أما ذات البعد الاجتماعي (51 موقفا)، بينما البعد السياسي(12موقفا)، وهذا فيه إشارة إلى أن كتاب السير الثلاثة اتفقوا على منحى واحد في كتابة الأخبار والمواقف بالرغم من تباعد زمني بينهم، حيث كان التركيز على الجانب الوجداني التربوي والأخلاقي للفرد.
- في المواقف التربوية تميز الكتاب عن الكتابين الآخرين بذكر عدد أكبر من أخبار الكرامات ونهاية الزمان حيث بلغ عددها (22 خبرا)، وهذا العدد من دون ذكر ما قد ورد في الكتب السابقة، حيث ذكر كتاب السيرة (12خبرا)، بينما انفرد الدرجيني بـ(09 أخبار)، هذا فيما يبدو يرجع سببه إلى عدد المصادر التي عاد إليها الشماخي من جهة، و إلى انتشار ظاهرة الاستدلال بالكرامات في المغرب، لأن أكبر عدد نجده في القرن الثامن هجري، كما أن للبيئة والظروف التاريخية أثر في ذلك، حيث تميز القرن الثامن باضطراب عام في المجتمعات الإباضية بالمغرب كما مر في المبحث التاريخي.
- ظهر في المواقف التربوية ذات البعد الاجتماعي عنوان جديد لم يكن في الكتابين السابقين بشكل بارز، وهو نظام الولاية والبراءة وأخبار التوبة من الهجران، يعود السبب في ذلك فيما يبدو إلى تطور تنظيمات المجتمع وتحولها من تنظيمات تربوية خاصة بالحلقة إلى قوانين وأعراف اجتماعية.
- ظهرت أيضا عناوين جديدة في المواقف ذات البعد السياسي، مثل مواقف وجدانية تدل على حسن جوار بين العالم والحكم، و أخبار بعد العلماء الذين حكموا، قد يكون سببه تولي أبناء الإباضية بعض المناصب، وقد يكون سببه أيضا تشكل حكم إباضي داخلي، وهذا يتعلق بجبل نفوسة فحسب بسبب الاتساع الجغرافي و الحاجة إلى حاكم، خاصة وأن المؤلف من جبل نفوسة.
- تميز الكتاب بغزارة الأخبار التي انفرد بها بكل أنواعها في القرن السادس والقرن الثامن، لأن معظم أخبار القرن الخامس قد وردت في كتاب السيرة وأخبار الأئمة، و معظم أخبار القرن السابع قد وردت في كتاب الطبقات.

خاتمة الفصل:

من خلال كل ما سبق من المواقف الوجدانية التي وردت في الكتب الثلاثة، وبعد محاولة التحليل الخاصة بكل عالم وبكل كتاب وبكل قرن، فقد وصل الفصل الثاني من البحث إلى ما يلي:

- التركيز في كتب السير على التربية الفردية وتنمية الوازع الديني الأخلاقي الداخلي للإنسان واضح وجلي.
- ظهور أثر التربية الإيمانية في المجتمع خاصة في القرن الخامس والسادس ويبدأ في التناقص في السابع.
- النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس تعتبر مرحلة بلغ فيها المجتمع ذروة اليقظة الوجدانية والأخلاقية، وهي كنتيجة لجهود بدأت من القرن الرابع الهجري.
- لكل كتاب تركيز على بعد من الأبعاد التي اعتمدها البحث، حيث إن كتاب السيرة ركز على جانب التربية الأخلاقية والإيمانية للفرد، أما كتاب طبقات المشائخ بالمغرب فقد ظهر تركيزه على الجانب التربوي الاجتماعي ومن ذلك تنظيمات حلقة العزابة، بينما لم تكن المواقف الواردة في كتاب السير للشماخي واضحة في تركيزه على مجال دون آخر.
- يعتبر القرن الرابع والخامس الهجريين مرحلة الذروة في النشاط الديني وتربية الفرد، ليمثل القرن السادس الذروة في النشاط نفسه على مستوى العلاقات بين الأفراد و على الصعيد الاجتماعي، ليظهر بعد ذلك نوع من الفتور بداية من القرن السابع إلى القرن الثامن.

الفصل الثالث: تحليل نماذج وجدانية

بعد أن تم عرض المواقف التي وردت في كتب السير الثلاثة، وسعيا إلى استخراج الميزات والخصائص أصبح من الضروري الوقوف على معالم الجانب الوجداني فيها وتحليلها، وبما أن البحث لا يمكن أن يتجاوز قدرا معينا فإن الفصل الثالث سيختار نماذج لعرضها وتحليلها.

اعتمد الفصل في اختيار المواقف لتحليلها على عدد مرات تكررها، لأن تكرار الموقف في أكثر من مكان دليل على أهميته، ولقد تمّ تجميع المواقف ذات المنحى الواحد تحت عنوان يعرّف بها، وتعتبر بذلك هذه العناوين مجالات أساسية في بناء الجانب الوجداني، وتندرج تحتها عناوين فرعية أقل عمومية من الأولى، ونجد تحتها النماذج التي تم اختيارها للتحليل. ولقد تم وضع هذه التقسيمات حتى يمكن أخذ صورة شاملة أولا عن الموضوع، ثم التدرج بعد ذلك شيئا فشيئا إلى الموقف الأخلاقي وما فيه من نفس وجداني، كما أنها توضح أهمية نوع المواقف وأولوية كل نوع على الآخر، أي التدرج من العام إلى الخاص، ولا يكون في العام إلا ما كان مهما وقد تكرر أكثر من مرة.

يتمثل منهج التحليل في عرض أفكار عامة وخصائص وجدانية شاملة لكل المواقف تحت كل عنوان فرعي، ثم اختيار المواقف الأولى حسب أهميتها الوجدانية وعمقها وأثرها، ثم الوقوف على جذورها العقدية وأبعادها التربوية، وتحديد نوع الوجدان الذي يحتويه المثال، والوقوف على كونه سبب أو ثمرة[1]، وكونه دافعا أم رادعا أو ممجّدا[2]، والإشارة إلى الآثار الواقعية المترتبة عن ذلك، مع بعض الإشارة أحيانا إلى أوجه الشبه والاختلاف مع بعض أهل التصوف، ومحاولة التحيين والإسقاط الواقعي كلما تيسّر الأمر.

1)هذا التقسيم مقترح من طرف الباحث، حتى يزيد للموقف تحليلا ويتمكن من اكتشاف الآليات من جهة، واكتشاف الآثار والثمار من جهة أخرى.

2)قسّم الدكتور البوطي العواطف إلى عواطف دافعة مثل: الفرح والأمل والرغبة، وإلى عواطف رادعة مثل الخوف والرهبة والإشفاق، وإلى عواطف ممجدة مثل الإعجاب والحب والتقديس. أنظر: البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن، ص 82.

المبحث الأول: تحليل نماذج تربوية.

تمهيد عام:

بعد نظرة شاملة إلى المواقف التربوية ذات البعد الوجداني تبيّن أنها تندرج تحت ثلاثة مجالات أساسية كان لها دور أساسي في تكوين الجانب الوجداني للفرد الإباضي، وهي:

- التربية الإيمانية: تندرج تحت هذا العنوان أخبار الرقائق وما يتعلق بتطهير النفس والسمو الأخلاقي، وقد نالت أكبر حظ من عدد المواقف و الأخبار، و تندرج فيها أيضا مواقف العلماء وحرصهم على صلاح أبنائهم و تربيتهم، ويعود سبب اندراجه تحت هذا العنوان إلى عدد مهم من الأخبار حول الموضوع من جهة -كما سبق- وإلى أهمية الأساليب المذكورة في التربية الإيمانية من جهة أخرى.

ويليه مواقف حول ذكر المناقب وأخبار آخر الزمان، حيث إن الملاحظ في المواقف عامة اقترانهما، وهذا يعود إلى اشتراكهما في استعمال خيال القارئ وما يترك من أثر وجداني يتمثل في الإعجاب والحذر، فالأول حول ما مضى والثاني حول ما سيأتي.

و يختتم هذا المجال الكثيف بالأخبار والمواقف بأخبار حول موضوع الكرامات وما كانت تتناقله الألسن والأقلام من غريب الأخبار، وسبب اندراجه تحت هذا المجال هو الأثر الوجداني الذي تتركه الكرامة في نفس القارئ أو السامع بغض النظر عن صحة ثبوتها من عدمها.

- العلم والعلماء: والمقصود بذلك أخبار التعلم والتعليم التي تمثل أكبر ثاني نسبة من الأخبار بعد الرقائق، والهدف من التطرق لأخبار العلم هو تربية الناس وتعليمهم مبادئ الدين، و يضمّ المجال أيضا أخبارا حول الاهتمام بالعالم وتوقيره وتبجيله، وهذا يعود إلى الدور الوجداني الذي يؤديه الشيخ في المجتمع، ويختم المجال بعرض مختصر لأهم المؤلفات التي ذكرت في مجال الرقائق والأخلاق، باعتباره إطارا نظريا للحياة الوجدانية التي يعيشها الفرد، وهذا بما يسمح به وقت البحث وحجمه.

- حلقة العزابة: تمّ اختيار هذا العنوان بسبب الأثر الوجداني والتربوي العميق الذي كان نتيجة نظام حلقة العزابة على الفرد والمجتمع، ولقد تمّ إفراد ثلاثة عناوين للوقوف على البعد الوجداني للحلقة في أوضح صوره وهي: الأخلاق والآداب التي لا تتنازل الحلقة عنها مع أفرادها، والتنظيمات و المهام التي تضمن توفُّر جوّ إيماني وتربوي، و يختتم المجال بمقارنة مختصرة بين نظام العزابة والتصوف.

أولا: التربية الإيمانية.

1) الرقائق:

تميّزت الأخبار والمواقف التي وردت في مجال الرقائق بمجموعة من الخصائص التي تتفاوت في أهميتها باعتبار عدد المواقف المؤيّدة لها، وفيما يلي ترتيب لها حسب الأهمية:

1. الاحتياط في أداء العبادة والإحسان والمجاهدة فيها، حيث وردت أخبار كثيرة حول مبدأ الاحتياط مثل الاحتياط الشديد في الطهارة للصلاة، و تخصيص ألبسة خاصة لكل شأن، من عمل إلى جلوس في البيت إلى الطهارة إلى الصلاة و ما إلى ذلك، ومن الاحتياط أيضا ما يتعلق بالأمور القلبية مثل الإخلاص والخشية من عدم القبول إلى جانب الاجتهاد في النوافل والفضائل.
2. التناغم بين الحالة الإيمانية القلبية والقيام بالحاجيات اليومية، إذ نجد الوجدان والمشاعر القلبية حاضرة في العالم الفلاح في حرثه، وفي التاجر المسافر في قافلته، و في المرأة المهتمة بشؤون منزلها، خاصة ذكر الموت فقد كان عدد المواقف الواردة فيه ملفت للانتباه.
3. التناغم بين التوهج الإيماني و الاجتهاد في تحصيل العلوم النافعة، من ذلك التركيز على البعد الأخلاقي والعلمي في طلب العلم و أولويته في التعليم، كما يظهر أيضا في القوة الإيمانية والعلمية الغالبة على شخصية العلماء.

4. الحرص على عقد مجالس تذكير ووعظ خاصة بالترغيب والترهيب وقد وردت أحيانا باسم "مجالس التخويف"، ومدارسة كتب الرقائق والمواعظ.
5. الحرص على الدعاء بشكل فردي وبشكل جماعي، والتحذير من كل ما يحجب الاستجابة، والتقرب بكل عمل يكون سببا للاستجابة خاصة تبجيل العلماء وإكرامهم، والامتناع عن كل عمل قد يكون مانعا لها ولو كان بسيطا، مثال ذلك الحرص على طهارة مكان قضاء الحاجة.
6. الحرص على تبسيط حقائق الإيمان والفضائل بشكل يدفع إلى السلوك، ومن ذلك استعمال التشبيهات الحسية من البيئة التي يعيشون فيها.
7. الحرص الشديد على النصح و الاستنصاح خاصة بين المشائخ.
8. الالتزام بورد معين من الأذكار، مثل أذكار الصبح بعد صلاة الفجر.
9. الحرص على التوبة الفردية والجماعية، وحثّ الناس عليها، ومن الملفت للانتباه وجود أخبار حول توبة الكبار في السنّ، خاصة في القرن الخامس أي في بداية نظام الحلقة.
10. الحرص على التمايز عن الآخرين بالهندام، والتحذير من التقليد والتخلي عن هندام الجماعة المتفق عليه.
11. استعمال ألقاب صوفية، مثل الأبدال، والأقطاب، الغوث، ومصطلحات في السير إلى الله عند الصوفية مثل: الحال، القبض والبسط، المجاهدة، كما وردت أخبار عن لقاءات ودية مع رجال التصوف.

بعد محاولة الحصر لأهم ميزات المظاهر الوجدانية في كتب السير المدروسة، والتي تحتاج كل منها إلى بحث مستقل وتحليلها بانفراد عن الأخريات. أما البحث فقد اختار الميزات الخمس الأولى، ليعرض بعض المواقف التي وردت حولها على سبيل المثال أيضا لا الحصر، و يتم تحليلها كما قد تم تبيانه في مقدمة الفصل.

أ- الاحتياط في أداء العبادة و الإحسان فيها:

يعتبر مبدأ الاحتياط للعبادة من أهم المبادئ التي نالت حظا وافرا من الأخبار في الحياة الوجدانية للمشائخ، و قد ظهر الاحتياط في الاحتراز الشديد من النجاسة، أو في موقف الحرص على الإخلاص في العبادة، أو في موقف اجتهاد في النوافل، إلى غير ذلك من المظاهر التي تدل على حياة همّها أن تؤدي ما عليها من واجب العبادة لله على أكمل وجه.

من تلك المواقف أن جماعة من العزابة زارت الشيخ أبا صالح بكر بن قاسم اليراسني، وكانت بجانب عريشه ميضأة فيها بعض الماء، فرفعوا ثيابهم ليمرّوا فقال لهم:(لا تحذروا فإني لم آته قطّ بنجاسة)، و كان إذا أكمل النوافل التي اعتاد عليها نادى لأحد يقرأ عليه آيات السجدات الموجودة في القرآن وسجدها كلها[1].

و منها أيضا أن رجلا سأل الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر:(أي شيء من الغنم يُقدّم للصدقة؟ فقال له:" ما تقول فيمن أعطاك أربعين شاة ثم بعد ذلك سألك أن تعطيه شاة واحدة، أيها تعطي؟ قال الرجل أحسنها. فقال له الشيخ، إن الله هو الذي اعطاك أربعين شاة، فأخرج للصدقة أحسنها)[2].

حين يتأمل القارئ في هذه النماذج سيجد أن من ورائها مبادئ عقدية عدّة، من ذلك: الإيمان العميق بالله تعالى وصفاته معرفة وحبا و خوفا، لأنه كلما زادت معرفة الله تعالى كلما ظهر ذلك التزاما واحترازا واجتهادا في العبادة.

ومن ذلك أيضا قوة الرغبة في الجنة والخوف من النار، خاصة وأن الإباضية يؤمنون بالخلود الأبدي إما في الجنة و إما في النار، هذا ما يجعل المؤمن حين يستحضر الجنة والنار فإنه يستحضرهما بهذا العمق والشدّة.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص180.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 267.

من المفترض أنه لا أثر للتفصيلات الفرعية التي اختلف فيها علماء الكلام و اعتقدها الإباضية و المتعلقة بأصل الإيمان بالله تعالى على الأثر الوجداني في القلب، مثل مسألة الذات والصفة والفعل، و مسألة الاستواء، وغيرها من الفرعيات، لذا فمن ترف القول عرضها لأنها لا تخدم إشكالية البحث وهي حول الأثر الوجداني، على خلاف ما يتعلق بمبدأ الوعد والوعيد، حيث إن الأثر الناتج عن الإيمان بالخلود أبد الآبدين هو غير الأثر الناتج عن عدمه.

حين يتم تصنيف نوع الوجدان في المثالين، مثال احتراز الشيخ من النجاسة و مواظبته على سجود مواضع السجدة في القرآن الكريم، و مثال جواب الشيخ أبي عبد الله للرجل حول نوع الصدقة التي يقدمها في سبيل الله تعالى، فنجد أن المثال الأول يحتوي على السبب والنتيجة، حيث إن السبب يتمثل في مواظبة الشيخ على السجود لله تعالى يوميا من خلال آيات السجدة الواردة في القرآن الكريم، مما يجعله أكثر خشية وحرصا على كمال العبادة والاحتراز مما قد ينقص منها وهي النتيجة. كما أن نوع الوجدان داخل النفس هو وجدان رادع من جهة، ووجدان دافع من جهة أخرى، حيث إن الرادع يتمثل في الخوف من التقصير في العبادة، أما الدافع يتمثل في تعظيم الله وحبه الذي يظهر في كثرة التقرب والسجود له.

أما المثال الثاني فإنه يحتوي على السبب فقط أو الآلية التي تُنتج الوجدان في قلب السائل، فما استعمله الشيخ هو أسلوب المثال و التصوير، ليعظّم قدر نعم الله وواجب الشكر نحوه، ويتضح أيضا من خلال الأسلوب أن ما يريد الشيخ إثارته في نفس السائل هو الوجدان الدافع، حيث ذكره بنعم الله عليه، وذلك من شأنه أن يزرع حب الله في قلبه فيتقدم بأحسن ما يملك.

ينتج عن هذه الآلية نوعان من الوجدان، الأول وجدان ممجّد وذلك من خلال معرفة عظمة الله وسعة نعمه على عباده، والثاني وجدان دافع يتمثل في معرفة كرم الله للإنسان وطلبه من ذلك الكرم جزء، الأمر الذي يجعل الإنسان يندفع إلى الاستجابة لأمر التصدق بإحسان وإخلاص.

تظهر قيمة الموقف الوجداني الأول في الحرص على النظافة والطهارة مما ينتج عن ذلك من حفاظ على الصحة وعلى الجانب الجمالي للدين، كما أن المواظبة على السجود له أثر عميق في النفس،

وأكثر من ذلك إذا كان بسجدات القرآن الكريم، لأنها مليئة بما يزيد تعظيما ورهبة ورغبة في القلب.

أما الموقف الثاني فتتمثل أهميته في الأسلوب الذي استعمله وما له من وقع في النفس وهو أسلوب التصوير والمثال، وقد أشار البوطي إلى أهمية هذا الأسلوب القرآني في إثارة الوجدان قائلا:(...فإذا ما أراد[أي القرآن] إثارة شيء من كوامن الوجدان في النفس اتخذ إلى ذلك أسلوب الوصف والتصوير، ووضع من ذلك أمام خيال القارئ أو السامع أدقّ مرآة تبرز فيه الصورة بكل جلاء ووضوح)[1].

ومن المهم جدا الإشارة إلى ضرورة توظيف هذا الأسلوب في ترسيخ العقيدة في النفوس عامة وفي نفوس أبنائنا خاصة، لأنه وسيلة تبسيط من جهة وتحبيب للعقيدة من جهة أخرى، بعيدا عن التعقيدات الكلامية والتعريفات الفارغة من معانيها الوجدانية، ولنا في القرآن أحسن الأمثلة، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾[2]

ب- التناغم بين القلب و العقل:

تُعتبر مسألة الفصل بين العقل والقلب من المسائل الدخيلة على التراث الإسلامي، فليس في منهج الإسلام ما يفصل بين الأمرين، فلا معنى للدافع القلبي دون حكم عقلي سليم، ولا معنى لحكم عقلي سليم دون دافع وجداني للعمل، والمنهج الأمثل هو ما جمع بينهما.

محاولة في توضيح هذا المبدأ البارز في الحياة الوجدانية للمشائخ الإباضية نعرض هذين الموقفين، ونحاول الوقوف على معالم التوافق بين العقل والقلب أو الجانب العلمي والجانب الوجداني، و ستزيد أمثلة العلم والعلماء توضيحا أكثر للتناغم بشكل عملي أوسع، أما في هذا الموضع فسنكتفي بمثالين فقط يدلان على ارتباط الجانب العلمي والجانب الوجداني في شخصية العالم غالبا.

1)البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، ص 72.

2)الإسراء، الآية 89.

سأل رجل أبا محمد عبد الله بن مانوج اللمائي (عن العبادة ما هي؟ فقال: العبادة نية، فهكذا أنا لا أقرأ إلا ربع القرآن، وداود ابني قد حفظ ما بين الدفتين، وها هو الفرس في الفتنة)[1]، و ذكر ذلك الدرجيني[2] مبرزا أهمية تقوى الله مع كثرة قراءة القرآن، إذ لا تكفي القراءة وحدها، وأبرز أيضا ما ذكره الوارجلاني في شأن ابنه الذي خرج عما كان عليه أبوه، لكن أباه اهتم به واغتم ودعا له وكان ينهى أبناءه أن يعاضدوه حتى لا يكونوا مثله، حتى هداه الله، وأظن أن ابنه هذا كان يحمل أفكارا تخالف مذهب أبيه، أو ربما مجرد انحراف في السلوك، إذ وصفه الدرجيني قائلا(يقصد في ذلك ما يقوم به ابنه عما ليس هو بسبيله)، أما الشماخي[3] فقد ذكر كل ذلك باختصار شديد مبرزا أهمية الإخلاص إلى جانب الاجتهاد في العلم.

ورد عن يوسف بن محمد الوسياني أنه (كان ذا ورع واجتهاد في العبادة، وخمول واقتصار في العلم والتعلم[4]، ذكر ذلك الشماخي[5] بنفس المعنى.

وجه الاستدلال بهذين المثالين يتمثل في أن الجانب الوجداني في المثال الأول يتمثل في الحرص على النية، وأن الجانب العلمي يتمثل في حفظ القرآن باعتباره من العلميات العقلية التي تستهدف الحفظ من جهة، وباعتباره أيضا مرحلة أولى من مراحل التعلم كما سيأتي لاحقا. أما في المثال الثاني فيحتوي على تصنيف من أصحاب السير لنوع من المشائخ وهو صنف العلماء المشتغلين بالزهد دون العلم وهي حالة خاصة لأنها ذُكرت حالة واحدة منه فقط، يمكننا ذلك من استخلاص الصنف الآخر من العلماء الذين جمعوا بين الزهد والعلم وهو الغالب.

نظرا للطبيعة الكلية لهذا المبدأ فإنه من الصعب حصر ما يستند إليه من مبادئ في العقيدة، لكن لابأس من الإشارة إلى الأهم، وهو مبدأ الإخلاص لله تعالى، ومبدأ العمل بالعلم.

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 285.
2)الدرجيني، المصدر السابق، ص223.
3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص585.
4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص335.
5)الشماخي، المصدر السابق، ص655.

فالنية أمر لازم لقبول العمل، والتي تحتوي على التوجه بالقصد لله تعالى في ذلك العمل، فإن كان طلب العلم عمل خير، فلا معنى له من دون تقوى وقصد لله به. أما العمل بالعلم فإن الإباضية ترى أنه إذا وجب العمل وجب العلم، فإذا وجب الالتزام بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه وجب العلم بذلك.

الملاحظ في المثالين من حيث نوع الوجدان، أن المثال الأول يحتوي على السبب الذي يحقّق الوجدان الرادع، والذي يتمثل في الحث والحرص على عدم الفصل بين التقوى والعلم، وتربية الأبناء ومعاتبتهم ذلك حتى لا يخالفوا أوامر الله وهم يعلمون.

أما المثال الثاني فيحتوي على الأثر أو الثمرة الوجدانية الدافعة إلى التقرب والاجتهاد في العبادة، فهو نتيجة لوسط وجداني مفعم من جهة، و لإمكانياته الذهنية التي لم تسمح له أن يواظب على طلب العلم من جهة أخرى.

تتمثل أهمية التناغم بين الجانب الوجداني والجانب العلمي في أن العلم يوجه الوجدان، وأن الوجدان يدفع بالعلم إلى أرض الواقع، وهذا ما نلمسه في سيرة حياة العلماء الربانيين من قوة التأثير في الدعوة إلى الله، وعمق حياته ومواقفه التي عاش من أجلها.

هنا نسجل فرقا واضحا وشبها من أوجه الشبه بين المنهج الوجداني عند الإباضية وعند بعض الصوفية، حيث إن الفرق بينهما يتمثل في الفصل بين العلم والوجدان، وهذا ما يشبه موقف الشيخ الإباضي الزاهد في المثال الثاني، لكن هذا الأمر عند الإباضية استثناء وقصور في قدرات الشيخ منعته أن يكون طالبا للعلم إلى جانب زهده.

و الأمر مختلف عند بعض المتصوفة حيث يُعتبر ذلك عندهم مبدأ أساسيا في المنهج الوجداني، وهو ما يسمى بعلم الشريعة وعلم الحقيقة، يقول الشيخ الغزالي:(ولبعض الصوفية كلام يوهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر(...) وهذا كلام باطل لا ينطوي إلا على الفراغ و الدعوى... وليس في دين الله أهل شريعة أهل حقيقة)[1]

---

1)الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ص 121، 122.

يقول الشيخ الغزالي بلهجة صارمة في وجه أصحاب التدين المشوّه:(إن التدين الذي انكمش أمام إقدام العلم، وقبع مكانه ساخطا على ثمرات التقدم المدني، لا يستحق في نظرنا أن يعطى فرصة أخرى لتخريب الدنيا وشل نمائها)[1]

من الأهمية بمكان تنقية التراث من هذه التشوهات التي تربط المسلم المعاصر بتخلفه وتزيده شللا، و السعي لبناء الإيمان في نفوس الناشئة بما يجعله ساعيا نحو الرقي العلمي والشهود الحضاري في ظل التوحيد وعبادة الله تعالى، ولا يزال الإشكال عالقا عندما ألتقي أو أسمع بعالم مسلم في مجال تقني أو طبي، ثم أتساءل هل من علاقة بين تدين هذا العالم وما وصل إليه من علم؟ فيكون الجواب -غالبا- الدين حاضر ما بين أوقات العمل البحثي والاختراع لأداء الصلاة فحسب، أما كحضور في المنهج والغاية فهذا أمر آخر.

ج- التناغم بين الحياة الوجدانية و العمل الدنيوي:

يعتبر الجانب العملي وعلاقته بالحياة الوجدانية نتيجة للجانب العلمي والحياة الوجدانية، لأن الثاني يعتبر جانبا نظريا للأول، إذا كان التناغم واضحا بين الجانب العلمي والوجداني، فهل الوضوح نفسه موجود في الحياة اليومية للمشائخ؟ هذا ما سيحاول المثالان عرضه على سبيل المثال لا الحصر.

ذهب أبو الربيع سعيد بن يخلف إلى أبي محمد عبد الله بن الأمير يبحث عنه في منزله، فوجده مشتغلا بالحصاد في مزرعته وقد وضع رداءه، فلما أحسّ بأبي الربيع ذهب إلى ردائه فلبسه و أظهر بعض الاعتذار من ذلك. فسأله أبو الربيع:(ما في ذلك من بأس، أليس هو العمل من الحلال؟) فتحدث عن شيخه أبي صالح أنه كان وقت الحصاد حين يرفع الحصاد على ناقته، فإذا صادف وقت صلاة الضحى، أناخ ناقته ووضع عنها الحمل و ركع ركعاته ثم واصل سيره، وقال:(فهكذا يكون العمل في الحلال إذا لم يضرّ بعمل الآخرة)[2]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[1] و الشماخي[2] متميزين في عرضهما الحوار بطريقة واضحة.

---

1)المصدر السابق، ص 23.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 290.

و عن أبي محمد عبد الله بن محمد السدراتي أنه كان على سفر وكان إذا نزل ضرب خباه وهو مسكن من الوبر، ودخل فيه واشتغل بالعبادة وما يصلح به، وكان معه رجل حضري يتاجر في العبيد وشقّوا عليه، وكان كلما نظر إلى الشيخ قال: سبحان الله من خلص عبد الله من هذا البلاء وأراحه؟[3].

تم اختيار هذين المثالين مراعاة لتنوع الحياة المهنية التي كانت سائدة، أما المثال الأول عن مهنة الزراعة التي تمثل مهنة الأغلبية من الناس متوسطي الحالة المادية، وأما المثال الثاني مهنة السفر للتجارة وهي مهنة الميسورين والأغنياء، كما يتجلى الجانب الوجداني والمهني واضحا فيهما.

من الصعب كما مر في المثال السابق حصر الجذور العقدية لهذه الخاصية بسبب طبيعتها الشمولية الكلية، ومن الجذور العقدية: الإيمان بالله تعالى، و الوعد والوعيد، و القضاء والقدر. أما الإيمان بالله تعالى باستحضار عظمته خلال الاشتغال بالأمور الدنيوية. أما الوعد والوعيد بالرغبة والشوق الشديد للجنة فيظهر ذلك في المحافظة على فضائل الأعمال، و بالخوف الشديد من النار فيظهر ذلك في الحفاظ على الفرائض في خضم الأشغال اليومية، أو حتى المجاهدة في الخير للوقاية منها، إذ ورد عن سعيد بن يخلف المادغسني أنه حفظ (أنّ من غرس سبع فسائل من حلال في حلال حتى أخذن، فكلّ واحدة تسدّ عنه بابا من أبواب جهنم). وأما الإيمان بالقضاء والقدر باليقين في فضل الله وقدرته، وأنه لا ينال إنسان فضلا في الدنيا إلا بإذن من الله، وأنه لا دور للجهد في تحصيل الرزق وقضاء المآرب إذا لم يشأ الله.

يُعتبر الوجدان الموجود في المثالين ثمرة لبيئة إيمانية، حيث غذت في النفس وجدانا دافعا ورادعا، أما الدافع فإنه يتمثل في حصول الثواب ودخول الجنة ونيل الرفع عند الله تعالى بالحفاظ على النوافل، أما الرادع فإنه يتمثل في الخوف من النار ومن غضب الله بالحفاظ على الفرائض خلال العمل اليومي.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص236.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص593.

3) المصدر السابق، ص723.

تظهر قيمة البعد الوجداني لهذين المثالين في التوازن بين ما تفرضه الحياة من أشغال والحياة الروحية الوجدانية للمسلم، حيث نجد في التوازن شمولية في النظر إلى الحياة والدين، وأن الإنسان مهما كان حاله وشغله فهو في عبادة وصلة دائمة بربه، وهذا يؤدي بدوره إلى القوة المادية التي ينبغي أن تكون عند المسلم إلى جانب قوته الوجدانية، ومن المفيد الوقوف على كلام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر حول خدمة الدنيا للآخرة، حين زاره بعض أصحابه وكان قبل ذلك في هيئة محترمة ورفاهية، فرآه في ثياب رثة، فقال له:(ما هذا يا أخي؟ فقال له: نحن في زمان من فقد فيه دنياه فقد فقَد آخرته، وكان السلف في زمان من فقد دنياه لم يفقد أخرته، فالسعيد من احتاط على سلامة آخرته)[1]، حيث اعتبر أن لا نجاة في الآخرة إلا بالدنيا وما تفرضه من متطلبات.

هنا أيضا تجدر الإشارة إلى فرق واضح بين الجانب الوجداني عند الإباضية وعند بعض المتصوفة، حيث يعتقدون أن العزوف عن الحياة ومتطلباتها من تمام العبادة والزهد، و (نعرف موقف ديننا من هذه القضية، ولم تشع نزعات الرهبنة إلا في سيرة بعض المتصوفين الجهال)[2]

ما أحوج واقع أمتنا إلى الرؤية الشمولية المتوازنة للدين، وقد أعجبني كلام الشيخ الغزالي في معرض حديثه عن الأديان السماوية الثلاثة وأنها لا تتناقض مع متطلبات الحياة حين قال:(وقد كان محمد بشرا كاملا حين أسلم كيانه لله)، وحين حاول المقارنة بين القوة المادية التي وصل إليها الغرب بماديتهم حتما، والضعف المادي للمسلمين بسبب تصورهم العليل للدين من خلال كرة القدم، فقال:(ولقد كنت ألمح بأسى أن اللاعبين الأجانب في ميادين الرياضة البدنية أقوى من لاعبينا...حتى الحيوانات والطيور هناك أملأ من مثيلاتها لدينا! لم هذا الضعف؟ إنه للأسف بقية ذهول عن القيم المادية وآثارها البعيدة في الحياة)[3]، هذه النظرة الثاقبة والساخرة في آن واحد تبين لنا التشوه الذي لا يزال يلحق أمتنا، ولا يكون الحل إلا بتصحيح تراثها من ذلك، والكشف عن مزيد من مظاهر التناغم والانسجام.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص210.

2)الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ص 82.

3)المكان نفسه.

د- الحرص على عقد مجالس تذكير ووعظ خاصة بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الوجدانية الأساسية التي تكرّرت حولها الأخبار بشكل ملفت للانتباه عقد حلقات خاصة بالوعظ وخصوصا الترغيب والترهيب، والشيء الملفت للانتباه هذا التخصيص الأخير، لا شك أن لهذا الأسلوب جذوره وآثاره لذا اعتمد كأداة لتقوية الوازع الديني، من أجل الوقوف على تفاصيل ذلك تم اختيار المثالين التاليين:

حضر أبو صالح الياجراني مجلسا من مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر فأسهب الشيخ في الوعظ والتخويف، (فقال له أبو صالح: أليس يقال يا محمد الجنة في آخر الزمان أرخصُ من حمار دابر؟ قال: نعم. ولكن أرأيت إن وجدت في السوق جملا ينادى عليه بقيراط ولم يكن عندك، أنّى لك به)[1]، ذكر الدرجيني[2] و الشماخي[3] ذلك بنفس المعاني.

كان إسحاق بن أبي العباس بن محمد بن بكر يقرأ كتاب المواعظ على أبي زكريا يحي بن ييدير الوسياني فقال: أعيانا الثالث، قال: وما هو؟ قال: أن يخالف العمل اللسان الذي يصف والقلب الذي يعلم[4].

يتمثل وجه الاستدلال بهذين المثالين في موضوعهما، حيث إن الأول مجلس عقده الشيخ أبي عبد الله حول التذكير بالجنة والنار، أما الثاني مجلس لقراءة كتاب في الوعظ ومذاكرة فوائده.

الملاحظ في المثال أنه يتوفر على جذوره العقدية، وهو مبدأ اليوم الآخر وما يحتويه من وعد ووعيد، وما هذه المجالس إلا تذكير بهما.

يعتبر عقد هذه المجالس ومذاكرة كتب المواعظ فيها من الأساليب الأساسية لتنمية الجانب الوجداني داخل الإنسان بكل أنواعه الدافعة والرادعة والممجّدة، لأنه يتميّز بالتكرار والسماع والقراءة، كما أن الملاحظ في المثالين أنه لا أحد يستغني عن هذه المذاكرة ولو كان عالما، لأن محلّ

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 311.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص193.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص562.

4) المصدر السابق، ص669.

هذه المذاكرة الوجدان وليس العقل بأخذ معلومات جديدة، المثال الأول حول النار وعذابها، و المثال الثاني حول مجاهدة النفس في العمل الصالح.

تُعتبر قيمة هذه المجالس مهمّة جدّا في الحفاظ على الشدّ الروحي في المجتمع، لأن لها مهمّة التذكير بالدوافع والرّوادع والممجّدات الداخلية وتقويتها، مما يجعله على استقامة دائمة والتزام.

لكن قد يكون لهذه المجالس أثر سلبي حينما لا يراعى فيه التوازن بين الخوف والرجاء في الطرح، لأن الأثر سيكون بنفس الشدّة كما لو كان الطرح متوازنا، وهذ يظهر من اعتراض الشيخ أبي صالح على الشيخ أبي عبد الله حينما أسهب في التخويف، كما أن تخصيص مجلس معين للتخويف فقط أمر مخالف للمنهج التربوي القرآني، حيث إن القرآن كلما ذكر شيئا من الوجدانات الرادعة إلا وأردفها بوجدانات دافعة، (ومهما بحثت في كتاب الله تعالى فلن تقف على أي شذوذ لهذه القاعدة)[1] ، لكن ربما كان السبب في ذلك ظروف آنية فرضت نوعا من التركيز على ما يردع السامع عن المعصية.

أجرى أحد المشتغلين بحقل التعليم استبيانا في موضوع غرس القيم حتى يقف على تصور الأطفال لله تعالى، فكان من الإجابات أن الله تعالى شرطي مرور، من هذه الإجابة البريئة و من دون أي تكفير أو تفسيق طبعا نستخلص حاجة واقعنا إلى تقديم التصور الصحيح والمتزن لصفات الجمال عند الله وصفات الجلال والتذكير بها، كما ينبغي إعادة النظر في منهج بعض الحركات الدعوية التي تسعى إلى تصحيح العقيدة وتقويتها في نفوس الناس، ومناقشة منهجها في ضوء الرؤية الشرعية الشمولية للموضوع، حتى لا ينتج من ذلك إنسان مشوه في صحته النفسية، كما أن الغفلة عن هذه المجالس التذكيرية أمر لا يقل خطورة عن ذلك التشوه.

هـ- الحرص على الدعاء بشكل فردي و بشكل جماعي:

نالت أخبار الدعاء، وآداب الدعاء، واستجابة الدعاء، والحرص على طلب الدعاء من المشائخ قسطا كبيرا في كتب السير الثلاث، يرجع هذا إلى أهمية الموضوع عند الإباضية وأثره الوجداني العميق، وفيما يلي أمثلة توكد هذه الأهمية.

1)البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، ص 85

روى إبراهيم بن اسماعيل بن أبي زكريا عن جنون بن يمريان أنه قال لرجل تحرّك وقت الدعاء في المجلس عنده: من منعنا حلب ناقتنا بعد أن درّت[1].

ذكر الشيخ أبو الربيع سليمان بن شاكر الفطناسي عن الشيخ عيسى بن سجميمان أنه من حفر حفرتين لقضاء الحاجة فلا يخلطهما لأن ذلك يمنع إجابة الدعاء[2].

أصيب أهل أجلو[3] بوباء في سنة من السنوات فأضرّ بأهلها وبزرعها، فاجتمعوا على أن يصوموا الأربعاء والخميس والجمعة، ولما صلوا العصر يوم الجمعة ذهبوا إلى (محراب المقبرة، واجتمعوا عنده وقرأوا وتطوعوا بالمعروف، وعادتهم أن يحضروه ويدعوا، ثم حضرت صلاة المغرب وصلى بهم إمامهم أبو القاسم يونس بن أبي الحسن، فلما صلى دعا الله أن يرفع عنهم الوباء، ولم يصبحوا حتى لم يجدوا له آثرا)[4].

وجه الاستدلال في الأمثلة يتمثل في كونه يحتوي على مانع من موانع إجابة الدعاء في تصور الشيخ، وعلى مثال للدعاء الفردي والدعاء الجماعي. وحين نتأمل هذا الأساس في الجانب الوجداني وهذه الأمثلة له نجد أن من بين الأسس العقدية التي وراءها أساس الإيمان بأن الله تعالى محيط بكل شيء، وقوته فوق قوة أي شيء ونتيجة ذلك الالتجاء إليه رغبة ورهبة، وأساس العدل الإلهي أي أن الله تعالى لا يؤاخذنا بغير ما كسبنا، ونتيجة ذلك الاستغفار والتوبة بالدعاء، وأساس القدر خيره وشره من الله أي أن كل ما يصيب الإنسان إنما هو بتدبير وحكمة إلهية بالغة، والنتيجة دعاؤه في كل حال.

عند محاولة تصنيف الدعاء إلى سبب وأسلوب لإحداث وجدان داخلي فقط، أو إلى نتيجة وثمرة لسبب فقط فإنه يصعب ذلك، لأنه من جهة هو سبب وأسلوب لتحقيق التوازن الداخلي والقرب

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص702.

2) المصدر السابق، ص697.

3)أجلو، أو أكلو: هو بلد بني ورتيزلن في جهة وادي ريغ (قرب تجديت) في الجنوب الجزائري. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 825.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص263.

من الله تعالى، و من جهة أخرى هو نتيجة لتوعية إيمانية غمرت القلب فدفعت بصاحبه إلى الدعاء.

كما أن الوجدان الذي ينتج عنه في كلتا الحالتين مختلف قد يكون دافعا وقد يكون رادعا وقد يكون ممجدا. أما دافعا فذلك بسبب ما استقر في القلب من معاني رحمة الله والرغبة في رحمته، وأما رادعا فبسبب ما استقر في القلب من معاني عقاب الله وغضبه، وأما ممجّدا ذلك بسبب ما استقر في القلب حول عظمة الله وقدره.

وفي هذا الثراء تكمن أهمية هذا الأسلوب في تنمية الوجدان، وحين نتأمل الوجدانات الموجودة في الأمثلة السابقة نلاحظ أن الدعاء الفردي يعتبر رادعا عن التصرفات التي تتنافى والآداب الشرعية العامة، مثل تلويث المحيط عند قضاء الحاجة، والتزام آداب مجلس العلم.

كما تكمن أهمية الدعاء الجماعي في نشر جو من الراحة الإيمانية في المجتمع، لأنهم يجتمعون حول هم واحد ولرب واحد وبصوت واحد، وهذا الاجتماع على الدعاء يربط القلوب على طاعة الله تعالى وتجنب معصيته في المجتمع، لأن القحط إذا استمر سينال من الجميع.

من الملاحظات خلال البحث ارتباط الدعاء بوقت الأزمات إما الطبيعية أو البشرية، حيث تكثر أخبار كرامات استجابة الدعاء مثلا عندما يمر المجتمع بفترة اضطراب سياسي، لذا نستطيع القول بأنه يوجد ارتباط وتلازم بين البيئة التي يعيش فيها المسلم وبين علاقته الوجدانية بالله تعالى.

وإذا حاولنا اسقاط هذا على واقعنا فلا يمكن إلا طرح السؤال التالي: ما مظاهر تأثير الظروف الأمنية والتهديدات المحيطة بالمسلم المعاصر في العلاقة الوجدانية له بالله تعالى سلبا وإيجابا؟ وما هي المداخل الصحيحة لتوجيه هذه العلاقة وتمتينها؟

2) تربية الأبناء:

أفرد البحث عنوانا خاصا بالتربية نظرا لدور تربية الأبناء في البناء الوجداني للإنسان، وفيما يلي الخصائص الغالبة على الأخبار بشكل عام:

1. حرص الأولياء على صلاح أبنائهم و تعلمهم، من خلال التناصح بينهم في شأن أبنائهم، ومن خلال اصطحابهم معهم لتعليمهم إلى غير ذلك من مظاهر الحرص.
2. حسن التعامل مع الأولاد بما يدخل في قلوبهم المرح والحرص على الدعاء لهم بالصلاح.
3. حرص المشائخ على بداية الأمر والنهي في الأبناء والأهل أولا، بتقويم السلوك الخاطئ وحثهم على الخير.
4. الحرص على البحث على مؤدّب للأولاد و مربّ لهم.

تركز أهم الأخبار التي وردت في تربية الأبناء في الحرص على صلاح الأبناء عموما، وبوجه خاص البحث عن شيخ للأبناء، حتى نقف على مجمل ما ورد في الموضوع.

أ- الحرص على صلاح الأبناء:

عن أبي محمد عبد الله اللواتي قال:(وإنّ على الأب أن يعين ابنه على برّه، وقد قال أحد المفسرين في الذين سماهم الله أبرارا لأنهم برّوا الآباء و الأبناء)[1].

كان الشيخ سليمان بن علي بن يخلف كثير الإنفاق والكرم، فقال له أحدهم:" أبق لأولادك بقية، واتق الله فيهم" فقال: (إن يكونوا أولياء الله فإن الله لا يضيعهم وإن يكونوا غير ذلك فأنا أولى بمالي منهم)[2].

ورد عن أبي يحي توفيق بن يحي الجناوني أنه أخذه أبوه في ذراعه إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن مطكود، وطلب منه الدعاء له، فقال: عسى الله أن يجعله نور هذا البلد، وأعطاه رمانة كانت سبب تذكر الولد للموقف[3].

يتمثل محل الشاهد في الأمثلة السابقة في صفة الذين يبرون أباءهم وأبناءهم، وفي اهتمام المشائخ بصلاح أبنائهم وتقواهم، والحرص على الاستعانة بالدعاء في ذلك.

1) المصدر السابق، ص294.
2) المصدر السابق، ص343.
3)الشماخي، المصدر السابق، ص770.

توجد مجموعة من الأسس العقدية وراء هذه المواقف، منها اليقين في الله تعالى بالاستعانة به في تربية الأبناء بالدعاء، وأنه هو الذي سيرزقهم إن كانوا صالحين، ومنها أيضا استئناس الشيخ في المثال الأول بكلمة في القرآن الكريم عن صفة أهل الجنة وهم الأبرار، وأنهم اكتسبوا هذه الصفة بسبب برهم بالأبناء والآباء.

يعتبر الحرص على تربية الأبناء وتنشئتهم من الأسباب الأساسية لتنمية الوجدان داخل المجتمع، لأن هذه التنمية تحتاج إلى متابعة دؤوبة لا تملّ، وهو ما يمكن أن يتحقق للأب الحريص على صلاح ابنه. ومن ثمار البيئة الوجدانية الحريصة على الصلاح، أخذ الأبناء إلى العلماء والصالحين ليتعرفوا على قدواتهم من جهة، ولينالوا بركة الدعاء منهم أيضا.

يعتبر الاهتمام بالأبناء في تنمية الجانب الوجداني من أهم أسباب صلاح المجتمع والتزامه، لما ينتج عنه من أثر وجداني قوي، وهذا يعود الروابط العاطفية التي تجمع بين الأب وابنه، فيزيد الرابط الوجداني عمقا لهذه الروابط وأثرا واضحا في الشخصية.

والملاحظ في الأمثلة السابقة أنها تشير إلى أمور أساسية عميقة الأثر في التنشئة الإيمانية، منها أن العملية التربوية بين الطرفين تبادلية، أي مثلما يطلب من الابن أن يبر بوالديه، أيضا مطلوب من الوالد أن يبرّ بابنه، ومنها أيضا أن التربية الصالحة لا تقف عند حد توفير الظروف المادية، بل ذلك لا معنى له إن لم يكن فيه صلاح وتقوى، كما أن في الأمثلة إشارة إلى اصطحاب الأبناء لرؤية العلماء والتعرف عليهم، لأن ذلك يساهم في بناء القدوات في ذهن الابن منذ الصغر، وفيها أيضا إشارة إلى الجانب الغيبي في التنشئة وأهمية الدعاء في صلاح الأولاد، لأن الأمر من بدايته إلى نهايته بيد الله تعالى، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

في خضم ما يعيشه أبناؤنا من تحديات تعصف بكيانهم النفسي وعلاقتهم الوجدانية بالله بعد ذلك، يكون الأب في أمس الحاجة إلى منهج تربية أبوية وقواعد يلتزم بها مع أبنائه لمواجهة الخطر، ولا يمكن لأي جهة أن تعمل عمل الأب وتعوضه، سواء مدرسة، أو إعلاما، أو مراكز شباب، أو جمعيات ، وإن كانت مهمة ومساعدة، لكن دور الأب في التنشئة الإيمانية يبقى أساسيا، ويترك أثره في علاقة الابن بالله تعالى.

ب- البحث على مؤدب للأولاد:

قال أبو العزيز داود للشيخ أبي محمد ماكسن بن الخير مؤنبا عندما رحل إلى أريغ، ولم يبحث فيها لأولاده عن مؤدّب:(أقم هكذا يا ماكسن حتى تموت وتبيع أولادك كتبك، فأيقظه و علم إنما نبهه على أولاده فاستأجر مؤدبا يعلمهم)[1]، ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعاني.

كان أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور يربي ابنيه زكرياء ويوسف وابناء أخته أبي بكر بن يحي وسعيد بن يحي بمصاحبتهم له خلال أعماله اليومية، وقد أرسل الثلاثة الأوائل ليبحثا عن أبي عبد الله محمد بن بكر ليجلس لهم في حلقة ويعلمهم، وأمر بن أخته سعيد بن يحي أن يقعد معه ليساعده[3]، وقد ذكر الدرجيني[4] ذلك في معرض الحديث عن مبدأ تأسيس الحلقة.

يظهر وجه الاستشهاد بالمثالين في التناصح بين العلماء على شأن الأولاد بعد الموت، وحرصهم على تعليمهم عند مربين يحسنون تربيتهم، لا بأس أن نذكر باختصار واقعة المثال الثاني وقد وردت مفصّلة في الفصل الثاني، وأن التلاميذ الثلاثة سيبحثون عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر طويلا، ثم يجدونه ويلحّونه عليه في طلبهم، إلى أن يستجيب لهم بشرط أن يمهلوه أربعة أشهر ليضع فيها ضوابط نظام التعلم والتربية، وهذه هي بداية تنظيم حلقة العزابة الموجودة إلى الآن.

تتمثل الخلفية العقدية للأمثلة السابقة في الإيمان بما بعد الموت و باليوم الآخر من خلال دوام التفكير في مآل الأبناء بعد الموت، وتتمثل أيضا في مبدأ الأمر بالمعروف من خلال حثّ الأبناء على الإلحاح على العلماء ليجلسوا لتربيتهم و إرشادهم.

دون تكرار نوع الوجدان الذي ينتج من هذا الاهتمام أو يكون سببا له، لأنه هو نفسه في عنوان الحرص على الأبناء، لكن تم تخصيص هذا العنوان بالذكر لبروزه بين الأخبار من جهة ولأهميته التربوية من جهة أخرى، حيث إن الحرص على إرسال الأبناء لمؤدبين، تعتبر آلية من الآليات التربوية التي يستعملها المجتمع لضمان تربية قويمة لأبنائهم، لأنها محل التوجيه التربوي المتكامل الذي

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص255.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص606.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 259،260،263.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص169.

يكون على يد بصير بشؤون النفس وعللها، فيغرس فيهم مشاعر التمجيد والرغبة لله والرهبة منه بأسلوب متدرج متكامل، وهذا التكامل قد يفتقده الأب البسيط المشتغل بحاجيات المنزل اليومية، أو حتى العالم الذي لا يدرك خصائص الطفل وأساليب التدرج معه في تنشئته، إلى جانب كل تلك الأهمية فإن ربط الابن بمربّ كفيل بأن يقدم له القدوة الصالحة التي يقتفي أثرها، ويعود إليها عند الحاجة.

ما أحوج أبناءنا في هذا العصر إلى بناء قدوات قوية قويمة، خاصة وأن الآلة الإعلامية تقيم التماثيل وتهدمها وكل ذلك في إطار رسالة ومنهج للتأثير في عقول وقلوب الأبناء، والسؤال المطروح ما هي القدوات التي يراها أبناؤنا في الصلاح وتقديم الخير، و هل هي في نفس الجاذبية والتأثير مع تأثير لاعبي كرة القدم ورموز الغناء؟ وما أثر هذه القدوات المزيفة على الوعي الإيماني واليقظة الوجدانية لأبنائنا؟

3) ذكر المناقب وأخبار آخر الزمان:

الإنسان في حاجة ماسة للارتباط بماضيه وأسلافه، حتى يتعلم لحاضره دروسا تجعله أكثر خبرة، و حين يتعلق الأمر بالصلاح والتقوى والإصلاح فإننا سنجد في القرآن ما يؤكد ذلك بصورة قوية جدا، وهذا يتمثل في قصص الأنبياء، وكان من الممكن أن يقدم الله تعالى للنبيء صلى الله عليه وسلم ما أتى به الدين الجديد، ثم يأمره بتبليغه بقطع النظر عن أخبار السابقين في ذات المهمة، لكن لم يكن الأمر كذلك، فقد قال الله تعالى:﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾، من هذا المنطلق أُلّفت كتب السير واحتوت على المناقب وأخبار المشائخ السابقين. لكن هل كان لها الهدف نفسه الذي قصده القرآن الكريم بالأخبار؟ هذا ما سنجده في الميزات التالية، والسبب في الجمع بين مناقب المشائخ وأخبار نهاية الزمان، هو اقترانهما في الغالب الأعم في كتب السير، ونظرا أيضا إلى الأثر المشترك لهما على الجانب الوجداني للإنسان كما سيتضح لاحقا، وفيما يلي أهم الخصائص:

1. معظم مقاصد أخبار المناقب كانت حول نشر العلم والصلاح.
2. من أهدافها أيضا الدعوة إلى الاتباع والتمسك والتحذير الشديد من المخالفة والتهاون.

3. تعقد مجالس خاصة لهذا الغرض، وتزار قبورهم ومساجدهم وأماكن استشهادهم للتذكير بمناقبهم.

4. كثرة أخبار الرؤى التي تحذر بزوال الدين واقتراب نهاية الزمان بموت الصالحين.

5. ارتباط وثيق بين أخبار نهاية الزمان والهجرة بين المناطق الجغرافية للإباضية بالمغرب، والوضع الطبيعي والأمن السياسي.

أ- مقصد نشر العلم و الصلاح في المناقب:

كان أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي في زيارة لإحدى مناطق الإباضية فلما أراد الانصراف وقد جاء القرية خبر وفاة الشيخ أبي سليمان داود بن يوسف، فتردّد أهل القرية بينهم فيمن يخبره، فتقدم أحدهم فأخبره، فقال:(إنا لله وإنا إليه راجعون)[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] مضيفا ما ذكره بعد ذلك من تحسّر على اندثار المذهب من المغرب، وشدة الحرص والتضحية التي كان عليها الأوائل في سبيل الدين والعلم، وهو ما ذكره الوارجلاني مباشرة من دون تقديم.

ومما قاله الشيخ:(فقد الناس من مسائل الحلال والحرام والفقه أكثر مما فقدوا من مسائل الأصول والكلام والحجاج) وقد ذكر ذلك لأن ما يؤخذ من علم الفقه آنذاك كله من تلامذة الفقيد[3]، وذكر ذلك الدرجيني، و الشماخي[4] مع إضافة أنه بعد وفاة الشيخ أبي سليمان داود بن أبي يوسف أن رجلا رآه في المنام ، فقال له: (لعلك ظفرت يا شيخ؟ قال: نعم، ثم قال: قل للعزابة عليكم بالدعاء وقيام اليل والقيام بالمعروف).

وجه الاستدلال من المثالين السابقين هو التحسر على اندثار المذهب، والتذكير بالتضحية في سبيل الدين والعلم، إلى جانب توظيف الرؤيا من أجل تبليغ نصائح الشيخ حول الدعاء وقيام اليل والصدقة.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 368.
2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص262.
3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 368.
4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص262،263.

من الأسس العقدية وراء هذين المثالين: الرضا بالقضاء والقدر من خلال صبر الشيخ في الوهلة الأولى على خبر وفاة العالم، و الأمر والنهي بالتحسر والحرص على نشر الخير، الوعد والوعيد من خلال الرغبة في الجنة بالتذكير بالأعمال الصالحة التي كان الشيخ يواظب ويحثّ عليها.

عندما يسمع أيُّ مسلم خبر موتٍ خاصة، إذا كان عالما أو قريبا فإن ذلك يترك في القلب خضوعا وخشوعا، ويكون بذلك القلب جاهزا لتلقي الوجدانات بكل أنواعها، فنجد مثلا الوجدان الرادع في المثالين متمثلا في التحذير من التهاون في نشر الخير والتعليم، كما نجد فيه الوجدان الدافع المتمثل في المسارعة في الخير واقتداء المشائخ، وأما الوجدان الممجد فيبدو أنه في المناقب عامة من أجل الرفع من شأن العلماء وتمجيدهم والتزام الصلاح ونشر العلم بعدهم.

ويعتبر هذا النوع من الوجدانات من أهم الوسائل لاستثارة المشاعر وتجييشها نحو الخير والصلاح والالتزام، بسبب التعلق الذي في القلب بالعالم، وهذا الأمر يدفع بالسامع إلى مواصلة السير في خطه دون كلل أو ملل، مواجها بذلك الصعاب والعراقيل مثلما واجهها صاحب المناقب.

ب- مقصد التمسك والتحذير من المخالفة:

ذكر أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي بعد سماعه بوفاة أبي سليمان داود بن أبي يوسف أن أحد المشارقة أتى لزيارة عالم بالمغرب فسأل عنه فأخبروه بوفاته، و دلوه على ابنه لكنه ليس ممن يستحق الذكر، فذهب إليه ووجده مع النائحات، وقال:(إنا لله وإنا إليه راجعون...مصيبة الأخيار في أولادهم) وأضاف الدرجيني أنه ذكر ذلك تفجعا لوفاة الشيخ أبي سليمان الذي لم يخلف ولدا.

عندما توفي الشيخ أبو الربيع جعل ذلك العزابة متحيرين دامعين، فقال أحدهم:(أخرجوا هذا عن أنفسكم فإنه قليل عنكم وعليكم بالحفظ والتمسك بما سمعتم وحفظتم من ذلك...)وذكرهم بكلام لأبي الربيع يشير فيه إلى الحفاظ على الدين بالمهج، إذ ذكر أن ابراهيم بن ابراهيم دفع لغلام دينارا ليوصله لرجل آخر، فقال له ابراهيم:(إياك أن يقع منك)، فقال الصبي: تقع هاتان —

يعني عينيه – ولا يقع يا عماه) إشارة إلى أن يحملوا الأمانة من بعده مثل حملهم لأعينهم[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس المعاني مع اختلاف العبارة.

عن فلفول بن يحي قال:(لما مات أبو عبد الله محمد بن بكر قلت للمشائخ: اقتفوا بنا آثاره مادامت جديدة غير مندرسة، قالوا مهلا عليك، فساعدتهم حتى عفا الأثر، ودرست السّير)[3]، ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعاني.

وجه الاستدلال في الأمثلة السابقة تتمثل في التحذير من الضلال عن سير الصالحين، والحث على اتباع آثارهم، لا الاكتفاء بذكرهم والبكاء عليهم.

وراء هذه الأمثلة عدد من الأسس العقدية، لعل أهمها: ولاية الصالحين واتباعهم، إذ يعتقد الإباضية أن من عُرف صلاحه وجب ولاؤه، ومن عُرف زيغه وجب التبرؤ منه، ومن جُهل أمره وجب التوقف في حقه. وأساس المصير بالتفكير في صلاح الأبناء فيما بعد الموت. ومن الأسس العقدية أيضا الإيمان بالله والتقرب إليه بالاقتداء بالصالحين والتضحية في ذلك.

لا تختلف نوع الوجدانات كثيرا عما ورد في العنوان السابق لأن الفرق بينهما في المقصد أما الدافع فهو مشترك بينهما، لكن الملاحظ في هذا المقصد أنه يغلب عليه الوجدان الرادع، وهي وسيلة تترك في النفس خوفا وحذرا من المخالفة والخروج عن منهج العلماء السابقين.

لهذه الأخبار وقع شديد على النفس، لأنها تكون في لحظة الحديث عن موت عالم، وهي لحظة خشوع كما سبق، لكن الأثر الواقعي الذي ينتج عنه له جانبان، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، أما الإيجابي فإنه يتمثل في الالتزام والتمسك والمجاهدة في اقتفاء آثار الصالحين ومناقبهم، أما الأثر السلبي فإنه يتمثل في أن هذا الأسلوب يؤدي إلى التعصب وعدم القابلية لتصحيح الخطأ إن وجد، وكأنه قفل على العقل من مدخل القلب، يمنع فتحه، ويُتهم في دينه كل من يحاول اختراقه. وهذا الجانب السلبي ينتفي حين يسبق العقل والتحليل عمل القلب و الوجدانات.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 375.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص252.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص277.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص624.

ونحن في أمس الحاجة إلى الجرأة العلمية والتنقيب بالمنهج الصارم في ثنايا صفحات تاريخ علماء، ونتعرف على كل علمائنا من كل المذاهب، ونقر لهم بالفضل في كل ما أصابوا مهما كان انتماؤهم، وبكل احترام نبين مواطن الزلل والخلل في منهجهم وتصوراتهم، ولا يتم ذلك إلا بعرضها عرضا صادقا على منهج القرآن ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تنزيل القرآن في الواقع في جو من المعرفة والتعارف والاعتراف. لنتمكن بعد ذلك من توظيف هذه المناقب وعرضها بشتى الوسائل الإعلامية حتى تتمكن الأجيال الصاعدة من معرفة أمجادها العظام وتفتخر بين الأمم لتواصل الإنجاز والبناء والإصلاح.

ج- أخبار نهاية الزمان من خلال المرويات و الرؤى في المنام:

رأى رجل في المنام أنه ذهب إلى زوجة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر يسألها عنه، وبينما هما يتكلمان إذ أقبل الشيخ كحيل العين على فرس أدهم (ناعم الوجه،(...) فقال له: امض بنا. فقال: يا شيخ لست ماض بعد، فنظر إلي فقال: تركته للناقضين الذين يموت الدين على أيديهم، فتوجّه نحو المشرق)[1]، وأضاف المحقق على الهامش:(يبدو في العبارة نقص ولعل الصواب هكذا: قلت لمن تركت المذهب، فنظر إلي فقال....)، وقد ذكرها الوارجلاني بشكل غامض.

خرج أبوعبد الله محمد بن بكر باحثا إلى جهة القبلة مع بعض الناس عن أرض جوغراف، وقد أهمّه أمرها كثيرا، فذهب مشائخ من وارجلان ليردوه، فوافق وصولهم إليه رؤيا رأتها ابنة الشيخ أبي القاسم يونس بن وزجون الويليلي في منامها، إذ قيل لها:(أن قل لهذا الشيخ يرجع لئلا يُفارق) وعادت عليها الرؤيا لثلاث ليال، فرجع وقال لأبي الربيع:(لعلهم يحسبون هم الذين ردّوني لا، ولكن هاته المرأة التي رأت الرؤيا من أجلها عُدت)، وقد عارض خروجه الشيخ وارسفلاس[2] قائلا:(ما لمحمد ولهذا السير؟ يقولون : لا يبيت المسلمون فيه إلا ثلاث سنين)[3].

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص203.

2)هو أبو محمد ورسفلاس بن مهدي، إمام بن إمام، من زريق، وقيل من ويغو بنفوسة، النصف الأول من: (ق05هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 964.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 380، 381.

قال أبو صالح بكر بن قاسم اليراسني:(يأتي على الناس زمان يودّ الرجل من يأكل له طعاما فلا يجده، ويود من يستشيره في أمر دنياه فلا يجده، ويود من يرفع إليه أمر النازلة إذا نزلت عليه في أمر آخرته فلا يجده، لا لقلة الناس، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليمسك ويلزم ما بلغه وحفظه من دين الله ويعضّ عليه بالنّواجذ، وينشب الأظفار فيه لئلا تحول الحوادث بينه وبين ذلك) وأضاف أن ذلك يشبه ما ذكره ابن مسعود:(ما شبهت ما غير من الدنيا إلا كثقب ذهب صفوه وبقي كدره، إنكم لن تزالوا بخير إذا أحس أحدكم من نفسه شيئا فوجد من هو خير منه، فمشى إليه فشافه منه، والله ليوشك أن يُلتمس ذلك فلا يوجد)[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] من دون أن يذكر كلام بن مسعود.

وجه الاستدلال من هذه الأمثلة: دور الرؤيا المتمثل في التحذير من موت الدين نهاية الزمان، وخروج الشيخ أبي عبد الله باحثا عن أرض جغراف التي يقال إنها أرض نهاية الزمان، وأخذه بالرؤيا في رجوعه عن عمله، ومظاهر نهاية الزمان المتمثل في نقص الخير مقارنة بالشر.

تمت الإشارة في بداية الفصل إلى أن البحث لا يعنى بالتحقق في صواب المسألة أو خطئها، وإنما في الأثر الوجداني المترتب عليها فحسب. لذا سنعرض أهم المبادئ العقدية الكبرى التي وراء هذه التصورات، ويبقى التحقق في المبادئ الفرعية الأخرى مهمة بحث آخر غير هذا، ومن المبادئ الأساسية الإيمان بالقدر خيره وشره أنه من الله، وذلك بالاعتقاد أن كل ما سيحدث نهاية الزمان بأمر من الله وحكمة منه يفرض التصرف فيه وفق طاعته ورضاه.

من المبادئ العقدية أيضا مبدأ الولاية والبراءة من خلال أثر هذه الأحداث في العلاقة بين الأفراد، حيث يعمّ البلاء فلا يجد المسلم من يوالي، كما أن لمبدأ اليوم الآخر حضوره القوي المتمثل في أن كل هذا الحذر من أخبار نهاية الزمان من أجل النجاة في الآخرة.

يظهر جليا أن مثل هذه الأخبار والمرويات تعتبر من الوسائل والطرق المهمة جدا في إثارة الوجدان الرادع على وجه الخصوص، لما تحتويه من شحن الخوف القوية من النهاية المأساوية للعالم، فتدفع

1) المصدر السابق، ص 366.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص180.

الإنسان إلى الترقب والحذر و اتباع العلامات والالتزام بما تمليه عليه النصوص من إرشادات سلوكية.

من الآثار السلوكية والاجتماعية المترتبة عن هذه الشحن من خلال المثال الأخير الحرص على طلب العلم و تحري الصواب من العلماء، والإنفاق وتقديم الصدقة في سبيل الله تعالى والتمسك بالدين أشد التمسك، و هذا يجعل المسلم متمسكا بدينه ساعيا إلى طلب العلم وغير ذلك من الإرشادات الأخلاقية بسبب الحذر الدائم من علامات الساعة كلما انتشر شر.

لكن المشكلة الأساسية من وراء هذه الأخبار بعد مشكلة التأكد من ثبوتها هي ما يترتب عنه من المشاعر السلبية التي تغمر الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، حيث كلما رأى المنكر بدأ يعم مكانا إلا ولجأ إلى مثل هذه التفسيرات الغيبية، فتجعله لا يفكر في الإصلاح والتغيير، وإنما يفكر في النجاة بنفسه وبدينه، لأن ذلك أمر محتوم، ولا يمكن مواجهته وبه ستنتهي الدنيا، مثال ذلك ما ورد في الرؤيا التي رآها الشيخ أبي عبد الله في المثال الأول (تركته للناقضين الذين يموت الدين على أيديهم، فتوجّه نحو المشرق) وما ورد أيضا في المثال الثالث عن الشيخ أبي صالح (فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليمسك ويلزم ما بلغه وحفظه من دين الله ويعضّ عليه بالنّواجذ)، وأتصور أن هذه المرويات والتصورات غلّبت جانب الخوف والحذر أو العواطف الرادعة في الشخصية الإباضية مقارنة بمشاعر الرجاء و الحب أو العواطف الرادعة والممجدة.

نظرا لأثر هذه الأخبار على الجانب الوجداني للمسلم ينبغي غربلة التراث منها وتمحيصها والتأكد من ثبوتها و دلالتها، ووضعها في السياق المناسب لها بما يدفع المسلم إلى أن يؤدي رسالته التي خلقه الله من أجلها بالشكل الذي طلبه منه جل وعلا، خاصة ما يتعلق بالرؤى والأحلام، لأن الخبر عندما يُقرأ في كتب السير لا يستفاد منه فقط مضمون الخبر، بل حتى طريق ثبوته، فتَأخذ بذلك الرؤيا قوة حجّيتها من كتب السير، فتكون بعد ذلك يقظة الإنسان بوحي من منامه.

4) الكرامات:

غير بعيدة عن أخبار الرؤى في كتب السير ترد أخبار الكرامات، و بالرغم من حرص البحث على عدم الدخول في الحكم على الموقف بالتركيز فقط على الأثر يبدو أنه من الضروري الحديث بعض

الشيء عن موقف الإباضية من موضوع الكرامة لما فيه من تطور في الموقف، ثم بعد ذلك الحديث عن الأثر الوجداني والواقعي، لأن أثر هذه الأخبار حتما موجود في واقع الناس الذين يدرسهم البحث ما دام أنها قد ثبتت في كتب التاريخ الأساسية للإباضية، و من المفيد عرض أهم المقاصد التي تهدف إليها أخبار الكرامات، ليتضح أكثر أثرها الإيجابي والسلبي على الواقع.

من خلال مختلف الأخبار في الكرامات ظهر أن أهم مقصد هو تعظيم قيمة مشائخ المذهب في أعين الناس حتى لا يميلوا عن المذهب، وفيما يلي المقاصد المندرجة تحته:

1. قيمة الدعاء في حياة العلماء، واستجابة الله تعالى للمتقين.
2. قيمة الاجتهاد في العبادة و الذكر و النوافل.
3. المسارعة في الصدقة، و إكرام الضيف.
4. التحذير من مخالفة إرشادات المشائخ في الإصلاح الاجتماعي.

أ- أمثلة عن الدعاء والاجتهاد في العبادة من خلال الكرامات:

كان زكرياء بن فيصل بن أبي مسور مع قافلة فتعب من السفر ونام حتى ابتعدت عنه القافلة، فلما استيقظ دعا الله فقال:(يا صاحب كل غريب، و يا مؤنس كل وحيد، و يا قريبا غير بعيد، اجعل لي من سفري هذا فرجا ومخرجا)، فرفع بصره فرأى عمودا من نور ساطع في الهواء فتبعه حتى وصل إلى الرفقة[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] بنفس الصيغة.

ورد أن جماعة من العزابة مرّوا على أبي صالح الياجراني ودعاهم للمبيت، وكان يتعبد في غيران بني أجاج[3] خارج وارجلان، فأخذ العزابة في الليل بالقراءة وكانت الجنّ تكرر نهاية ما يقرأون ولا يرون أحدا، وذلك دأبهم مع أبي صالح[4]. وأضاف الدرجيني[5] قائلا:(ولعلهم من مؤمني الجنّ تأنسوا بأبي

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 261
2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص191.
3)غيران بني أجاج موضع للدراسة قرب وارجلان. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 863.
4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 311.
5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص193.

صالح، وتأنس بهم، لأن من هرب من الناس وتوحش منهم تأنس بما يتوحشون منه)، وأخذ عنه الشماخي[1] نفس الكلام.

ومما يذكر له أيضا أنه يوقد له في الغار مصباحان، إذ يقول:(قد ذهبت البراهين والبركات، فلم يبق منها غير مصباحين يوقدان لي في الغار واحد عن اليمين في ناحية المغرب وآخر عن الشمال على شرق الغار)[2] ذكر ذلك الدرجيني[3] و الشماخي[4].

ب- أمثلة عن قيمة الصدقة وإكرام الضيف من خلال الكرامات:

عن أبي عبد الله محمد بن بكر أنه وجد كبشا في العريش، وكان قد أتى إليه مشائخ ضيوف ولم يكن له ما يذبحه لهم، فلما أتى الرّعاة أخبروهم بأنه قد هبت زوبعة وفقدوا كبشا كبيرا[5]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[6] بنفس المعاني، أما الشماخي[7] فقد ذكر ذلك معلقا على أن الحكاية رويت عن جماعة ممن لا يردّ ما ذكروا، وأن مثلها لأبي عبد الله لا تنكر.

كان لأبي صالح الياجراني دين عشرة دنانير لرجل في مكان قضى فيه سبع سنوات استلفه لضرورة، فلما عاد إلى مدينته وجمع المال وأراد إرجاع الدين لصاحبه، بينما هو في الطريق وجد قوما يتساهمون في معروف لإزالة فاقة ألمت بهم فوجدها فرصة فائتة، فشارك بدينار ولما وصل إلى صاحبه عدّ الدراهم فوجدها عشرة كاملة فعلم أن ذلك من الله[8]. ذكر الدرجيني[9] أنه استخار الله

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص563.
2)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 312.
3)الدرجيني، المصدر السابق، ص193.
4)الشماخي، المصدر السابق، ص563.
5)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 273.
6)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص198.
7)الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص 570.
8)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 312.
9)الدرجيني، المصدر السابق، ص194،195.

في مساهمته، وأورد الشماخي[1] قول الله تعالى:﴿ **وَمَا تنفقوا من شيء فهو خلفه لكم وهو خير الرازقين**﴾[2].

يختلف الإباضية المتأخرين عن المتقدمين في قبول الكرامة، حيث إنها غير موجودة عند الأوائل في مجال الرواية والفقه(فلا تجد كرامة تروى عندهم عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولا عن جابر بن زيد، أو أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة(....)ثم بعد ذلك بقرون بدأت تطفو على السطح أساطير الكرامات وتتداول في الأوساط الشعبية، ثم تطورت لاحقا إلى التدوين في كتب محترمة من قبل علماء لهم وزنهم ككتاب الطبقات للدرجيني والسير للشماخي وتحفة الأعيان للسالمي)[3].

ترتبط الكرامة بمباحث في العقيدة منها اعتقاد الإباضية بتلازم العلم والعمل ونفيهم الإرجاء، وهذا جعلهم ينكرون ما لا يفيد العلم، وأن الولي لله هو الطائع وليس مرتبة مخصوصة بخرق العوائد[4]، و أن المعجزات لا تقع إلا للنبي بدليل قطعي، لذا لا يمكن التصديق بأي شيء غيبي إلا بدليل قطعي أيضا.

كما يتعلق أيضا بمشيئة الله تعالى كمبرر للذين يؤيدون الكرامة، حيث إن الإباضية يستعملون موضوع المشيئة للجمع بين إرادة الله تعالى وإرادة العبد، مثلما هو في الوعد والوعيد والهداية والضلال أن الله تعالى يهدي ويدخل الجنة من شاء أي: من أخذ الأسباب التي أراد الله أن تؤدي به إلى الهداية والجنة، لكن الذي حصل أن من متأخري الإباضية من استعمل المشيئة في باب الكرامة، وأن الله يفعل ما يشاء[5].

أما بالنسبة للآثار الواقعية للكرامة فنجد أن من الأسس العقدية التي خلف مقاصد المواقف الواردة في عنوان الدعاء والاجتهاد في العبادة من خلال الكرامات الدعاء بأسماء الله الحسنى، وعبادة الله والرغبة إليه باليل، و الإيمان بوجود الجنّ وعلاقتهم بالإنس، أما في المجموعة الثانية فإنها

1)الشماخي، المصدر السابق، ص563.

2)البقرة، الأية:272.

3)العدوي، خميس بن راشد و الوهيبي خالد بن مبارك، الإيمان بين الغيب والخرافة، ص 180.

4) المصدر السابق، ص 179.

5)العدوي، خميس بن راشد و الوهيبي خالد بن مبارك، الإيمان بين الغيب والخرافة، ص 182.

تتعلق في عمومها بالرغبة في الجنة بالحرص على الإكرام والإنفاق، وبالخوف من النار بالحرص على إرجاع الدين لصاحبه.

تعتبر أخبار الكرامات في وسائل إثارة وجدان، وذلك بتوظيفها للتأكيد على القيم المشار إليها آنفا، من خلال إثارة العاطفة الرادعة إن كان الأمر يستلزم الامتناع مثل التحذير من مخالفة المشائخ والتحذير من التهاون في المداينة، وإثارة العاطفة الدافعة إن كان الأمر يستلزم العمل مثل الاجتهاد في الطاعة وإكرام الضيف، والعاطفة الممجّدة إن كان للإشادة بأحد، و غالبا ما توجه التمجيد إلى العلماء حتى يسهل الانقياد والطاعة، يقول الدرجيني في ذات المقصد:(وقد استمرّت عادة أصحابنا أن أول ما يمرّن عليه المبتدئ إذا وصل السكينة و الوقار وتعليم سير الأسلاف لتكون لهم على اتباعهم معينة، فإذا اكتسى تلك الحلة قلما بدّلها)[1].

وتعتبر رواية الكرامات وتداول أخبارها أيضا نتيجة (للظروف المجتمعية القاسية والأوضاع السياسية التي قمعت وقهرت الشخصية، وظهرت الكرامة نتاجا يجسد آمالا ورغبات خاصة في تحقيق الذات) الفردية والجماعية، من ذلك وجود عدد كبير من أخبار الكرامات ما بين القرن الخامس والسادس، لأن المجتمع الإباضي خلالها في مختلف مناطقه بالمغرب يقاوم تهديدات منها الطبيعية ومنها البشرية، ويتأقلم تدريجيا مع الحالة الجديدة التي اختارها بسبب الأحداث السياسية كما سبق.

للكرامات أثر وجداني و واقعي قوي إجابي و سلبي، أما الإيجابي يتمثل في الاقتداء بالصالحين في عبادتهم واجتهادهم والحرص على اتباعهم، أما السلبي يتمثل في التمجيد الذي يوجه إلى العلماء، مما يحدث ثقلا وجدانيا يمنع النقد و التفكير والتصحيح، كما أن انتشار أخبار الكرامة في المجتمع يعوِّد الإنسان على الدافع الوجداني الوهمي الأسطوري بدلا عن الدافع الغيبي الثابت في القرآن الكريم والسنة القطعية، أو في أحسن الأحوال يضعهما في نفس المرتبة من الدافعية، وشتان بين هذا وذاك.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص02.

أصاب المجتمع الإباضي الضعف والوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية في بعض الحقب، حيث(وقعت جماهير الأمة فريسة مظالم الاستبداد والإرهاب السياسي والترهيب الفكري(...) إن من الطبيعي أن يجنح مثل هذا الإنسان في غمار عجزه وآلام معاناته صوب الخرافة والشعوذة)[1].

صحيح أننا في حاجة ماسة إلى باحثين يتسلحون بآلة العلم والنقد الفكري لتنقية التراث مما يعطل طريق سيرها نحو الشهود الحضاري، خاصة إذا تعلق الأمر بصحتها النفسية ودافعيتها نحو الانطلاق والفعالية، إلى جانب ذلك أيضا التفكير في الحد مما يغذي الفكر الخرافي ويدمر الصحة النفسية بالوساوس والأخيلة المتعلقة بالمخلوقات الفضائية والجن والملائكة وقوى الخير وقوى الشر ما يتلقاه غالب المجتمعات العربية من برامج تلزيونية، سواء الموجهة منها للكبار مثل أفلام الرعب، أو الموجهة إلى الصغار كالرسوم المتحركة التي تنطلق من رؤية مشوهة عن العالم الغيبي للإنسان، وبين الخرافات التاريخية والإعلامية اتفاق يتمثل في زرع الرهبة والخوف من خلال بناء عالم من الخيال المخيف المرعب في شخصية الإنسان، وإذا ما دمّرت شخصية الإنسان بالهواجس والمخاوف فكيف بها أن تملك الدافعية الوجدانية المتوازنة إلى الخير والشهود الحضاري؟

ثانيا: العلم والعلماء

1) التعلّم والتعليم:

نالت أخبار التشجيع على العلم و تبجيل العلماء قسطا وافرا في كتب السير، و بعد الجمع والحصر الذي تم تبينت مجموعة خصائص عامة تميزها من زاوية وجدانية تتمثل في:

1. ارتباط العلم بهدف تثبيت الناس على مبادئ الدين، والعمل بأحكامه.
2. منهج التعليم يبدأ بالرقائق وذكر آداب الصالحين، ثم المجالات الأخرى.
3. التوفيق بين طلب العلم والاشتغال بالتجارة.
4. زهد العلماء في حياتهم لأجل طلب العلم والتعليم.
5. عدم الفصل بين تربية الفرد من جميع جوانبه وبين تعليمه.

---

1)أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ص 83.

6. التعاون بين المشائخ في تقاسم مجالات التعليم بينهم و أعبائه.

7. الحضور البارز للمرأة العالمة بين أقرانها العلماء، و الذين يبدؤون طلب العلم في سن متقدمة.

8. من نظام المدارسة قراءة كتب العلم بعد الصلوات المفروضة.

9. ارتباط أخبار الجد والمثابرة في طلب العلم ومواجهات الاعتداءات وغارات القبائل.

وفيما يلي تحليل لأهم الميزات:

أ- ارتباط العلم بالتثبيت على المبادئ والعمل بها:

- ورد أن زكرياء بن فيصل بن أبي مسور خرج هو وأخوه ليبحثوا عن الشيخ أبي عبد الله ويرافقوه بطلب من أبيه، فمرّوا بقرية لم يبق فيها إلا عالم واحد يدعى يصلتين[1] مع النساء والأطفال على مذهب أهل الدعوة، فطلب منهم أن يجلسوا ويعلّموا الناس معه لكيلا تنقلب القرية كلها عن أهل الدعوة، فأجابوا لما طلب بعد أن رفضوا، وكان (كلما حضر الطلبة عنده على كرامة واجتمعوا في وقت، أحضر النساء والأطفال فقال: لهم هذا دينكم وهؤلاء أهل دينكم، كل ذلك ليتمسكوا ببعض دينهم ويكونوا على ثقة من مذهبهم)، فلما فرغوا وأرادوا الانصراف لمواصلة بحثهم عن الشيخ وهم لا يعرفون أين يجدونه، فإذا بهم يلتقون معه على مقربة من القرية التي كانوا فيها، و قال أحدهم: "ما ظننت مصادفتنا له، لأننا لا نعرف موضعا هو فيه، إلا لموافقتنا ليصلتين وإدخال السرور عليه وعلى النساء والأطفال"[2]، وألحوا على الشيخ أبي عبد الله إلحاحا شديدا حتى رضي لهم، وقد ذكر ذلك الدرجيني[3] بصيغة أخرى ونفس المعاني.

1)أبو محمد يصلتين الكباوي، من كباو بجبل نفوسة، نشأ في أحضان أم قاسية لم تهتم به كثيرا، كان فقيرا نحيل الجسم ضعيفا، تخرج على يده جمع من العلماء، له أقول فقهية ذكرها الشماخي، (ق04هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1027.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 265

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص170، 171.

- أراد جماعة بـ تمولست[1] مغادرة الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطرمسي إلى جبل دمر[2] لدراسة الكتب، فقال مثبتا إياهم ليواصلوا طريقهم ولا يتراجعوا:(إن مضيتم إلى أهاليكم على هذه الحالة فأنتم كمن ترك الإسلام عمدا)[3]، ذكر ذلك الدرجيني[4] و الشماخي[5] محذرا إياهم من إماتة الدين.
- قال أبو عبد الله محمد بن بكر محرّضا على الاجتهاد في تعلم مسائل الكلام لتحقيق العبودية الحقيقية:(أنظروا في هذه المسائل، يعني التوحيد والكلام والحجّة، لئلا تعبدوا غير الله وأنتم تصومون وتصلون)[6].
- قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن مانوج للشيخ ماكسن بن الخير حين كان ذاهبا إلى جربة حين سأله:(في أي باب أنظر أمن علم الكلام أم الفقه؟ قال: فقال لي: أنظر في الكل أي بني، فإنك تحتاج إلى ذلك كله. قال: فقلت له: إن لم يحتمل ذهني ذلك كله؟ قال: دينك إذا أي بني)[7]. وقد ذكر ذلك الدرجيني[8] وبين أن الشيخ يشير إلى أولوية علم الفروع، وذكر الشماخي[9] أيضا ذلك باختصار مؤكدا أن الدين هو علم الفروع.

---

1)تمولست: يسمى حاليا بـتملست، في جبل دمر، 17كم جنوب تيطاوين، وسط بلاد تسكنها القبائل الوهبية من زنزفة ولماية ومزاتة، وقد كانت في القرن الخامس هجري مركزا لمقاطعة جبال تمولست. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 841.

2)دمر: جبل في الجنوب الشرقي من البلاد التونسية، بين جبلي مطماطة شمالا ونفوسة جنوبا، يسكنه البربر الإباضية من لواتة وزاغة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 849.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 372.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص250، 273.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص604، 621.

6)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 384.

7) المصدر السابق، ص 286.

8)الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص223.

9)الشماخي، المصدر السابق، ص585.

وجه الدلالة في الأمثلة السابقة تتمثل في التشديد في تحميل المسؤولية لطلبة العلم على تعليم الناس المبادئ وتربيتهم، والحرص على طلب العلم للعمل به، ويعتبر اهتمام العزابة بالتربية والتعليم لأنها من الأمور التي تحفظ دعوتهم وتنشرها[1].

وراء هذا النماذج أسس عقدية منها الوعد و الوعيد متمثلا في الرغبة في الجنة بالاجتهاد في طلب العلم وتعليمه الناس، والرهبة من النار بالحذر من التقصير في العلم لأنه يليه التقصير في العمل، ومن التقصير أيضا في نشر العلم، ومن الأسس أيضا الأمر و النهي، إذ يعتقد الإباضية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، والأمر والنهي مرتبط بالعلم.

يُعتبر الوجدان الذي وراء طلب العلم وتعليمه و الحثّ على ذلك من نتائج المبادئ العقدية التي ذكرت آنفا، فهو نتيجة الوجدان الذي يكون في النفس بالرغبة في الجنة والتمثل بصفة من صفات الله وهي العليم فيكون بذلك وجدانا دافعا، ونتيجة الوجدان الذي يكون في النفس بالرهبة من النار والخوف من التقصير في أداء التكليف الشرعي.

كما يُعتبر أيضا طلب العلم من الوسائل والأسباب الأساسية للرفع من مستوى الإيمان واليقظة الوجدانية في المجتمع، لأنه به تزول الوساوس وأسباب التشوه التي قد تعتري الحالة الإيمانية.

للعلم دور أساسي جدا في الحياة الدينية والحالة الوجدانية للفرد الإباضي، لأنه مظهر التناغم بين قوة الدليل وقوة العاطفة، ويظهر ذلك في العمق الذي يصبغ حياة العالم، فلا تكون حياته مجرد علم خال من الدافعية للعمل، أو هيجانا عاطفيا من دون قيد ودليل، ومن ذلك ما يؤكد عليه المثالان الأخيران حول أولوية علم الفروع لأنها الجانب العملي التكليفي من الدين، وضرورة مسائل علم العقيدة لأنه يكسب الحجة ويحقق العبادة عن علم.

كما يتجلى دور العلم أيضا في الشمولية التي تصبغ حياة الفرد، فتجد الفرد الزاهد العابد البكّاء هو نفسه العامل في حرثه أو المتاجر في قافلته، ونتيجة لهذا نجد أن أية قرية تزدهر حين يحل فيها عالم وينظم فيها حلقة، لأنه سبب التوازن الذي يكون في شخصية الفرد، ويكون بعد ذلك قبلة الناس والزائرين، وبعد ذلك ممرّ القوافل والمسافرين.

1)خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص65.

نظرا للشقاق الذي نشأ بين المسلمين والأوضاع الاجتماعية و الدينية التي كان المغرب يتميز بها، فإن الملاحظ في بعض الأخبار في هذا المجال أنها تتميز بشحنة وجدانية سلبية تتمثل في مواجهة المذاهب المخالفة ومسح آثارها من أذهان الناس لتحل محلها المبادئ المذهبية أو تعود، وكان ذلك من الدوافع الأساسية في نشر العلم والدعوة، و هذا في نظري يعود إلى أسباب عديدة متداخلة منها العلمية والفكرية و منها التاريخية التي تحتاج إلى من يكشف عنها ويعترف بها ويعرف بها، حتى لا يكون العلم مفرقا للجهود، وإنما دافعا إلى الخير مقويا للجماعة المسلمة مثلما كان عليه أول أمره، وتعود بذلك الأمة الإسلامية إلى قوتها وألقها.

ب- البداية في منهج التعليم بالرقائق و آداب الصالحين:

- كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سودرين[1]يتعاون مع علماء آخرين على تخريج الطلاب، ومنهجهم في ذلك تكون البداية بالرقائق والسير وآداب الصالحين عند أبي يعقوب محمد بن يدر الدرفي[2]، ثم يحفظون القرآن واللغة والإعراب عند الشيخ محمد بن سودرين، ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله محمد بن بكر ليتعلّموا أصول الدين والفقه. (فكان العزابة في ذلك الزمان يشبّهون الشيوخ الثلاثة بثلاث نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب، والثاني يشقّها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمّرها، فيما يصلح من الأدوات)[3]ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس المعاني.

---

1)أبو عبد الله محمد بن سودرين، من كنومة في بلاد الجريد بتونس، (400هـ، 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 825.

2)أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي، من مشائخ جبل نفوسة بليبيا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 859.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص218.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص735.

- أسس عبد الرحمن بن معلى[1] مسجدا و حلقة أخلاق وتربية نظّم أوقاتها و ظوابطها، ومنع على تلامذتها شوارعها، حيث يبدأ التلميذ فيها بمشاهدة العبر والبراهين ومعرفة السنن عن الثقاة قبل أن يكلفهم بشيء من العلوم[2]، ذكر الشماخي[3] باختصار.

محلّ الشاهد في المثالين يتمثل في البداية مع التلاميذ بالرقائق والمواعظ، و تُعتبر هذه الميزة من الوسائل الأساسية المهمّة جدا في تكوين الجانب الوجداني من الشخصية الإباضية، بسبب كونها قاعدة في منهج التعليم والتربية، حيث تلزم كل طالب للعلم دون استثناء، وعليها تنشأ الأجيال وتكبر، كما أنها المفعّل العملي و السلوكي لكل العلوم التي سيأخذها بعد ذلك، كما لها دور التثبيت و اليقين أن المنهج الذي عليه أجداده هو الأصح.

و الملاحظ في هذه المادة _ إن صحّ التعبير بلغة البيداغوجيا المعاصرة_ أنها تتعلق بأهداف وجدانية محضة، بينما المراحل التي تليها تتعلق بأهداف معرفية أو سلوكية، حيث إن الطالب يمر بتعبئة عاطفية وجدانية مركّزة تجعله يلتزم بكل ما سيأتي بعد ذلك، لما تكون فيه من عاطفة دافعة ورادعة وممجدة.

لهذه الوسيلة قيمتُها الإيجابية كما أن لها قيمتها السلبية، أما الإيجابية متمثلة في تنمية الوازع الداخلي العميق بشكل هادئ وتدريجي في الإنسان، حيث يكبر وتكبر معه عواطفه الدينية، أمّا السلبية متمثلة في أنّ الجرعات الوجدانية بشكل قوي في بداية مرحلة طلب العلم تعتبر موجهة للعقل والعلم لا العكس، خاصة وأن محتويات هذه التعبئة الإيمانية هوذكر مناقب الآباء وسيرهم وغرائبهم، وهذا الأمر يزرع في شخصية التلميذ قناعة يصعب تعديلها بأنه على صواب مطلق والآخر على خطأ مطلق.

ما أحوج مدارسنا إلى منهج تربية يجعل الوجدان المتوازن بين العقل والقلب بداية البدايات، بداية من رسالة المؤسسة إلى منهاجها ومقررات المواد المختلفة، ويؤسف كثيرا أن نجد هذا الدور–إن

---

1)أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى، يبدو أنه من مشائخ أريغ، كان المؤسس الأول لحلقة العزابة بمسجد أريغ، (450هـ، 500هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 246.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص281.

3)الشماخي، المصدر السابق، ص630.

وجد- محصورا في مادة تسمى بالتربية الإسلامية وبنوع من الاهتمام يكاد لا يعتبرها التلميذ مادة من المواد.

أظن أننا في حاجة ماسة إلى التنقيب في نظام التربية و التعليم في تراثنا الإسلامي والاستفادة من خبرات من سبق في تربية الإنسان لتثمين الصحيح وتطبيقه واكتشاف الخطأ وعدم الوقوع فيه.

ج- التوفيق بين طلب العلم و الاسترزاق:

- توجه الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[1] نحو علماء بني يهراسن[2] وهم: أبو محمد كاموس وأبو زكريا فصيل ويونس بن أبي زكرياء وأبو بكر بن يحي[3] ليتعلم علم الفروع وجدهم في وقت الاشتغال، فاتفقوا ألا يدعوه لوحده في المسجد، فجعلوا لكل منهم يوما معه يعلمه شيئا وكانوا يتداولون عنده يوما فيوما حتى تعلم منهم الكثير[4]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[5] أنهم كانوا عازمين على التفرغ له بعد قضاء مصالحهم، وأنهم فعلوا ذلك حتى يجمعوا بين مصالحهم وطلب التلميذ للعلم ولا يضيع أيا منهما.

- قال أبو موسى عيسى الزواغي:(خرجنا من هؤلاء - يعني قومه وأهله - وتركناهم أصحاب شياه وبقرات، وقرأنا العلم ورجعنا، فسعينا و جمعنا مثل ما جمعوا من شياه وبقرات)، وأضاف الدرجيني نافيا عنه الافتخار، بل يريد التحريض على طلب العلم والاجتهاد، وبأن (طلب

1)أبو الربيع سليمان بن يخلف الوسلاتي، المزاتي، النفطي، القابسي؛ لكثرة أسفاره، من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر.(ت471هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 215.

2)بني يهراسن: قبيلة إباضية نازلة شمال جهة طرابلس، بجبل دمر، سكن قسم منها جزيرة جربة ابتداء من قدوم أبي مسور، وكان مسجد بني يهراسن (في الحشان غرب حومة السوق)من أهم مراكز الوهبية في بداية القرن الرابع هجري. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 882.

3)أبو بكر بن يحي الزواغي النميلي: عالم من عزابة آجلو، استقدمه أبو عبد الله محمد بن بكر إلى أريغ بالجزائر، اختلف في نسبته قد يكون زواغيا أو يهراسنيا، استشهد (431هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، علم رقم: 189.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 281.

5)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص193.

الدنيا مدرك لا يفوت، وأن المتعين طلب العلم والدين)[1]، و ذكر ذلك الشماخي[2] مضيفا تعليق الدرجيني وتوجيهه.

يوضح المثالان صورة التناغم بين الحياة المهنية والحياة العلمية من خلال عرض مشهد من مشاهد الحياة اليومية للعالم وهو يتعامل مع طلبته في المثال الأول، ومن خلال استصغار شأن من همه تحصيل الدنيا فقط مقارنة بمن همه تحصيل العلم والدنيا معا في المثال الثاني.

الخلفية العقدية التي وراء هذا الموقف تتمثل في اعتقاد التقرب إلى الله تعالى بالعلم و أولويته على مكابدة متطلبات الحياة المهنية، وهذا الموقف يعتبر أثرا لدافع وجداني داخلي في الفرد والجماعة، حيث يدفع الجميع إلى أن يكون العلم أولى من كل شيء ولو كان على حساب المصالح الشخصية الدنيوية.

الشيء الذي ميّز هذا الموقف هو أن مصدر رزق العالم ليس هو التعليم وإنما نشاطه الدائم في حقله أو في تجارته، وهذا الأمر له أهميته الكبيرة في ما ينتجه العالم من مؤلفات أو في تفاعله مع مجتمعه، حيث يجعله يتميز بالواقعية بمعايشة أحوال الناس ومعرفة تفاصيلها ولو كان التأليف ضئيلا، على خلاف ما يمكن أن يكون عليه من تفرغ وانقطاع تام للتعلم، فينتج بعد ذلك معرفة واسعة لكنها نادرا ما تلامس الواقع الحقيقي، خاصة إذا تعلق الأمر بالعلم الشرعي وهموم الناس وإشكالاتهم، فما أحوج العلماء إلى معرفة حقيقة تفاصيل الحياة اليومية التي يعيشها العامة، فيحنون عليهم ويربونهم ويرعونهم أحسن رعاية، قال الله تعالى مادحا وواصفا رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[3].

كما أن أثر هذا الموقف أيضا يتجلى في الشخصية العزيزة والقوية للعالم إلى جانب قوته العلمية، فيغرس بذلك معنى التوازن بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح في تلاميذه، ويربيهم على التناغم والانسجام والقوة المادية والوجدانية.

---

1) المصدر السابق، ج02، ص187.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص555.

3)التوبة، الآية 128.

ويؤثر من جهة أخرى تأثيرا سلبيا على التحصيل العلمي للعالم وعلى بيئته التي لم توفر له متطلبات الحياة الضرورية التي تساعده على التفرغ للعلم.

2) البرّ بأهل العلم وإكرامهم:

من المظاهر الأساسية التي تدل على القيمة الوجدانية للعلم في الشخصية الإباضية البر بأهل العلم وإكرامهم، وبعد حصر الأخبار الواردة في ذلك ظهر أنها تميز بخصائص وهي:

- احتفاء العوام والخاصة بالعلماء عند الزيارة من خلال الإكرام والاستفادة من علومهم، وطلب الدعاء والبركة منهم.
- اعتناء بعض المعلمين بتموين تلاميذه من ماله الخاص.
- شبكة العلاقات بين العلماء وطيدة جدا.
- البر بأبناء العلماء والاعتناء بهم.

أ- الاحتفاء بالعالم:

- كان أبو عبد الله محمد بن بكر في زيارة لمواقع الإباضية فمرّ على قرية فرآه أحدهم من بعيد فاتجه نحوه وصافحه وأدخله القرية، فأحسنت ضيافته، وبعد العشاء جلسوا إلى حلقة يأخذون عنه المسائل حتى تعبوا، ثم جاءت النسوة وفيهن امرأة تقرأ الكتب وتدارسها، فجلسوا معه مجلسا في المسائل والوعظ حتى طلع الفجر، وعندما أراد الانصراف سبقه رجلان ليبشرا أهل قرية أخرى هو قاصدها بقدوم الشيخ، وينالا على ذلك أجرهما جزاء البشارة، فتهيأت القرية أيضا لاستقبال الشيخ والجلوس إلى علمه أيضا[1]، ومن الاحتفاء بالعالم أيضا ما كان من بني يهراسن في جربة حين أراد المغادرة فقرب أحدهم الدّابة وأمسك الآخر الركاب كل ذلك تبجيلا لعلمه وتقواه[2]، ذكر ذلك الدرجيني[3] بنفس المعاني.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 268،269.

2) المصدر السابق، ص 269.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص186.

- كان أبو محمد عبد الله بن زورستن[1] فتى الشيخ أبي نوح سعيد بن يخلف المقرّب، إذ صحبه يوما معه إلى بني كطوف[2]، وكانوا في ارتحال، فلَهوْا عن الشيخ و غفلوا عنه حتى ضاق صدرا، فقال له:(اردد إلي فرسي فإن دين الله أعزّ من هذا) فجعل يصلح هيأة المركوب ويتماطل فيه بعد أن رأى اجتماع القوم لعلهم يعتذرون إلى الشيخ، فوصلوا معا إلى الشيخ واعتذر القوم وقبل عذرهم، وحكى له ما كان منه من المماطلة و حسن السياسة فقال له أحسنت يا بني[3]. ذكر ذلك الشماخي[4] بنفس العبارة.
- عن أبي سعيد يخلفتن النفوسي[5] أن رجلا كان يُضرب به المثل في شدة الابتلاء بكثرة البنات وقلة ذات اليد، فكان يقال: (ابتلاك الله بما ابتلى به فلانا، قلّة مال وكثرة بنات). فأتت حلقة من العزابة من البادية في زيارة لهم فأشار له رجل أن يكرمهم ويطلب منهم الدعاء قائلا له:(فيزيل بدعائهم شعثك، فإن دعاءهم يرد اليابس رطبا، والرطب يابسا بإذن الحي القيوم) ففعل، فإذا في صباح ليلته يأتيه رجل يقدم له غنما ليرعاها ويأخذ قيمة معتبرة منها، وتزوجت بناته، وولد له عشرا من الذكور كانوا سبب شرف له في المدينة، إذا دعا أحدهم لضيافة أو غير ذلك ترى الناس يتسارعون إليه من كل موضع[6].

من خلال هذه الأمثلة تتضح مكانة العالم في نفوس الناس، تتمثل في الإكرام والترحاب والاغتنام من علمه وطلب الدعاء والبركة منه، من الأسس العقدية التي وراء هذه الميزة أساس ولاية أولياء الله

1)أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني، منا علماء كنومة، بالجنوب التونسي، من تلاميذ أبي صالح بكر بن قاسم، (400هـ، 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 584.
2)بني قطوف: قبيلة بربرية إباضية من زناتة بني وسيلن، سكنت الجريد في النصف الأول من القرن الخامس هجري. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 876.
3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص217.
4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص581.
5)أبو سعيد يخلفتن بن أيُّوب الزنزفي المسناني، أصله من «أمسنان» بجبل نفوسة، من العلماء الذين اجتمعوا على تأليف ديوان العزابة، (450هـ، 500هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1021.
6)الشماخي، المصدر السابق، ص688.

والعلماء وحبّهم، والتودد إليهم لتقواهم وورعهم وعلمهم، والمسارعة لإكرامهم، واعتقاد أن دعاء الصالحين مستجاب، وأن الله يفرج على عباده الكروب بإرضاء الصالحين والإحسان إليهم.

تعتبر هذه المظاهر الوجدانية نتائج لأساليب تعبئة وجدانية، منها الدافع الوجداني المتمثل في الأجر والفضل الأخروي والدنيوي الذي يناله من يعتني بأهل العلم من أجر و بركة، ومن الدوافع الوجدانية ما قد مضى من قبل وهو تعظيم شأن العلماء في ذهن التلميذ في عمر التنشئة، فيكبر ومكانة العلماء في قلبه عظيمة وهو دافع ممجّد.

تظهر قيمة هذا المظهر الوجداني في الولاء القوي الذي يجده العالم في قومه، وهذا الولاء له دور كبير جدا في إنجاح أسلوب البراءة والهجران و أسلوب تربوي اجتماعي سيأتي الحديث عنه لاحقا، ويكون بذلك المرجع والسلطة الأولى في المجتمع هو العالم، و لا معنى ولا قيمة لعالم ليس له ولاء في قومه.

ب- شبكة العلاقات بين العلماء:

- مرّت جماعة من المشائخ على أبي عبد الله محمد بن بكر على عجل، فجهّز لهم الضيافة بما يليق بهم، لكنهم أبوا إلا الانصراف، فقال الشيخ لأهل منزله:" مهلا عليكم ليس شيء أحب إلى نفسي من أن يأكلوا طعامي، وموافقتهم أحبّ إلي من ذلك"[1]
- بعد صلاة الصبح من يوم من الأيام طلب يخلف بن يخلف النفوسي[2] ممن حوله من المشائخ على وجه الدعابة والإدلال من يُضيف العزابة للغداء فيولوه عليهم، فطُلب من موسى بن إلياس المزاتي ذلك[3]، لأنه كان قريب عهد من قدومه من البادية محمّلا بخيراتها، فأطعمهم منها، فقال الشيخ أما الإمارة فأنت واحد منا، و لكن دعا الله له بولد من الحمل الذي عنده أن يكون خليفة للإمام أفلح، و طلب منه أن يسميه أفلح، فرزقه الله

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 285.
2)يخلف بن يخلف النفوسي التميجاري العزابي، من جبل نفوسة بليبيا، فقيه، قاضي، نسابة، تعلم على يد علماء أريغ ووارجلان، (550هـ، 600هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1020.
3)موسى بن إلياس المزاتي، لم اعثر على ترجمة له.

ولدا عالما آمرا ناهيا مطاعا[1]. ذكر ذلك الشماخي[2] بنفس المعنى وفي نفس الموضع وكرره في معرض الحديث عن أبي معبد أفلح بن موسى بن إلياس[3] الذي أخذت فيه الكرامة[4].

- ورد عن يوسف بن سدميمان[5] أن العزابة زاروه تبركا ولأخذ المواعظ منه، ومما قال أنه سأل عن شاب كان مع الزائرين، فأخبروه بأنه بن الشيخ سليمان بن علي بن يخلف، فأخذ يبكي وقرّبه إليه، وأنشد بيتا من الشعر يذكر صحبته لأبيه وكأنها لم تكن:

كأنهم لم يكونوا عارفين بنا ولم نكن لهم بالأمس إخوانا[6]. ذكر ذلك الشماخي[7] بنفس المعنى.

تظهر في الأمثلة روح مودة و وترابط عاطفي بارز بين المشائخ، أهم أساس عقدي وراء هذه المواقف أساس الولاية، حيث يرى الإباضية وجوب موالاة المؤمن الموفي وحبه، وأن هذه الولاية لا تزول إلا بالبراءة إذا ثبتت، فهذا الوجوب يفرض الحد الأدنى من العلاقة العاطفية بين الأفراد، ثم تنمو وتقوى في جو من الأخلاق الفاضلة التي يدفع إليها الرغبة في فضل الله في الدنيا والآخرة.

تُعتبر الوجدانات التي تحتويها هذه الميزة لها دور أساسي باعتبار سببها الذي نتجت عنه ويتمثل في الحرص على الرفع من شأن أهل العلم واحترامهم رغبة في ثواب الله تعالى لأن الله هو الذي رفعهم، فهو بذلك وجدان دافع. و باعتبار أثرها الذي يترتب عنها متمثلا في الحب والولاء والتقدير الذي يكون بين العلماء، فهو بذلك وجدان ممجّد. إذن فالترابط العاطفي الذي بين العلماء له سمة الوجدان الدافع باعتبار سببه، وله سمة الوجدان الممجد باعتبار أثره.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص342.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص658.

3)أبو معبد أفلح بن موسى بن إلياس، لم أعثر على ترجمة له.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص663.

5)يوسف بن سدميمان، شيخ الزهد والورع، من أهل دقَّاش، وهي من قرى تقيوس ببلاد الجريد جنوب تونس،(550هـ ، 600هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1062.

6)الدرجيني، المصدر السابق، ص346.

7)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص662.

تتمثل قيمة هذه الخاصية من زاوية نظر وجدانية في ما تثمره العلاقات الوطيدة من تعاون على الخير، مثال ذلك ما مر في التعاون على تعليم التلامذة، وعكس ذلك أن ينفرد كل شيخ بجهده، وشتان بين الموقفين، أو في الانسجام والتفاهم على إصلاح الناس و تذليل العقبات لبعضهم البعض في ذلك، وفي ذلك قال أبو عبد الله محمد بن بكر لأبي الخطاب عبد السلام بن منصور حين أراد الرحيل بتلامذته إلى أريغ:(كن معي يا عبدالسلام فإن من يرفع الناس إليه حوائجهم ويدعونه مثل من كان في الحرب، لا غنى له عمن يرعاه و يحرسه و يؤيّده و يمدّه ويرفعه ويدعمه، ويداوي جراحه، ويسوي خلله، وإلا هلاكه وشيكاً)[1]، يوضّح هذا الطلب أهم المقاصد التي من وراء الترابط العاطفي بين العلماء تهدف كلها إلى أن يقوى الخير والصلاح وينتشر.

في واقعنا لا يمكن الحديث عن وحدة الشعوب الإسلامية ما لم يتوجه الحديث أولا إلى وحدة علماء الأمة والمحبة بينهم، مهما اختلفت سبلهم، لأن ذلك هو الطريق إلى الاقتراب نحو الصواب، بالاعتراف بما لدى كل طرف من صواب، واعتراف كل طرف بخطئه[2].

3) مؤلفات العلماء في الرقائق:

أ– المؤلفات الكلامية الإباضية ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين:

للعزابة نوعان من التأليف، جماعي مثل: (ديوان عزابة جربة)، و(ديوان أشياخ نفوسة)، و فردي: غالبا ما يكون من شيخ الحلقة لأنه الأعلم أو من أحد أفرادها[3]، و يعتبر هذا التأليف الجماعي (من الأعمال الأولى التي جمعت شمل جماعة، ووجهتهم في اتجاه واحد، وبينت فيما بعد قيمة ثمرة الأعمال الجماعية المنظمة)[4]

نال الجانب العقدي والكلامي أهمية بارزة في التأليف ما بين القرن الخامس والثامن هجري، خصوصا القرن السادس الذي يعتبر ذروة التأليف والإنتاج الفكري الإباضي بالمغرب، في الخامس

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 304.
2)يذكر الدكتور عمار جيدل مرارا في محاضراته خلال التدرج أن الجسور العلمية بين المختلفين تزداد امتدادا كلما ازدادت الجسور العاطفية والاجتماعية في الامتداد.
3)الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة، ص96.
4)المرجع السابق، ص173.

نجد كتاب (التحف المخزونة) لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(471هـ)، وكتاب (عقيدة نفوسة) و القسم الأول من مختصر (الوضع في الأصول والفقه) لأبي زكرياء يحي الجناوني (ق05).

وفي القرن السادس كتاب (التوحيد) لأبي العباس أحمد بن بكر الفرسطائي (ت504هـ) ، وكتاب (أصول الدين) وكتاب (الجهالات) للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي(ق06)، وكتاب (الفرق) لأبي عثمان عمرو بن خليفة السوفي (06هـ)، و كتاب (الموجز) وكتاب (شرح الرد على الجهالات) لأبي عمار عبد الكافي (ت:570هـ)، و كتاب (الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق) واشتهر بكتاب (الدليل والبرهان) لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت570هـ).

وفي القرن السابع الذي تميز معظمه بالشروحات نجد كتاب (النونية)[1] لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي (ق07هـ)، وكتاب (شرح النونية)، و كتاب (عقيدة الجيطالي)، و قسم من كتاب (قناطر الخيرات)، و الباب الأول من كتاب (قواعد الإسلام)[2] وكتاب (ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله بألفاظ وجيزة)[3] وكلها للشيخ اسماعيل الجيطالي (ق07هـ).

وفي القرن الثامن كتاب (الديانات) لعامر الشماخي (ت:792هـ)، وكتاب (عقيدة التوحيد) لأبي حفص عمرو بن جميع (ق08هـ).

الإشكالية الأساسية التي تتعلق بالتراث الكلامي الإسلامي عامة، أن المسائل الخلافية والفروع تنشر وتصل إلى العامة، وإن كانت لا صلة لها بالجانب العملي المباشر، مثال ذلك عند الإباضية كتاب شرح (عقيدة التوحيد) للشماخي[4]، ولهذا النوع من التأليف أثره الإيجابي المتمثل في الاقتناع بالمعتقد والاستدلال عليه بالعقل، وله أيضا أثره السلبي الذي يتمثل في إذكاء روح الجدال والبغض

1)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 151، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1000.

2)توجد منه نسخ عدة، منها نسخة بدار التعليم، تحت رمز: مع30، وهو مفهرس في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 48.

3)ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله بألفاظ وجيزة، من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز:م 198، وهي مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 192.

4)الجعبيري، فرحات، نفحات من السير، قسم:- أبو العباس أحمد الشماخي –، ص47.

بين المذاهب المختلفة، فيتشكل المسلم على شكل دافع وجداني للمسلم الآخر حتى يحافظ على وجوده واستمراره.

ب- مؤلفات الإباضية في الجانب الوجداني للعقيدة ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين:

فيما يلي كل ما ذكر في كتب السير الثلاث مما يتعلق بمؤلفات مشائخ الإباضية ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين في الجانب الوجداني والأخلاقي، من هذه المؤلفات ما وقف عليه الدرجيني[1] و الشماخي[2] من أمثال و حكم في الزهد والنصح والدعوة لأبي مكدول الزنزفي[3]، معظمها أمثال وحكم بالبربرية.

وذُكر أيضا أن للشيخ يخلف بن يخلف النفوسي[4] تأليفا في الحكم والأشعار غير مجموع يتعلق بأمور الدين و الدنيا[5]، و ورد عن الشيخ سليمان بن علي بن يخلف[6] أن له تآليف في الحكم والمواعظ[7]، وورد أن للشيخ أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي[8] قصيدة" الحجازية" يحكي فيها رحلته إلى الحج وفيها مواعظ و عبر[9].

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص243.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص599.

3)أبو ميدول مصكوداسن الزنزفي الهواري، واعظ وداعية ومرشد، له أمثال وحكم، (400هـ، 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 898.

4)يخلف بن يخلف النفوسي التميجاري العزابي، من جبل نفوسة بليبيا، فقيه، قاضي، نسابة، تعلم على يد علماء أريغ ووارجلان، (550هـ، 600هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1020.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص338.

6)أبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف التمجاري النفطي الدرجيني، أصل أسرته من تيمجار في وسط جبل نفوسة بليبيا، استقرَّت بكنومة من قرى تقيوس بوادي أريغ بالجزائر، ونزل هو بنفطة، أخذ العلم على مشائخ وارجلان، له شعر بالدارجة، (النصف الثاني ق06هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 458.

7)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص342.

8)أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن الطاق السدراتي، أحد علماء وارجلان كان قاضيا ومفتيا بها، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1048.

9)الدرجيني، المصدر السابق، ص316.

قدمت كتب السير إشارات مهمة للبحث والتنقيب في التراث الوجداني للإباضية، منه ما هو بالبربرية ومنه ما هو بالعربية، و منه المختصر و منه المطول، ومنه الشعر ومنه النثر، وكل ذلك يحتاج إلى باحثين للتنقيب فيها والاستفادة من صوابها.

وورد عن الشيخ أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي[1] الكثير من الآثار في الجانب الوجداني مثل الزهد والنصح والحث على التعلم، أغلبها قصائد، من ذلك ما يلي:

1- قصائد أبي نصر في النصح والفقه[2].
2- رسالة المسترشد وكفاية المستنشد[3].
3- قصائد في المواعظ والأمثال[4]
4- قصائد في المواعظ والمديح[5]
5- بائية في الزهد والأدب[6].
6- قصيدة تحريض الطلبة[7].
7- قصيدة في الحث على الاغتنام[8].

---

1)أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، عالم فذٌّ، وشاعر ألمعيٌّ، من أعلام قرية تملوشايت، بجبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم عن خاله أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم، كان عالمًا، واعظًا، شاعرًا، متكلِّمًا، زاهدًا، له العديد من المؤلفات، (ق07هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 730.

2)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز: 123، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:359.

3)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز:135، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:410.

4)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة آل يدر تحت رمز:26، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:416.

5)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة إيروان تحت رمز: مج 33، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:31.

6)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة إيروان تحت رمز: مج 117، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:275.

7)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: دغ 111، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1077

8)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 131، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1094.

8- قصيدة في مدح العلم والحثّ عليه[1].

9- قصيدة في رثاء الشيخ زكرياء بن إبراهيم البرادي[2].

10- قصيدة بائية في الحكمة[3].

11- قصيدة حائية في المواعظ[4].

12- مخمّسة في المواعظ[5].

يتميز التأليف الإباضي في الجانب الوجداني والأخلاق بقلّة المؤلفات مقارنة بعلم الكلام أو الفروع، ويعود ذلك في نظري إلى المنحى العملي والتطبيقي الذي غلب على السيرة الإباضية عموما، و في موقفها مع العقيدة على وجه الخصوص المتمثل في ارتباط العلم بالعمل، ويظهر ذلك أكثر حين نقارن ذلك بالتأليف الصوفي في نفس المرحلة سنجد أن الصوفية تميزت بالإنتاج الغزير والغامض في المواجد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، (لا نكاد نمضي في قراءتها حتى نحسّ أننا ننتقل مع واضعها من ألفاظ وعبارات مبهمة ملغزة إلى أخرى أشد إيهاما وأقوى إلغازا(...) وأفاضت في تصوير ما لأصحابنا من أذواق ومواجد، وما كان لهم حولها من مذاهب)[6]، وذلك بعد التطور الذي مر به منذ بدايته، بينما الإباضية لم يكن لهم شأن بالمواجد إلا ما له صلة بالالتزام والصلاح بشكل مباشر، كما أن رفضهم للتصوف المنحرف جعلهم يبتعدون عن طقوسهم و أذواقهم إلا ما له صلة عندهم بالجانب العملي من الدين، مثلما كان من

1 من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الحاج صالح لعلي تحت رمز: م 139، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:1120

2)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي تحت رمز: 130، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:130.

3)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة عمي سعيد تحت رمز:54، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:76.

4)من النسخ المخطوطة نسخة في مكتبة عمي سعيد تحت رمز: 37، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم:78.

5)نسخ عدة في عدة مكتبات، مفهرسة في مكتبة الشيخ أبي إسحاق تحت رقم: 397.

6)حلمي، محمد مصطفى، الحياة الروحية في الإسلام، ص 172.

الشيخ اسماعيل الجيطالي حين استمدّ فكرة كتابه "قناطر الخيرات" من كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي.

ثالثا: حلقة العزابة

يعتبر نظام الحلقة نتيجة للموقف الذي لجأ الإباضية إليه و هو تحويل الاهتمام السياسي إلى اهتمام تربوي بعد أن ذاقوا ألوان العذاب و تقتيل العلماء بعد سقوط الدولة الرستمية، وقد ورد عن الإمام يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أنه (لما كان في بعض الطريق نظر نظرة في النجوم فقال لأصحابه: إنكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر إلا كان عليهم الطلب افترقوا فقد انقطعت أيامكم وزال ملككم)[1].

وهذه الانطلاقة لها أثرها العميق في روح التنظيمات والأحداث المتعلقة بتاريخ الحلقة، تظهر في العداوة الشديدة للمعتدين مما يجعلهم يحرصون على مخالفتهم ولو في أبسط الأمور مثل اللباس، وتظهر أيضا في نفسية المعلم و التلميذ التي تتميز بالخوف والوجل والتقرب أكثر إلى الله كانعكاس للحالة النفسية التي يعيش فيها، وهذا ما جعل التجربة التربوية لنظام الحلقة لا تشبه ما كان معروفا عند أتباع المذاهب الأخرى[2].

و يعتبر باحث إيطالي في نظام الحلقة أنه بما أن تاريخ تأليف وثيقة سير الحلقة لأبي عبد الله يعود إلى بداية القرن الرابع الهجري،(فهذا يجعله أقدم سيرة عن الرهبنة في الإسلام عُرِفت إلى يومنا هذا. وتطالعنا ببليوغرافيات المتصوفة في الحقبة السابقة على فترات متباعدة بإشارات إلى حياة زهد منفردة، أو إلى حياة جماعية مشتركة ومنظمة لمجموعة من الزهاد، لكن أولى محاولات تحرير قواعد الحياة الواجبة على كل أعضاء هذه التنظيمات الصوفية، حتى وإن كانت تخلو من الوحدة والترابط، كانت قد بدأت فقط منذ بداية النصف الثاني للقرن الثاني عشر[أي القرن النصف الثاني من القرن السادس]، مع ظهور الطرق الصوفية)[3].

---

1 الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص105، 106.

2)خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص65.

3)روبيناتشي، روبيرتو، العزابة، ص15.

حاولت خلال العرض المحافظة على ترتيب التنظيمات كما وردت في كتاب الطبقات، وهذا لتوضيح الأهمية والأولوية في الضوابط و لو كانت بسيطة وشكلية، كما تمّت المحافظة على نص القانون أو التعليمة، لما في الصياغة القانونية من روح ونفس وجداني.

1) الأخلاق و الآداب العامّة:

أ- آداب اللباس و الهيئة:

فُرضت آداب الهندام على كل منتسب للحلقة ليتميّز بها عن غيره وهي:

4. التجرد عن طريقة أهل الدنيا بحلق الشعر وعدم تركه يطول.

5. التقشف في الهيئة بـ: لبس البياض و عدم لبس الثوب المصبوغ إلا ما كان من طرز على الحاشية دون مبالغة، و الاكتفاء بالملحفة أو العباءة فقط أمر لائق به، و لبسه على قميص فهو أكمل لغير المبتدئ، إذ عليه عدم الاقتصار على قميص، بل يجب عليه اللحاف[1] أو الاشتمال أو الارتداء.

6. الالتحاء ولبس العمامة بطريقة معينة و هي ليست بلازمة، فإن اقتصر على اللّحاف (غطى رأسه وألقى الطرف الأعلى من هدب حاشية الجانب الأيمن على العاتق الأيسر لا يلقي الهدب كله على العاتق الأيسر فإن ذلك مؤد إلى انكشاف العورة)[2].

ب- أدب العزابة في العبادة:

حين ينضم التلميذ إلى الحلقة فإنه ملزم باتباع برنامج للتعلم والعبادة، ولا يسمح له بمخالفته، تتمثل التعليمات المتعلقة بالعبادة فيما يلي:

---

1)اللحاف: حاليا أو أَحُولِي بالأمازيغية:(اللباس الرسمي لأعضاء حلقة العزابة، يرتدونه في الحلقة وخارجها، لتمثيلها في المحافل العامة، كالأعراس والمآتم والأعياد الدينية والتجمعات الموسمية كالزيارة. ويلبسه أعضاء إيروان في بعض قرى وادي مزاب. وهو لباس أبيض قد يميل إلى الصفرة ينسج من الصوف ويبدو أن أصله من جبل نفوسة بليبيا ولا شير المصادر إلى بداية محددة لهذا العرف عند العزابة) أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج01، ص 21.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص173.

7. آخر النهار هو وقت الراحة و التصرف إلى أماكن الفسحة مثل أماكن المياه والأشجار، مبتعدا عن أماكن الشبهة، أو الأسواق وإن كان الذهاب إلى السوق ولابد (ففي طريق نافذ ووقت لا يظن فيه ريبة).

8. وقت الأكل والمعاش بعد صلاة العشاء، إما لوحده وإما مع من تتفق معه طبائعه، ويشترط التخفيف والدعاء بعد الأكل.

9. وقت التأهب للصلاة بقدر ما يستبرئ ويتوضأ ليدرك الجماعة، ويشترط الابتعاد وإعداد حجر الاستجمار.

10. أوقات النوافل في الليل والنهار، والأمثل خمس تسليمات بالليل ومثلها الضحى، ومن زاد فهذا أفضل، ومن شروط صلاة اليل إطالة القراءة واختلف في إسرارها وإعلانها، وقيل الإعلان لإيقاظ النائمين، وقيل الإسرار أفضل للبعد عن الرياء، كل هذا إضافة إلى الركعات الرواتب.

11. أوقات الصوم المستحب مثل الجمعة ويوم قبله، وتاسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، والثلاثة البيض من كل شهر، إلى غير ذلك[1].

ج- في أداب الطريق و تقويم السلوك:

1- ألا يتواضع لمتكبر و لا يتكبر لمتواضع.

2- ألا يجالس أهل الدنيا إلا لضرورة تعود للدين من علم أو عمل، (والكبير أعذر في مخالطتهم من الحدث، فإن الكبير أهل لأن يهديهم والحدث أهل لأن يضلوه) و الخطّة لمن أكثر بعدما نُهي[2].

3- المؤاخذة على العثرات درجات حسب أصحابها: الكبير المبتهل حسن به الظن و العبارة، و استعمال الإشارة و اللطف، أما غير الكبير،(راسخ القدم، شامخ القدر، واخذته على الكبيرة و الصغيرة، واستعظمت نقيره من الخطايا وقطميره)، وإن كان غير ذلك (تجافيت

1) المصدر السابق، ص182، 183.

2) المصدر السابق، ص183.

عن النقير والقطمير، واستكثرت من حسناته الشيء الحقير، وسلكت معه مسلك التأنيس لا التنفير)[1].

4- تغيير المنكر متى ظهر، ويشترط تقديم الشيخ أو التقدم بإذنه أو تقديم الأمثل.

من خلال هذه الآداب تبينت مجوعة مبادئ لها دور أساسي في بناء الوجدان وهي: إعطاء الأهمية الكبيرة للهندام الذي يتميز به أي طالب، وهذا الهندام يهدف إلى السترة أولا، وإلى التقشف والبساطة وعدم المباهاة، كما يهدف أيضا إلى أن يتميز المنقطعون إلى الله عن(دناءة الأجلاف الدنيويين)[2]، ولهذا التنظيم التربوي أثره القوي على ذهن التلميذ، حيث يبني داخله أنه لا ينبغي أن يكون مثل الذين لا يجتهدون في العلم والعبادة.

ومن الميزات التي لها علاقة وطيدة بالوجدان أن التنظيم يراعي وقت الراحة والفسحة، وفي ذلك حسن سياسة للنفس والجسم، حتى تقوى على العبادة بعد ذلك، كما أن البرنامج يحوي على التحفيز للنوافل سواء كان صلاة أو صياما.

ومما يتميّز به ما يتعلق بآداب الطريق وتقويم السلوك، أن التنظيمات تهدف إلى أن يكون عضو الحلقة مؤثرا في الآخرين لا متأثرا، من خلال منع الصغار من مخالطة الكبار من خارج الحلقة ولو للنهي عن منكر، وفتح المجال للدعوة وتغيير المنكر للكبار، كما أن التنظيمات تتميز بمراعاة الخصوصيات الفردية في الحياة العامة داخل الحلقة، أو في تصحيح السلوك، أي حسب المستوى الأخلاقي للتلميذ، وهذا في غاية الأهمية لأنها تضمن تناسب أسلوب التصحيح مع شخصية الفرد وظروفه ونوع الخطأ.

لكن الملاحظ في آداب العبادة أنها أخلاق عل شكل قوانين صارمة، وأنه فيه نوع من الإجبار على النوافل، وهذا الإجبار على النوافل لا يخدم النمو الوجداني للتلميذ بشكل فعال، لأنه حين يقوم بالنوافل يقوم بها بدافع خارجي يتمثل في النظام الداخلي، والمشكلة تظهر حين يغيب الدافع الخارجي، هل سيستمر في النوافل أم سيتركها، فإن نشأ عليها وطبعت فيه فغالبا ما يكون الأداء

1) المصدر السابق، ص184.

2) المصدر السابق، ص172.

صوريا من دون معنى، إلا إذا كان عالما متأملا استطاع أن يدرك الأبعاد والمقاصد، أما الأغلبية فيكون شأنهم إما التوقف عن النوافل وإما أداؤها فارغة عن معناها.

2) المهام و التنظيمات[1]:

من مميزات تقسيم المهام أنها تتوفر على شرط الكفاءة ووضوح المهمة التربوية وتيسيرها، إذ من شروط العريف الذي يتكفل بتحفيظ القرآن: أن يكون حافظا و ملما بشيء من التفسير، حتى يشرح للتلميذ ومتى طلب ذلك، كما أن العدد المحدد لكل أستاذ والذي لا يتجاوز العشرة تلاميذ ولا يقل عن إثنين حتى يتسنى له متابعة أخلاقهم وتفاصيل حياتهم الشخصية، كاللهو والأكل في غير وقته، و آداب الجلوس و الأكل، واللباس الساتر، الدعاء بعد الأكل بالتعاون مع العرفاء المسؤولين على المهام الأخرى، وفيما يلي جدول المهام مفصلا:

نوع المهمة	صاحب المهمة	المهام والتنظيمات
الآمرون	الشيخ	01.تعليم فنون العلم لأصحابها. 02.الجلوس بعد الختمة للإجابة على الأسئلة في كل الفنون ومذاكرة علوم التلامذة لتعم الفائدة على الجميع. 03.تخصيص يوم الجمعة بشيء من الذكر والوعظ والحكايات الزهدية. 04.استفتاح مجلس القرآن في الثلث الأخير من الليل واستيقاظ التلاميذ على وقعه فينضم إليه جمع وينفرد آخرون بدروسهم إلى غاية آذان الفجر. 05.تفتيش أحوال التلامذة واحدا واحدا وتمحيصها يومي الاثنين والخميس، و تفقد أحوال العرفاء، فيشكر من يستحق الشكر، و يؤدب من يستحق التأديب.

1) المصدر السابق، ص173- 185.

		06.الفصل في شأن الضيوف وذلك بأن: 07.عابر سبيل يستفيد من الوجبات دون الصدقات التي تقدم للتلامذة، و لا يجبر على الالتزام بالبرنامج. 08.إذا كان يريد الدخول في الحلقة يطّلع على أحواله ومن أين قدم، فإن صلحت أذن له بالدخول، وإن كانت غير ذلك طرده، وإن تعذّرت معرفة حاله توقف في شأنه حتى يعرف، و في أثناء ذلك يلحقه بالنزلاء إلى حين، فإن كان تائبا مبتدئا أذن له بالانضمام. 09.تقسيم المهام على العرفاء. 10.الفصل فيما يشترى ويباع ويُدّخر ويقسّم على التلامذة كل و قدره. 11.الحكم بين المختلفين من التلامذة. 12.تفقد الأحوال المادية للتلاميذ فمن كان موسرا نظر له فيمن يعينه، ومن كان معسرا نظر من يتبرع له و يعينه.
	عريف[1] أوقات الختمات والنوم	01.تسيير ختمة حزب الغداة في المجلس الذي يعقبه مذاكرة، والدعاء بالدور وهو الذي يبدأ، ومتابعة الحضور ومعاقبة المتخلفين بالخطة عن الحضور قبل انقضاء الدعاء. 02.متابعة نظام النوم والحفاظ على الهدوء ومعاقبة الممتنعين عن القيلولة تهربا من قيام اليل ومن دون عذر.

1)العريف: عضو من أعضاء حلقة العزابة، ومن هيئة العرفاء المكلفين بنظام التعليم. تختلف مهمتهم من عريف لآخر. أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج02، ص 688.

		03.النداء إلى الختمة بعد صلاة المغرب و الذكر و قراءة القرآن من طرف قارئيْن والدعاء بالدور، ومن تخلف بعد انقضاء الدعاء يعاقب بالخطة. 04.قراءة القرآن بعد صلاة العشاء، و النداء للدعاء قبل النوم، ما لم تكن الليلة من ليال الإحياء، ومن الأحسن كتاب وعظ أو فيما تيسر بيد أفصحهم وهذه الختمة ليست بالأكيدة، ومن أردا مواصلة المطالعة فله ذلك بعيدا عن النائمين.
	عريف أوقات الطعام	01.ملازمة التحفظ وإفراط الحذر إذا كان الطعام خارجا في دار دنيوي، أما إذا كان عند عزابي فلا بأس من بعض الانبساط واقتراح الطعام أو طلب زيادة في الإدام مثلا، و ترتيب جلوسهم في كلا المجلسين، ومتابعة الحضور والغياب والعتاب والخطة على ذلك. 02.غسل الأيدي والأكل المعتدل من دون نهم ولا أكل تكبر، وتوجيه الملاحظات والنصائح وما تكرر من الأخطاء فالخطة. 03.إذن أكبر الحاضرين بالدعاء بعد التأكد من إكمال الجميع الأكل. 04.ترتيب تقسيم ما يأكل بعد الوجبة إما في عين المكان وإما مما يدّخر، والاستعانة بالطلبة غير المنقطعين للمطالعة و المدارسة في ذلك، والتحذير من الشره والحرص خاصة إذا كانت الفاكهة نادرة. 05.تقسيم المعروف المدّخر، إما وقت الضحى بعد كتابة الألواح وتصحيحها، أو بعد العصر بعد أن يكمل العريف تصحيح الألواح فينادي للطعام، ويكون خلال تناول الفاكهة أو ما تيسر: طرح مسائل ومناقشتها، وذلك أن يكون في كل مجموعة عريفا نابها يلقي ثلاث مسائل في أي فن، ثم يكون الدور ميامنة، فمن توقفت عنده منعه العريف من الأكل إلى أن يأتي بفائدة ولو بعد حين،

		تأديبا وتحريضا على تحصيل الفوائد.
	عرفاء الحلقات (من حملة القرآن)	01.إملاء القرآن على الطلبة فيكتبون على ألواحهم، ثم يصححونها، ليحفظها التلامذة و يستظهرونها عندهم، وهم كثر. 02.ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، أقلهم اثنان وأكثرهم عشرة في الغالب الأعم، حسب كثرة وقلة الرجال. 03.الإملاء والتصحيح وحمل التلاميذ على الحفظ. 04.سماعه لما كتبوا من ألواحهم بالأمس، بعد أن يجمعهم نقيب من أنفسهم ويجلسوا، وتحفيزهم ومعاقبتهم عليها لمن يلزمه ذلك، الحجز في الزاوية والجلد للصغير، والخطة والطرد للكبير. 05.الإحسان في مراقبة رغبتهم واجتهادهم وإعذار قليلي الفهم، والاجتهاد في معاتبة الكسول، وتقديم حالة كل واحد من التلامذة للشيخ يوم الاجتماع.

	عريف أو عرفاء أوقات الدراسة	01.المحافظة على أوقات الدراسة ربما واحد ربما أكثر حسب الحاجة، ويسمى عريف أوقات الدراسة. 02.تفقد أصحاب الألواح بين الظهر و العصر وبين المغرب والعشاء في الإبطاء والغياب عن الحلقة، أو الاشتغال بما يلهي، أو الخطأ في القراءة إهمالا بعدم تصحيح لوحه عند الشيخ، أو القيام إلى الطعام من غير ضرورة أو النجوى والكلام، وكل ذلك يستلزم الخطة. 03.تفقد التلامذة وقت الاستفتاح، والخطة لكل من نام أو تناوم أو اشتغل بغير الدراسة من غير عذر. 04.تفقد التلامذة في الحضور لحلقة المواعظ بين صلاة الجمعة و العصر.
المأمورون	طلبة القرآن	01.القراءة بين الظهر والعصر حتما وبعد العصر استحبابا. 02.هيئتهم: الاشتمال في اللحاف فلا يظهر من جسدهم شيء. 03.طريقة جلوسهم: تكون وإسناد الألواح إلى الأساطين، ومقابلتها غير مستندين ولا مكثرين من الالتفات، وذلك بين الظهر والعصر وبين العشائين، ويباح لهم الاستناد في غير ذلك من الأوقات، والأفضل للصغار ترك الاستناد. 04.لا يشتغلون بشيء آخر غير القرآن إلا ما عناهم من العبادات وفرائض الإسلام كالطهارات والصيام والصلاة، ومن المكروه الاشتغال بأكثر من ذلك إلا لذوي الذكاء والمواهب.

	طلبة فنون العلم و الأدب	01.أولا: طلبة الأدب وهم أصحاب لويحات و صغار في السن ينبغي لهم عدم الاستناد مثل السابقين. 02.ثانيا: أصحاب الكتب شأنهم الاستناد إلى أركان المسجد والأبواب والأساطين وحيث يستحسن. 03.من الأحسن لهم الاجتماع للبحث والمذاكرة والمناظرة، مالم تفض إلى توغير الصدور. 04.يجب أن يكون لهم وقت معتاد يقبلون فيه على أساتذتهم، ليأخذ كل منهم درسه. 05.يجتمعون في ختمة الغداة بحضور الشيخ لعرض الأسئلة إما بالدور ميامنة، وإما أفصحهم لسانا، وإما أحوجهم لجواب على ضرورة، فيجيب الشيخ على السؤال، أو إن كان مهما يحيله إلى يمينه ويدور إلى أن يصل إلى الشيخ فيجيب، أو يجد في المجلس من هو أكفأ منه فيه فيأذن له بالجواب، وللسائل التنبيه على السؤال إن لم يفهم أو نسي، أو احتاج إلى توضيح خاصة إذا علم من الحاضرين استزادة الكشف. 06.عدم القيام من المجلس إلا بعد إذن من يليه. 07.يكره مناقشة مسائل الشواذ إذا حضر المجلس غيرهم، لأنها مضلة. 08.ركعوا ركعات الضحى وشيعوا شيخهم إن كان لا يستثقل التشييع وإلا ودعوه وكفى.

	العاجزون (القاصرون من التلاميذ)	01.هم الطرش والعميان والزمنى و الهارمون وذوو الأفهام القاصرة، يحاسبون برفق، و (الله حسيبهم فيعاقبهم أو يثيبهم). 02.عليهم بالاستماع لتعلم الأخلاق، و إظهار التلهف والاشتياق، وعليهم المحافظة على الطرق و الأوقات. 03.العبرة بالجهد لا بالتحصيل، إذ يقول الدرجيني(والغرض أن أعلمكم أن من لم يأل جهدا فهو مأجور وإن لم يحصل، وأن المتضيّع المفرّط راض لنفسه بالقوت الحرام واكتساب الآثام ومرتكب لسخط العلام) 04.قد يستعان بهم في خدمة أهل التلامذة مثل توزيع الطعام وغير ذلك من الخدمات.

يظهر من خلال النظام والمهام أن اهتمام الحلقة و منحاها يهدف أساسا إلى تربية الإنسان عامة، والتركيز على الجانب التعبدي الديني على وجه الخصوص، يعني وجهة الحلقة ليست علمية محضة، أو روحية محضة، وإنما مزج بينهما ويغلب عليها الجانب الوجداني الذي يظهر فيما يلي:

أ- الإيقاع الزمني والجانب الوجداني للتلميذ:

يعيش عضو الحلقة في إيقاع زمني متناغم مع النوافل الواردة في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة أولا و متناغم مع طبيعته ثانيا، خلال اليوم كاعتماد شروق الشمس وغروبها كموجه للنشاط و بدايته و نهايته، وارتباطه بالذكر بإنهاء كل مرحلة بالختمة والدعاء، كما أن التلامذة يجبرون على القيلولة إذا كانت عدم القيلولة تعيقهم على قيام اليل، ويختتم اليوم بختمة الذهاب للنوم تكون بالدعاء والنصح وهي غير إجبارية، وهذه الحرية الموجودة في ثنايا البرنامج بالرغم من قلتها تعتبر مهمة جدا في بناء الوازع الداخلي في المجاهدة.

ثم يستيقظ في الثلث الأخير من اليل أو الربع الأخير لقراءة القرآن جماعيا أو فرادى، ريثما يتوضأ الجميع ليختموا بالاستغفار والدعاء والقيام لصلاة الفجر في المسجد، هذا في البرنامج اليومي وأما خلال الأسبوع تتمثل في وقفات الاثنين والخميس والجمعة المخصصة للوعظ والإرشاد والحث على الاجتهاد.

ب- أثر نظام الجزاء و المحاسبة على الجانب الوجداني:

أهم شيء في أي نظام تربوي فلسفته و خلفيته الفكرية وطريقة نظره للإنسان، ومن خلال التنظيمات السابقة نجد أنها تستند إلى الخلفية الفكرية القرآنية التي ترى إلى الإنسان بشكل شامل متوازن بين متطلبات قلبه وعقله وجسده، وتحاسبه حسب جهده لا حسب نتيجته، وتحمله مسؤولية أفعاله، وتضع له نظام عقوبات ينسجم مع طبيعة الشخص ونوع العقوبة.

من التوزان الوجداني في مجال التربية الحديث عن الجزاء قبل العقاب، من أساليب الجزاء اليومية الأكل في الوجبات الفرعية يكون حسب الاجتهاد في التعلم، والقدرة على تقديم الإجابات الصحيحة، وهذا يشبه ما يعلمه لنا القرآن الكريم في التمتع بالخيرات إلى جانب العمل الصالح، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾[1].

وأما السنوية تتمثل في اصطحاب الطلبة المتقدمين في الربيع إلى مناطق إباضية أخرى للزيارات الدعوية والأخوية، يرفّهون خلالها عن أنفسهم ويستمتعون بالمناظر والخيرات التي تجود بها الأرياف والقرى والواحات، وكان أكثر رحلاته في الربيع إلى بوادي مزاب، لغرض (إراحة خاطره وخواطر تلاميذه واستصلاحها، وتدبير قوى أجسادهم و استصحاحها)[2]، هذا إلى جانب ما في التحفيز من التوزان في التنشئة الجسدية العلمية والنفسية.

وأما نظام المحاسبة على التحصيل فإنه يتميّز بمراعاة القدرات الفردية وتحقق النتيجة الفعلية والصرامة في ذلك، حتى تُبنى شخصية التلميذ على أساس متين من الالتزام و العلم، حيث يبدأ المبتدؤون

1)سورة المؤمنون، الآية 51.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص184.

بحفظ القرآن ولا ينتقلون إلى شيء آخر قبل ذلك، أو أصحاب الآداب لا ينتقلون إلى أصحاب الكتب إلا بأمر من الشيخ بعد أن يتأكّد من كفاءتهم، ويكون ذلك سنويا في الغالب[1].

ومنها المحاسبة على الجهد قبل النتيجة، وأحيانا على الجهد فقط و ذلك مع طبقة العاجزين، أما الآخرين يكون بعدم التسامح مع الكسل وعدم بذل الجهد من خلال المحاسبة اليومية من العريف و الأسبوعية من الشيخ للتلاميذ والعريف[2]. و معيار المحاسبة واضح كعدد الأخطاء في كل لوح، ونوع العقوبة حسب التلميذ واضح أيضا إما بالجلد أو الطرد.

وبنفس الصرامة يتابع التلميذ في الأخلاق والآداب، و تكون العقوبة حسب المخالفة والعمر، إما التوبيخ، و إما الحرمان من أكل الوجبتين الإضافيتين بعد صلاة الضحى وصلاة العصر، وإما حبس في الزاوية، و إما الجلد، وإما الطرد والهجران وهي أعلاها إذا كانت المخالفة من الذنوب الشرعية.

ولهذا المنحى في المحاسبة و العقوبة أثره الواضح في الجانب الوجداني للفرد، لأنه يتميز بالمرونة حسب طبيعة الشخص والمخالفة والتدرج فيها من جهة وبالصرامة[3] في التنفيذ من جهة أخرى، ويتمثل الأثر في فهم الدين والشعائر والأوامر والنواهي ومنطق الجزاء والعقاب الإلهي بنفس المنحى والشحنة العاطفية، وأهم سبب في ذلك أن مصدره روح الشريعة الإسلامية وحدودها وضوابطها الكبرى، وأبرز ما يوضح ذلك على سبيل المثال لا الحصر مبدأ الولاية والبراءة المتمثل تطبيقه في الحجز في الزاوية، والهجران، والطرد.

ج- مجلس العلم و الجانب الوجداني للتلميذ:

من خلال الضوابط التي تحكم سير حلقة العلم يتضح أن الاتزان الوجداني و قيمة الأخلاق والآداب أولى من العلم نفسه، ويظهر ذلك جليا بترغيب طلبة العلم للجلوس ومناقشة المسائل بينهم (ما لم تفض إلى توغير الصدور)، والامتناع من مناقشة غريب العلم في مجلس يحضره العامة

---

1)خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص80.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص 177- 180.

3)وإن كانت الصرامة أحيانا متجاوزة لحدودها كما ذكر أحد الدارسين لنظام الحلقة. أنظر: خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص94.

خشية الإفتان، ويختتم المجلس بنافلة الضحى مع الشيخ، وبعدها على الطلبة أن يحرصوا على موافقة الشيخ إن كان يريد المرافقة رافقوه، وإن كان يزعجه ذلك صلوا وانصرفوا، وهكذا نلاحظ أن العواطف و الوجدانات في مجلس العلم في البداية وفي أثناء المجلس وفي اختتامه.

و من الأخلاق الأساسية خلق التواضع وقبول النصح، وذلك حين يرد سؤال إلى الشيخ فإن الشيخ يقدم من هو على يمينه إن كان له جواب، و هذا الأخير للذي يليه عن يمينه، وهكذا إلى أن يتأكد من عدم وجود من هو أعلم منه في المسألة معه في المجلس، وللطالب الحق في المعارضة و الاستفسار مباشرة أو عن طريق المسؤول.

يعتمد نظام الحلقة بشكل عام على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقاعدة أساسية، ولهذا الأسلوب أهميته التربوية والتعليمية لأنه يستهدف كفاءة نقل الخبرة وهي أعلى كفاءة يمكن أن يبلغها الطالب في التعلّم، أما في الجانب الوجداني فكلّما تكلّف التلميذ في إقناع الآخر على شيء من الوجدانات مثل الرقائق أو الترغيب والترهيب كلما ارتفعت شحنة الوجدانات عنده بشكل أكبر، ومما يدل على الاهتمام بأساليب تنمية الحماس للدين، أن التدريب على الغيرة للدين هو مقصد تربوي تهدف إليه الحلقة ما كان من أبي محمد ماكسن بن الخير، إذ كلما شكى التلامذة إلى شيخهم أبي محمد ويسلان غضبه الحاد والسريع قال:(والله لا أسمع قولكم فيه ولا أقبله، ولا أحرّج عليه. لما تفرّس فيه من الخير والبرّ وإحياء الدين والسير، ويقول لهم: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل له: (لم تكون الخفة في المؤمن؟ فقال: لغزارة في قلبه)[1].

مثال أسلوب الأمر والنهي في التعليم تحفيز أصحاب الكتب على تعليم بعضهم بعضا ومدارسة مسائلهم فيما بينهم وهو ما يسمى بأسلوب تعليم الأقران وهو من أساليب التعلم النشط، أما في التربية وهو ما يتعلق بالجانب الوجداني خصوصا: التدريب على تغيير المنكر كلما ظهر، وتدريبهم على النصح والإرشاد والحرقة في الدين، و من المشاهد التي تدل على ذلك ما ورد عن الشيخ أبي عبد الله أنه كان يسمع المواعظ من أحد تلاميذه يقرأها عليه كلما هم بالقيام بعد الفراغ من الحلقة[2]، ومن ذلك أيضا اصطحاب التلامذة في الرحلات الدعوية كما سيأتي لاحقا.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص254.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 266.

وربما يطول الحديث عن الأخلاقيات المستفادة من نظام الحلقة، لكن رأسها وأهمّها على الإطلاق القدوة الحسنة، حيث إن القدوة محكّ يُمتحن عليه الجميع آمرا كان أو مأمورا على يد الشيخ، وله نظام المحاسبة الذي يستوي فيه الآمر والمأمور، وهو أشدّ صرامة على الآمر مثلما سبق في المحاسبة حسب شخصية المخالف وأقدميته.

من المشاهد التي يعطي فيها الشيخ القدوة إلى جانب من المزحة حين همّ العزابة بكنس الغار، فأخذ الشيخ معهم في الكنس والنّقل، فقال له أحدهم:(أُقعد يا شيخ فإن العزابة يكفُّونك، قال أو يحملون عني ذنبي؟ فكان يرفع قليلاً قليلاً جهد طاقته، فقال له: ارفع إذًا أكثر من هذا، فقال: لو كان رأيك يُؤخذ لأخذنا به آنفا)[1].

د- الرحلة كأسلوب من أساليب التربية الوجدانية للفرد والمجتمع:

ذكر سابقا أن الرحلة من أوجه التحفيز الذي يحظى به التلامذة المتقدمون، كما تُعتبر من أساليب التدريب على الأمر والنهي، إضافة إلى كل هذا فإنه ينمّي شخصية التلميذ بصفة متكاملة، أما من الجانب الوجداني فإنه يتعوّد على تحمّل مشقّة التعلّم أثناء السفر، ويكابد المخاطر التي قد تعترضه في الطريق، ويعيش مع شيخه جميع مظاهره النفسية و

الوجدانية في العبادة، لأنه ربما ألفه عابدا زاهد في الأمن والراحة، لكن لم يألفه في التعب والشدة و اللاأمن ليتعلم من شيخه جميع ما قد يعتريه من أحوال في نفسه و في حياته.

ومن المواقف التي قدّم فيها الشيخ المثل والقدوة عندما كان زائرا بوغلانة[2] مع حلقته فقدم له أحدهم باكورا من الرطب والقثاء،(فعلم – رحمه الله- أن ذلك لا يُؤثر به غيره، وأن العزّابة الغرباء قد يكون بهم تشوق لمثل هذا مما يُستغرب، فلم ينفرد بذلك دونهم فقال له: يا موسى أعليّ تتجرأ بمثل هذا، وتجهّم في وجهه، فقال: وما ذلك؟ قال: تتحفني بمثل هذه التحفة ومعك أضياف الله لا يتحفهم أحد بمثل هذه التحفة، وهم أولى من أوثر بها، فاذهب وادفع ذلك إليهم وطب نفسا بما يقرّ عيونهم، فقال: إن هذا شيء يسير لا يجزي فيهم، ولا يقوم لهم مقاما، فقال: بل يقوم لهم أي مقام. فجز القثاء على عددهم أو أكثر من عددهم ثم ضعه على الرطب، ثم ادفع إليهم، ففعل

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص212.

2)أواغلانت: أو أواغلانة، بلد وواحة في واد ريغ. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 832.

ولا يبعد أنه تناول لنفسه مثل نصيب أحدهم لا زيادة وكل ذلك ليبقيه سيرة يقتدي بها من رآه أو سمع به)[1].

كما نلاحظ في نفس المثال إلى جانب كل هذا فإن الحلقة إذا حلّت في مكان فإنها توظّف الجميع وتجيّشهم للخير والزكاة والطهر والنماء بالإنفاق على الطلبة بالصدقات والأوقاف والوصايا من كافة شرائح المجتمع دون استثناء، من التصدق بوجبة أو وجبتين إلى التصدق بالنخيل والغابات، وقد ورد أن مثل القرية الذي تهتم بالتلامذة مثل شجرة الخروب، أي يكون الاهتمام بالتلامذة شغلهم الشاغل، كما يجب عليهم ألا يستعظموا ما ينفقونه في جانب التلامذة[2]، و الأهم في الأمر هو تنمية وازع نشر الخير وحب أهله في المجتمع، ومن أمثلة تحفيز المشائخ الناس على الانفاق على الطلبة ما قام به أيوب الجيطالي[3] حين وفد إليه طلبة غرباء فنادى في المسجد من يخدمهم، فقال بعض الأغنياء وكان لم يرزقه الله أولادا: أنا أخدم واحدا. فقال الشيخ يعطيك الله واحدا. فنادى الشيخ ثانية. فطلب الغني ثانيا فقال له الشيخ: يزيدك الله ثانيا. إلى أن بلغ سبعة فأعطاه الله سبعة أولاد[4]، إذ استعمل الشيخ الدع بالخير كوسيلة لتحفيز الناس على التسابق في الخير.

3) حلقة العزابة والتصوف:

لم ينل موضوع المقارنة بين نظام العزابة والتصوّف حسبما ما تم الاطلاع عليه كثير اهتمام بالرغم من أهميته، إلا ما كان من بعض المستشرقين باعتبار أن العزابة ضرب من ضروب التصوف والروحانيات في الإسلام حين أدرج أحد الدارسين نظام الحلقة في تصنيف من تصنيفاته الذي سماه بنساك الصوامع[5].

---

1)الدرجيني،المصدر السابق، ص204،205.

2) المصدر السابق، ص183. بيّن الدرجيني أن شجرة الخروب من الأشجار العظيمة التي تمتص كل شيء ولا ينبت شيء إلى جانبها.

3)أيوب الجيطالي، شيخ فاضل عالم في الشريعة والكلام، سكن شَرُوس بجبل نفوسة، (ق08هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 123.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص794.

5)روبيناتشي، روبيرتو، العزابة، ص15.

من أوجه الشبه بين الاعتزال إلى الغار، إذ العزلة عند الصوفي تشبه في الكثير من مضامينها ومقاصدها ما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم مثل البحث عن الحقيقة من خلال الزهد عن الدنيا والابتعاد عن أهلها والتأمل في الكون[1]، أما عند الإباضية فقد كانوا يستعملون ذلك للعبادة والتأمل من جهة إضافة إلى طلب العلم والتربية من جهة اخرى[2]، كما أن لهم نظاما جماعيا لهذا المعتكف و ليس فرديا.

ومن الأمور الأساسية عند الصوفية الفقر والزهد، ويُعتبر (بمثابة المدخل إلى أبواب التصوف، أو التمهيد الذي يمهد النفس الإنسانية للتحقق بالأحوال الروحية المشرقة، والنفحات القلبية الصادقة التي هي قوام التصوف، وسبيل الصوفي إلى كشف الحقيقة)[3]، إلى جانب هذا التقشّف والزهد عن الدنيا والانقاص من الملك فيها عند الإباضية[4]، فإنّ المشائخ الإباضية لا يعارضون أن يكون أحدهم عابدا غنيا أو عالما وتاجرا مثلما سبق في بداية المبحث، بل و يطمحون إلى الغنى للتنافس به في الإنفاق والإكرام، مثلما قال فلفول بن يحي معتذرا لحلقة العزابة بعد أن بذل وسعه في إكرامهم:

أرى نفسى تتوق إلى المعالي .... ويقصر دون مبلغهن مالي

فلا نفسي تساعدني ببخل .... ولا مال يبلغني المعالى

1)حلمي، محمد مصطفى، الحياة الروحية في الإسلام، ص 15.

2)اتخاذ الغار للتأمل مثل ما ورد من أخبار عن أبي صالح الياجراني. أنظر: الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 311. واتخاذه للتعلم والتربية ما ورد عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي. أنظر: الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص212.

3)حلمي، المصدر السابق، ص 103.

4)مثال ذلك عندما قدِم إلى أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي راعي غنمه فسأله عنها، فقال الراعي:(بخير إن أصابت العافية إلى قابل تستكمل المائة) فقال له أبو محمد:(ما أحب أن تستكمل مائة شاة كما لا أحب أن أكون يهوديا).أنظر: الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 285.

ومن أوجه التشابه بين المرحلة الثالثة من مراحل التصوف والمرحلة الثانية من تطور نظام العزابة في القرن السادس الهجري[1] التحول من التصوف الجماعي بالانعزال عن المجتمع إلى الاهتمام الاجتماعي والسياسي، يقول:(وفي نهاية الأمر انتقلت الرهبانية الإسلامية من خلال مرحلة ثالثة كان فيها الإباضيون أقدم شاهد تماما مثلما كانوا في المرحلة الأولى[2])[3] يقصد بذلك التحول الذي حدث لبعض للصوفية (لدرجة أنهم في بعض الأحيان كونوا دولة ضد دولة، ويكفي مثال السنوسية و السنوسيون، والتي نجحت قرابة منتصف القرن السابق في تأسيس دولة إقليمية كبيرة بمعنى الكلمة)[4]، والتحول الذي حدث للحلقة في القرن السادس الهجري في مهام الشيخ من تربوي إلى نظام اجتماعي (يدافع بحماسة عن حقوق الضعفاء والفقراء؛ يجبر الفاسدين من عُمّال الدولة على رد المظالم للمظلومين؛ ويعمل على أن يسود العدل في الأسواق؛ الحفاظ على الأمن في المدينة؛ سد احتياجات الضعفاء واللاجئين؛ عدم منح معونات مالية على الإطلاق لأصحاب الممتلكات الخاصة...)[5]

يذكر الباحث روبيناتشي أنه من الصعب الجزم بتأثر الحلقة بالتصوف بالمغرب، واعتمد في نفيه على الصراع السياسي الحادّ والذي كان سبب سقوط الدولة الرستمية، و محاربة الفاطميين لكل أنواع التصوف في المغرب بعد تمكّنهم، واعتمد أيضا على عدم وجود مظاهر بارزة في الحلقة تعتبر

1)ستأتي تفاصيل هذا التحول في تحليل النماذج الاجتماعية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

2)يقول روبيناتشي في كلام يحتاج إلى بحث في تاريخ التصوف الإسلامي أوسع مما ذكره:(وليس مستبعداً أن يكون الإباضيون بالفعل هم أول من أعطى إشارة البدء لتكوين التجمعات التصوفية المعتكفة، يدفعهم في ذلك مفهومه التصوفي شديد الصرامة. ويمكن القول بأن حلقة البصرة والتي أسسها راوي الحديث الإباضي أبو عبيدة التميمي والتي أشرنا لها بالفعل كانت النموذج الأول.، ويمكن أن يكون الإباضيون قد نقلوا مثل هذه المؤسسات إلى المغرب وحافظوا بفضل انعزالهم على نفس الشكل الذي أسّست عليه في البصرة حيث كانوا متواجدين جنباً إلى جنب مع السنة، أو أنهم عدّلوا فيها بعض الشيء تماشياً مع الظروف التاريخية. أنظر: روبيناتشي، العزابة، ص 30.

3)مر التصوف عند روبيناتشي بثلاث مراحل، مرحلة التصوف الفردي، ومرحلة التصوف في الأديرة والصوامع، ومرحلة تشكل في مجموعات لها أهداف سياسية. أنظر: روبيناتشي، العزابة، ص 16- 34.

4)روبيرتو، روبيناتشي، العزابة، ص 34.

5) المصدر السابق، ص 35. ستأتي تفاصيل هذا التحول في تحليل النماذج الاجتماعية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

من مظاهر المرحلة الأولى للتصوف[1]، خاصة بعد أن أوضح بعض مظاهر التأثر لكنه في القرن السادس عند أبي عمار[2].

من الصعب بمكان الفصل في الموضوع لأنه يحتاج إلى مزيد بحث تاريخي، ومصادر الإباضية المطبوعة في الموضوع محدودة، وربما كان شيء منها في المخطوط، ومن خلال ما مرّ في كتب السير يبدو أن روبيناتشي قد جانب الصواب، إذ يوجود تأثر بين الإباضية والصوفية بالمغرب، من خلال ما سبق من مظاهر، مثل الانعزال في الغار، وطريقة اللباس، لكن مع التعديل وإضفاء لمسة خاصة تضبطها أحكام المذهب، مثل الزهد إلى جانب العمل وطلب العلم.

وأما ما ذكره من محاربة الفاطميين للتصوف فإنه يعتبر من أسباب تقارب بعضهما إلى بعض، وما يدل على بعض من ذلك ما ورد عن علي بن يخلف[3] في لقائه مع شيخ صوفي وتبادله الفوائد ورضى بعضهم بالبعض بعد أن كانت ظلمة بينهم بسبب قول الصوفي له بعد أن علم أنه إباضي:(إنكم تبغضون عليا)، فقال له:(أبي من أئمة المذهب فكيف يُسمّي ابنه بأحد أعدائه)، فزالت الظلمة وحسنت صحبته له وطلب منه ألا يغادره ما دام في نفطة[4].

الملاحظ في هذا الموقف صحيح أن فيه نوع من خلفية العداوة بين الطرفين، لكنها عداوة أساسها حدث تاريخي وليس مظهر من مظاهر التصوف العبادة، لأنهم قد يختلفون في الفقه والعقيدة ويتفقون في بعض المظاهر، ثم ما إن برّر الشيخ علي بن يخلف الموقف حتى زالت العداوة، وهذا دليل على وجود أمور كثيرة تجمعهم، وعلى رأسها الصلاح والتقوى، وقد روي في يوم من الأيام كانت تذكر مناقب الشيخ يخلف بن يخلف النفوسي[5] يخلف وأسرته بين يدي الشيخ أبي علي حسنون بن محمد بن عمران النفطي، وكان بينهم زائر يستغرب كل ما يذكر من المناقب، فسأل

---

1) المصدر السابق، ص 29.

2)من المصطلحات الصوفية التي استعملها أبو عمار عبد الكافي البدلاء أو الأبدال، والغوث.أنظر: عبد الكافي، أبو عمار، سير أبي عمار عبد الكافي، ص 17، 18.

3)أبو الحسن علي بن يخلف بن يخلف الدرجيني، من علماء درجين بالجريد، جد مؤلف كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، من كبار التجار إلى بلاد غانة، سبب إسلام ملك مالي، (حي في: 575) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 637.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص340.

5)يخلف بن يخلف النفوسي التميجاري العزابي، من جبل نفوسة بليبيا، فقيه، قاضي، نسابة، تعلم على يد علماء أريغ ووارجلان، (550هـ، 600هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1020.

أحد الحاضرين الشيخ:(أترى يا سيدي أنهم يرجى لهم الخير عند الله لهذه الأوصاف؟ وهم على ذلك المذهب؟ فلم يجبه بغير الصمت، فقال الزائر للشيخ: يا سيدي وما مذهبهم؟ قال الصلاح، وانقطع الكلام)[1].

خلاصة المبحث:

تظهر القوة الوجدانية للعقيدة عند الإباضية من منظور تربوي في الاعتناء الشديد بالعالم الداخلي للإنسان، ويظهر ذلك في:

- الأهمية البالغة التي يولونها للعبادات حتى تكون في أكمل وجه، سواء الفرض منها بالاحتياط البالغ في الطهارة، أو اتباع منهج من النوافل تقربا إلى الله تعالى.
- التناغم بين الحاجة العاطفية للقلب و القوة العلمية، ونتيجة لذلك بين الحياة الدينية و الدنيوية.
- عقد مجالس خاصة بالوعظ و الرقائق.
- من الآليات والوسائل الأساسية في تنمية الوازع الداخلي ذكر المناقب و كرامات المشائخ، والتحذير من أحداث نهاية الزمان.
- توظيف العملية التعليمية لتنمية الجانب الوجداني، حيث إن أول هدف للعلم هو تثبيت الناس على مبادئ الدين والعمل به.
- تعظيم مكانة العلماء، تأكيد على مرجعيتهم وأهمية دورهم في الثبات على الدين.
- تذكر كتب السيرة نسبة من المؤلفات في الجانب الوجداني تحتاج إلى تنقيب وبحث وإبراز.
- يعتبر نظام حلقة العزابة نموذجا تربويا متكاملا في تنشئة إنسان يتميز بالدافعية الوجدانية.
- من أساليب التنشئة العناية الشديدة بالصحة القلبية في سنّ التنظيمات والقوانين، سواء في التعلم أو الحياة الاجتماعية أو غيرها.
- ومنها أيضا نظام الجزاء والعقاب يعتمد على المحاسبة الصارمة على الجهد ثم النتيجة.

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص337.

- اعتماد أسلوب الرحلة والمرافقة في التنشئة الإيمانية.

بهذا يكون المبحث قد حاول تجلية معالم البعد الوجداني في تربية الفرد من خلال مدخل التربية الإيمانية، وتجلية قيمة اللم والعلماء ودور حلقة العزابة في ذلك، لا شك أن تكوين الفرد يظهر أثره في الحياة الاجتماعية والعلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع، فما أثر تربية الفرد بالشكل الذي سبق على الجماعة؟

المبحث الثاني: تحليل نماذج اجتماعية.

من خلال المواقف ذات البعد الوجداني التي تم تصنيفها وحصرها ظهرت أخلاق اجتماعية تكرّرت كثيرا كمظهر من مظاهر اليقظة الوجدانية، لغرض التوضيح أكثر تم تصنيفها إلى مجموعتين أساسيتين، الأولى حول كل ما يتعلق بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما حوله من أحكام العقاب والهجران، و بعض أخبار الإصلاح الاجتماعي و مكابدة العلماء في تربية المجتمع.

و من المواضيع التي نالت حظا وافرا في هذا الصدد موضوع الزيارة، وهو وسيلة متعددة الأهداف، من بينها: الأساس الدعوي المتمثل في الأمر و النهي، و تختتم المجموعة بعرض مختصر لحلقة العزابة. والفرق في حلقة العزابة بين المبحث الأول و هذا المبحث، هو الوقوف على التطور الذي حدث على يد أبي عمار عبد الكافي من التربوي إلى الاجتماعي، أو تحول مقر العزابة من الغار وحلقة العلم فقط، إلى المسجد والإشراف الفعلي على شؤون المجتمع، أو ما يسمى بالتحول من الغار إلى المسجد.

أما المجموعة الثانية من الأخبار تتمثل في الأخلاق والآداب الاجتماعية، وقد تمثلت أساسا في الورع في المعاملات من بيع وشراء ومداينة، و في أداء الأمانات والودائع إلى أصحابها، ومن الأخلاق البارزة أيضا التسامح ولين الجانب والتعاون الاجتماعي والتكافل، كما كان لأخبار الإنفاق وإكرام الضيف مكانة معتبرة بين الأخبار والمواقف في كتب السير، وتم الوقوف أيضا على مجموعة من الأخلاق في الحياة الأسرية.

يحاول المبحث بعد هذا التصنيف الوقوف على الجذور العقدية لهذه الأخلاق، ونوعها الذي قد يكون نتيجة لوسيلة وجدانية أو هي في حد ذاتها وسيلة تحقيق أثر وجداني دافع او رادع أو ممجّد، وإن كان غالبها يعتبر أثرا للتكوين الوجداني التربوي أي على الصعيد الفردي، ثم بعد ذلك الوقوف على الأهمية والقيمة الاجتماعية الموجودة في الخلق.

أولا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومظاهر تطبيقه:

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول عند الإباضية نظرا لأهميته، و تعتبر النماذج الآتية المقسمة في مجالات مختلفة من مظاهر هذه الأهمية، وأبرز مظهر هو نظام الولاية والبراءة

المطبق في نظام الخطة والذي(كان بديلا عن العقوبات التي لم يستطع الإباضية تطبيقها لأنها من مهام الدولة القائمة وهم بذلك يعرضون أنفسهم للهلاك)[1].

وقد تم إفراد عنوان خاص لمواقف الإصلاح الاجتماعي بسبب تفردها بعدد كبير من الأخبار متمثلة في قضايا الاختلاف بين العامة، أو بين العامة و المشائخ أو بين المشائخ أنفسهم وتدخل المشائخ في الإصلاح، وذلك للوقوف على مظاهرها الوجدانية والآثار التي من ورائها، كما أن خلق الزيارة نال حظا كبيرا من الذكر على اختلاف مقاصده منه ما كان بمقصد الإفادة والاستفادة أي الأمر بالمعروف، ومنه ما كان للنهي عن المنكر والإصلاح، ثم نختم في النهاية بنظام حلقة العزابة الذي كان السبب الرئيسي في استحكام الأمر والنهي، و انضباط المجتمع بأحكامه.

ربما قد يتبادر إلى الذهن: إذا كان نظام حلقة العزابة هو المصدر وهو الأساس لماذا لم يكن هو الأول في التحليل ثم تأتي التنظيمات الأخرى كجزء منه، نعم هذه العلاقة صحيحة بين التنظيمات ونظام حلقة العزابة، لكن لأن البحث يعالج مرحلة انتقالية لنظام الحلقة من التربوي إلى الاجتماعي، الأمر الذي جعل تشكله كنظام اجتماعي كامل المعالم لم يكتمل إلا نهاية القرن السادس، ولو كان اكتماله وتشكله في بداية الخامس لكان من المنهجية أن نبدأ بتوضيح معالمه أولا وتقديم نماذج عليه بعد ذلك.

4) العقاب و الهجران والتوبة من البراءة:

لنظام البراءة مظاهر شتى وأشكال تطبيقية مختلفة المستويات الاجتماعية، منها ما كان بين المشائخ من حلقة العزابة باختلاف أسبابها ودواعيها، فقد ورد أن العزابة تبرؤوا من أبي طاهر اسماعيل بن أبي زكريا[2]، وكان في ورجلان فقال لابنه ارحل بي إليهم إلى مسجد تاماست[1]، حتى أن ابنه لم

---

1)خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص58.

2)أبو طاهر اسماعيل بن أبي زكريا ، من شيوخ مغراوة، مسكنه وارجلان، أخذ العلم عن واضع نظام العزابة أبي عبد الله محمد بن بكر، والراجح أنَّه من الأوائل الذين تلقَّوا مبادئ هذا النظام، وعملوا على نشره، وإرساء

يكلمه خشية كسر الهجران، بل سأله فقط هل الطريق على يمنة المسجد أو يسرته كي يقف ويتوب فيه، وبعد أن قبلوه قال: (يا مشيختي لم أفعل شيئا مما بلغكم، ودعا على من كذب عليه ألا يميته الله إلا بالحاجة، فنفذت فيه وفي ذريته دعوة الشيخ) قال الشماخي:(كيف لم يجدوا ما يعيبون فيه إلا في شيء مباح ويتضرع كل ذلك التضرع وكل هذا دليل على تقواه وورعه الشديد)[2]. بالرغم من كبر سنه وصغر مخالفته أو عدم وجودها فإنه أصر على التوبة و المحاللة.

ومن ذلك أن المشائخ التقوا بأبي يعقوب يوسف بن خلفون وهم في طريقهم إلى الحج وقد علموا أنه كان في الهجران، وكان معهم الشيخ يخلف بن يخلف جد صاحب طبقات المشائخ بالمغرب، فلم يريدوا أن يصافحوه و انتظروا ما يفعل معه فيفعلوه،(قال: فلما نزل الشيخان وضع شيخنا يده في يد أبي يعقوب وتنحيا عنا غير بعيد، فجعل يثرب عليه ويعدد ما نسبوه إليه بتثريب، لم نفهم منه إلا ما عاينا الشيخ كلما ذكر خطيئة خط بإصبعه في الأرض فكلما عد عليه شيئا ذكر وجهه وسببه واعتذر، واستغفر، حتى أتى على جميعها وظهرت براءته، وكان الشيخ يخلف يقول له في تثريبه: يا ابن خلفون كيت وكيت ثم يخطّ، ويقول: يا ابن خلفون كيت و كيت، وأطال العتاب، وأبو يعقوب مطرق، إلا أنه مهما عدّ عليه شيئا ذكر عذره ووجهه وسببه، حتى توجه عند الشيخ عذره فسمعنا شيخنا يقول: الحمد لله رب العالمين، وقاما معا واعتنقا وقمنا نحن أيضا وسلمنا على الفقيه أبي يعقوب وسلم علينا وآنسناه وتأنسنا به)[3].

قد يكون من أسباب الهجران الاختلاف في مسألة علمية، إذ إن العزابة طردوا أبا الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي من الحلقة وتبرؤوا منه بعد قول له في صفات الله، إذ قال إن السخط والرضا من صفات الله، فسافر إلى المشرق للحج، فقال الدرجيني:(ولعل الجماعة

قواعده، وأسسه في المجتمع الإباضي بوارجلان، (النصف الثاني ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 105.

1)تاماست: قرية بوادي أريغ. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 837.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص702.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص320.

رضوا عنه، وحينئذ توجه إلى الحج، وإلا فلا يمكنه أن يقصد إلى الحج وهو في وحشة الهجران، بل بعد أن يتوب وتقبل توبته)[1].

كانت الأمثلة السابقة كلها عن البراءة بين العلماء أنفسهم، فمنهم من علُم سبب التبرؤ منه مثل أخذ موقف علمي مخالف للجماعة، ومنهم من لم يُعلم سببه، لكن ما اتفق عليه الجميع هو المبادرة إلى التوبة والرجوع إلى الجماعة.

فيما يلي أمثلة عن تربية المشائخ للمجتمع من خلال نظام البراءة، وهذين المثالين يقدمان نموذجا لنظام العقوبة في مرحلته التربوية، أي عندما كان كحلقة تربية للتلامذة، وهذا النظام يتسم بالشدة والصرامة، مثال ذلك أن أبا صالح بكر بن قاسم اليراسني عاقب رجلا من تلامذة أبي مسور على خطأ وقع فيه، فاشتكى الرجل إلى أبي مسور، فقال له:(المسلم في الحق كالحديد المحماة ما وقع عليها أحرقته، وما وقعت عليه أحرقته والحق أحق أن يتبع، وإن كان مرّا)[2].

ومن مظاهر الشدة والصرامة في العقوبة أن أبا صالح بكر بن قاسم اليراسني إذا ثبت عن أحد جناية، أمر بإحضاره وأُثبتت رجلاه في حلقة لئلا يهرب ثم قُلبت عليه، فضربه ضربا شديدا (حتى إنهم ليصيحون في اليل من ألمهما)، وكان إذا كان من الصنهاجيين تركه ولم يعاقبه تقية، فلما ساءت الأحوال وتغيرت انتقل من البادية إلى المدينة و رمى آلة المعاقبة في البئر، وسئل ابنه عن ذلك فقال:(إنما اتخذ ذلك ليصرفه في الوجه الذي أراده له، وإذ قد تخلى عن ذلك فلا ينبغي أن ينتفع بها في غيره)[3].

الملاحظ في المثالين الحرص على الأمر والنهي بشدة بالغة، وقد حافظت شخصية الآمر والناهي على تلك الشدة عندما انتقلت إلى مرحلته الاجتماعية.

من مظاهر الصرامة في تطبيق نظام البراءة ما كان من المشائخ مع سراة القوم أو مع أهل القرية بأكملها، ومن أمثلة ذلك أن المشائخ أخرجوا أهل مغراوة بأسرهم إلى الخطة، فلما عزموا التوبة

---

1)الدرجيني، المصدر السابق، ص189.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص172.

3)الدرجيني، المصدر السابق، ص173.

وأدّوا الشروط و حضروا في مجلس ليعرضوا توبتهم، فقدم العزابة الشيخ أبو عبد السلام سمداسن بن يخلف المغراوي[1] ليتكلم، (فأمرهم بإيفاء الكيل وتقديم أولي العلم والفضل وترك جميع المناكر، ففعلوا وتابوا وقبلوا عنهم)[2].

ومن شروط نجاح نظام البراءة أن لا يخالفه أحد أو كما ورد في أحد الأمثلة (كسر الهجران)، في هذا الصدد ورد أن أبا يعقوب يوسف بن نفاث القنطراري[3] قصد وارجلان لمصلحة له، وكانت حينئذ قد هجرها الشيخ أبي عبد الله لأعمال عملوها، وعلم أبو يعقوب أن الملامة ستقع لا محالة، فحاول تلافي الشيخ وحريمه أثناء عودته، لكنه ضل الطريق حتى كاد أن يهلك من العطش هو ومن معه، فوجد نفسه عند الشيخ، فضيفه وأكرمه، وقال في ذلك: (أرانا الله قدرته ثم أرانا حلمه)، وبعد أن بلغ أهله أرسل إليه الشيخ أبو عبد الله أبيات شعر معاتبا له أشد عتاب وأنه خيب ظنه وفراسته فيه :

قد كنت أحسب إن فيك رجية ... ترجا لصرف نوائب الحدثان

أوفيك للإخوان أمر يرتجا ... فأراك لا شيء من الاخوان

راحت فراستنا وخاب رجاؤنا ... شمت العداة بنا مع الاقران

فضل يكرر مرار: لا شيء من الإخوان تأسفا وندما على ما صدر منه[4].

1)أبو عبد السلام سمداسن بن يخلف المغراوي، كان شيخا فاضلا، عالما تقيا، آمرا ناهيا، له كلمته المسموعة إذا اجتمع الأشياخ في أمورهم، و له أقوال حكيمة عديدة في طلب العلم والمعاملة الطيّبة، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 478.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص716.

3)أبو يعقوب يوسف بن نفَّاث القنطراري النفوسي، من جملة مشايخ أهل الدعوة، من تيمجار بجبل نفوسة، سكن بلاد أريغ، وعاصر الشيخ سعيد بن زنغيل وأبا عبد الله محمَّد ابن بكر، وغيرهما، كان شيخًا فقيهًا، له فتاوى ومراسلات، تبوَّأ منزلة علميَّة هامَّة بين معاصريه، فكانوا يرجعون إليه للفصل في مسائل الخلاف، قتل في معركة درجين لمَّا استباحها عامل المعزِّ بن باديس، (440هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1074.

4)الشماخي، المصدر السابق، ص669.

الملاحظ هنا شدة المعاتبة التي كانت من الشيخ أبي عبد الله، وأنه اعتبر أن في مخالفته للهجران خيبة أمل له في المخالف.

يعتبر مبدأ الولاية والبراءة الأصل العقدي الأساسي من وراء هذه المواقف سواء بين العلماء أو مع العامة، والولاية (لغة القرب والقيام للغير بالأمر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال)[1] والبراءة (لغة البعد عن الشيء والتخلص عنه وعلى ذلك تبنى البراءة الشرعية)[2] وقد شرح حفيد أخ القطب الشيخ أبو إسحاق أن البراءة تكون على حسب مستوى الضرر الناتج عن المخالفة، فإن كان متعلقا بالشخص فحسب يكون التبرؤ غيره في الذي يتعدى ضرره إلى المجتمع، وهو غير التبرؤ الذي يناله من يضر بالأمة أو الدين وهو الذي يستوجب اللعن والمقت[3].

وهذا التدرج في مستوى البراءة هو ما نلاحظه في الأمثلة السابقة، فالتبرؤ من العالم بسبب موقف علمي رآه صوابا، أو بسبب سلوك من الصغائر شهد عليه، فهذا شأنه المعاتبة من قرينه العالم، مثلما كان بين الشيخين يخلف بن يخلف و أبي يعقوب يوسف بن خلفون من معاتبة على طريق السفر، ثم ما إن مرت مدة من المعاتبة حتى اتفق الشيخان وعاد المتبرؤ منه إلى الجماعة.

على خلاف ذلك نجد أن الأسلوب البراءة والمعاتبة يشتد عندما تتعلق المخالفة بضرر يلحق بالمجتمع، مثل معاتبة الشيوخ وهجرانهم لأهل مغراوة، ولم تكن التوبة سرية بل علنية وبشروط.

ومن الدوافع العقدية الأساسية أيضا الحرص على الطاعة وتجنب المعصية بقبول النصيحة، وهو الذي جعل إلى جانب هذه الصرامة جانبا من الاحتراز والحرص على احترام هذا النظام، وذلك ما فعله الشيخ الهرم مع ابنه حتى يتوب للعزابة في مسجد يصل إليه بعد جهد كبير، أو عندما اعتذر الشيخ سعد بن ييفاو من المشائخ وتاب من أعمال عدّوها عليه وهو لم يفعلها، (فقيل له لم لم تدفع عن نفسك وأنت لم تعمل؟ فقال: أعوذ بالله إن أردّ ناصحا، ولو رددته لضرّني فيما أعمل،

1)اطفيش، محمد بن يوسف، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، ص 51.

2)المرجع نفسه، ص 63.

3)المكان نفسه.

فيقول من أراد نصحي: نصحه فلان فلم يقبل، ولست خيرا منه)[1]، وفي هذا تأكيد على دور الولاية والبراءة المتمثل في أداء النصيحة.

الملاحظ في الدوافع الوجدانية المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية تداخل بين الدوافع الموجودة في المعتقد الذي من وراء الخلق ذاته، والدوافع الوجدانية التي يكون مصدرها المجتمع تأكيدا للدوافع الموجودة في المعتقد، وهذا يتضح أكثر في نظام الولاية والبراءة.

تتمثل الدوافع الوجدانية التي من وراء المعتقد نفسه دوافع رادعة مثل الخوف من الله بتولي من تبرأ منه الله تعالى، و دوافع دافعة مثل حب الله تعالى بحب من أحبه الله تعالى، أو كذلك حب الطاعة وكره المعصية، الذين يدفعان بالإنسان إلى أن يحب كل طائع ومن يأمر بطاعة، ويكره كل عاص و من يدعو إلى معصية.

بما أن البراءة تستمد قوتها من المجتمع فإن هناك دوافع أخرى مصدرها الولاء الاجتماعي، وهي نتيجة للدوافع الوجدانية السابقة، مثل ما يحب أي إنسان أن يكون له ولاء بين قومه، ويخاف من هجرانهم له، فهذا يعتبر استعدادا مهما جدا لنجاح نظام الولاية البراءة، وما العالم إلا موجه لموقع البراءة والهجران وسببها، ولا دور له في إنجاحه إذا لم يتقبل المجتمع ذلك ولم يقتنع به.

ومثال ذلك أن أبا عبد الله محمد بن بكر كان في بلاد أريغ بحلقته وكان فيها فسادا أضرّ بالضيوف الذين يفدون إليه من أماكن شتى بقطع الطريق والسرقة، فهاجر أريغ إلى ورجلان، فألحوا عليه العودة، فاشترط عليهم إصلاح أحوالهم (فتعاونوا على البر حتى ارتدع عتاتهم، وانقمع غواتهم، فلما بلغه ما هم عليه من الخير سألوه الرجوع فرجع)[2]، فهنا الشيخ ألقى بالمسؤولية على عاتق المجتمع حتى يصلحوا شأنهم، ولم يتول ذلك بنفسه، والأمر الأساسي الذي يؤثر في النظام هو مكانة الشيخ في نفوس الناس، لأنها هي التي تدفعهم إلى احترام براءته وهجرانه، والعمل بمقتضياتها، وكأن لسان حاله يقول لهم: إذا كنتم في حاجة إلي فأصلحوا شأنكم، لأني لا أستطيع أن أصلح خطأكم إذا كنتم راضين به.

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص757.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص206،207.

أقوى سبب في نجاح نظام البراءة على الإطلاق هو مكانة الشيخ في قلوب الناس، وهذه المكانة تتمثل في السلطة العلمية والوجدانية والأخلاقية، إذ لا يستطيع أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر من كان لا يأتي بالمعروف ولا ينتهي عن المنكر، وهو ما يدل على وجود عدد كبير جدا من أخبار الولاية والبراءة تتعلق فقط بتصحيح سلوك العالم وتقويمه.

من الإشكالات التي قد تترتب عن هذا التنظيم الاجتماعي الصارم: الثقل العاطفي الجمعي على حساب الحقيقة، وهذا ليس في ذاته طبعا وإنما في المعايير التي توضع له، مثل تحديد الأعمال التي يُتبرّؤ من صاحبها، أو هل يسع الفرد مخالفة الجماعة إن رأى في ذلك صوابا، لأن الثقل العاطفي الجمعي قد يكون حائلا عن الالتزام بالصواب أحيانا بسبب صعوبة أو استحالة مخالفة رأي الجماعة، فقد ورد أن أبا محمد عبد الله اللواتي[1] عندما كان بن ثماني عشر سنة، وكان قد قدم من حلقة علم مع جماعة، فمروا في طريقهم على أبي محمد ماكسن بن الخير[2] فسأله:(يا شيخ إن العزابة قد اتفقوا أن لا يفترقوا فهل يجوز لي أن أفارقهم إن رأيت في مفارقتهم مصلحة؟ فقال إنما جعلنا الله أحرارا لنملك أمرنا فصحبه)[3]، وفي هذا السؤال دلالة واضحة على الصعوبة البالغة التي يجدها المتعلم أو العالم في مجرد التفكير في مخالفة الجماعة.

لكن من الضوابط الصارمة أيضا و التي تقلّل من خطورة هذا الثقل العاطفي على حساب الحقيقة العلمية وجوب الشورى، فقد ورد عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي قائلا:(مثل الجماعة كالخشب ومثل من يستغني برأيه كالوتد الذي يضرب في الخشبة فتفريق الجماعة إنما يكون بسببه، وذلك إذا استبد برأيه في أمر تنبغي فيه المفاوضة كان حريا بأن يخطئ فإذا أخطأ فلا بد من اجتماع الجماعة للنظر في أمره، فإذا أخذوا في الكلام في قضيته لم يعدموا من يقوم غضبا للخاطئ يدافع عنه فيكون خاطئا ثانيا، فهو كوتد ثان يضرب في الخشبة في سمة الوتد الأول، ثم إذا حاول الجماعة النظر في أمر الوتد الثاني قام الثالث يدافع عنه فهو بمنزلته وتد ثالث في سمة الوتدين، فعند

---

1)أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي، من أخيار بلاد أريغ، حافظ للأخبار، توفي يوم الأحد 28 جمادي الثانية 528 هـ أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 596.

2)أبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني اليفرني، نشأ بالقيروان، فقد بصره وهو بن سبع سنين، كثير الأسفار في سبيل إصلاح شؤون الأمة، (ت: 491هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 764.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص291.

قيام هذا الثالث تتفرق الجماعة، ألا ترى أن الخشبة بعد الوتد الثالث تصير اثنين؟ فلا ينبغي الاستبداد فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: من استغنى برأيه ضل، ومن هجم على الأمور عطب)[1].

بصفة عامة فإن نظام الولاية والبراءة من أقوى أسرار استمرار المجتمع الإباضي، لأنه هو الضامن لانتشار المشاعر الوجدانية الدافعة للخير، والحاجز من انتشار المشاعر الوجدانية الداعية إلى الشر. وقد مرّ بتطورات عدّة تتناسب مع كل عصر وخصائصه، وهذا أكبر دليل أنه من الأصول الثابتة في الشريعة الإسلامية، والأساسية في الحياة الاجتماعية للمجتمع المسلم.

5) الإصلاح الاجتماعي:

يعتبر الإصلاح الاجتماعي من مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسبب إفراده بعنوان هو الوقوف بشكل أدقّ على ما تحتويه مهمة الإصلاح الاجتماعي من وجدانات وأخلاقيات كان لها أثر بالغ في تربية المجتمع.

تميزت مواقف الإصلاح الاجتماعي التي وردت عن العلماء في كتب السير بالحرص الشديد على طلب النصيحة وأدائها خصوصا عند المودعة أو عند إرسال مصلح إلى قرية ما، كما تميزت بالمقاومة الشديدة الصارمة لأنواع العناد والمكابرة، وقد ظهر الدعاء إلى جانب كل ذلك في الإصلاح الاجتماعي بشكل بارز.

من أمثلة طلب النصيحة وأدائها أثناء المودعة، أن العزابة أردوا مودعة الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[2] فقالوا له أوصنا يا شيخ، فقال:(قد عزمت على ذلك قبل أن تقوله) فقال:(امضوا بالسلام، فإذا وصلتم منازلكم إن شاء الله فإياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم، فمن استقبلها أغرقته، ومن استدبرها فلا بد أن تأخذ منه، وعليكم بالنصيحة والألفة والتزاور فيمن

1) المصدر السابق، ص 209

2)أبو الربيع سليمان بن يخلف الوسلاتي، المزاتي، النفطي، القابسي؛ لكثرة أسفاره، من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر.(ت471هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 215.

يرِد عليكم من أهل دعوتكم والسلام)[1]، ذكر ذلك الدرجيني[2] و الشماخي[3] مضيفين في النصح:(وحفظ مجالس الذكر وإياكم وأموال الناس)، احتوت هذه النصيحة نوعان من النصيحة أحدهما تتعلق بمشاعر أخلاقية فردية وهي الحذر من الدنيا، و الأخرى تتعلق بالمجتمع وهي الألفة والتزاور.

و بما أن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر كان صاحب حلقات تستقبل تلاميذ وتودع آخرين ليذهبوا مصلحين إلى أهاليهم، فإنه حريص على النصيحة، ومن ذلك أنه قال لتلميذ أراد الرجوع إلى أهله بعد التعلم:(اذهب إلى منزلك فإن وجدت من تقدّمه في الأمور فاتبعه، فإن لم تجده ووجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى، فإن لم تجد ووجدت من سعى في الخير فكن إمامه، فإن لم تجد أحدا من هؤلاء فاستقم على الطريقة وحدك)[4]. احتوت النصيحة على طريقة التصريف الاجتماعي لما تعلمه من علوم على اختلاف الاحتمالات والظروف التي قد يصادفها الطالب.

ومن مظاهر الإصلاح الاجتماعي الفصل في النزاعات بين الناس، ولصعوبة الأمر ومشقته التي يجدها العلماء و المشائخ كانوا يستعين بعضهم ببعض، ومن ذلك أن أبا عبد الله محمد بن بكر قال لأبي الخطاب عبد السلام بن منصور حين أراد الرحيل بتلامذته إلى أريغ:(كن معي يا عبدالسلام فإن من يرفع الناس إليه حوائجهم ويدعونه مثل من كان في الحرب، لا غنى له عمن يرعاه و يحرسه و يؤيده و يمده ويرفعه ويدعمه، ويداوي جراحه، ويسوي خلله، وإلا كان هلاكه وشيكاً)[5]، في هذا الطلب وصف بليغ للشدة التي يجدها المشائخ خلال ممارسة للإصلاح الاجتماعي.

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 371.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص250.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص604.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 363.

5) المصدر السابق، ص 304.

ومن تلك المكابدة الاجتماعية في الإصلاح وتغيير المنكر أن أبا طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي[1] كان يقيم أمر الله ونهيه في فرسطاء[2] لمدة تسعة أعوام، فأتى إليه خبر أحدهم أنه يملك خمرا، فقصده مع أهل الخير والصلاح ليردعوه، فأرسل إليه صاحب الخمارة بعض الأعراب تهديدا، فأراد مغادرة البلد فتعلق به الناس فقال لهم: (لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحق ولا أمر ولا نهي. وقال للأعرابي الذي رده: سلطك الله عليهم وسلطهم عليك. فقامت فتنة بينهم بمقتله واستمرت زمانا[3].

ومما تميز به العلماء أيضا في إصلاحهم لأمور الناس الصرامة البالغة والاحتراز من عدم الانصاف، ومن ذلك ما ورد عن أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي[4] أن من احتياطه من الميل إلى أحد الخصمين عند الحكم، كان يضع بينه وبينهما سترا[5].

ومن الميزات التي تميزت بها أخبار الإصلاح الاجتماعي استعانة المشائخ بالدعاء للملتزم والدعاء على المعتدي، ومن ذلك أن الشيخ أبو ساكن عامر الشماخي[6] أصلح بين قريتين من قرى يفرن[7] بعدما كانت حربا قائمة بينهم، فغدرت إحداهما على الأخرى، فأخذت المغدور بها بالثأر وأحرقوا

---

1)أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، عالم جليل، ولد بجبل نفوسة، ونشأ بمدينة جيطال، اشتهر الجيطالي بحافظته القوية العجيبة، فكان شيخاً حافظاً، عالماً، عاملاً، محافظاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ت750هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 110.

2)فرسطاء: بلد قديم بجبل نفوسة في منطقة الحرابة. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 863.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص788.

4)أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، عالم فذٌّ، وشاعر ألمعيٌّ، من أعلام قرية تملوشايت، بجبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم عن خاله أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم، كان عالمًا، واعظًا، شاعرًا، متكلِّمًا، زاهدًا، له العديد من المؤلفات، (ق07هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 730.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص776.

6)أبو ساكن عامر بن علي بن عامر ابن يسِّفاو الشمَّاخي، أحد أكبر مشايخ الإباضيَّة في جبل نفوسة بليبيا، مجدِّد المذهب، وموحِّد الأمَّة، لقِّب بجدارة بـ«يَسِّفَاوْ» ومعناها بالعربية: ضياء الدين، له مؤلفات عدة، عمِّر طويلا، وتوفِّي بواحة يفرن، (792هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 529.

7)يفرن: تقع في شرق جبل نفوسة على مرتفع 700متر. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 881.

زرع الغادرين، فدعا على الغادرين بالقلة، وعلى الآخذين بالثأر بعدم البركة (فما زالوا في قلة إلى يومنا هذا)[1].

يعتبر الحرص الشديد على النصيحة ومقاومة الشدائد في سبيل الإصلاح الاجتماعي نتيجة للإيمان بالمسؤولية الملقاة على عاتق العالم نحو قومه، وهذا الأمر يجعله يسبل نفسه وحياته من أجل إصلاح مجتمعه، كما تعتبر سببا مهما جدا في انتشار الخير والعواطف الدافعة والرادعة والممجّدة كما تبين سابقا في الحديث عن الأمر والنهي عامة.

قيمة طلب النصح هي أعلى مرتبة من قبولها، لذا إذا انتشرت عند قوم ما فهو دليل على قوتهم الوجدانية الروحية، ووجود القابلية للتحسن مهما كانت فيهم من أخطاء، ويعتبر ذلك حالة وجدانية متأهبة لفعل الخير بكل قواها، كما أنها دليل على وجود أسباب معينة حتى أيقظت هذا الاستعداد، يتمثل ذلك أساسا في تربية الفرد وجدانيا، وتنتج عن هذه التربية الذاتية في طلب الحق والصواب.

أيضا من الأساليب الإصلاحية نصح الدعاة و توجيههم عند عودتهم إلى أهاليهم، وهذا يقودنا إلى آلية مهمة جدا في نشر الخير، وهي تأهيل الطاقات والقدرات لنشر الخير وغالبا ما تكون من قومها، وإن كان أسلوب البعثات ليس بالجديد، لأنه قد عُرف بمجيء المذهب الإباضي إلى شمال إفريقيا عن طريق ما يسمى بحملة العلم إلى المغرب[2] ، بنفس الطريقة كان المشائخ يرسلون طلبتهم إلى العلماء أو يستقبلونهم ويجلسون لهم ليعلموهم ثم يرسلونهم إلى أهاليهم.

وكان الشيخ حين يودّع طلبته ينصحهم، وغالبا ما ينصحهم بطرق التعامل مع القوم في إصلاحهم، حيث تحتوي هذه التوجيهات أخلاق التعامل مع الذهنيات حتى يكون أثر علمه وإصلاحه أبقى وأشد في نفوس القوم، ومن ذلك نصحهم بالحذر من الاختلاف كثيرا، ونصحهم بالتعاون مع من سبقهم في الإصلاح إن وجد، والتمسك والثبات على الحق إن لم يجدوا أحدا، إلى غير ذلك من التوجيهات التي تساعد الداعية على أن يكون أكثر تأثيرا في قلوب قومه.

---

1)الشماخي، المصدر السابق، ص791.

2)أنظر في الفصل الأول، مبحث الأوضاع التاريخية.

وفي مجال الإصلاح الاجتماعي وردت مواقف كثيرة تبرز صبر العلماء على الأذى وتبرز أيضا صرامتهم على الحق والاحتراز من المشوشات، وهذا أمر مهم جدا في شخصية الداعية حتى يكون أمره ونهيه نافذين في المجتمع، و كثيرا ما استعمل العلماء الدعاء كوسيلة وجدانية للردع والحد من المخالفة والعناد، خاصة بنشر روايات الكرامات واستجابة الدعاء على الظالمين والمعتدين، فهذا يجعل الناس لا تتجرأ على مخالفة أمر العالم ومعاندته.

6) الزيارة:

تُعتبر الزيارة من أبرز الأخلاق التي كانت بين العلماء وأساليب التواصل بينهم، و من الأسباب التي ساعدت على انتشارها وتحولها إلى أمر محوري في حياة العالم الوضع السياسي الذي فرّق التجمّعات الإباضية، والطبيعة الجغرافية للقرى الإباضية المتباعدة فيما بينها.

لكن توجد دوافع أهم جعلت من الزيارة خلقا محوريا، منها ملاقاة العلماء ورؤيتهم، فقد كان عمران بن زيري يقول عن الزيارة لنوح بن المناسك:(زر يا نوح الأخيار، فإن مثل من لم يلق الأخيار كجرو لم تفتح له عين. وقال: كيف يفلح من لم ير مفلحا)[1].

كما أن من الدوافع البر بالمشائخ بإيناسهم والمذاكرة معهم، فقد زار يوما عمروس بن عبد الله الزواغي أبا محمد كاموس الزواغي[2]، فقال أبو محمد:(آثرك الله يا عمروس قد زرتني وأزلت عني الوحشة. قال عمروس: وهل نزيل الوحشة نحن أهل هذا الزمان؟ قال أبو محمد علام تقول ذلك؟ أليس قد قالوا: من يصلي الصلوات الخمس قد ملأ ما بين السماوات والأرض عبادة[3].

ومن نماذج البرّ بالمشائخ في الزيارة والحرص على إرضائهم أن أبا محمد عبد الله بن الأمير زار يوما عبد الله بن مانوج في يوم جمعة فقدم له لحما مطبوخا فأكله وكان صائما موافقة للشيخ، فقدم

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 316.
2)أبو محمد كاموس الزواغي، من تلاميذ يسجا بن يوجين، وهو عالم من علماء جربة، تونس، (ت: 431هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 757.
3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 288.

رضا الشيخ الذي اعتبره فرضا على صوم النافلة[1]، وقد ذكر ذلك الدرجيني[2] مع توضيح جلي لمقصد الشيخ ونيته، كما أن الشماخي[3] عبر عنه بموافقة قلب الشيخ وإدخال السرور عليه.

ومن الدوافع التي وراء الزيارة أيضا النصح والوعظ والزجر، إذ زار الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود[4] أهل جربة و نصحهم ووعظهم جماعة وفرادى، (حتى أفضت النوبة إلى أبي يحي فصيل بن أبي مسعود فقال له: ما هذا الذي بلغني عنك يا أبا مسعود؟ فقال له: و ما هو؟ قال: بلغني عنك أنك تداين ضعفاء أهل جربة في حال العسر ثم تأتيهم لتقاضي دينك، فإذا رأوك من بعيد أدخلت الروعة على المرأة والطفل، وأثمت فيهم، ويروع المديان منك، واستدعيت منه بذلك ضعف دينك وقلة مروءتك، وما هو إلا أن يروك ويقولوا هذا ابن أبي زكرياء قد أقبل، فعل الله به وصنع. أترضى لنفسك ومنزلتك وأبويك ومنصبك أن تكون هذه منزلتك؟ كلا والله، ولكن جانب المداينات ما استطعت، فإن لذلك رجالاً، فقال: إني تائب يا شيخ ولا أعود)[5].

من وراء هذا الخلق مبادئ عقدية منها الولاية والبراءة لأن الزيارة بمثابة الإعلان العملي عن حب المزور وولايته والرغبة في الاقتداء به، و مبدأ الأمر والنهي من خلال سفر العلماء من أجل إصلاح شأن قوم ما.

نوع الوجدانات الموجودة في خلق الزيارة هي وجدانات دافعة إلى الرغبة في الأجر من وراء إرضاء العلماء وإدخال السرور عليهم، وفي ما عند الشيوخ من بركة وعلم وأخلاق، كما أن منها وجدانات رادعة مثل خوف العالم من التقصير في أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تتمثل أهمية الزيارة في توطيد شبكة العلاقات بين العلماء، وفي التواصل بين الأجيال أيضا، كما تتمثل أيضا في كونها وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي خاصة بالنسبة للقرى التي لم يعش

---

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 289.

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص235.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص593.

4)أبو عبد الله محمد بن داود، أصله من تونين بوادي أريغ، من الرواة وكتاب السير الإباضية، (ت:555هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 814.

5)الدرجيني، المصدر السابق، ص329.

فيها عالم منذ أمد فبدأت أمارات الجهل تعمل عملها، فإذ ما أتى عالم إما أن يمكث ما شاء له أن يكمث، إما لوحده وإما بحلقته فيتعلم الناس منه، وإما أن يرتحل وقد أخذ معه من يعلمه الدين والأحكام ليعود وينذر قومه بعد ذلك، إن شئنا الاقتداء بأبي عبد الله في استعمال التشبيهات فإن أسلوب الزيارة يشبه دودة الأرض في تهوية وتجديد موادها العضوية وتنقيتها من أمراضها، فكلما تعددت اتجاهات العالم وأسفاره كلما ظهر أثر ذلك في صلاح المجتمع وارتفاع مستواه الإيماني والعلمي.

7) حلقة العزابة:

من خلال المعطيات الواردة في كتب السير يظهر أن تطور نظام العزابة من شكله التربوي إلى نظام اجتماعي لم يكن مرة واحدة، وإنما كان بالتدرج في مكان دون آخر، وبأشكال مختلفة حسب توفر الحلقة بشكلها التربوي و عدد المشائخ، وهو نفس التدرج الذي مرّ به نظام الحلقة التربوي، فقد كان نظام العرفاء المساعدين في التدريس موجودا في حلقات أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وما دور الشيخ أبي عبد الله إلا التنسيق والتنظيم في وثيقة واحدة وتطبيقها بعد ذلك[1].

من خلال ما أورده عوض خليفات عن لويسكي فإن أول من اتخذ المسجد مقرا للعزابة هو أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى في النصف الأول للقرن السادس الهجري في بلدة توقرت[2]، وما يدعم ذلك ما ورد في كتب السير أنه أسّس (مسجدا و حلقة أخلاق وتربية، نظّم أوقاتها و ضوابطها، ومنع على تلامذتها شوارعها، تكون البداية بمشاهدة العبر والبراهين ومعرفة السنن عن الثقاة قبل أن يكلفهم بشيء من العلوم)[3]، و ذكر ذلك الشماخي[4] أيضا، وهذا ما لم يرد عن المشائخ أصحاب الحلقات من قبله، ومن المصادر التي ترصد تطور نظام حلقة العزابة بعد ذلك رسالة تنسب لأبي عمار عبد الكافي التناوتي، وهي التي سنعتمدها الآن بسبب مجالها الزمني الذي يدرسه

1)مقري، سامية، التعليم عند الإباضية بالمغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة، توصيات البحث.

2)خليفات، عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، ص 32. ملاحظة: لم أستطع العثور على مصدر المعلومة، وهو كتاب الحلقة للإيطالي: لويسكي.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص281.

4)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص630.

البحث، وقد وردت بعد ذلك إضافات في كتاب الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات لأبي القاسم البرادي، وتذكر المصادر أن عزابة وادي مزاب لهم إضافات طورت من النظام الاجتماعي للحلقة[1].

أبرز من ارتبط اسمه بالتنظير لنظام الحلقة بعد طابعها التربوي الشيخ أبي عمار، وفيما يلي أبرز التنظيمات الاجتماعية لنظام العزابة التي وردت في رسالته، و الملاحظ فيها استمرار النفس الوجداني الذي كان يتميز به النظام التربوي للحلقة، والفرق أن في الرسالة تركيز أكثر على أمراض النفس التي قد يكون العزابي عرضة لها خلال أداء مهمته الاجتماعية.

حرص في أكثر من موضع أن يميز أهل الحلقة بخصالهم الوجدانية، فوصفهم أنهم باعوا أنفسهم لله إيمانا واحتسابا و باجتهاد رجاء الثواب يوم القيامة، وأن من (يطلب الحلقة للشرف والافتخار يمقته الله و يصغر شأنه ويدخل الله في قلبه الوسخ كوسخ الحديد والرصاص نعوذ بالله منه)[2].

و من ذلك أنه بيّن خطورة من يتقدم للانضمام للحلقة مع عدم التّحقق بالأخلاق الباطنة والإخلاص: (ومن لم تكن فيه هذه الشروط فلا يلوم إلا نفسه بل هو في منزلة التكبر إذ يقول في نفسه أنا في درجة العزابة فلا يتفكر ما يلزمه من المحن في الدنيا والآخرة ومن تفكر فقد نجا ومن غفل وأهمل فقد غش نفسه وضلّ عن سواء السبيل)[3]ويضيف قائلا(وإن لم يتفكر فيما يلزمه من الحقوق فقد دخل في المشقة وأدخل عنقه في الحلقة التي هي كحلقة الحديد) لما في الانضمام من تبعات متمثلة في أنه قد أخذ ميثاقا من أصحابه بالابتعاد عن الأهل والأولاد والعشيرة، و عدم الالتفات لأهل الدنيا و عدم الاجتماع معهم كثيرا، و لا يكون إلا في داره أو في جنانه أو في المسجد، و إغماض العين عما لا يحل له، وكف الأذن عن أهل الدنيا[4].

وذكر صفات مذمومة قد يكون العزابي عرضة لها وهي: (العجب والكبر والرياسة والرياء وحب المال والجاه والحقد والحسد والسخرية والاحتقار والشح والبخل والطمع والخيانة والخديعة والغش و

1)خليفات، المصدر السابق، ص 122.
2)عبد الكافي، أبو عمار، سير أبي عمار عبد الكافي، ص 15، 16.
3) المصدر السابق، ص 19،20.
4) المصدر السابق، ص 14،15.

عدم النصيحة والمراء والجدال والمكاثرة والتفاخر والمباهاة والخيلاء والغمز واللّمز والمداهنة وحب الثناء والمحمدة على غير فعل الحق والصواب) كما حذر من استعمال سلطة العزابة ومكانتهم لنيل حظوظ الدنيا مثل الزيارة وقت الحصاد إلى قرى من أجل الصدقات وما يتقرب الناس به إليه لنيل البركة، وقال(فنعوذ بالله ممن كان صفته هذه وممن يبيع دينه بدنياه)[1]

وقد ذكر أيضا إلى جانب المخاطر ما للالتزام بأحكام النظام الوجدانية من فضل أخروي قائلا:(والشيخ إذا نصح لله وأعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله ينزله الله مكانة الكاملين الذين أتَوُا البيوت من أبوابها شريعة وطريقة وحقيقة بالعلم والعمل والإخلاص، ويطلعه الله على معرفة الملبس من دسائس النفوس في جميع العبادات والعادات حتى يتبين له الحق)[2]، و نتيجة للطهر والصفاء الذي يكون في أعضاء الحلقة فإن(الحلقة لا يلحقها القذر ولا التغير، فإذا ذكرت الحلقة الصافية وجدت رائحتها كرائحة المسك)[3].

ضمانا لقدسية الحلقة ونقاوتها فإذا عضو الحلقة ارتكب كبيرة طبق عليه حكم البراءة، و إن ندم وتاب فإنه يجلس مع الطلبة في المجلس، ولا يعود إلى الحلقة إلا إذا نظر أهل الحلقة في ذلك فأرجعوه، (أما إذا كان يلحق الدنس للحلقة بذنبه فلا)، وإن كان قد ارتكب صغيرة ستروا عليه، وباعدوه شهرا أو شهرين أو سنة والسنتين حسب الذنب[4]، كما ينبغي هجران من لم يقبل النصيحة وأشار صاحب الرسالة إلى نصيحة الحث على طلب العلم بالتحديد[5].

لم يعرض أبو عمار الوجدانات بشكل منفصل عن التنظيمات بل كانت متخللة لها، في كل مرة يؤكد على أمر ما ويعيده في موضع آخر لأهميته، وفيما يلي التنظيمات الأساسية لنظام حلقة العزابة الاجتماعي:

---

1) المصدر السابق، ص 22.
2) المصدر السابق، ص 20.
3) المصدر السابق، ص 19.
4) المصدر السابق، ص 14.
5) المصدر السابق، ص 16.

شروط الانضمام[1]:

01.أن يكون كيسا أديبا.

02.أن يكون مشمرا في طلب العلم.

03.لا يكثر دخول الأسواق والقعود في الجماعات و التكهكه و التفهف بين الناس.

04.يغسل جسده بالماء، ويغسل قلبه بماء وسدر.(الجسد: الدنس من الناس، القلب: الغش و التكبر)

05.أن يكون حافظا للقرآن.

06.يكون ممن يحتاج إليه إلى بعض المواضع يلتزمها

مهام أهل الحلقة[2]:

01.صنف يشتغل بطلب العلم والأدب وعدم الاشتغال كثيرا بالدنيا، و من مهامهم رد الشبه و تحقيق العلم الصحيح، ولا يكون إلا(بالترغيب والدعاء إلى التفكر والندم والتأمل الصادق وبحث المستوفى)[3]

02.صنف حافظ للقرآن.

03.صنف مجتهد في حقوق الضعفاء والمساكين ومنتصف من الظالم للمظلوم، وقائم بحقوق الأسواق و المجازير وحقوق المدينة، وقائم بحقوق الضعيف والمنقطع عن أهله.

04.صنف يشرف على مال المسجد، ويكون متوسط الحال والأولاد.

مهمة كل عضو:

---

1) المصدر السابق، ص 13.

2) المكان نفسه.

3)عبد الكافي، أبو عمار، سير أبي عمار عبد الكافي، ص 15.

- الشيخ: عليه أن (ينصف الحق من نفسه لنفسه، ويكون عاقلا أديبا كيسا، وينظر بعين الجنان لا بعين الأجفان)[1]. مسؤولياته تتمثل في أنه الغوث الكبير الذي تعود المشورة إليه في كل صغيرة وكبيرة، وهو المعلم للتلامذة وعليه أن يبدأ بالأدب ثم العلوم الأخرى، و أن يدخل في الحلقة من التلامذة من أمضى وقتا كبيرا في التعلم والتربية الحسنة في الحلقة[2]،(وإذا الشيخ لا يعلم ما يجب عليه في حق نفسه ولا في حق غيره كأن أعمى يقود أعمى)[3]
- أربعة الحل و العقد: يجب أن يكونوا قدماء في الحلقة، ولا يتغيرون إلى الممات، يوزع عليهم الشيخ مهاما، فالأول: مؤذن، الثلاثة يعلمون الصغار في المحاضر، ويكونون هم مستشارين من طرف الشيخ.
- خمسة رجال يغسلون الموتى.
- رجلان وكلاء على أموال المسجد، (ممن لا له مال كثير ولا أولاد كثيرين)[4]
- رجل يخرج الأكل للعزابة والتلامذة.
- رجل يحسن تزيين المسجد ويحرص على طهارته من نجاسة الصغار والدواب.

أكد الشيخ أبي عمار مرتين على أن(أول ما يلزم الشيخ على تلاميذه أن يبدأ لهم بتعليم الأدب قبل كل شيء، وإذا تعلموا الأدب فكلما تعلمه من المعلم نفعه، وإذا لم يتعلم الأدب فلا ينفعه علم و لا ورع، وجاءه الجهل من كل مكان)[5] ، و معنى الأدب يتضح من خلال قوله:(وكيف يفهم فرائد المعاني وأساليب الكلام من كان دأبه أكل الطعام وشرب الماء والنوم وشيمته الطمع)[6]، و من آثار قلة الأدب: لا يفهم فرائد المعاني وأساليب الكلام، لا يؤد الحقوق، لا ينصف من

1) المصدر السابق، ص 17.
2) المصدر السابق، ص 19.
3) المصدر السابق، ص 20.
4) المصدر السابق، ص 18.
5) المصدر السابق، ص 19.
6) المصدر السابق، ص 21.

نفسه ولا للمظلوم، يخوض في الأمور بجهل ولا ينصت للعلم بحجة اتباع الأوائل، وأنه لرأيه (إذا لم ينصب عليه دليلا ولا حجة ولا برهانا فهو إفك وافتراء وزور)[1].

تميز نظام الحلقة بصيغته الاجتماعية باهتمام بالغ بالجانب الوجداني من الناحية الاجتماعية، وهو يقصد بالدرجة الأولى إلى إصلاح حال الشيخ ومن معه من القائمين بأمور المسلمين، وهذا الاهتمام بالمصلح هو السر في الأثر الذي يحدثه النظام على المجتمع، وهو نتيجة المصداقية التي يضعها العامي في شيخه، فيكون بذلك مستعدا للطاعة والاتباع.

كما أن معظم الرسالة كانت حول الجانب الوجداني من العزابي، ولم تنل التنظيمات الأخرى حظا كبيرا، لأن الطهارة الداخلية هي التي ستحقق بعد ذلك النظام الخارجي ولا يمكن العكس، ومن خلال هذا فإن أي تجديد أو تحديث لنظام الحلقة لا تكون البداية بالتنظيمات والقوانين واللوائح وإنما بالاهتمام بالجانب الوجداني لأعضاء الحلقات بداية بشروط الانضمام إلى المهام الأساسية التي يقوم بها إلى نظام العقوبات التي تضمن الحد الأدنى من الطهر والنقاء، وهذا من الثوابت مهما تغيرت الظروف وتعقدت، بل كلما تعقدت الظروف أصبح أمرها أشد إلحاحا.

ثانيا: الأخلاق الاجتماعية والآداب العامة:

تميزت الأخبار التي وردت في مجال الأخلاق الاجتماعية والآداب العامة بما يلي:

- الحرص الشديد على التورّع من استعمال أموال الريبة والتي يشك في شرعية مصدرها مثل النهب، وعلى أداء الأمانات والودائع إلى أهلها مهما كان صاحبها، وعلى الاحتياط في البيع والشراء، وعلى النهي عن المداينة.
- توظيف التشبيهات والشواهد في التنبيه إلى خطورة المال الحرام.
- التسامح والمبالغة في التنازل عن الحقوق.
- الحرص على إكرام الضيف و مساعدة الآخرين إيمانا أن الدنيا والآخرة تنالان بذلك.
- الحرص على صلة الأرحام وبر الآباء والأبناء.

---

1) المكان نفسه.

8) الورع في المعاملات وأداء الأمانات:

يُعتبر أسلوب الرمز عند الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر من أهم الأساليب التي كان يستعملها في الإصلاح، (وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يفهمونها)[1]، ومن ذلك ما استعمله لتوضيح خطورة التهاون في المال المشبوه، إذ أن رجلا سأله عن مال له اختلط به شيء من الحرام هل يأكله أم لا؟ فأجاب الشيخ قائلا:" أرأيت جحرا رأيت فيه فأرا و يربوعا دخلته حية، أكنت تدخل يدك لتخرج الفأر واليربوع؟ قال له: لا مخافة الحية[2].

ومن الأخبار في الاحتراز في المعاملات التجارية أن عمران بن زيري أرسل صوفا فيه تراب مع رجل ليبيعه في البوادي، وقد قال له أن يخبر المشتري بأن في الصوف ترابا، لكن الرجل لم يخبر المشتري ناسيا، فلما علم الشيخ بالأمر أخذ أكياسه فارغة و انصرف[3]، و هذا تطبيق عملي للمثال السابق.

ومن مظاهر الاحتراز التناهي بشدة عن المداينة بين المشائخ، إذ أن عبود بن منار زار ذات مرة أبا محمد عبد الله بن مانوج اللمائي فسأله عن أحواله (فقال: أنت عظيم في نفسي يا عبود. فكيف أنت و كيف حالك؟ قال عبود: بخير يا شيخ غير أن ديونا كانت علي. فانتهره أبو محمد فقال: له إن كانت عليك ديون فتأتيني؟ أبعد عني يا عبود) فنهض من عنده مباشرة ليبيع غنما ومطمورة شعير له ليقضي بها دينه، ثم إنه مات بعد قضاء دينه بأيام بسبب غارة للنكار ومات فيها شهيدا، و أن زيارته لأبي محمد كانت فضلا من الله ونعمة، وأنه رآه أهل الصلاح في المنام فقال له: مضيت وتركتنا يا عمي عبود، فقال: لا تقل ذلك فإني تركت فيكم سليمان بن يخلف نذيرا بعدي[4]، وهذا الموقف يدل على خطورة المسألة عند صاحبه.

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج01، ص184،185.
2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 267.
3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 315.
4) المصدر السابق، ص 287.

و من مظاهر الاحتراز التي كثرت الأخبار عنها الامتناع عن توظيف مال في مصدره شبهة أو الأكل منه، وكانوا يعتبرون أن أموال بعض القبائل حرام، لأنها تكسب مالها من النهب والإغارة على القبائل الضعيفة، ومن ذلك الشيخ ينكول بن عيسى كان في جماعة أرادوا أن يستعملوا جمالا لقوم من أجل حمل الحطب إلى المسجد زمن الشتاء، فلم يعارض أحد من الأشياخ إلا هو فقال: معاذ الله أن نحمل الحطب على جمال للعرب[1] ونقِده في المسجد، ونسخن الماء للوضوء، ويصعد معنا دخانه، ونقد المصابيح وننظر عليها في الكتب، وكان من الحاضرين أبا صالح يعلو فوافقه[2] على ذلك.

من المبادئ العقدية من وراء هذا المبدأ وهذه الأمثلة وأبرزها مبدأ الوعد والوعيد، ويظهر الوعيد خصوصا في الاحتراز الشديد والحرص البالغ، واسم الله الرقيب الذي يجعل الإنسان يراقب أعماله جليها وخفيها لعلمه أن هناك ربا لا تخفى عنه خافية، ومبدأ الولاية والبراءة الذي يتجلى في مقاطعة أموال كل من في ماله شبهة والتبرؤ منه.

يُعتبر هذا الحرص نتيجة وثمرة لشعور رادع يملأ القلب وهو الخوف الشديد من الله تعالى ومن عقابه ورقابته، وقد نُمي هذا الخوف بالتربية عليه، مثلما هو موجود في مثال الشيخ أبي عبد الله، حيث نلاحظ أنه استعمل التشبيه لترسيخ شعور الخوف من الاقتراب من مال الشبهة، وذلك حين مثل المال الحرام بالحية، ولا يخفى على إنسان يعيش في الصحراء ما للحية من أذى.

عندما يصبح الورع في المعاملات المالية شعورا دينيا عميقا في المجتمع، فإن ذلك المجتمع يعمه الأمن النفسي والثقة المطلقة في علاقاته، كما أن الحياة المادية والاقتصادية تكون بسيطة بسبب قلة القوانين والضوابط التي تحفظ الحقوق والواجبات في غياب الثقة.

و لا شك أن للرؤية الشمولية والمتوازنة بين متطلبات المادة والروح أثرها الواضح في انتشار هذا الحس الاحترازي، وذلك لأن العالم الورع في الغالب هو نفسه التاجر النشيط الذي يعطي المثل

---

1)ليس المقصود هنا العرق وإنما الخلق السيء لأن له أيضا نهي عن أكل مال قبائل بربرية وهي: (بني غمرت، وبني ورسفان، وبني ينجاسن، قال : وإذا غسلت لتأكل فتبين لك أنه طعام بعضهم، فارفع يدك ولا تأكل) لأنها تعيش على النهب والإغارة. أنظر: الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص703.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص704.

والقدوة للآخرين، كما أن الحياة عند الإنسان العامي لا تنحصر في نشاطه المادي، بل تشمل حتى نشاطه العلمي أو على الأقل حرصه على العبادة خلال وقت العمل.

ومن الأسباب التي تساهم في انتشار هذا الحس الاحترازي التزام مبدأ الولاية والبراءة، أو بلغة الإعلام المعاصرة مقاطعة المنتوجات، لأن الفساد ينتشر بمن يؤيّده، و في الأمثلة السابقة نوعان من المقاطعة، إحداها خارجية متعلقة بالتعامل مع من في ماله شبهة، فهو يمنع دخول المنتوجات المشبوهة، أما الثانية داخلية تتعلق بالنهي عن المداينة، فهي تضبط العلاقات التجارية على أساس متين من التعامل والنشاط الاقتصادي الصادق و المثمر.

9) التسامح وحسن الخلق:

يُعتبر التسامح ولين الجانب من أقوى الميزات التي طبعت المجتمع الإباضي، وأحسب أن ذلك نتيجة لاهتمامها بالجانب الأخلاقي للفرد بالإضافة إلى منعنه من التفاعل مع التحديات الخارجية[1] إلا بما يرد به الكيد إن دعت الضرورة.

لو افترضنا أن المنع لم يكن لكان تفاعل الإباضية مع الأحداث السياسية جعلتهم يدخلون في مسار تاريخي آخر له أثره على الجانب الأخلاقي[2]، ومما يدلّ على تغير أخلاق المجتمع عندما يقل فيه عدد العلماء، وذلك لأن العلماء يحرصون على الالتزام بسيرة الأوائل التي تركوها والمتمثلة في الميل إلى التسامح ولين الجانب حتى مع المعتدين، مثال ذلك ما حدث في جربة من احتراف الناس

1)إشارة إلى الموقف الذي نادى إليه المشائخ بعد ما ذاقوا ألوان التنكيل والعذاب من طرف الفاطميين بعد محاولات الظهور بعد سقوط الدولة الرستمية.

2)أشار مالك بين نبي في حديثه عن مبدأ الأخلاقي و الذوق الجمالي كعنصرين من عناصر تشكيل حضارة معينة، وذكر أن اختلاف الحضارات يتمثل في تقديم عنصر على آخر في سلم قيمه، وأن الاختيار سيحدد مسارا تاريخيا معينا للحضارة على خلاف الحضارة التي اخذت الخيار الآخر، وقدم مثالا لذلك الحضارة الغربية حين اختارت قيم الجمال على قيم الأخلاق فإنهم أخذوا بذلك مسارا تاريخيا دمويا، بينما الذي اختاروا القيم الأخلاقية فقد أخذوا مسار الجمود والركود. وأعتقد أن الإباضية لم يكن في تاريخها تفاوت كبير بين الخيارين، وإن كانوا أقرب إلى الثاني. انظر: بن نبي، مالك، شروط النهضة، ص 103، 104.

النهب والسطو على السفن التي تفد إلى المعزّ، وما كان ذلك إلا لنقص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يذكر الشيخ علي يحي معمر، مع الإشارة إلى أهمية هذه المدافعة بشكل عابر[1].

إذا لقد كان للظرف التاريخي الذي فرض نفسه على المجتمع الإباضي في القرن الرابع الهجري أثر كبير في تشكل خلق التسامح ولين الجانب وحسن الخلق بشكل عام كروح عامة تسري في العلاقات بين أفراد المجتمع، فقد حقّقت مكاسب أخلاقية واجتماعية جمّة، كما أنها تركت آثارها السلبية في الشخصية الإباضية.

هذا نموذج من النماذج الإيجابية الذي يتمثل في تناصح العلماء فيما بينهم أن من أراد تحصيل الدنيا فعليه أن يسعى إلى ذلك بإعاثة الملهوف وإعانته، وذلك أن الشيخ أبي صالح الياجراني قضى مع قوم سبع سنوات، فلما همّ بالانصراف جعل التلامذة يودّعونه جماعة بعد جماعة حتى بقي شيخ القوم، ودار بينهما كلام مفيد ونصائح، سأل الشيخ أبو صالح:(أخبرني يا شيخ بأي شيء تُدرك به الدنيا؟ أبالتجارة؟ قال: لا. فقال له أبالحرث؟ قال: لا [وأضاف الدرجيني]: قال: أبالصناعة؟ قال له :لا. وقال الشيخ: إنما تدرك بدعوة المسلمين إذا صادفت لهم حاجة)[2] أما عند الدرجيني[3] فقد ورد أنه ردّ الشيخ السؤال إلى أبي صالح ليستفيد منه فقال:(إن أفضل ما ينال به ذلك دعاء الصالحين، لا سيما إذا أغثت ملهوفا أو سددت فاقة مضطر).

يمكن القول أن هذا المثال يعتبر سلوك المجتمع بأسره في علاقاته بين أفراده وفي علاقته بالجانب المادي من حياته، لأنه حوار جرى بين عالمين أي أن هذا الموقف يعتبر من الأمور المنتشرة بين أفراد المجتمع من خلال تربية العلماء له، وهو أيضا مظهر من مظاهر التناغم في النظرة إلى الحياة بين الجانب المادي والجانب الوجداني، حيث قدمت نماذج عدة تشير ذلك في المبحث السابق.

وراء هذا الموقف مبادئ عقدية عدّة، منها، الوعد و الوعيد الذي يتمثل في الجنة التي دفعت بالمسلم أن يفكر في أمر دنياه لآخرته، الإيمان بقدر الله تعالى الذي من وراء تحقيق أمر الدنيا، ولا

1)معمر علي يحي ، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، ص226.
2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 312.
3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص194.

يكون إلا بالتفكير في أمر الآخرة، كما أن لمبدأ الولاية والبراءة مكانه الواضح وذلك من خلال ولاية المسلم ومساعدته والأخذ بيده.

يُعتبر الوجدان الدافع لهذه العلاقة بين أفراد المجتمع هو نتيجة لليقظة الإيمانية التي يحرص العلماء على بثّها في المجتمع، والتي قد تمّت الإشارة إليها في النماذج التربوية، منها الحرص على قيمة الدعاء لتحصيل خير الدنيا والآخرة خاصة عندما تكون من محتاج مضطر. و يعتبر نتيجة أيضا للظروف التاريخية التي مرّ بها المجتمع – كما مر سابقا – حيث فرضت عليه نوعا من اللحمة والتماسك بين أفراده حتى يستطيعوا البقاء والصمود.

يُعتبر هذا الموقف من نماذج الرؤية الشمولية التي تميزت بها معظم النماذج الوجدانية المذكورة في كتب السير، ويظهر ذلك في ربط النجاح في الدنيا بأعمال الآخرة المتمثلة في إعانة الآخرين ورفدهم، وتعتبر(هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الأديان، عندما تولد الحضارات، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض)[1]، ومن هنا يستمدّ هذا الترابط قوته وأثره المتمثل في قوة العلاقات الاجتماعية بسبب التكافل الذي بين أفراده، وفي النظرة الإنسانية المتوازنة إلى الإنسان، و التي يقابلها النظرة المادية المختزلة للإنسان فيما يملكه وما يستطيع أن يقدمه من نفع مادي لمجتمعه.

ومن الأخلاق الاجتماعية الأساسية والبارزة في المجتمع الإباضي والتي قد تكرّرت أخبار عديدة حوله، خلق التسامح، قال الشيخ أبو الربيع سليمان الزاغيني:(إن نفسي تسمح بالإحسان إلى من أساء إليّ أكثر مما تسمح إلى من أحسن لي)[2]، وهكذا ينتقل الخلق فيصبح طبعا في الشخصية، ومن ذلك ما ذُكر عن أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي[3] أنه كان ذات مرة في مجلس بالقيروان فتعجّبوا من عقله وحلمه بالرغم من بربريته، (فقال أحدهم: سأجرّبه لكم، فلما مرّ مدّ رجله فأسقطه على الأرض، فنهض ومسح وجهه وقال الحمد لله ومضى)[4].

---

1)بن نبي، مالك، شروط النهضة، ص 88.

2)الدرجيني، المصدر السابق، ص264.

3)من قبيلة مزاتة، ليبيا،(350هـ - 400هـ) كان راعيا ثم تحول في كبره إلى العلم والتحصيل.

4)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 296.

ومنها أيضا أن الشيخ أبا جعفر أحمد بن خيران الحامي قدّم بذورا لرجل ليزرعها له في أرضه، وكان كلما لقي الرجل سأله عن زرعه طمأنه أن زرعه بخير، وفي يوم من الأيام ذهب لزرعه فلم يجد شيئا، فلما لقيه قال له الرجل: (يا عمي أبا جعفر، أزرع لك الزرع ويموت أولادي جوعا؟) فخرج أبو جعفر يقول سلاما سلاما[1].

من وراء هذا الخلق الاجتماعي مبادئ عقدية عدّة منها أن هذا الخلق من تجليات اسم الله تعالى الحليم والعفو، و الوعد والوعيد الذي يظهر في الإيمان بالجنة والصبر من أجلها، كما أن لمبدأ الولاية والبراءة أثر يتمثل في الحفاظ على الود والألفة التي بين أفراد المجتمع المسلم.

يعتبر هذا الخلق ثمرة لوجدان دافع، يتمثل في الرغبة إلى رحمة الله وجنته من خلال العفو والصفح والإعراض عن المخاصمات، وهذا الشعور ينمو من خلال البيئة التربوية التي ينمو فيها المسلم، وما يراه من مواقف اجتماعية بين أفراد المجتمع.

كما أنه يُعتبر نتيجة مباشرة للأوضاع السياسية التي ذُكرت سابقا، حيث إنها فرضت على الفرد الإباضي في فترة زمنية معينة أن لا يواجه الظلم والاستبداد بالقوة، لأن ذلك أسفر عن مأساة، لكن الملاحظ أن المبدأ إن كان صحيحا في تلك الظروف التاريخية الصعبة، فلماذا بقي المبدأ موجودا، وقد زالت الظروف التي برّرت وجوده من قبل، هذا لأنه قد أصبح توجها مقدسا لا يسمح المساس فيه، ودليل ذلك أنه لم يسقط الالتزام به حتى على الذين يعيشون بعيدا عن الاضطهاد في القرن الخامس والسادس وما بعدهما. واعتباره نتيجة الأوضاع السياسية لأنه تحول إلى مبدأ مقدس تتميز بها كل العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع داخليا وخارجا أي مع الأجانب عن المجتمع.

قيمة هذا الخلق تكمن في انتشار المودة والألفة بين أفراد المجتمع، مما يجعلهم يشكلون لحمة قوية في مواجهة التحديات، خاصة عندما يأخذ هذا الخلق صبغته الدينية، ويستند إلى نصوص وأحداث

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 29

تاريخية، وهذا ما يمثله موقف الشيخ أبي جعفر أحمد بن خيران الحامي عندما قال:(سلاما سلاما) امتثالا لأمر الله تعالى:(وإذا خطبهم الجاهلون قالوا سلاما)[1].

لكن إلى جانب هذا فإن للخلق جانبه السلبي المتمثل في الميل إلى الاستسلام وعدم المواجهة، مثال ذلك ما ورد في موقف أبي محمد ويسلان بن يعقوب، حيث ناله الأذى لكنه اختار عدم المواجهة، و لا شك أن ذلك أصبح جبلة في شخصيته، وهذا الخلق لا يمكن أن يقوم عليها بناء مجتمع قوي، وهو أيضا يتناقض مع حكمة الله تعالى في هذا الوجود، حيث جعل من سننه الأساسية التدافع، بغض النظر عن صحة الموقف الذي يدافَع عنه، لأن كل من شعر بالاضطهاد من حقه أن يدافع، أما إذا كان الاستسلام باسم الدين فهذا أمر يدعو إلى إعادة النظر، خاصة عندما يكون أمرا مقدسا في الأعراف الاجتماعية.

10) الإنفاق و إكرام الضيف:

ومن الأخلاق الاجتماعية التي نالت حظا كبيرا من الذكر أخبار الإنفاق وإكرام الضيف، ولا شك أن لهذا الخلق دافع وجداني من ورائه، كما أن له آثارا بالغة في نفوس أفراد المجتمع.

ورد أن امرأة أتت لأبي زكرياء فصيل بن أبي مسور[2] تطلب شيئا من الزيت لشعرها، ففتح الطنجرة ليصبّ لها، فرآها وهي تنظر إلى سعة ما أعطاه الله فبكى وقال:" بالله ليس بيننا و بينك نسب تعطينا دون غيرنا، ولكن برحمتك يا أرحم الراحمين"[3]، ومما قاله أيضا:(إذا قحطت الأرض تنال الجنة بقبضة من طعام، وإذا قحط الإسلام تنال الجنة بكلمة حق تقال، وقحط الإسلام أشد من قحط الطعام، وقد اجتمع كلاهما في زماننا هذا)[4].

---

1)سورة الفرقان، الآية 63.

2)أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور: من العلماء الأفذاذ بجزيرة جربة بتونس، ولد بنفوسة، (ت بين: 420هـ. 440هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 339.

3)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 258.

4) المصدر السابق، ص 255.

في المثالين يتضح جليا المبادئ العقدية التي من وراء الخلق، حيث في المثال الأول استحضار نعم الله تعالى وفضله وتفضيله بالرزق له، وفي المثال الثاني الرغبة في الجنة كحافز للإنفاق في سبيل الله تعالى.

إلى جانب ما ذكر عن الإنفاق عموما، فقد وردت أخبار عدة تدل أن إكرام الضيف خلق أساسي في المجتمع، مثال ذلك أن أحدهم زار أبا محمد عبد الله بن الأمير فأمر أولاده أن يطعموا دابته، فأخبره الضيف أنه قد علفها في طريقه، وأنها لا تعلف كثيرا، فقال له إنه قد كان له نفس الموقف مع أبي محمد عبد الله بن ما نوج فقال له:(يا عبد الله علف دابة الضيف، هو علف لصاحبها)[1]، ذكر الشماخي[2] ذلك مضيفا في النهاية:(فإن علف دابة الضيف يا عبد الله أهم من طعامه) وفي الروايتين فرق في المدلول إذ الأولى تشير إلى المبالغة في إكرام الضيف والثانية تشير إلى الرفق بالحيوان والاهتمام به.

ومن أخبار الضيافة أيضا أن الشيخ أبي محمد ماكسن والشيخ يخلف التيمجاري كانا في ضيافة الشيخ أبي مكدول الزنزفي[3] لكنها كانت دون قدرهما، وقال حين قدم لهما أكلا:(كلوا فقد مات من يسلم في نفسه ويسلم معه غيره[أظن أنه يريد التوافق الشديد بينه وبين من معه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم]، فشكرا صنيعه، وشكرهما حين رآهما شكرا ولم يذمّا، وحمد هو الله على اقتران الشكرين، و خطر بباله أن اللعنة مع الضيف مقرونة، فإذا حمد وشكر وقابله المضيف بحمد الله وشكره وقعت على إبليس، لعنة الله عليه، وإن لام أحدهما وضجر وقعت عليه)[4].

إلى جانب ما ذكر سابقا عن المبادئ العقدية التي من وراء خلق الإكرام، فإنه قد ظهرت في المثال الأخير علاقة بين الخلق ومبدأ آخر وهو غضب الله تعالى ولعنته، حيث ورد في خاطره أنه إذا لم يتحقق الرضا بين الضيف والمضيف وسخط أحدهما فإن اللعنة تقع عليه، وإن رضيا فإنها تقع على

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 291.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص594.

3)أبو ميدول مصكوداسن الزنزفي الهواري، واعظ وداعية ومرشد، له أمثال وحكم، (400هـ، 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج04، رقم: 898.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص243.

الشيطان، وهذا طبعا مجرد خاطر، لكن له دلالته المتمثلة في إضفاء القداسة على الخلق، ووضع احترازات له حتى لا يتحول أثر الخلق من الربط بين القلوب إلى التفريق بينها.

يعتبر خلق الإكرام من خلال الأمثلة السابقة نتيجة لوجدان من جهة وسببا له من جهة أخرى، أما نتيجة لوجدان أي هو نتيجة الحس الإيماني السائد في المجتمع والمتمثل في الدافع الوجداني و الرغبة الشديدة فيما عند الله من وراء الصدقة في الدنيا والآخرة، والمتمثل أيضا في السعي لإرضاء المسلمين والصالحين بإكرامهم، لأن في إرضائهم إرضاء لله كما سبق في مثال وقوع اللعنة.

أما سببا وذلك من خلال الأثر الدافع الذي تثمره الصدقة والإكرام، والمتمثل في شبكة علاقات متينة بين أفراد المجتمع، والمتمثل أيضا فيما تتركه الصدقة في النفس من أثر التزكية والصفاء والنقاء و تقوية العلاقة بالله تعالى، ومن ذلك أنها تعتبر سببا لإجابة الدعاء، مثال ذلك أنه ورد عن أبي سعيد يخلفتن النفوسي[1] أنّ رجلا كان يُضرب به المثل في شدّة الابتلاء بكثرة البنات وقلة ذات اليد، فكان يقال: (ابتلاك الله بما ابتلى به فلانا، قلة مال وكثرة بنات). فأتت حلقة من العزابة من البادية في زيارة لهم فأشار له رجل أن يكرمهم ويطلب منهم الدعاء قائلا له:(فيزيل بدعائهم شعثك، فإن دعاءهم يرد اليابس رطبا، والرطب يابسا بإذن الحي القيوم) ففعل، فإذا في صباح ليلته يأتيه رجل يقدّم له غنما ليرعاها ويأخذ قيمة لابأس بها منها، وتزوجت بناته، وولد له عشرا من الذكور كانوا سبب شرف له في المدينة، إذا دعا أحدهم لضيافة أو غير ذلك ترى الناس يتسارعون إليه من كل موضع[2].

يظهر أثر الموقف في تقوية شبكة العلاقات بين أفراد المجتمع، خاصة و أن المجتمع يتميز بكثرة الزيارة والتنقل، فهذا الخلق يسهل الارتحال ويشجع عليه، كما يتمثل أيضا في انتشار روح التطوع والتراحم وانحسار النظرة المادية للعلاقات بين الأفراد.

11) العلاقات الأسرية:

---

1)أبو سعيد يخلفتن بن أيُّوب الزنزفي المسناني، أصله من «أمسنان» بجبل نفوسة، من العلماء الذين اجتمعوا على تأليف ديوان العزابة، (450هـ، 500هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1021.

2)الشماخي، المصدر السابق، ص688.

من أسباب إفراد المجال الأسري بالذكر وفرة أخبار فيه من جهة، ومن جهة أخرى وأهم ما للأسرة من دور في التنشئة الوجدانية للفرد، فيما يلي أمثلة تدل على قوة الرابطة الأسرية بدافع عقدي، مثال العلاقة الأسرية الواسعة ما ذكر عن عدل بن اللؤلؤ أن امرأة قالت له (أنا من محارمك فقال لها: اجعليني في حلّ مما ضيّعت من حقوقك)[1]، والشاهد هنا شعور الشيخ بالمسؤولية الشرعية نحو محارمه، و محاللته لهم بالعفو عما ضيّع من حقوق نحوهم.

ومن أمثلة الأسرة الصغيرة في العلاقة بين الأب وابنه أن أبا يعقوب بن سهلون[2] كان يُضرب به المثل في حرصه على برّ ابنه، وبرّ ابنه به، حتى أصبح مضرب مثل في ذلك، إذ كان إذا أراد من ابنه شيئا قال:(لو أصبنا من يفعل كذا و كذا)، فيعرف الابن المراد فيمتثل، وكان يقال في برّهما ببعضهما:(الأب مثل أبي يعقوب والولد مثل أيوب لكثرة شفقة هذا وسرعة طاعة ذلك)[3].

وفي العلاقة بين الزوج وزوجته أنه ورد عن زوجة أبي عبد الله محمد بن تامر التناوتي[4] أنها كانت توصي ابنتها قائلة:(ما نِمت حتى أصلّي خمسين ركعة، ولم يربي والدك عابسة قط، ولم تصدر مني كذبة قط، إلا مرة واحدة وهي أن قلت لأبيك وقد سألني: أعلفت البغلة؟ و هو تعب وهو صائم، ولا يفطر حتى تُعلف مطيته، وقدمت له فطوره، قلت نعم. وزدت للبغلة في علفها وأتيتها به، فقلت: اجعلني في حل فيما كذبت عليك، و قد زدتك في علفك. فأومأت إليها برأسها شبه من يقول: أنت في حل)[5]. والشاهد في المثالين يتمثل في الأهمية الشرعية لبر الأب والابن وبر الزوج.

من المبادئ العقدية التي وراء العلاقة الأسرية السليمة من خلال الأمثلة التي وردت في كتب السير، الخوف من الله تعالى لارتباط رضى الزوج برضى الله تعالى، وخشية الولي من ضلال ابنه وابتعاده

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 316.

2)أبو يعقوب بن سهلون، من كبار مشائخ وارجلان، تميز بحفظ المسائل وحدة الذكاء، (400هـ – 450هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1064.

3)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 366.

4)أبو عبد الله محمد بن تامر التناوتي النفزاوي، شيخ عالم من تناوتة، وكان من المقدمين فيها وفي يزمرتن، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 808.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص678.

عن الجادة، خاصة بعد موته، مثال ذلك ما ورد عن أبي صالح الياجراني عن حرصه على صلاح أولاده، فكان يسأل(ما فعل ابني صالح، أما سليمان فلا أسأل عنه، وقد رضي به المسلمون)[1]، ومن المبادئ أيضا الأمر و النهي وذلك من خلال حرص الوالدين على تربية أبنائهما وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

من أهم الأسباب التي تدعم دور الأسرة في تربية الفرد، الاعتناء بتكوين المرأة، ومن خلال الأخبار الواردة في كتب السيرة نجد أن المجتمع قد أعطى اهتماما واضح لتكوين المرأة، وهذا التكوين يظهر أثره في الأخلاق الأسرية، مثال ذلك ما ورد عن الشيخ يخلف الفرسطائي[2] أنه كان فقيرا ثم استغنى، وذلك بعد زواجه بامرأة غنية ومشهورة بمخالطة للسفهاء، ثم تابت بحضورها حلقات شيخه أبي يحي زكريا بن ابراهيم، وقبل أن تتزوج كان قد جاءها خطاب كثر، فسألت الشيخ عن أحسنهم فقال لها: (إن أردت الدنيا فتزوجي فلانا، وإن أردت الآخرة فعمنا يخلف، فقالت : شبعت من أهل الدنيا، فتزوجته). و كانت تصنع اثنا عشر كساء كل عام، وكل ما لدى الشيخ من مال من عمل يدها[3]، و كان الشيخ يقدم المال للشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي ليتصدق على التلامذة.

نلاحظ أن في القصة بر بين الزوج وزوجته كان نتيجة حلقات العلم الذي كانت تحضره المرأة، لذا كلما ارتفع وعي المرأة في المجتمع إلا وظهر أثر ذلك في العلاقات الأسرية، و إذا ما سلمت الأسرة من العيوب والآفات فسيظهر ذلك في المجتمع من خلال تكوين وجداني سليم للفرد.

خلاصة المبحث:

من خلال ما تقدم اتضح أن الجانب الوجداني في الحياة الاجتماعية هو نتيجة التربية الوجدانية للفرد من خلال نظام حلقة العزابة، وهذا لا ينفي أن تكون آليات لبناء الوجدان الاجتماعي وتنميته، من أبرز الآليات نظام الولاية و البراة الذي يندرج ضمن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن

1)الوارجلاني، المصدر السابق، ص 313.

2)يخلف الفرسطائي: تعلم على يد أبي يحي زكريا بن ابراهيم ق7. لم أعثر على ترجمة له.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص778.

المنكر، وذلك لما يفرضه من ثقل عاطفي جمعي على الفرد تجعله ملتزما بما تعارف عليه المجتمع من قيم وأخلاق.

ومما يندرج أيضا تحت مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق الزيارة الذي أصبح محوريا في حياة الشيخ والتلامذة، وهذا الخلق مختلف الأهداف منها ما هي أخوية تعزز العلاقات بين الأفراد، ومنها ما هي دعوية للأمر بالمعروف والنصح، ومنها ما هي لإنكار المنكر و ردع المنحرفين.

و يعود سر قوة الآليات المذكورة في التربية الوجدانية للفرد إلى وجود نظام يحكمها وهو نظام العزابة، بعد أن تطور من مرحلته التربوية إلى مرحلته الاجتماعية، ويكمن سر قوة النظام في اهتمامه في الدرجة الأولى بالجانب الوجداني لشخصية العزابي الذي يقوم على شؤون المجتمع.

وكنتيجة لهذه الآليات الاجتماعية فقد انتشرت أخلاقا معينة بشكل بارز وهي: الورع في المعاملات المالية، والتسامح، والإنفاق، كما يعتبر هذا الأخير من الآليات أيضا في تربية المجتمع وتهذيبه، من خلال تحفيزه على إكرام الطلبة خاصة.

المبحث الثالث: نماذج سياسية.

لم يكن المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفترقين أحزابا وجماعات كل منها تدّعي الحق وتنفيه عن الآخر، و لم يظهر ذلك إلا بعد اختلاف المسلمين بعد مقتل الإمام عثمان و خلافة الإمام علي بن أبي طالب، حيث تشكلت بعد ذلك الجماعات وأخذت مواقعها الجغرافية وتوجهاتها الفكرية والدينية، وتوطدت العلاقات بينها وبين السلطات لغرض المصلحة المشتركة بين الأطراف، سعيا منها إلى حماية وجودها، الذي غالبا ما يكون على حساب الآخر، إلا ما جاد به التاريخ من بعض أخبار الدول في التسامح ونشر العدل والتقارب بين أهل الدين الواحد

ما سيعرضه البحث الآن هو أثر من آثار هذا التفرق، الذي بلا شك سيكون له علاقة بالجانب العاطفي والوجداني تأثيرا وتأثرا، وهذا المبحث سيحاول كشف مختلف مواقف الإباضية الموافقة والمعارضة والمحايدة من السياسة، وخلفياتها العقدية وما حول المواقف من وجدانات كانت وراءها أو نتيجة لها.

لم يكن اهتمام الإباضية في المغرب بالجانب السياسي بعد الدولة الرستمية في مستوى اهتمامهم بالجانب التربوي والاجتماعي، وهذا كما مر نتيجة الأوضاع السياسية التي عاشوها بعد سقوط الدولة الرستمية، والتي أودت بعدد كبير من العلماء جعلتهم يقرّرون الانعزال تماما عن الحياة السياسية والاهتمام بدلا من ذلك بتربية الفرد، وهذا يتضح في عدد الأخبار والمواقف الواردة عن الموضوع في كتب السير مقارنة بالمواقف الاجتماعية و بالخصوص المواقف التربوية.

انعكس هذا الموقف على شخصية المشائخ ومواقفهم، حيث تميزت في معظمها بمشاعر الحذر و المدافعة والحثّ على التمسك بالمبادئ، وبعض مظاهر التقرب من الحكام قصد إحراز الأمان وضمان المصالح الدينية والاجتماعية خاصة، ولا تخلو من بعض مواقف المواجهة والتحدي المباشر بشكل فردي، فقد ورد عن أبي محمد وايسلان بن أبي صالح أنه قال: (ما مرّ قط على هذا الدين شر من هذا الزمان، فقيل له: ما يئس الناس، بل نحن في جموع وجماعات، وحلق وظهور، غير مستخفين ولا خائفين من أحد، لم نكن كالأولين مختفين متكتمين معتزلين في الجبال والمغارات والبراري والقرى، فقال لهم: هيهات لم ير زمان منذ قام هذا الدين إلا ولهم إمام إما

ظهور وإما دفاع، وإما شراء، يقتلون ويقتلون ولا يهابون القتل في ذات الله تعالى، القتل عندهم آثر من الحياة في رغد عيش، ولا يريدون غير إظهار الدين ودعوة الإسلام، ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[1]، ﴿**وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[2]، ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ**﴾[3] ، فهل حال أضعف من حال أهل هذا الزمان؟ هذا قوله –رحمه الله– ، فكيف بنا وقد قل العلماء، وكثر الجهال فلا تابع ولا متبوع، إلا من شاء الله. وقد بلغنا من الأخبار إنه لا يذهب الإسلام حتى يتدافعه الناس وكل منه خال)[4]. هذا المقطع يحتوي على خلاصة شاملة كما سبق لموقف المشائخ من الأحداث السياسية التي كانوا يعيشونها، حيث يظهر جليا الهدف الأول من التعامل مع السياسة هو الحفاظ على الحرمات ونشر العلم، عن طريق التضحية في سبيل ذلك بالنفس، وأن مقياس صلاح زمن ما هو القيام بواجب الدفاع على الحرمات ونشر العلم.

وللجانب الوجداني حضور واضح يتجلى في أخبار الكرامات واستجابة الدعاء في رد العدوان، ولتوضيح هذه الميزات والوقوف على ماهيتها فقد حاول الباحث تقسيم المبحث إلى ثلاث أقسام، الأول يتمثل في عرض أخبار التحذير من المداهنة والتزلف، والثاني يتمثل في مواقف عن المداراة وحسن الجوار مع الحكام، والثالث مواقف عامة للمشائخ مع السلطة أحيانا دفاعية وأحيانا وصفا للحال الذي يعيشون، و هذا سعيا إلى أن تتشكل صورة عامة للحياة الوجدانية ضمن الظروف السياسية التي يعيشها الإباضية ما بين القرنين الخامس والثامن هجري.

أولا: التحذير من المداهنة و الأكل بالدين

زار أبو عمران موسى بن محمد و عبد الله بن سجميمان و أبا عمار عبد الكافي للاستنصاح والتعلم، فسألاه عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الدنيا والدين قائمين ما لم، ما لم، ما لم)، فقال أبو عمار:(ما لم يعظّم أبرارُهم فجارَهم، وما لم يرخِّص خيارُهم لأشرارهم، وما لم يَمِل قراؤهم إلى أمرائهم)[5]، يوضّح الحديث أهمية مبدأ الحذر من المداهنة في

1) النحل، الآية 44.

2)الأنعام، الآية 55.

3)الأنفال، الآية، 42.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص298.

5)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص695.

صلاح أمر الدين والدنيا من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا خلاصة للعلاقة التي ينبغي أن تكون بين المصلح والحاكم أو المصلح ومصدر الفساد.

ومن مظاهر التحذير والتشديد في المداهنة ربطها بالخروج من الدين، فقد روى أبو الخطاب عبد السلام بن منصور عن أبي بكر الزواغي أنه كرّر مرارا أن خصال من فارق الإسلام: (الأكل بالدين، والمداهنة في الدين، وإيثار الدنيا على الدين، وإعراض بعضهم عن بعض، وسوء الظن فيما بينهم)[1].

بما أن في المجتمع سلطة داخلية وهي حلقة العزابة وسلطة خارجية قد يقع التباس للناس بين التقرب إلى حلقة العزابة أو التقرب إلى الحكام بالإكرام، فقد سأل أبو الربيع سليمان بن يخلف أبا عبد الله محمد بن بكر:(عن الأكل بالدين ما هو، وهل هو مثل الذي يفعله أهل الدعوة و يصنعونه بجماعة التلامذة مثل الدولة وغيرها من الأبرار والضيافة والقرى والمعروف والمواساة؟ قال: ليس كذلك إنما هو ما يصنع الناس لمن يرفعون إليه حوائجهم إذا احتاجوا، فيصنعون له الجميل ويعزّ عليهم ويكبر، وإذا لم يحتاجوا إليه رفضوه ونبذوه وتركوه جانبا، ومن خاصمهم خائبا كالعيدان والميزان، نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار)[2]. أي أن خدمة التلامذة ليس من الأكل بالدين لأنه لا مصلحة دنيوية ترجى من وراء الإكرام حيث تكون العلاقة بينهم علاقة مصلحة و تزول بزوالها بل وتنقلب إلى خصام، ثم ليست العلاقة بينهم علاقة عزيز و أقل عزة.

من المبادئ العقدية من وراء هذا التحذير أحكام الولاية والبراءة التي يرى فيها الإباضية وجوب البراءة من الإمام الجائر وممن تبعه في جوره، وليس يعني هذا البراءة من كل من هو تحت حكمه، و يرون أيضا جواز القعود تحته سواء كان موافقا أو مخالفا في المذهب[3]، وكل ما ورد من أخبار في الأمثلة السابقة تحذير من مخالفة هذا المبدأ العقدي.

ومن المبادئ أيضا كما هو مصرح به في المثال الأخير الخوف من غضب الله تعالى وعقابه في الدنيا والآخرة بسبب الرضى بالطغاة ومساندتهم.

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 307.
2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 309.
3)اطفيش، محمد بن يوسف، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، ص 65.

ومنها أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يظهر في النهي عن ميل العلماء إلى الأمراء، أي إن لم يجلسوا إليهم للنهي عن المنكر فلا يجوز الميل إليهم والسكوت على ما يفعلون.

نلاحظ أن معظم التحذيرات مرتبطة بالوعيد الدنيوي و الأخروي، لهذا فهي تشكل وجدانا رادعا من مخالطة الحكام بما يؤدي إلى فساد الدين، ويظهر أثر هذا في الانعزال عن الحكام و تعويض ذلك بالعلماء و المشائخ، مثال ذلك ما ورد في سؤال النموذج الأخير عن الفرق بين إكرام المشائخ و إكرام الحكام، وهذا ينعكس على الحس الديني و الإيماني العام، حيث يكون المرجو والقدوة ليس هو الحاكم وإنما العالم.

يبدو هذا من الأسباب الأساسية التي مكنت المجتمع الإباضي من أن يتفرغ لقضية الأخلاق و التربية الإيمانية للفرد والمجتمع، لأن السياسة تفرض خيارات معينة على ممارسيها، قد تجعله يضحي ببعض مكتسباته.

إلى جانب هذا التحذير الشديد فقد وردت بعض مشاهد حسن الجوار والمداراة كما سيتضح فيما يلي.

ثانيا: مداراة الحكام و حسن الجوار

نظرا إلى الظلم والتعسف السياسي الذي تتميز به فترة البحث، فإن الملاحظ في عموم أخبار هذا المجال أن العلاقة بين الحكام والساسة علاقة حذر ومداراة من أجل الحفاظ على الحرمات، وقد يكون ذلك بإكرامهم، أو بمعاشرتهم العشرة الحسنة، وقد ورد من الإباضية من كان عاملا عند الحكام، ومن هؤلاء الصالحون ومنهم من على دين حكامهم في الإفساد والجور، كما أن علاقات المشائخ لم تبق محصورة في مواطن عيشهم، بل كانت لهم جهود مع حكام آخرين من خلال الرحلات التجارية.

يعتبر إكرام الجبابرة من مظاهر المداراة لحفظ الحرمات مثال ذلك أن عاملا يسمى أبو تغلى[1] سمع يوما العزابة يقرأون القرآن فقال ما هذه البدعة؟ فبلغ ذلك أبا عبد الله محمد بن بكر، فأرسل إليه (قصعة من طعام طيب ومنادل حسنة وبطة مملوءة زيتا)، فجلس في غد ذلك اليوم في

1)أبو تغلى: لم أعثر على ترجمة له.

نفس الموضع وسمع قراءتهم فقال: (ما في هذا البلد إلا كلام ابن بكر، فمن كره فهذا في قلبه- لرمح في يده - والرشوة لرفع ظلم أو دفع جور، قال : جائز في سبيل الله)[1]، وكان أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور[2] يقول في إطعام الجبابرة تقية، والتكفير عن ذلك بمثله إطعاما للعزابة أن(الأول وقاية للعرض، وإبقاء للحرمة، والثاني تكفير للأول، وأن: من حرث زرعا وحصده، ودرسه، وطحنه، وعجنه، وأطعمه الجبابرة، بمنزلة من أطعمه الأولياء، فلكليهما حظ من الثواب، وكلاهما يكتب عند الله صدقة، كما روي في الخبر)[3].

ومن مشاهد المداراة للحفاظ على الحرمات أن يعمل مع عمال الحاكم بعض أبناء الإباضية، فقد وردت قصة عن أبي عبد الله محمد بن بكر يقول فيها:(خرجنا في حلقة زائرين أهل الدعوة فلما صرنا في بعض بلاد الساحل خرج أهل المنزل فتلقونا فأدخلونا وأحسنوا نزولنا، وإذا فيهم رجل ممن كنت أعرفه من تلامذة شيوخي، وممن قرأ معي، وإذا هو قد لبس كساء حشميا، وفي رجليه قرق قلعي، وعلى رأسه شاشية حمراء وفي يده مزراق يرفعه ويضعه فأدخلوني المنزل وقد عزمت على هجران صاحبنا المذكور. ثم إن الرجل أدخلنا بيتا وأدخل معنا رجالا من أعوان الجبابرة فازددت عليه حنقا، وتضاعف غيظي عليه، وقلت لابد من الخطة فأكلنا طعاما إلى آخره وفرغت القصعة وجعل الفوار يتصاعد من قعرها، ولم أر قبلها قصعة تفور بعد فراغ الطعام منها، وذلك لشره الأعوان وشدة أكلهم وقلة أدبهم، وكان ذلك مما زاد في حنقي وقوي عزمي على هجرانه، إلا أنه كان من لطف الله أن حبست نفسي ولم أعجل عليه، قال فبعد انصرافهم أدخلنا بيتا آخر ليس فيه إلا العزابة فيه، وأحضر طعاما حفيلا، فقال: كلوا فلعلنا نؤدي بعض حقوق الإسلام وأهله، ونكفر ما تعلق بنا من طعام كنا نأكله من أموال أهل الدعوة في حرمة هذا الاسم، ثم قال: ما دعانا إلى ما ترون من مؤاكلة غير الجنس إلا المداراة عليكم وعلى المذهب، قال: فانحل بعض ما عقدت. ثم دعونا وانفصلنا إلى المسجد فلما كان وقت الصلاة الأولى فإذا بالرجل قد جاء وأذن فانحل بعض ذلك أيضا ثم جاء وركع ما شاء الله، ثم أقام الصلاة فلم يجد من يقدمه ليؤم فتقدم

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص579.

2)أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور: من العلماء الأفذاذ بجزيرة جربة بتونس، ولد بنفوسة، (ت بين: 420ه، 440ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 339.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، 183.

وأم بالجماعة فانحل بعض ذلك أيضا، ثم دعا فقام وركع ما شاء الله، ثم جلس وأخذ الكتاب وجعل يقرأ ويفسر ما أشكل منه، فانحل جميع ما اعتقد عليه، وحمدته واستحسنت حاله، وحمدت الله إذ لم تكن مني إليه عجلة بنشاط، ولا معاملة بمكروه)[1].

يظهر في ثنايا القصة كم أن التقرب إلى الحكام ومخالطتهم من دون قصد الحفاظ على الحرمات أمر خطير يوجب البراءة والهجران، كما أنها مليئة بالمشاعر المنطلقة من عقيدة راسخة، تتمثل هذه المشاعر في بغض من يساند الجبابرة، وحب من يفعل ذلك مداراة وحفاظا على المبادئ.

ومنها أيضا حسن العشرة والمودة مع أهل الملك، ومن ذلك ما ورد عن أبي يحي زكريا بن أبي بكر اليراسني[2] أنه كان حسن الصحبة والعشرة لأحد أحفاد الموحدين الذي كان وزيرا لما عرف من الشيخ من صلاح وورع وبركة وكرامات، حتى نال منه حضوة وشفاعة انتفع بها أهل المذهب، حيث كان مقربا بسبب صلاحه وكراماته إلى يعقوب المنصور الذي كان وزيرا لأبيه، فقال له اطلب ما تريد لأكتب لك كتابا عند أبي، فقال له بل أكتب لي كتابا عندك، لأنك أنت الذي ستلي أباك في الخلافة بعده، فقال له الوزير أن ذلك لا نفع له، وأن خبر الولاية ليس له دليل، فاستبشر بذلك وكتب له بما شاء، فلما تولى الإمارة بعد أبيه ذكره الشيخ بالكتاب، فقربه إليه وأنعم عليه وانتفع أهل جزيرة جربة بذلك انتفاعا كبيرا[3].

وفيما يلي بعض أثار هذه المداراة ونتائجها، فقد ورد أنه حين توفي أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور[4] طلب أحد عمال الفاطميين أن يذهب إلى قبره، فقال: "عاش حميدا ومات فقيدا، اللهم اخلف على جربة من بعده، وقال أيضا: مات امرؤ علم أنه سيموت"[1]

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص208.

2)أبو يحي زكريا بن أبي بكر بن سعيد اليراسني، هو أخو أبي زكرياء صاحب كتاب السير وأخبار الأئمة، له باع في علم النظر، وله كلام مأثور منثور في بطون الكتب،(500، 550هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 339.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، 326.

4)أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور: من العلماء الأفذاذ بجزيرة جربة بتونس، ولد بنفوسة، (ت بين: 420هـ، 440هـ)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 339.

ومنها أن عاملا من عمال السلطان وهو من أهل المذهب لكنه كان فاسقا جائرا كتب إلى الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، أن يتنحى هو و أهله وعشيرته إلى المسجد لكي لا يصيبهم العسكر بأذى، فاستباح العامل جربة نهبا وغصبا إلا ما كان إلى جانب الشيخ اعترافا بفضله[2].

لم تبق العلاقات السياسية بين المشائخ والحكام في البيئة التي كانوا يعيشون فيها بل حاولوا من خلال أسفارهم التجارية أن تكون لهم علاقات مع حكام آخرين لغرض الدعوة، فقد ذكر عن علي بن يخلف[3] أنه سافر إلى بلاد غانة حتى دخل مالي، و كان بها ملكا تحته مملكة عظيمة ومعادن تستخرج من أرضه، فأعجب هذا الملك بأخلاق علي بن يخلف وأصبح يقربه في مجالسه، وكانت سنة قحط شديد وبدأوا يتقربون بقرابينهم لكنهم لم يسقوا، ولما همّ الشيخ علي بالخروج إلى بلاده، قال الملك لعلي:(ألا تدعو إلهك الذي تعبد أن يسقينا؟ فقال له: لا يسعني ذلك وأنتم تكفرون به وتعصونه، وتعبدون غيره، فإن آمنتم به وأطعتموه فعلت ذلك ورجوت أن يسقيكم، فقال له الملك: علمني الإسلام وفرائضه حتى أتابعك عليه، وتستقي لنا، فعلمه كيف يقر بالشهادتين فعلمه إياهما، ثم قال اصحبني إلى النهر ففعل، فعلمه كيف يتطهر فتطهر، ولبس ثياباً طاهرة ورقى به ربوة فوق النيل فعلمه الصلاة فصلى، ثم قال إن أنا صليت فافعل ما تراني أفعل، وإذا دعوت فقل آمين، فباتا ليلتهما في عبادتهما وضراعة إلى الله عز وجل. فلما كان بعد صلاة الصبح أنشأ الله سبحانه سحابة فما حاولا الانحدار من الربوة حتى حالت السيول بينهما وبين المدينة، فجاءهما زورق في النيل، فركبا حتى دخلا المدينة ودامت السحابة سبعا غير مقلعة تسيح ليلا ونهارا) فما كان من الملك إلا أن يوقن ويدعو قومه للإيمان، فعلمهم الشيخ الإيمان والشرائع حتى استدعاه أبوه فعاد إلى بلاده وأهل مالي يرغبون في اللقاء معهم، لكنه بحجة و واجب إبرار الوالدين قبل له الملك[4].

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 260.

2)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص552.

3)أبو الحسن علي بن يخلف بن يخلف الدرجيني، من علماء درجين بالجريد، جد مؤلف كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، من كبار التجار إلى بلاد غانة، سبب إسلام ملك مالي، (حي في: 575) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 637.

4)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص340.

يعتبر مبدأ طاعة الله ورسوله من المبادئ الأساسية من وراء هذه المواقف السياسية، إذ ما يوجه العلاقات مع الساسة هو المحافظة على الحالة الاجتماعية التي تتوفر فيها ظروف طاعة الله في أمان من خوف أو جوع، ومن المبادئ أيضا مبدأ النهي عن المنكر، إذ هو الذي جعل المشائخ يتجنبون الحكام الجائرين ويأمرون بذلك، وهذا يعتبر درجة من درجات النهي، وسيأتي في العنوان الأخير درجة أخرى وهي النصح والتغيير باليد أحيانا حسب القدرة.

ربما يتبادر من الوهلة الأولى أنه لا علاقة بين السياسة والجانب الوجداني للإنسان، لكن عندما نرى إلى آثار السياسة العادلة أو السياسة الجائرة في المجتمع سيتضح ما للاستقرار والأمن السياسي من دور في الحالة الإيمانية للفرد، وكما تمت الإشارة سابقا أن الهدف الأساسي للإباضية في تفاعلهم مع السياسة هو توفير الظروف الملائمة لتطبيق شعائر الدين، فهذا هو الدافع الأساسي في معظم مواقفهم السابقة.

من مظاهر هذا التوجه الصادق نحو هذا الهدف مساواة الشيخ أبي عبد الله لأجر الذي ينفق إكراما للعزابة ومن ينفق إكراما للجبابرة تقية عند الله تعالى، فقد وظّف الشيخ نفس الدافع الوجداني لتحقيق بر المشائخ ودفع اعتداء الجبابرة وكل ذلك لتحقيق نتيجة واحدة وهي طاعة الله تعالى و تطبيق أوامره.

من ثمار هذا الموقف من السياسة إبعاد الناس عن تشويش أذهانهم بالسياسة وأحداثها مما يجعلهم يتفرغون للتنظيمات التربوية والاجتماعية التي تحقق التربية الإيمانية والوجدانية للفرد، ومن الثمار أيضا لهذا الموقف أنها كانت على علاقة طيبة مع الحكام العادلين مما يجعل جسور المودة تمتد بين أصحاب المذاهب المختلفة، مثال ذلك ما كان بين الشيخ أبي يحي زكريا بن أبي بكر اليراسني وأحد أحفاد الموحدين كما مر في إحدى الأمثلة السابقة، أو ما ورد عن عامل لصنهاجة أنه دخل المكان الذي كان يقيم فيه العزابة، و استغرب لضيقه وكثافة سكانه (فاعتقد أنهم يدنسون وجه الأرض بالخلاء والسماد)، فشرع يبحث عن ما تعابه عينه وتكرهه فلم يجد، وقال

وقد مد يده إلى سيفه: (ما يخاف الناس إلا من هذا أو من الله، وهذا ليس موضعه وما منعهم من ذلك إلا خوف الله)[1].

لكن يبدو أن من الآثار السلبية لهذا الموقف السياسي هو تحوله من موقف خاص بظرف أمني معين و متغير غداة سقوط الدولة الرستمية إلى مبدأ من المبادئ الأساسية وصار من الثوابت، وهذا ما جعل الإباضية في مختلف الأقطار بالمغرب خلال فترة الدراسة لهم نفس الموقف مع السياسة، مما يمنع وجود إمكان قيام دولة إباضية في ذهن الناس ولو مع توفر الظروف الملائمة، و إن توفرت بعض الظروف فسيجد من يفكر في القضية معارضة شديدة بتهمة مخالفة سلفه، ولم أعثر على أي إشارة في المرحلة المدروسة تدل على استعداد الإباضية لتأسيس دولة يحافظون بها على ما يرونه صوابا، إلا ما كان من الشيخ أبي نوح سعيد بن يخلف في كثرة اقتنائه الخيل، يقول الدرجيني:(ولعل كثرة ما اقتنى من الخيل لكثرة ما يأمله من الخير في نصرة الدين، ومدافعة المعتدين)[2]، وقد غلب في هذا الرجاء منطق المدافعة، طبعا و هذا مناسب للظروف التي كان يعيشها الشيخ التي لا زالت قبضة الفاطميين شديدة على جربة، وبصفة عامة نلاحظ أن الإباضية وجهوا وجدانياتهم للدفاع و المداراة ورد العدوان، ولم يظهر أثر لحرص وجداني من أجل تأسيس دولة يقوم بها حقهم الذي يعتقدونه.

ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بعد أن تم عرض نماذج من مواقف الإباضية في التحذير من المداهنة ونماذج للمداراة وحسن الجوار فقد وردت مشاهد مختلفة تكشف الحالة الوجدانية التي كان يعيشها المشائخ مع الوضع السياسي، ومنها ما كان دفاعيا يبرز حالة الخوف التي كانوا يعيشونها، من ذلك أنه كانت جماعة من العزابة مع الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[3] يوما بعد الصلاة قد أخذت في قراءة القرآن وأخرى لم تشرع بعد فسمعوا صيحة، فابتدر التلامذة بالرماح ليدفعوا العدوان، وهربوا

---

1)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص696،

2)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص187.

3)أبو الربيع سليمان بن يخلف الوسلاتي، المزاتي، النفطي، القابسي؛ لكثرة أسفاره، من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر.(ت471هـ). أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، ص 215.

إلى الغار، وأصيب الشيخ بجرح بعد أن نزعوا كسوته، فغير الشيخ المكان للتلامذة وانتقلوا إلى مكان آخر وأخذوا في الجد والاجتهاد ونشر الخير إلى أن توفي الشيخ فيه[1].

وكانوا يختفون خشية استقطاب أنظار الحكام، مثال ذلك ما كان من أبي عبد الله محمد بن بكر يوما في زيارة لمواقع الإباضية، فاجتمع عليه كثير من الناس في قسطالية، فخاف أن يسبب مشكلة فاستغفلهم وأعطى لأحد أصحابه بغلته ولأخر سرجه وأخذ طريقا آخر وتواعدا في مكان و واصلوا زيارتهم وسفرهم[2]، وهذا كي لا يثير حفيظة عمال الحاكم فيظنوا أنه عازم على أمر يهدده.

ومنها ما هو نهي عن منكر وتغيير باليد، ونصح العزابة لبعضهم البعض لاستعمال الحكمة مع أهل الجور، مثال ذلك أن سعيد بن إبراهيم[3] كان في سفر مع العزابة فمرّوا بحي فيه (معازف ومناهي، فقام سعيد إلى معزف امرأة فكسره وخرقه، فإذا هي بنت عامل صنهاجي، فلما رأى العبيد والصبيان ذلك قاموا في العزابة يصيحون عليهم بعياط و مياط يطردونهم، فبلغ ذلك أخ العامل فركب إليهم. فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالقصة. فرد الغلمان والعبيد عن العزابة)، فانتقل العزابة إلى حي من أحياء مزاتة فأعلموهم بالخبر فأبدوا استعدادهم للدفاع عنهم [4]، لكن سعيد غادر الجماعة فرارا من الثأر وأرسل إلى العزابة يستحلهم فيما أوقعهم فيه، ولما علم أبو عبد الله محمد بن بكر بالخبر قال:(ليس هذا برأي، كاد الرجل أن يستهلك العزابة) وبين ما ينبغي فعله من خلال ذكر حادثة مشابهة للشيخ ينكول بن عيسى[5] وكان مع الرفاق إذ ذهب إلى أهل المعازف

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 288.

2)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 267.

3)سعيد بن ابراهيم، من علماء الجريد الغيورين والصالحين، (ق05ه)، أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 388.

4)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الإئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 358.

5)ينكول بن عيسى، أو يكدول من علماء تاجديت، (توفي قبل440هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 1041.

فقال لهم:(يا قوم أتعبتم أنفسكم هذا وقت الرقاد والراحة، اتركوا السهارى وارقدوا كي تنتفعوا بما أكلتم) فقال القوم:(صدق العزابة) فانصرفوا.[1]

محاللة الشيخ سعيد بن ابراهيم للعزابة دليل على أنه استشعر في قلبه مظنة إثم وهو تعريض العزابة لخطر أخذ الثأر، وأيضا نصح الشيخ أبي عبد الله واستشهاده بموقف شيخ آخر دليل على أن الحكمة وعدم التشديد في تغيير المنكر مع الحكام أمر ضروري.

ومن المشاهد الوجدانية التي لها علاقة بالسياسة الرهبة والخوف من دعاء العزابة لاشتهارهم بالاستجابة وأنهم قوم صالحون، من ذلك أن جند الميروقي مر من المكان الذي يستوطنه الشيخ أبو موسى عيسى بن يرصوكسن[2]، فأرادوا أن يطلقوا خيلهم في مزارعه، فحذرهم من يعرف المنطقة قائلا:(هذا موضع منسوب إلى رجال عزابة، صلحاء مساكين، يتقى عقوقهم فإياكم وإياهم، فمن الجند من تنحى ومنهم من توقف، فقال لهم عمران كاتب الميروقي: أبكلام هذا السخيف أمنع فرسي هذا الخصب، قال لهم: فليدعوا على فرسي، وأطلقها في الزرع ترعى واقتدى به غيره في هذا الضلال، والاستخفاف بقدر أولياء الله، قال: وكانت فرس عمران تسوى أربعمائة دينار، قال: فوالله ما رُفع من هناك إلا رستها وسرجها وإنها السابقة سبعة وعشرين فرسا للمستخفين من الأعراب، والأجناد، كلها صرعى هلكى عبرة لأولى الأبصار)[3].

ومن ذلك أن جماعة من العزابة مرت على قرية من قرى نغزاوة[4] فأذاهم رئيسها، وقالوا له:(احذر عقوق الوهبية. فقال لهم: ارغبوا إليهم وقولوا لهم يدعو عليّ) فوصلوا جربة يوم جمعة وهو يوم أقبل فيه الشيوخ مع تلامذتهم وفيهم أبو الربيع، فذكروا له ما حدث، فقال:(رب كلمة

---

1)الوارجلاني، أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبار الإئمة، ج02، تح: عبد الرحمن أيوب، ص 358. ذكر الشماخي قصة تشبهها للشيخ أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي، أنظر: الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص 734.

2)أبو موسى عيسى بن يرصوكسن الهاشمي العربي، من تلا عيسى، معنى تلا أي منبع الماء، وهي منسوبة إليه، لأن أول من قطنها وأحياها، (450هـ، 500هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 726.

3)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص279.

4)نفزاوة: قبيلة بربرية صفرية في الجنوب الشرقي من شط الجريد. أنظر: كتاب السير، الشماخي، قسم التحقيق، ج03، ص 875.

سلبت نعمة، اللسان يلعب بالبلاء) فاجتمعوا وأداروا الدعاء فأصاب الرجل في تلك الساعة، وجعل يصرخ من شدة الوجع: قتلني الأعور، يعني أبا الربيع حتى مات[1].

ومنها أنه ورد عن أبي عبد الله محمد بن تامر التناوتي[2] أنه ابتلي بعامل من عمال المعز بن باديس يأخذ الأراضي حتى وصل إلى ضيعته فطلب منه أن يبيعها له، وذلك استثناء لما هو يفعل مع غيره، فقال له الشيخ:(لا يجوز لي أخذ مالك، فغضب وقال: البستان أخذته من غير شيء، واذهب إلى المسجد الفلاني لبعض مساجد الوهبية بقابس وادع الله علي فيه الليلة، وكانت ليلة الجمعة. فقال الشيخ: نعم. ففعل العزابي ما قيل له). فخرج العامل في متنزه إلى البحر فسمع هاتفا يقول:

أتزهد في الدعاء و تزدريه... تأمل فيك ما صنع الدعاء

سهام الليل قاتلة و لكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

فطلب من أصحابه العودة إلى الشاطئ فإذا برسل المعز بن باديس تنتظره لقتله، فأخذوا رأسه وألقوا بجثته البحر. ذكر المحقق في الهامش أن العامل قد يكون محمد بن الحسن الذي عينه المعز عاملا ثم قتله وأمر بمصادرة جميع أمواله[3].

في القرن الثامن استطاع أهل نفوسة بسبب اتساع الرقعة أن يكون لهم نظام حكم عادل يحكم بينهم، وهو حكم لتنظيم الشؤون الداخلية للجماعة الإباضية فحسب، ولم يرتق إلى دولة كبيرة ينضوي تحتها غير الإباضية.

ورد عن الشماخي في هذا الصدد مشاهد تواصل إجابي بين العلماء والحكام، من ذلك أن أبا عبد الله محمد بن أبي زكرياء[1] و أبا منصور بن أبي زكرياء[2] حاكمان أحدهما عقب الآخر،

---

1)الدرجيني، أبو العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، ج02، ص248.

2)أبو عبد الله محمد بن تامر التناوتي النفزاوي، شيخ عالم من تناوتة، وكان من المقدمين فيها وفي يزمرتن، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 808.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص679، 680. ذكرت القصة في سياق الحديث عن أحد الأشياخ و يحتمل أن يكون هو.

يلتزمان أحكام الدين ويستفتيان العلماء، إذ كانا يراسلان الشيخ أبا سليمان داود بن هارون، وكان الشيخ يخاطبهما بـ: يا شيخي، إما تعظيما و إما حقيقة، ومما أرسله إلى أبي منصور يوصيه بالتقوى والالتزام قوله:(تولاك بالحسنى وزينك بالتقوى ويسرك لليسرى وجنبك سبل الردى أوصيك ونفسي بتقوى الله التي لا وصية أبلغ منها ولا هداية أنفع منها)[3].

هي نفسها المبادئ العقدية التي تم الإشارة إليها في العنوانين السابقين من وراء هذه الامثلة، الأمر والنهي من وراء أهمية الدفاع عن الحرمات والنهي عن المنكر ومقاومة الصعوبات في ذلك قدر المستطاع، ومواصلة التعلم بالرغم من صعوبة الظروف، إضافة إلى ذلك فإن في الأمثلة إشارة إلى مكانة أخبار الدعاء في الحديث عن العلاقة بالحاكم، وهذا تأكيد على القضية الإيمانية الوجدانية وتثبيت الناس على موقف عدم الخوض في الأحداث السياسية والاكتفاء فقط بالمسالمة مع الناس والدفاع عند الضرورة وتسليم الأمر لله بالدعاء ليكف البلاء و الظلم عنهم، ودليل أن القضية قد تجذرت في الوسط الاجتماعي وعرف بها الإباضية ما ذكره رجل لجنود الميروقي قائلا: (هذا موضع منسوب إلى رجال عزابة، صلحاء مساكين، يتقى عقوقهم فإياكم وإياهم).

خلاصة المبحث:

من خلال ما تقدم يتبين أن ما تميزت به حال الإباضية وتصرفاتهم في جانب الحياة السياسية كان من ورائها مبادئ عقدية و مشاعر وجدانية رادعة ودافعة وممجدة، و الميزة الأساسية التي لها علاقة بالشعور الديني هي ميزة الحذر من الحكام وعمالهم سواء التي ظهرت في سياق أخبار الحلقة وطلب العلم، أو في سياق رعاية المصالح الاجتماعية، فكلها تشترك في الخوف والحذر من البطش، ويظهر ذلك في تفادي كل ما قد يثير حفيظتهم، وهذا كله نتيجة العزوف عن السياسة بسبب الظلم والتعدي الذي يطبع معظم الظروف المحيطة بهم، كذلك حفاظا على ما كان عليه الأجداد في موقفهم بالسياسة منذ بداية نظام حلقة العزابة، و تميزت أيضا بالتحذير

---

1)أبو عبد الله محمد بن هارون أبي زكرياء الباروني، من حكَّام جبل نفوسة بليبيا، تولَّى الحكم بعد والده أبي زكرياء، وكان فاضلاً عادلاً، وهو أحد أجداد الزعيم سليمان الباروني باشا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 854.

2)أبو منصور بن أبي زكرياء الباروني من عائلة البارونيّين المشهورة بالعلم والمشيخة والرئاسة. ومن علماء نفوسة بليبيا؛ وكان بها حاكما قاضيا، (ق05هـ) أنظر: معجم الأعلام الإباضية، ج02، رقم: 911.

3)الشماخي، أبو العباس، أحمد بن سعيد، السير، ج02، ص765.

الشديد من الأكل بالدين والمداهنة خاصة مع الحكام، وإلى جانب هذا التحذير فقد كان فيه تحفيز وجداني لكل من يداري الحكام وينفق في سبيل كف أذاهم وظلمهم، وكل ذلك من أجل توفير جو آمن لأداء الشعائر وتطبيق أحكام المذهب، والعمل وفق قواعد شرعية تعصم من ارتكاب المحرمات والظلم، واتقاء الضرر ولو بارتكاب أخفّ الأضرار، فكانت الأولويات التي يراعيها الإباضية بخاصة هي الحفاظ على المعتقد والأنفس، وعصمة الأعراض.

الخاتمة:

ختاما، حاول البحث الكشف عن نوع القوة التي كانت وراء استمرار أتباع المذهب الإباضي بالمغرب، بالرغم من التحديات التي كانوا يعيشونها، مع انعدام قوة سياسية تحميهم، افترض البحث أن القوة التي كانت وراء استمرار هي القوة الأخلاقية، وبعد أن تم البحث في مواقف العلماء ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين للوقوف على الدوافع الوجدانية والأخلاقية وميزاتها في كتب السير الثلاث: كتاب السيرة وأخبار الأئمة وكتاب طبقات المشائخ بالمغرب وكتاب السير اتضح ما يلي:

- تميزت كتب السير الإباضية بالمغرب باحتوائها على أحداث تاريخية ومآثر لعلماء ومناقبهم وسيرتهم الحسنة، تتخللها نصائح ووصايا تربوية ومواعظ كثيرة.
- تعمّق الاهتمام بالجانب الأخلاقي وتربية الفرد وبرز كخيار اجتماعي عام وقوي بداية من نهاية القرن الرابع الهجري، واكتمل بنظام حلقة العزابة التربوي في القرن الخامس الهجري.
- من أبرز ميزات التنشئة الإيمانية الوجدانية للفرد الإباضي: المبالغة في الاحتياط خصوصا في أمور العبادة، والرفع من مكانة العلم والعلماء، والتكامل بين الوجداني والعقلي والجسدي، ونظام الجزاء والعقاب الذي يركز على الجهد أساسا ثم النتيجة.
- من أبرز ميزات التنشئة الاجتماعية للمجتمع الإباضي أنه يعتمد على نظام الولاية والبراءة وخلق الأمر والنهي في تقرير الصواب ونشره والحد من انتشار الخطأ، ومن صيغ الأمر والنهي حرص المشائخ والتلامذة على خلق الزيارة إما الأخوية منها وإما الدعوية لتغيير منكر انتشر في مكان ما، كما أن لنظام العزابة بعد تطوره من التربية الفردية إلى التربية الاجتماعية دوره الأساسي المهم والمؤطّر لكل ما سبق.
- ألزم الإباضية أنفسهم بمجموعة من الأخلاق مع الساسة والحكام تهدف إلى حفظ الحرمات منها النهي الصارم عن المداراة والمداهنة على حساب الدين من جهة، والحث على الحفاظ على العلاقة الودية مع الحكام العادلين لحفظ الدين من جهة أخرى.

تبادرت إلى ذهني خلال البحث مواضيع لبحوث مستقبلية، منها:

- تطور التنظيمات التي تستهدف الجانب الوجداني عند الإباضية.
- العلاقة بين تنظيمات الحياة الوجدانية عند الإباضية والتصوف ببلاد المغرب.
- العلاقة بين الجانب الوجداني الأخلاقي والجانب العملي الفقهي عند الإباضية.
- البعد الوجداني في الأمثال والحكم في كتب السير.
- أساليب التربية وغرس العقيدة ونظام التدريس عند إباضية المغرب.

وفي الأخير يظهر أن القوة الوجدانية التي كانت وراء استمرار أتباع المذهب الإباضي تمثلت في بناء الفرد بناء إيمانيا متوازنا بين مختلف الحاجات، كما تمثلت أيضا في الأخلاق الاجتماعية التي توفر جوا من الالتزام والضبط المعنوي للأفراد، وتمثلت أيضا في الضوابط الأخلاقية التي تحدد العلاقة مع الحكام والساسة.

وفي الأخير أحمد الله تعالى أن يسر لي فرصة الجلوس لبحث، وأحمده أن يسر لي من يبصرني ويأخذ بيدي في طريق البحث والاستزادة، أسأله أن يتقبل من الجميع صالح الأعمال والمبرات، والحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث باللغة العربية

يحاول البحث الوقوف على الجانب الوجداني للعقيدة عند علماء الإباضية، على افتراض أنه هو السر في استمرار أتباع المذهب الإباضي بالمغرب رغم أسباب الزوال الكثيرة. اختار البحث التنقيب في كتب السيرة بحثا هذا الجانب، وقد اعتمد البحث على ثلاث كتب وهي كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، وكتاب طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، وكتاب السير لأبي العباس أحمد الشماخي، كما أنه اقتصر على فترة ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين باعتبار كونها بداية نظام حلقة العزابة الذي له دور يعتبر محوريا في الموضوع، كما أنها تعتبر مرحلة الذروة في الإنتاج الفكري والعقدي الإباضي. وللوقوف على أكبر قدر ممكن من معالم الجانب الوجداني فقد حاول البحث أن يجد معالم تربوية ومعالم واجتماعية ومعالم سياسية في التنشئة الوجدانية.

كان تركيز الإباضية على التنشئة الإيمانية للفرد كخيار عام وكقرار له أسباب ظهوره متمثلة في أحداث سياسية دامية ذهب ضحيتها علماء كثيرون، فقرّر الإباضية عدم التفكير في الشأن السياسي مشتغلين عوضا عن ذلك بتربية الفرد وتنشئته أخلاقيا، وتمثلت هذه البداية في نشأة حلقة العزابة التي تهتم بتربية الفرد، وأبرز ما تميزت به هذه التنشئة أنها إلى جانب اهتمامها بالجانب الروحي فإنها لم تهمل الجانب العقلي والجسدي.

تطور نظام الحلقة ليشمل المجال الاجتماعي، وكان سببا في بروز أساليب اجتماعية للتنشئة الوجدانية لعل أبرزها خلق الزيارة الأخوية بين المشائخ والدعوية الإصلاحية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظام الولاية والبراءة الذي يربط بين أفراد المجتمع الواحد ويجبرهم إجبارا معنويا على الالتزام بضوابط الشرع والعرف المتفق عليها.

أما عن الجانب السياسي فقد برز أثر الموقف الذي أخذه المشائخ الإباضية في نهاية القرن الرابع والمتمثل في اعتزال المجال السياسي مطلقا في عدد المواقف الواردة عن المشائخ في كتب السير في المجال السياسي، وأبرز القيم في المجال كانت تهدف إلى الحفاظ على الحرمات واستبقاء الود مع

الحكام شريطة ألا يتعارض مع أمر أمور الشرع، مثل التحذير من المداهنة، واستعمال الجاه والعلاقة مع الحكام في سبيل إعانة ذوي الحاجة وتوفير الأمن والاستقرار للتعلم والتعليم والتربية.

إلى جانب هذا فقد كانت إشارات مختصرة إلى بعض مواطن الاتفاق والاختلاف بين الإباضية وغيرهم من أهل التصوف على وجه العموم.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

This research focuses on the spiritual side of in Ibadith scholars as the secret of the continuation of the Ibadith mathhab's followers despite the larges causes of the disappearance. The research pick out from the sira's books to look out this side. It bases on three books, which are book of sira and news of imams for Abi Zakaria Yahia ben Abi Bakr Al Warejlany, book of Tabakat El Machaikh in Maghreb for Abi Abbas Ahmed ben Saeed Eddaarjiny and book of Siar for Abi Abbas Ahmed Eshammakhi. This research focuses just on the period between the fifth and the eight-century, taking in account that it is the beginning of the Halka Azzaba system, which has a big role on the subject. This period is considered also as a peak period of the Ibadith intellectual productivity.

The focus of Ibadiths was on the spiritual growth of the person as a general choose and as a decision has its causes of appearance, which are the political bloody events, in which many scholars has being killed. So they decided to thinking about how to educate a person and grow him up rather than thinking about the political matters. The beginning of that was by creation of Halka of Azzaba, which gives importance to educating person. What makes this education special is its awareness of the spiritual side besides the intellectual and the bodily sides.

The system has developed to comprise the social life. It was the reason to arise many social methods to the spiritual growth. Most important of them is the creation of the mutual visits between the sheikhs, the invitation to do well and stop committing the sins, the tutelage and Baraa system that connect between the community members and oblige them to follow the Islam regulations and the agreed regulations between them.

From the political perspective, the retirement of Ibadith Sheikhs from the politics in the end of the fourth century has an influence, which is the reason behind the limited news about their political life. The important values in politics were aiming to protect the sacredness, providing safety and stability for learning, teaching and education.

Besides that, there are some flashes about some points of agreement and some points of conflict between Ibadiths and others from the Tassawwef part.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الحكم والأشعار

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

خ

د

ز

س

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

فهرس المصادر والمراجع

- قطب الأئمة، اطفيش، محمد بن يوسف، شامل الأصل والفرع، ج01،تحقيق: ابراهيم طلاي، ط:2، المطبعة العربية، غرداية .
- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: د . محمد ناصر، أ . ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 .
- ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط:02، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس .
- أبو الربيع، سليمان بن يخلف الميزاتي، تحقيق حاج سعيد مسعود، ط01، 1991،
- أبو العباس، أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، تبيين أفعال العباد، ح خلفاوي رابح باحمد و باي أحمد خرناش علي، معهد الحياة، القرارة، غرداية،2002 .
- أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط02، 1982 .
- أبو سليمان عبد الحميد، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، دار الفكر، ط03، دمشق، 2007 .
- أبو عمار، عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي(ت ق06) ،سير أبي عمار عبد الكافي، تح: مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان،1996 .
- اسم المؤلف اللقب أو الشهرة ثم الاسم+ عنوان الكتاب+ المحقق+ دار النشر+ عدد الطبعة+ مكان النشر+ تاريخ النشر
- أعزام، باباحمو ابراهيم بن صالح، غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: د . إبراهيم بحاز، أ . بومعقل سليمان، ط01، مطبعة العالمية، 2013 .

- بابا واعمر ، خضير، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، جمعية التراث، ط01،غرداية، الجزائر، 2009 .
- باجو، مصطفى بن صالح، أبو يعقوب الوارجلاني أصوليا دراسة لعصره وفكره الأصولي، مقارنا بأبي حامد الغزالي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط 02، 2007 .
- باجيه، صالح، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط01، دار بوسلامة، تونس، 1976 .
- الباروني، أبو الربيع سليمان، مختصر تاريخ الإباضية .
- البرادي، أبو القاسم بن ابراهيم، الجواهر المنتقاة، تصحيح وتعليق أحمد بن سعود السيابي، ط01، دار الحكمة، لندن، 2014 .
- بن ادريسو، مصطفى، الفكر العقدي عن الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، نشر جمعية التراث، القرارة –غرداية– الجزائر، 2003 .
- بن سلام، بدء الإسلام وشرائع الدين، تح: فيرنر شفارتس، الشيخ سالم بن يعقوب، دار صادر ، بيروت، 1986 .
- بن عميرة، محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .
- بن منظور(711هـ)، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، درا الكتب العلمية ، الطبعة02 (لونان)، لبنان بيروت، 2009 .
- التهانوي، محمد علي ، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم و الفنون ، ج02، تحقيق وترجمة من الفارسية: علي دحروج، عبد الله الخالدي، جورج زيناتي، ناشرون، ط01، لبنان، 1996 .
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، دار الكتاب المصري، ط 01، القاهرة،1991 .
- الجعبيري، فرحات بن علي، نفحات من السير، ج 03، 04، مطابع النهضة، 2001 .

- جمعية ، جربة تواصل، أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتب السير الإباضية، مدينة العلوم تونس، 31 أكتوبر – 1 – 2 نوفمبر 2014 .
- جمعية التراث، لجنة البحث العلمي، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، ط01، 1999 .
- الجيطالي، أبي طاهر اسماعيل بن موسى، قناطر الخيرات، ج3،2،1، المطبعة البارونية، مصر، 1983 .
- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج02، ط02، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 .
- حاج سعيد ، يوسف، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 1992 .
- حسن محمد ، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى القرن التاسع فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، بيروت، 2004 .
- خليفات، عوض محمد ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي، الأردن .
- سليمان بوعصبانة، عمر بن لقمان حمو، معالم الحضارة بوارجلان من سقوط الدولة الرستمية إلى خراب سدراتة (296هـ – 626هـ) ، ط02، دار نزهة الألباب، غرداية، ، 2013 .
- الشماخي، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السير، تحقيق:د . محمد حسن، المدار الإسلامي، ط01، بيروت لبنان، 2009
- الشماخي، أبو العباس، التلاتي، أبو سليمان ، مقدمة التوحيد وشروحها ، تصحيح وتعليق: أبو إسحاق اطفيش، القاهرة، 1353 هـ .
- ضياء الدين، عبد العزيز الثميني، النيل وشفاء العليل، تحقيق بكلي عبد الرحمن بن عمر، 1969 .

- العدوي خميس بن راشد ، و الوهيبي خالد بن مبارك، الإيمان بين الغيب والخرافة، ط01، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، 2007 .
- الغزالي، أبي حامد ، إحياء علوم الدين ، ط 01، دار بن حزم، بيروت ،2005 .
- الغزالي، أبي حامد ، إحياء علوم الدين، تصحيح أحمد سعد علي، مكتبة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، 1939 .
- الغزالي، محمد ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط05، دار القلم، دمشق، 2005 .
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط 08، بيروت لبنان، 2005
- قطب الأئمة، اطفيش، محمد بن يوسف، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، تعليق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ط02، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1998 .
- الكعاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر .
- ليفيتسكي، تاديوس، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار، ريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط01، 2000 .
- ليفيتسكي، تاديوس، دراسات شمال إفريقيا ، تر: أحمد بومزقو، ط01، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2008 .
- الجدوب، عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقيا ، الدار التونسية للنشر ، 1975 .
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983
- مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، ج01، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983

- مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان(مسقط)، 2008.
- مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان(مسقط)، 2008 .
- محمد ، ابن مرزوق، التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: د . ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1981 .
- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر ، دار الكتاب، البليدة، الجزائر ، ط 02، 1963 .
- مزهودي، مسعود ، الإباضية في المغرب الأوسط ، جمعية التراث، 1996 .
- معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، دار الثقافة، بيروت، ط 01، 1966 .
- معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، الإباضية في ليبيا ، القسم 01، 02، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 01، 1964 .
- معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج01، 02، المطبعة العربية، 1985 .
- معمر، علي يحي، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر .
- معهد الحياة ، دورية الحياة، جمعية التراث، ع01، القرارة، الجزائر ، جانفي 1998 .
- الميلي، مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، ج02، مكتبة النهضة الجزائرية، 1963 .
- النامي، عمرو خليفة، دراسات عن الإباضية، مطابع النهضة .

الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط01، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009 .

فهرس المحتويات